

818

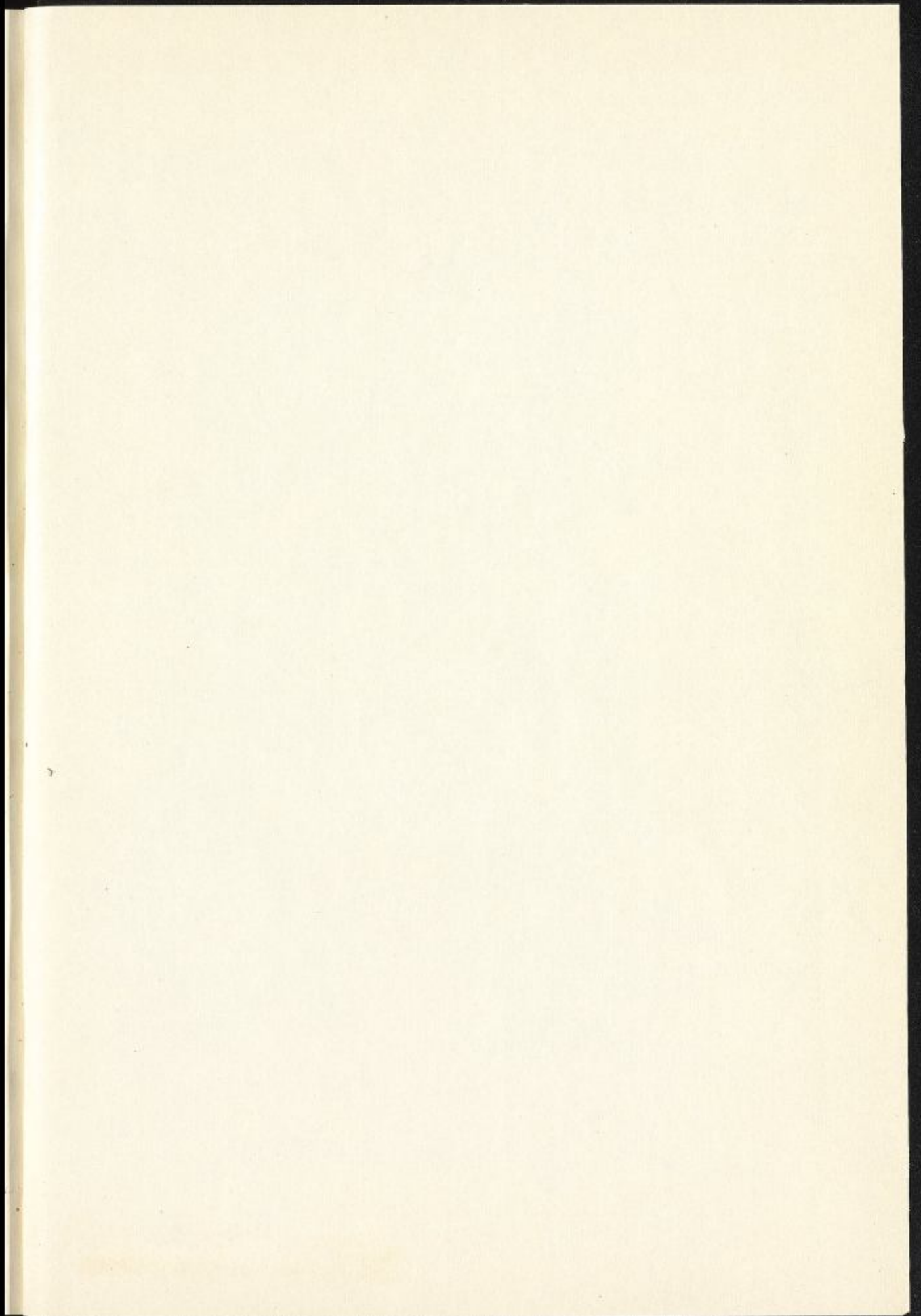


THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY



GENERAL LIBRARY





سأعدت وزارة التربية والتعليم على نشره

الفن القصصي

في

الأدب العراقي الحديث

المجموعة الأولى

الرواية العربية

في العراق

الدكتور عمر الطالب

١٩٧١

PJ

8038

.T35

v. 1



مختار

شعر الفاضل

تأليف

مختار

شعر

مكتبة

مكتبة

KR

MAY 21 1974

11978 F

المقدمة

موضوع هذا البحث (الفن القصصي في الادب العراقي الحديث - الرواية والمسرحية) موضوع يجد له اشد الدوافع ويملك العديد من المبررات . فالرواية والمسرحية يمثلان اليوم قمة تطور الانواع الادبية ورغم هذا فانهما لم تدرسا دراسة كافية كما درس الشعر ولم تبحثا بحثاً جاداً غنياً ، ويجد طالب العلم نفسه نتيجة ذلك امام فراغ لا تسده سوى قلة من الدراسات التاريخية والنقدية . وتضييق الدائرة اكثر حين نوجه اهتمامنا نحو البيئة العراقية خاصة .

وقد نبع احساسنا بقيمة هذه الدراسة من الاستعداد الخاص البيئي والفكري الذي جعلنا نشعر بضرورة ملحة لدراسة هذا الفن الوليد الهام دراسة يمكن لها ان تسد بعض النقص الذي تعاني ، وتجد لها مكاناً في فراغ المكتبة العربية الواسع . وقد عنيت بهذه الدراسة ايضاً لاسباب اخرى لعل من اهمها ما لمست من تخبط الباحثين والمؤرخين الذين تعرضوا للمكتابة في هذا الموضوع . وعن المسرح العراقي خاصة ، وأرى ان ما وقعوا فيه من الاخطاء كان نتيجة لإهمال الكتاب المعاصرين وعدم التفاتهم الى كتابة تاريخ الرواد الذين مهدوا السبيل لظهور المسرح العراقي الحديث والرواية العراقية الحديثة . كما كان نتيجة لانعدام

حركة النقد الجدي القائم على الثقافة العميقة المحيطة والحساسية الفنية والتنبيه الوجداني والتجرد من الهوى والميل .
وتشير دراسة الادب الحديث وخاصة في موضوعنا مشكلات كثيرة ، وتضع امام الباحث صعوبات جمّة ، وقد تزداد نأزماً في دراسة فترة قريبة منا ما تزال لصيقة بنا . ويبدو أن النظرة الاولى لهذه الفترة لا تسمح لنا باستجلائها تماما . ومن الباحثين من يرفض دراسة الادب ما قبل مضي فترة غير وجيزة عليه وينحى بالتالي دراسة الاحياء ، وفي زعمهم ان الدراسة الموضوعية والاستجلاء التام لا يتيحها سوى البعد المناسب ، وقد يكون هذا صحيحاً ولكن الا يبلغ منه صحة انه ما من وقت الا وتبدو فيه الدراسة مبكرة جداً او متأخرة جدا . والرؤية العلمية والموضوعية يمكن ان تتضح جلية عميقة من خلال العلاقة بين الموضوعات المتشابهة على المسرح الادبي .

والصعوبة الكبرى تتعلق بمصادر البحث ومادته ، فهي ليست ميسرة وغير موجودة في المكتبات العامة ولا الخاصة في العراق ، فاضطرت الى البحث عنها في جميع انحاء العراق والاتصال بالمؤلفين انفسهم ، ومن الغريب ان الكتاب انفسهم قد لا يتوفر لديهم البعض من نتاجهم ، فكان لا بد من العناية الشديد والجهد المتواصل للظفر بالكتب المختلفة بالبحث عنها في الزوايا المهملة والاقبية القديمة في الكنائس حتى استطعت ان اعثر على جميع مواد البحث من مسرحيات وروايات . كما كانت الصحف والمجلات المعاصرة مرجعاً أساسياً في بعثي هذا ، وقد بحثت فيها عن الاخبار النقية التي لا تحوي دعوى او اعلانا ، وبذلت جهداً كبيراً لتصفية هذه الاخبار وتمحيص ما فيها من الاخطاء التي

نتجت في الاكثر عن جهل الكتاب او تحيزهم او عدم عنايتهم ، واخيراً اضطررت الى الاتصال الشخصي ببعض رجال الادب والفن وبخاصة المخضرمين الذين عاصروا الحركة المسرحية في اواخر القرن الماضي ومطلع هذا القرن وعاصروا الحركة الادبية القصصية في العراق .
ولم يكتب احد في مثل هذا البحث واعد نفسي رائداً فيه فلم يسبق لاي باحث ان كتب شيئاً عن الرواية العراقية اما المسرح العراقي فقد حظى باهتمام قليل من الباحثين مثل جميل سعيد في كتابه (التيارات الادبية في الادب العراقي الحديث) عام ١٩٥٤ الذي عرض فيه فنون الادب المختلفة من شعر وقصص قصيرة ومسرحيات ودرس عدداً قليلاً من كتاب المسرح ولا سيما كتاب المسرح الشعري . وجاء كتابه في صورة محاضرات ألقيت على القسم الادبي في معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة . ولم يتمكن الباحث من دراسة هذا الموضوع دراسة وافية لانه لم يستطع الحصول على المصادر كما أشار في مقدمة الكتاب لفقدانها من المكتبات العامة والخاصة ، وأنحى باللائمة على ابناء المكتبات العامة في العراق لعدم اهتمامهم بالنتاج العراقي الحديث .
وكتب علي الزبيدي بحثاً باسم (المسرحية العربية في العراق) نشره في مجلة الاقلام العراقية في ثلاثة اعداد ، ثم جمع هذه المقالات في كتاب يحمل نفس الاسم بعد ان القاها على شكل محاضرات على طلبة معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة عام ١٩٦٧ . وقد درس المؤلف المسرحية العراقية منذ نشأتها حتى قيام الحرب العالمية الثانية ، وأشار في كتابه الى جهودي في هذا الموضوع في أكثر من مكان ، وبين مساعداتي الجملة له لكي يصحح الاخطاء التي وقع فيها في مقالاته

الاولى ، ويمكن الاخطاء واكبت هذا الكتاب وحرمته الدقة العلمية والتزام اساليب البحث العلمي .

ولا ننكر أننا قد افدنا من هاتين الدراستين ، ولكن الفائدة كانت يسيره ومحدودة ، وقد تمرست في اثناء دراستي للموضوع بتجارب قاسية ، وتحملت كثيراً من المشاق بسبب تشعب الموضوع واتساع محيطه وشموله لالوان من الدراسات الجزئية الخاصة بالحياة الاجتماعية والادبية في القرن الماضي وفي هذا القرن . وهذا الانساع اقتضى مني جهداً متصلاً ، استغرق زمناً طويلاً ، وهذا هو شأن دراساتنا الادبية الحديثة عامة لان أكثرها بـكـر لم يتعرض له الدارسون ، ولم يتناولوه تناوولا جدياً شاملاً يوفر على المتخصصين كثيراً من الجهد والوقت ، ويوفر لهم أسباب العمق في الدراسات التي ينهضون بعينها . وأول مشكلة اعترضتني هي الجمع بين فنين من فنون الادب هما الرواية والمسرحية رغم الفروق العديدة بين هذين الفنين ورغم ان بعض النقاد في الوقت الذي يعد الرواية فناً من الفنون الادبية لا يعد المسرحية فناً ادبياً لانها تتصل بالحركة وبالفعل اكثر من اتصالها بالادب ، كما تحتاج الى وسائل مساعدة كالديكور والاضاءة والاخراج والمكياج والتمثيل وكلها لاعلاقة لها بالفن الادبي . ويمكن الذي اضطرني الى هذا الجمع قلة عدد الروايات والمسرحيات في العراق وقلة النوع الجيد الذي يستحق الدراسة منها ، وانزواء عدد كبير من نصوص هذين النتاجين في زوايا النسيان وعدم معرفة شيء عنهما قبل ان اكتشفها بنفسي نتيجة لبعثي المتواصل المجهد ، وقد استطعت العثور على عدد غير قليل من نتاج هذين الفنين وعندها فكرت بأن ادرس فناً واحداً فقط ، وخشيت ان تضيق جهودي

السابقة فاندفعت الى الكتابة في هذين الفنين ، وانا اجد العذر لنفسى بأن هناك نسب وثيق ، وقربى دموية بين فن الرواية وفن المسرحية في قصة حادثة كاملة رغم ان الحادثة القصصية يرويها راووا الحادثة المسرحية يتوارى مؤلفها خلف ابطاله ، وينقلها اليها الحوار والعمل التمثيلي اللذان يوجهان حواسنا بلا وسيط من سرد أو تخيل .

وقد كانت هناك صعوبة اخرى في محاولة تحديد الفترة الزمنية للبحث ، فوجدت ان التطور الادبي والفني لا يخضع للتحديد الزمني الصارم ، وفضلت ان ادرس هذين الفنين منذ نشوئهما وحتى منتصف الستينات من هذا القرن . واخيرا كان لا بد لي من تحديد المفهوم الذي انظر به الى هذين الفنين هل انظر اليهما بمعناهما العام ، أم أقف عند حد الانتاج الذي اصطلح النقاد على تسميته بالفني ليفصلوا بينه وبين الاشكال الاخرى ، ولما كنت اشعر بأن الرواية العراقية والمسرحية العراقية كانتا وما تزالان في اول مراحل تطورهما وجدت من الافضل ان اتناولهما بمعناهما العام لا تمكن من تتبع البدايات الاولى التي ادت الى ظهورهما وتطورهما بعد ذلك .

ان الفن يتحرك ضمن مجال فهو ظاهرة متطورة بمعنى انها تؤثر وتتأثر ، اي ان الفن علمة ومعلول فهو ليس ظاهرة جامدة او ثابتة وانما هو ظاهرة دائمة النمو والتغير والتشكل تستجيب في حركاتها لظروف بيئتها في شتى مستوياتها وتياراتها . ومن هذا الفهم لظاهرة الفن بدأنا نلتمس الطريق لاستكشاف المجال في جميع المستويات . وقد وجدنا عقبات كثيرة لان جميع مجالات بيئتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لم تدرس بعد دراسة واعية منظمة بدرجة كافية ، والدراسات الموجودة دراسات مبسطة وموجزة كانت

غايتها في الاغلب الاعم رصد الظاهر ، دون ان تعلمها او تقف عند مجرد استعراض المعلومات ولا تحاول تفسيرها . ونحن في الواقع ننظر الى موضوعنا من وجهات مختلفة ، وجهات شارحة له ومفسرة ومعللة سواء كانت اجتماعية او نفسية او تاريخية . وفي اعتقادنا ان النتاج الادبي في مجموعه ذو مستويات متعددة ، ولا بد لفهمه الفهم الحق ودراسته الدراسة الواعية المنتظمة ان نتخذ له نقداً متعدد المستويات ، يستطيع استعمال التقنيات وضروب المعرفة غير الادبية ، في سبيل الحصول على بصيرة نافذة في الادب تحقق له غنى وعمقاً وتنوعاً .

وقد أدى بنا هذا الوضع الى ان نربط ربطاً محكماً بين التراث واصحابه والبيئة المنتجة . وبذلنا ما نطيق في استغلال جميع السبل المؤدية الى هذا الربط عن طريق دراسة الشخصية وترجمة حياتها . وكان هذا من جملة صعوبات البحث ، فان الكثير من الذين تعرضنا لهم لم نجد لهم بين ايدينا ترجمات يمكن الافادة منها ، وقد سد بعض هذا النقص الرسائل التي جرت بيني وبين معظم كتاب الرواية والمسرحية من الاحياء او عن طريق اللقاء الشخصي بهم . وقد مد الى بعضهم يد العون وامتنع آخرون وما صنعنا مثل هذا الصنيع الا لاجاد وسائل اوسع واعمق في فهم الاعمال الادبية ودراستها دراسة تتبع .

ويجب ان نضيف الى ذلك شيئاً هاماً وهو ان التراث الغربي عندما فتح على العرب فتح دفعة واحدة ، وكانت جميع المذاهب الادبية قد تبلورت ولكن الأدباء العراقيين لم يأخذوا الا ما يناسب حاجاتهم الفنية والقومية ويستجيب لطاقتهم وجهودهم ومن هنا بدأ التطور من الرواية التعليمية الى الرواية الرومانسية ثم الى الرواية الواقعية . كما بدأ

هذا التطور في المسرحية العراقية ايضاً فتطورت من المسرحية الدينية الى المسرحية التاريخية ثم الى الملودراما المتأثرة بالمسرحيات الغربية التي ظهرت في القرن الماضي والمسرحيات العربية التي مثلتها الفرق المسرحية المصرية على مسارح العراق في العشرينات حتى استوت في بعضها الى مسرحيات فنية . كما واكبتها المسرحية الشعبية التي لم تلاق نجاحاً في العراق بسبب قلة اقبال الجمهور عليها . وقد وجدت نفسي امام حقائق لا يمكن انكارها وكان علي أن اجابها ، فان كثيراً من هذه الاتجاهات وجدت متداخلة تداخلاً عجيباً في أدبنا سواء في فن الرواية أم في فن المسرحية . ولا تزال الكثرة من الانتاج المعاصر تتلون بجميع هذه الاتجاهات . واذا امكنا أن نرجع الى فنوننا الأدبية الحديثة قد تفتحت اول ما تفتحت في الفترة التي اختلطت فيها الاتجاهات الادبية في الغرب فان هذا يشكل ايضاً عقبة اخرى امام الذين يحلو لهم ان يدرسوا الفنون العربية الحديثة حسب الاتجاهات العالمية . ويضاف الى هذا ان أدباءنا لم يصدروا في أدبهم عن ايدولوجية فكرية او فنية معينة ، ولا يزال العديد منهم يمارس هذا الفن عن هواية .

وعلى هذه العمدة الثلاثة الممتزجة والمتكاملة : الزمن الفني والاتجاه الفني والشكل الفني ، قامت طريقة البحث ورسمت خطوطه وتحددت معالمه الكبرى .

وبعد فان البحث الجاد يعمق مع التجارب ، ويعيش على النقاش ، ويكمل بتنوع المحاولات ، ويعني بتساؤل الآراء ، ومع كل ذلك ومن تعدد الاخطاء ومن المقارنة بين وجهات النظر ينبثق الصواب ويتضح الصدق وتنبليج الحقيقة .

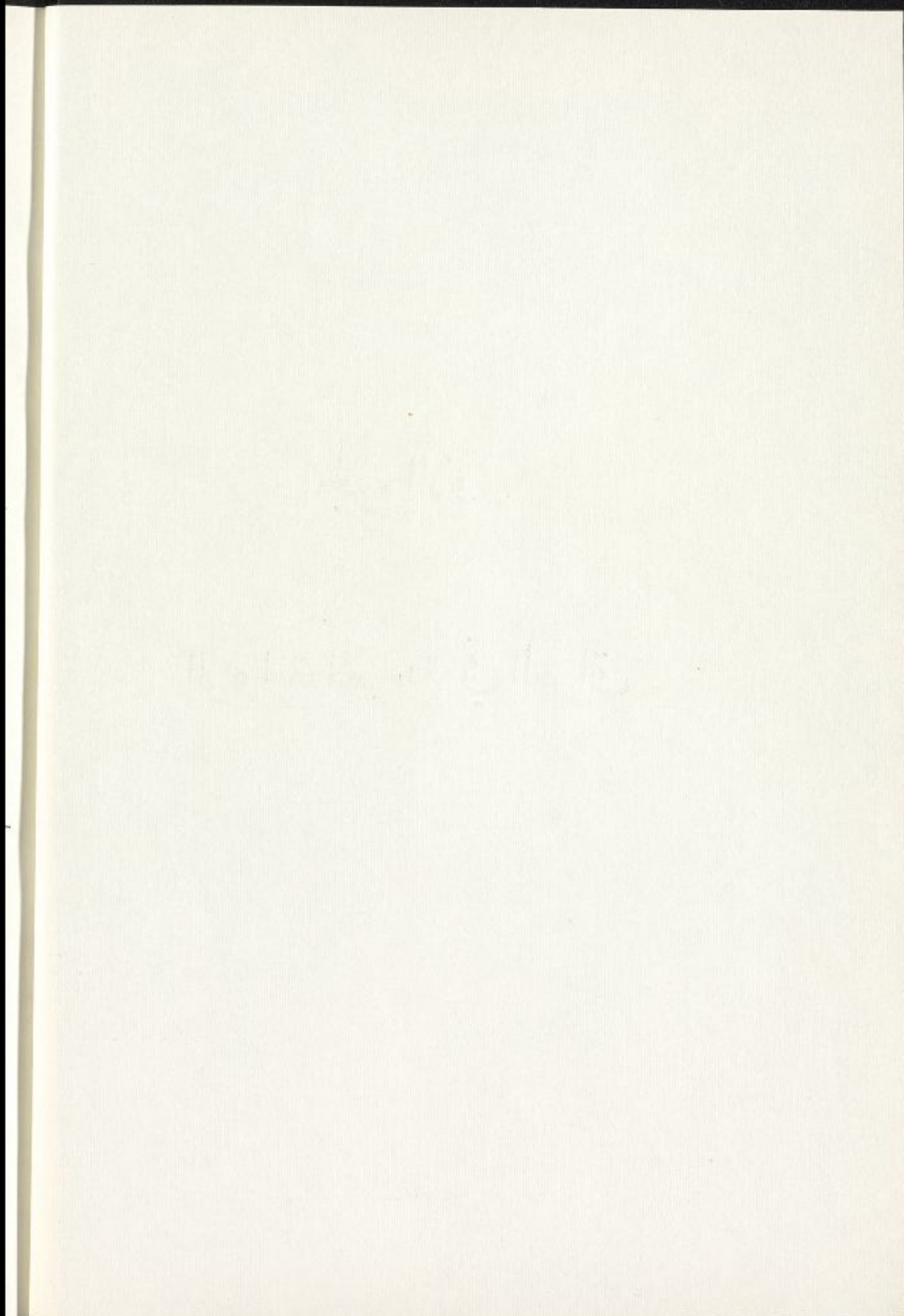
وان البحث الذي نضجت فكرته في ذهني بمرور الايام ، يأبى ان يتكلم بثقة ، وعيبه انه لا يرفع ما انتهى اليه من حقائق ونتائج درجات تبلغ مراتب اليقين . انه بكل تواضع يمنح موضوع الرواية العراقية والمسرحية العراقية والباحثين فيهما والدارسين شتى مجالاتهما خدمة بسيطة اولية ان لم تكن فعلية فهي على الاقل ممكنة .

ولا يفوتني ان اذكر بالشكر والتقدير ما قدمه الي اساتذتي الذين لم يألوا جهدا في حل بعض مشاكلي ، ومددي بالمشورة ، ومعاونتي بالرأي والمناقشة في كل ما عن لي من مشاكل ، واخص بالذكر الدكتور عبد القادر القط . وارجو ان تكون دراستي هذه فاتحة دراسات كثيرة تليها يقوم بها الباحثون المتخصصون .

واخيراً فأنني احس بأنني وان كنت قد حاولت في هذا البحث دراسة بعض القضايا التي تواجه الباحث في مثل هذا الموضوع ، فأنني قد فتحت الباب امام قضايا اخرى كثيرة تنتظر الدراسة وارجو ان تتاح الفرصة لي او لغيري ، لمعالجتها في أبحاث اخرى .

الجزء الاول

الرواية العربية في العراق



تمهيد

تأخر ظهور الرواية في العراق عن شقيقاته العربيات مصر ولبنان وسوريا حتى ظهرت اول رواية عراقية عام ١٩١٩ باسم (الرواية الايقاظية) لسليمان فيضي الموصلية .

وقد اختلف الباحثون في تصنيف الرواية الايقاظية فمنهم من وضعها في صنف المقامة (١) ومنهم من وضعها في اطار الفن الروائي (٢) ومنهم من وضعها في نطاق الفن المسرحي (٣) ومنهم من عدّها مزيجاً من الفنون الروائي والمسرحي (٤) .

ولم يتبلور الفن الروائي في العراق الا في مطلع العشرينات من

-
- (١) عبدالقادر حسن امين « القصص في الادب العراقي الحديث » ص ٢٠٦
 - (٢) محمود احمد السيد « السهام المتقابلة » .
 - (٣) جميل سعيد « نظرات في التيارات الادبية الحديثة في العراق » ص ٥٢ ، ٥٤ ، جعفر الخليلي « القصة العراقية قديماً وحديثاً » ص ١٦٨ ، علي الزبيدي « المسرحية العربية في العراق » ص ٣٨ .
 - (٤) عمر الطالبي « القصة القصيرة في العراق بعد الحرب العالمية الثانية » رسالة ماجستير .

هذا القرن بظهور رواية (في سبيل الزواج) عام ١٩٢١ لمحمود احمد السيد (٥) أعقبها بروايته الثانية (مصير الضعفاء) عام ١٩٢٢ . وظهرت في السنة نفسها رواية (فتاة بغداد) مسلسلة في مجلة الزنبقة العراقية (٦) وتوقف مؤلفها الذي لم يذكر اسمه عن نشر سائر حلقات الرواية بتوقف المجلة عن الصدور في مطلع عام ١٩٢٣ . ولا يعني ذلك عدم وجود بدايات تحمل بذورا قصصية في العراق قبل هذا التاريخ ، فقد ظهرت مقامة محمود شكري الألوسي المسماة « سجع القمرية في ربيع العمرية » عام ١٨٢٠ هـ والتي عدّها أحد الباحثين أول رواية عراقية (٧) .

كما ظهرت بدايات قصصية تحمل طابع المقال السياسي والاجتماعي في المجلات العراقية مع اغفال أسماء مؤلفيها عام ١٩١٠ مثل (رؤيا عربية) (٨) التي نشرت في مجلة تنوير الافكار بصورة مسلسلة ، وتوالت المقالات القصصية في مجلة لغة العرب العراقية التي تبنت هذا الاتجاه بين عامي ١٩١٣ - ١٩١٤ م (٩) . وقد بدأت مجلة العلوم العراقية بنشر مسلسلتين روائيتين عام ١٩١٠ الاولى باسم (فتاة بغداد) (١٠) لرزوق عيسى ، والثانية باسم

-
- (٥) اجمع الباحثون على انها الرواية العراقية الاولى ، جميل سعيد (المصدر السابق) ، جعفر الخليلي (المصدر السابق) .
(٦) مجلة الزنبقة الاعداد (١ - ١٢) بغداد ، ١٩٢٢ .
(٧) عباس العزاوي « ذكرى ابي اثثناء الألوسي » ص ٦٨ .
(٨) مجلة تنوير الافكار ج ٢ عام ١٩١٠ ، ص ١١٩ ، ١٦٨ ، ٢٢٢ .
(٩) مجلة لغة العرب ج ٤ عام ١٩١٣ ، ج ٥ عام ١٩١٣ ، ج ١٨ عام ١٩١٤ .
(١٠) مجلة العلوم (١ - ٣) عام ١٩١٠ .

(الاهام) (١١) ليوسف رزق الله غنيمة ، ولكنها توقفت عن انمامها بعد صدور ثلاث حلقات لكل منهما . ويبدو ان السبب في ذلك عزوف القراء عن قراءة القصص حينذاك . ويمكن حصر الاسباب التي ادت الى تأخر ظهور الرواية في العراق عن شقيقاته العربيات في أن العراق قد تأخر في حصوله على الاستقلال عن الامبراطورية العثمانية التي جعلت اللغة الرسمية في الدواوين والمدارس ، اللغة التركية ، وفي بعد العراق عن البحر المتوسط الذي يعد وسيلة اتصال الشرق بأوروبا .

ولم يكن الطريق ممهدا امام الروائيين العراقيين بل اعترضت العقبات طريقهم وكان ابرز هذه العقبات ، ضعف استعداد البيئة لتقبل انتاجهم ، وقلة استعداد الناس حينذاك للتجاوب الكامل معهم ، والشعور باليأس الذي ساد العراق عقب فشل ثورة العشرين ، والهزات الاجتماعية الضخمة التي كانت تجتاح العراق من حضارة متبدلة ، وفوضى ضاربة اطنابها في العقائد والافكار ، وعجز المثقفين عن ممارسة علاقة حب حقيقية تنتهي الى نتيجة طبيعية ، وذلك لظروف بيئتهم وللتقاليد الصارمة التي كانت ترى في المرأة كل شيء الا حقيقةها الانسانية ، ولا شك أن المرأة عنصر مهم من عناصر الرواية ووجودها يعطي الاحداث والعلاقات في الرواية جواً من الشمول والصدق ، ولم تدع العقبات التي اعترضت نمو الطبقة الوسطى الفرصة لتغير الثقافة تغييراً جذرياً ، ولم تفلح في التأثير في الاجهزة التعليمية والثقافية بصورة تخلق جمهوراً مثقفاً ثقافة حقيقية ، يستطيع التجاوب تجاوباً كاملاً مع الدعوة الى التحرير الاجتماعي والفكري .

وهكذا ظهرت بعض الدعوات التي تحث على ترك قراءة الروايات ، كالذي جاء في جريدة صدى بابل العراقية عام ١٩٠٩ « لا اشير عليك ان تقرئي الروايات الخيالية لانها غالباً تحرك القلب حراكاً شديداً تخرجه عن طور المحبة المعتدل الى الاحساس الشديد لا بل الى الهيجان العصبي فتتولد الاوهام ويؤسر القلب الحرب برباطات خيالية لا تجدي نفعا » (١) .

وجاء في مجلة لغة العرب عام ١٩١٣ « الا أن بعضهم شفقوا ببعض ما يخالف الغاية المحمودة فأخذوا يطالعون المصنفات التي تؤدي الى مهاوي الفساد والعار والشنار » (٢) .

وذهب الكتاب في تجاهلهم للرواية حدا جعلهم يعدون كاتب الرواية متطفلاً على موائد الادب ، لا يستحق اكثر من الالهمال والاحتقار ، وينظرون الى الرواية على أنها عادة جديدة غريبة عنا تحمل في طياتها منازع اجنبية لا تلائم احوالنا الاجتماعية ولا تناسب اسلوبنا في الحياة .

وأثرت طبيعة الجمهور القاريء العازف عن الرواية في الناشرين وأصحاب المجلات والصحف والقائمين على المؤسسات الفنية ، ودفعتهم الى تقديم الادب الذي يتلاءم مع ذوق أغلبية الجماهير ، والذي يحقق لهم الرواج والكسب ووقفوا موقفاً متعنثاً حذراً من الاعمال الروائية . وقد كان من أسباب تخلف الفن الروائي في العراق الى جانب ذلك ، ان هذا الفن بما له من اطار كبير وما يتضمن من رسم

(١) صدى بابل العدد ٥٩ عام ١٩٠٩ .

(٢) لغة العرب العدد ٧ عام ١٩١٣ .

للشخصيات وتنمية للاحداث والوقائع ، يحتاج الى وقت طويل وفراغ
ورياضة ذهنية ونفسية لم تكن تتيحها ظروف هؤلاء الادباء وسعيهم
الدائب وراء اسباب العيش .

يضاف الى ذلك سوء توزيع الكتاب حينذاك واقتصاره في الاغلب
على بغداد مما كان يحمل الكاتب الذي ينشر اعماله على نفقته باهظة ،
ولم تكن هناك شركات للنشر تحمل هذا العناء عن هؤلاء المؤلفين وربما
كانت عملية الموضوعات والشخصيات في الرواية العراقية من الاسباب
التي جعلت وجودها مقصوراً على دائرة ضيقة في العراق وحده .
هذا بالاضافة الى ما كان يتعرض له الكتاب والادباء من التضييق
من قبل الحكومات التي تولت الحكم في العراق لما يخلفه الأدب الحر
من تهديد لكيانها وسلامتها .

ويضاف الى ذلك كله تأخر النقد في العراق وفدرة النقاد وقلة
ما يكتبون من أبحاث نقدية ، وانصراف القراء عن قراءة النقد .
ولا نستطيع ان نهمل عاملاً آخر كان له أثر في الجناية على الادب
بوجه عام هو العامل السياسي ، فقد انصرفت الاذهان عن الاهتمام بالادب
الى المشاركة في صور من النضال لكسب حقوق سياسية جديدة او
لتنظيم شؤون اقتصادية ، وما الى ذلك من شؤون الحياة (١) .

(١) انظر عبد الرسول حسين (الركود الادبي في العراق) جريدة العراق
العدد ٣٢٤٩ عام ١٩٣٠ .

سلمان الصفواني (الدين والسياسة والامية وأثرها في سير نهضة العراق
الادبية) البلاد ، العدد (١٨) عام ١٩٣٠ .

وقد استنفدت الثورات في العراق ضد الاستعمارين العثماني
والانكليزي جهود الادباء العراقيين ووضعوا قواهم ومواهبهم في خدمة
بلادهم .

ويجب الا يغيب عن الباحث عامل آخر ، هو اختلاف ما بين لغة
الادب ولغة الكلام اختلافا يجعل قراء الادب قليلين لشيوع الامية
وعدم انتشار التعليم انتشاراً كافياً في عهد الاستعمارين العثماني
والبريطاني .



وقد قربت الروايات الرائدة التي ذكرناها في القصص والرواية
من القراء العراقيين رغم انهم عرفوا في الرواية قبل ذلك عن طريق
الترجمة وعن طريق الروايات العربية الحديثة التي صدرت في مصر
ولبنان . وأطلعتهم على عالم آخر من الادب .

كما أثار هذه الروايات بما تناولت من مجالات الحياة العصرية
المختلفة ، الانتباه الى قدرة الأدب العراقي على غزو هذه النواحي وعلى
ان يضيف الى فنونه القديمة الفنون القصصية الحديثة . وهكذا ساعدت
تلك الجهود الرائدة على نشر المعرفة والاتصال بفرن الرواية وبمعت

- ممتاز العمري (القصة والوسط العراقي) النهضة العراقية العدد ٤٩٨
عام ١٩٣٠ .

الواثق (جمود الحركة الادبية في العراق) العراق العدد ٣٧٥٥ عام ١٩٣٢
ابليس (من فضلكم وسوسات ابليس) مجلة الحاصد العدد ١ عام ١٩٣٥
جرجس يوسف (ادب القصة واثره) مجلة الحاصد العدد ١٧ عام ١٩٣٢

الوعي الفني وتطبيقها للتعبير القصصي .
وقد أسهم حرمان العراق من حرية الصحافة في دعم الادب العراقي بحيث أصبح قوة اجتماعية في المحل الاول ، وبما أن أية مناقشة صريحة في الشؤون والافكار التي تعدها السلطات الحاكمة خطرة كانت ممنوعة ، فلم يكن بد من الاستغناء عنها بفنون الأدب المختلفة لاشباع رغبات الناس ، ومن هنا قضى على الروائيين الرواد ان يمزجوا الادب بالسياسة ، ولا يعني ذلك ان الرواية العراقية الرائدة كانت أدب دعاية ، بل لقد عبر كتابها عن اهتمام الامة بوضعها وحالتها السياسية والاجتماعية . وهذا الادب الذي يعي المهمة التي ينبغي له ان يضطلع بها في حياة البلاد لا يجتزىء مطلقا بإيراد واقع جاف . وانما يخلق نماذج من الابطال ويسهم بواسطة في نصب مثل عليا تتيح للمجمل الجديد ان يخط لنفسه دربه الخاص وان ينتقل من وعي حقيقته الى العمل البناء المثمر في سبيل تحسين اوضاعه الاجتماعية والسياسية .



وسندرس بعد هذا التمهيد ، المؤثرات التي ساعدت على ظهور الرواية العراقية ، وقد قسمناها الى مؤثرين أساسيين :
مؤثرات عربية .
ومؤثرات خارجية .
وانتقلنا الى دراسة البدايات المبتكرة للرواية العراقية ، والتي ظهرت في المجلات .

ثم انتقلنا بعد ذلك الى دراسة الرواية الايقاظية لسليمان فيضي
باعتبارها اول عمل عراقي قريب من الفن الروائي .
وافردنا الجزء الاخير من هذا الفصل لدراسة نتاج محمود احمد
السيد باعتباره اول من كتب رواية فنية في العراق .
وافردنا الفصل الثاني لدراسة الاتجاهات الروائية في العراق ،
فدرسنا الرواية التعليمية والرواية التاريخية والرواية الشعبية والرواية
الرومانسية .
بينما قصرنا الحديث في الفصل الثالث على الرواية الواقعية ، لأن
الاتجاه الواقعي حظى باهتمام كبير من كتاب هذا الفن .



الفصل الأول

نشأة الرواية في العراق

والعوامل المؤثرة في هذه النشأة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا

الذي كنا لننال

(١)

المؤثرات العربية

تدل الدراسة التاريخية لفن القصة في العراق ، على انه فن حديث النشأة ، لا يكاد يسبق القرن العشرين . ومع هذا فان تاريخ النشر القصصي في ادبنا العربي عموما طويل ، فهو من خلال الحكايات والسير الشعبية والاخبار والنوادر والاسماء والامثال يرتد الى عصور قديمة . ولكن بفحص هذه الانواع ، يمكن ان نفرق بين الدلالة الادبية لشكل القصة من حيث هي مصطلح فني وبين الدلالة (الحكائية) لشتى انواع القصص من حيث هي انماط لنقل الخبر الصغير .

ولعل المقامة كانت اول شكل نثري في الادب العربي ، يحمل (حرفية) الصنعة وينسب الى كاتب بعينه . كما اريد به منذ ظهوره ان يضارع الشعر والخطابة او يقف امامهما على الاقل . وقد استطاع بديع الزمان خالق هذا الفن كما استطاع الحريري ان يثبتا في بعض مقاماتهما ، انهما يمتلكان موهبة قصصية فذة . فالمقامة تقوم عندهما على حادثة او مغامرة او حيلة يصنعها بطل ويرويها عنه للمنشئ راو طوحت به الاسفار . ويلتقى في كل مكان ينزل به بالبطل متنكرا بحيث لا تتجلى حقيقته للراوي الا بعد ان يمثل دوره ، وعن هاتين الشخصيتين (البطل والراوي) توجد الحركة في المقامة ، كما يوجد الحوار الذي يتم بينهما في صورة من الصور فيحدث بالحدث الى الامام .

ويمكن ان نلاحظ في المقامة ايضاً التصميم في الشكل والفكرة (وخاصة عند الحريري) كما نعثر على العقدة والاسلوب والمفاجأة والعرض القائم على التشويق ، وهي في بعض ملامحها ترتبط في الحياة الاجتماعية ارتباطاً وثيقاً . كل ذلك يقربها من القصة في شكل من اشكالها (١) . وقد ذهب الهمداني في باقي مقاماته وراء غايات اخرى تجعلنا نشك في هدفه القصص ونرجح عليه الهدف التعليمي الوعظي ، والذي يستقرى المقامات ، ويفحصها على مدى تاريخها الطويل ، منذ البديع عام (٢٩٨) حتى السيوطي عام (٩١١) ، يجسد انها كانت تتحول عند كل كاتب ومع مرور الزمن الى شكل تتوفر في بعضه المادة القصصية ، ويبعد في أكثره كل البعد عن هذه المادة ، وعن مزية القصة ، فتفقد المقامة حركتها وشخصها معاً . وهكذا أصبحت المقامة عند الزمخشري (٥٢٨) اسلوباً للمناجاة الدينية ووعظ النفس وحثها على الصلاح والتقوى ، وتحولت عند ابن الجوزي (٧٠١) الى خطب ونكت فقهية وأصول نحوية . واتجهت عند ابن الوردي (٧٤٩) الى حكم ومواعظ لتدل شخصياتها على وجود الخالق ، وأصبحت عند السيوطي (٩١١) رسائل مسجوعة تمتلئ بالحديث والمعلومات (٢) .

وبذلك فقد الشكل القصصي أهميته على مر العصور ولم يبق من المقامة سوى هدفها التعليمي أو الوعظي الذي كان ينشر أحياناً على

(١) قارن مثلاً عند الهمداني المقامات التالية : البغدادية ، المضرية الاسدية . البشرية .

(٢) جميل سلطان (في القصة والمقامة) يورد في آخر الكتاب قائمة لاهم المقامات عبر التاريخ الادبي .

هيكل غير متماسك من الحكاية ويتوسل بأسلوب مزركش مليء بالزينة اللفظية .

ولم تستطع المقامة ولا الالوان القصصية والحكاية القديمة ان تشكل فناً قصصياً ، وظلت على كثافة مادتها وتشتمت المحاولات فيها ، مفتقرة الى اليد الصناع التي تخلق منها ذلك الفن وقد تحجرت المقامة على مر العصور ، اما باقي العناصر القصصية فلم يهتم بها الخاصة ولا الادب العربي الفصيح اهتماماً كبيراً وترك امرها وخاصة الانماط الشعبية منها وهي التي تحفل بخصب المادة القصصية الى عامة الشعب .

وكانت النتيجة الطبيعية لذلك كله ، أن القصة في التراث العربي القديم وعلى تتابع عصوره ، أصبحت غير واضحة المعالم .

وعندما جاء القرن التاسع عشر ، وظهرت فكرة بعث التراث تحت تأثير الظروف الاجتماعية والسياسية والقومية ، وجد الكتاب ان شكل المقامة يتلائم وبعض حاجاتهم الادبية .

وقد نظروا اليها النظرة البيانية اللغوية ولم يلتفتوا الى ما فيها من عنصر قصصي . وكانت محاولات تراوحت بين الفشل والتقليد المشوه ، مثل مقامات احمد البربير عام (١٨١١) ، ونيقولا يوسف الياس عام (١٨٢٨) ، وابراهيم الاحدب عام (١٨٩١) ، التي قلدوا فيها اكثر مقامات الحريري . ولعل أنضج هذه المحاولات وأشهرها مقامات نصيف اليازجي عام (١٨٧١) ، وفارس الشدياق عام (١٨٨٧) في بلاد الشام ، وابراهيم المويلحي (١٨٥٨ - ١٩٣٠) وظهرت في العراق مقامة السيد (خليل البصير) (٣) عام (١٧٨١) ومقامة السيد فتح الله

(٣) سعيد الجليلي « مقامة السيد خليل البصير » ، الموصل .

القادري (٤) المتوفى عام (١٧٨٩ م) وهما تصفان حصار الملك نادر شاه للموصل عام ١٧٤٣ م واستبسال اهل المدينة وتضحيتهم في سبيل مدينتهم ، وخضوع نادرشاه وطلبه الصلح من والي المدينة (الحاج حسين باشا الجليلي) . ومن هذه المقامات مقامة الشاعر (حسن عبد الباقي) (٥) عام ١٨٠٠ م ، التي تدور حول الموضوع نفسه وتصف المجاعة التي حلت بمدينة الموصل التي ذهب ضحيتها عشرات الالوف من السكان . ومنها كذلك مقامة السيد (خليل بكتاش) (٦) عام ١٨٢٠ م التي تصور ما وصل اليه العلم من تدهور في مدينة الموصل على ايدي المشعوذين من مدعي العلم ، ونكت على من لهم في ميادين الفضل سوابق ويزدري بكل شيخ له في الادب اباد اُبقت السوابق لواحق ، « فيا أيها المتقعر في خزعبلاته والمتشمر في سفاف خرافاته ما هذه السلاطة الشنعاء وما هذه المخاصمة التي هي ادوى من الداء » .

ثم كتب محمود ابو الثناء الألوسي (١٨٠٢ - ١٨٥٤) بعد ذلك مقاماته الاربع اولها رسالة الى أبنائه اما الثلاث الباقيات فقد صور فيها حياته ودراسته وشيوخه وما لاقاه من ظلم الولاة ونفاق الناس . وقد ألحق بها مقامة خامسة سماها (سجع القمرية في ربح العمرية) (٧)

(٤) ياسين خير الله الخطيب العمري « منية الادباء » .

(٥) مخطوطة في مكتبة د ، صديق الجليلي .

(٦) مخطوطة في مكتبة سعيد الديوه جي .

(٧) طبعت طبعة حجرية في كربلاء ومخطوطة في مكتبة الاوقاف في

بغداد ١٢٧٣ .

تناول فيها مجتمعاً صوفياً يسمى (المجتمع البكتاشي) (٨) وافرغ
موضوع هذه القصة في قالب روائي وجعل نفسه من أبطالها ليقرب
الموضوع من الواقع ووصف وسائل هذه الجماعة في اجتذاب الشباب
ووصف ما رآه عندهم من وسائل الاغراء وكأنه انغمس فعلاً في لذائذهم
الا أنه نجا منهم بأعجوبة اذ تغلب فيها على أهوائه . وأبدى فيها
أوضاع رجال هذه الطريقة ممثلة في واحد منهم هو شيخ البكتاشية
(خليل دده) وبين كيف حاول هذا الشيخ اصطياده بتقديم المغريات
له فوقع في الفخ وانحرف ثم تاب الى رشده فاستل نفسه (٩) .
وتجد في هذه المقامة نفحات من الرواية (١٠) وانطلاقاً بسيطاً من
قيود المقامة وبالرغم من اسلوبها المسجوع فانها لا تخلو من طرافة
تجعل القارئ يواصل قراءتها . يفتتحها بالبسملة ثم يقول :

خليلي ان الحب ما تعرفانه فلا تنكرا ان الخنين من الوجد
ويخاطب خليله قائلاً (وقد لزمنا الاقامة في المدرسة العمرية
الواقعة في الجانب الغربي من بغداد وشرقي جامع القمرية بين طلبة
اخلاقهم ارق من دمة الصبا بل الطف من وابل اولم الزهر غب
الجدب . ما فيهم الا من جعل له لثم الايدي لثاماً واتخذ دون من

(٨) طريقة من طرق المتصوفة وكانت قد انتشرت في العراق في القرن
التاسع عشر .

حكى ما جرى له في قصته المذكورة سنة ١٨٢٠ م فكان قبل القضاء على
البكتاشية بمدة يسيرة سنة ١٨٢٥ .

(١٠) يقول عباس العزاوي (ذكرى ابي الثناء الألويسي) ص ٦٨ : وتعد
اول قصة حياتية من نوعها تهدف الى الاصلاح كما يهدف الغربيون اليوم
فكان باني القصة في العراق .

هو في السن امامي اماما) .

ثم يطرق بابيه رسول يفيض في الحديث عن الهوى والمدام ، وينشده
الشعر العذب ، ويتفق معه على ان يلما ببعض الاصدقاء والاحباب في
بستان سليمان باشا الكبير (فلما رأوني قالوا حياك الله وبياك واسعدنا
بلمقياك ومتعنا برؤية حياك ، ثم نادى احدهم بصوت مديد اهل القصر
ابشروا بالصفاء فهذا بيت القصيد فجاؤا يهرعون وجعلوا من حلقتهم
يستلمون ومن كل حذب ينسلون والشيخ امامهم كالكرة يتدحرج ونشر
شوقه القديم الي يتأرجح) ثم يعود الى مدرسته وطلبته ويلقي عليهم
الدرس ، ويحمد الله على انهم لم يعرفوا سر انتشائه وتورد وجنتيه من
الحمرة التي شربها . ويعود ثانية في صحبة غلام الى ذلك البستان
الوارف ويبدأ مطارحته الغرام (فلما غسلنا الايدي من اثر الطعام
هب كل من الحاضرين اثر ذلك للمنام وقمت انا ووسدت الغلام بيمينى
وضممته الى صدري لأقيه البرد ويقيني انه يقيني فنمنا وما علينا لحاف
الا الصيانة والعفاف ولم يوقظنا الا حر الهجير بلواه وفاتتنا صلاة
الفجر وحسبنا الله . . . فدنا الي ووضع شفته على شفتي فجعلت ارشف
من هاتيك الشفاء ما هو لدى اسكندر القلب اهم من ماء الحياة حتى
اذا ارتضعت من ذياك البارد العذب) .

ولكنه سرعان ما يبرم بهذه الحياة فيطلقها طلاقاً بائناً ويعود الى
سالف سيرته بعد ان مات الشيخ والغلام فجأة .

وخرج الألووسي عن نهج المقامة المعروف فلا نجد في مقامته راويها
ولم يستهدف من كتابتها غرضاً من الأغراض التي تكتب من اجلها
المقامات في الادب العربي ، وانما استهدف غاية اوسع واكثر صلة

بالحياة من التعليم أو اظهار المهارة اللغوية . وقد وفق ابو الشناء في هذه المقامة في عرض مضمون يستوفى بعض شروط القصة فقد تابع انحدار الشخصية الرئيسية في المقامة من زهده وتقواه حتى انسياقه مع المجون الذي نجح الشيخ في اغرائه به ، وقد صور مشاعر صاحب هذه الشخصية تصويرا صادقا ينبض بالحرارة . وكان رد الفعل النفسي لموت الشيخ ثم الغلام الذي تعلق بحبه البطل طبيعيا منسجما مع نفسية البطل التي صورها كما ينسجم حب الغلام مع ما كان شائما من ذلك العصر لانفصال الرجل عن المرأة بحجاب سميك من التقاليد . وقد استطاع الكاتب من خلال عرضه للمحدث ان يبين الكثير من المفاسد التي كانت تعم المجتمع العراقي .

ومن المفاجاة للواقع ان نظمنا في محاولة ابي الشناء ادراكاً واعياً لانشاء قصة ذات لون محلي ، رغم ان حوادثه بغدادية صرفة وذات لون محلي وهو امر يندر أن يلجأ اليه كاتب مغرق في القديم والتقليد في عصر مثل عصر ابي الشناء ، لأن الوعي يتأتى من سعى نحو الشيء الذي يزعم الاديب انشاءه وهواه ولم يخطر له على بال لانه لم يعرف هذا اللون من الفن فقد عاش في بيئة ضيقة منعزلة وهو بحكم ثقافته التي نشأ عليها كان أقرب الى الالوان الادبية القديمة فأسرف في استعمال السجع والمجاز والاستعارات والتشبيهات والاستشهاد بالشعر (١١) وتكلف الحوادث .

(١١) د . محمد مهدي البصير (نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر) ٢٢٢ حتى لقد يخيل لي وانا اقرأ مقاماته انني اقرأ باباً من حماسة ابي تمام وابواب حماسة البحتري .

وقد عد بعض الباحثين (١٢) « الرواية الايقاظية » لسليمان فيضي والتي ظهرت عام ١٩١٩ من باب المقامة وان كنا نرى انها اقرب الى الفن القصصي منها الى المقامة وأنها اول عمل قصصي حديث ظهر في العراق ، ولكننا نجدها قد تأثرت بالمقامة من حيث الاسلوب وعناية فيضي بالسجع واختيار اللفظ وقصر الجمل وموسيقاها ، ولكن أسلوبه يختلف مع ذلك عن اسلوب المقامة في كونه لا يلجأ الى التقعر ولا يختار الغريب من الالفاظ .

وقد ارتبطت الرواية الايقاظية بالمجتمع الذي تدور فيه وهي في ارتباطها بمجتمعنا تكاد تتفق مع المقامة التي كانت تعني بوصف الكثير من وجوه الحياة الاجتماعية في عصرها على نحو ما نرى في المقامة البغدادية لبديع الزمان ، والتي تصور الحياة في بغداد والمقامة النيسابورية التي تقدم صورة دقيقة لفساد القضاء في عصره (١٣) .

وتعبه شخصية « يقظان » شخوص المقامات ، فهي شخصية وهمية تلازم (باقل) الشخصية الرئيسية دائماً وتقف الى جانبه ولا تحس الشخص الاخرى بها ، دأبها الانتقاد والتعليق على حديث الشخص ثم تختفي نهائياً من الرواية بعد ان يتيقظ (باقل) ويتلقى العلم في المدرسة .

وستتكم عن الرواية الايقاظية كأول عمل قصصي ظهر في العراق .



(١٢) عبد القادر حسن امين (القصص في الادب العراقي الحديث)

ص ٢٠٦ .

(١٣) شوقي ضيف (المقامة) ص ٩ ، ٢٩ - ٣٠

اما القصص الشعبي فلم يكن آنئذ معدوداً من الفن الادبي في شيء ، بل كان ينظر اليه نظرة احتقار وازدراء لانه لا يليق الا بالعوام فكان الأدباء في القرن التاسع عشر يتعالون عليه ويتجاوزون عنه ، لذا عجزت الحكايات الشعبية بأنواعها عن ان تهىء لكتاب القصة في اوائل القرن العشرين . مادة يأخذون منها الا انها اوحى لبعض الشعراء الشعبيين بعض الحكايات الملحمية .

واستمد بعض قصصي فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية موضوعات بعض قصصهم من الادب الشعبي مثل عبد الكريم عباس في روايته (رجل الاسرار) ١٩٤٤ وجعفر الخليلي في روايته (في قرى الجن) ١٩٤٨ وفلك الدين الكاكائي في روايته (بطاقة يانصيب) ١٩٦٧ ، لان قصصي ما قبل الحرب العالمية الثانية شغلوا عن الموضوعات المستمدة من التراث الشعبي بمعالجة الموضوعات الاجتماعية والسياسية . فقد كانت الرواية العراقية في بداياتها منبراً وعظيماً وتعليمياً قبل ان تكون وسيلة للتسلية ، او قالباً فنياً يعني المؤلف في صوغه .

وتأثر الادب العراقي الحديث بالقصص الشعري القديم ويبدو هذا التأثير واضحاً في شعر الرصافي والكاظمي والزهاوي . وقد ترك اثره كذلك في القصص الشعري مثل (زينب وخالده) ١٩٢٣ لخيري الهنداوي و (رواية الحق والعدالة) ١٩٢٩ لسليمان غزالة . وازدهرت القصة الشعرية بعد الحرب العالمية الثانية عند يحيى فايق في (الفجر الثائر) وعلي الصغير في (مرجريت) ١٩٤٨ وصفاء الحيدري في (عبث) ١٩٥٠ و (بابيلون) وعبد السلام ابراهيم ناجي في (ثريا) ١٩٥٢ وسعدي يوسف في (القرصان) ١٩٥٣ وبدر شاكر السياب في (الاسلحة والاطفال)

١٩٥٤ و (المومس العمياء) ١٩٥٤ و محمد رضا الخالصي في (رواية
الطف) ١٩٥٥ و موسى النقدي في (محمود والقمر) ١٩٥٨ .
ويمكننا في هذه الحالة ان نتساءل : هل نبتت الرواية الحديثة في
العراق من هذه الجذور ؟

الواقع ان ثمة انقطاعاً او ما يشبهه الانقطاع بين الرواية العراقية
الحديثة وبين التراث العريق ، فقد ولدت الرواية العراقية الحديثة مع
ولادة المجتمع العراقي الحديث وتأثرت قدر تأثره بالحضارة الغربية
ومثلها الفكرية والاجتماعية ، انها في القالب الفني وفي المحتوى وفي
الدلالة الاجتماعية على السواء شيء جديد ، ولم يكن بإمكان التراث
القديم على ما فيه من روعة وطرافة واصالة ان يرضي حاجات الطبقة
المتوسطة التي أخذت تتسع وتقوى وتستولي على الجهاز الاداري الى حد
بعيد في مطلع القرن العشرين ، ويتلامم معها ، لانه يعبر عن مجتمع
القرون الوسطى وعن مثل في الحياة متصلة بأنماط من الحكم وعلاقات
في الاقتصاد والمجتمع بدأت في الاضمحلال وبدأ التطور الاجتماعي
يقودها الى غيرها ، واذا وجد بعض الدارسين في القصص العراقي شيئاً
من الملامح القديمة كان مؤلفوها قد استوحوا مضمونها من موضوعات
قديمة ، فان جميع هذه الاستيعامات وقفت عند حدود الاستلهام في
الموضوع ، ولم تتجاوز ذلك التأثير في الشكل والصنعة بسبب بسيط هو
أن التراث القديم لم تتحقق فيه الصفات الفنية للرواية ، وأصبح أغلبه
من وثائق التاريخ الذي لا نحس بأثاره في قصصنا العراقي الحديث الا
في مجال ضيق وعند بعض القصاص الذين يستوحون الآثار الشمسية .

ولم نلمس تأثير الرواية العربية الحديثة على نشأة الرواية العراقية
اللافي نطاق محدود جداً ، حيث وجدنا جوانب شبه بين (الرواية الايقاظية)
لسليمان فيضي و (حديث عيسى بن هشام) للمويلحي ، وهذا الشبه لا
ينحصر في استخدام السجع بل يتعداه الى محاولة كل منهما اسباغ
طابع الخيال او الحلم على موضوعيهما ، فالمويلحي يوحى لنا على لسان
عيسى بن هشام في الاسطر الاولى بأن الاحداث التي وردت فيها كانت
حلماً ظهر في نومه ، ولكن الاحداث تمضى دون ان يظهر عليهما اي
طابع مما يميز الاحلام في فوضاها وعدم انتظامها ، وهذا ما فعله سليمان
فيضي ايضاً ، والى جانب ذلك اهتمامهما بالمجتمع وذكر مساوئه ومحاولة
اصلاحه . وقد تأثر (أكوب كبرائيل) بروايات (فرح أنطون) في
روايته (عجائب الزمان في صرح عروس البلدان) التي ظهرت عام
١٩٢٨ ، فهو يدين بالولاء الكامل للحضارة الغربية وأفكارها وينقل عنها
مظاهرها الحضارية في سياق السرد القصصي ، ويدعو الى الاخاء بين
الناس وبين الاديان كما فعل فرح انطون في رواياته (١٤) .



وقد تفاعل العراق مع الاقطار العربية الاخرى تفاعلاً فكرياً
واجتماعياً وسياسياً ، وكانت فكرة القومية هي الفكرة التي تبلورت في
نفس المواطن العراقي كما تبلورت في نفس المواطن العربي على حد

(١٤) انظر عبد المحسن طه بدر (تطور الرواية العربية الحديثة)

ص ٨٤ ، ٨٧ .

سواء، وليست ثورة العشرين في العراق وثورة عام ١٩١٩ في مصر الا انتصاراً لفكرة القومية في المجال السياسي، وكان قيام هاتين الثورتين يبعث في نفوس المفكرين أملاً بتحقيق الشخصية العربية واستقلال هذه الشخصية في شتى المجالات الفكرية والادبية .

وقد بدأت ملامح الادب العراقي تنضج على اثر هذه الهزة الكبرى التي أحدثتها ثورة العشرين اذ انعكس هذا الحدث التاريخي في الادب وهذه النزعة هي التي ميزت الادب العراقي الحديث عن ادب سائر البلاد العربية فظلت تلازمه حتى الآن وأصبحت طابعه الخاص . وتتجلى هذه النزعة اكثر ما تتجلى في الادب القصصي الذي انتجه العراق في الثلاثين عاماً الماضية فهو اكثر اهتماماً بالسياسة والاصلاح الاجتماعي من الادب القصصي في البلاد العربية الاخرى .

ونادراً ما تعالج الروايات العراقية موضوعات تخرج عن هذا النطاق وكما كانت ثورة العشرين نقطة تحول كبرى في تاريخ العراق السياسي كالاقتصادي والاجتماعي فقد كانت كذلك ذات اثر بعيد على الحياة الثقافية في العراق بصفة عامة فتطورت الحياة الفكرية والفنية وعن بعض الكتاب بالقصة . وقد قامت ثورة العشرين لتقييم للعراق كياناً مستقلاً خاصاً يفسح المجال امام الشخصية الفردية كيما تظهر وتعبّر عن نفسها في جو سليم من الديمقراطية .

وقد نجحت الثورة في ان تسمع العالم صوت العراق حيث طالب العراقيون بحقهم في الحرية والاستقلال .

وقد اثرت ثورة العشرين في نفسية العراقيين وشعورهم ، وأثرت في الحياة الفكرية والعلمية أعمق تأثير فانها بطريقة غير مباشرة جاهدت في ان

تنقل الادب والحياة الادبية من عصر المحاكاة والتقليد الى عهد جديد هو الابتكار والخلق . وليس أدل على ذلك من ظهور فن الرواية في الادب العراقي بصورة واضحة عام ١٩٢١ عند محمود السيد ودارت رواية رائدة هي (جلال خالد) ١٩٢٨ لمحمود السيد ايضاً حول الانطباعات التي تركتها ثورة العشرين في نفس مواطن عراقي مثقف . ورغم ان ثورة العشرين كانت تبغى التخلص من الاستعمار الانكليزي فانها اثرت في القيم الاجتماعية والمثل الاخلاقية التي كانت تسود الحياة قبل الثورة وقوت في العراقيين روح الانتماء التي يحس بها المواطن ازاء وطنه ، الى جانب انها جعلت المواطن العراقي يواجه الواقع مواجهة ايجابية فعالة . فأصبح بحكم اشتراكه في الثورة واقعياً في النظر الى الامور .

ونتيجة عن مواجهة العراقيين لواقعهم مواجهة ايجابية أن أصبحوا صادقين في التعبير عن ازماتهم ومشكلاتهم والاحداث التي يمرون بها والواقع الذي يعيشونه ، كما ان الثورة قوت فيهم دقة الملاحظة حتى يستوعبوا هذا الواقع بتفاصيله وجزئياته .

وانعكس هذا على فن كتابة الرواية فأصبحنا نجد كتاب الرواية يهتمون اهتماماً كبيراً بالجزئيات ويرون ان من الواجب ذكرها حتى يتم النقل الصادق عن الواقع ويكون الكاتب الروائي بذلك قد اعطى القارئ كل الحقيقة .

ولا ينكر فضل الطبقة الوسطى على القصة فهي تمثل الطبقة القارئة التي تلتهم ما ينشر في الكتب والصحف والمجلات ، ولما كانت الرواية عامة موضوعية اكثر منها ذاتية ، ولما كانت المرحلة الاولى في التكوين

الثقافي والشعوري للفرد أو للفنان ، فان الشعر بصورة واخيلته ومعانيه يكون أقرب وسيلة تعبيرية لنقل الاحساسات والمشاعر والانفعالات التي يمر بها الفنان في مرحلته الرومانسية (١٥) في حين تأتي القصة في المرحلة التالية من مراحل التكوين الفني للكاتب واللامه على حد سواء . وهذه المرحلة تتميز بغلبة الفكر والتعقل وضبط الشعور والتحكم في الوجدان وامعان النظر في الكون وتحليل الظواهر الكونية والطبيعية والتعمق في تفسير سلوك الانسان وتوجيه هذا السلوك توجيهاً منضبطاً هذا كله تناسبه الرواية ، وتكون الفن المعبر عنه بوضوح بما يجعلها اقدر الفنون الادبية على استيعاب العوامل الحضارية والثقافية التي تطرأ على حياة الامة .

وتجلى الطابع المحلي العراقي في مختلف مناحي الحياة وشرع ادب الرواية الفنية يستجيب لذلك الطابع فيتناول بالوصف والتصوير والتحليل تلك الشخصيات الشعبية ، ولهذا اتسم ادب الرواية العراقي بالصبغة المحلية الواضحة من نحو اختيار الاسماء العراقية الشائعة والاماكن العراقية المتعارفة وما يدور في الحياة العراقية من طرائف العادات والتقاليد والاوزاع كما في الرواية الايقاظية وروايات السيد .

ولا ريب ان ادب الرواية يومذاك لم يخل من السطحية والاغراق في العاطفة والجموح في الخيال ولكنه كان الدعامة للنهضة الروائية الجديدة .

(١٥) فخري ابوالسعود (الذاتي والموضوعي في الادب العربي والانكليزي)
الرسالة العدد ١١٥ ، ٢٩ مايو عام ١٩٣٧ ص ٢٩٤ .

(٢)

المؤثرات الخارجية

تنبعت مصر ولبنان قبل العراق الى ادب الرواية الحديثة ، وأقبلتا عليها منذ أن تم لها الاتصال بالثقافة الغربية عن طريق الارشادات التبشيرية الموفدة الى الشرق ، والبعثات العلمية الموفدة من هذين القطرين الى بلاد الغرب ، والتأثر بحركة التجديد التي كانت تنقلها الصحف الغربية ، وقد اشار يحيى حقي الى ذلك قائلاً (حملت الرياح التي تهب من اوروبا بذرة غريبة على المجتمع العربي ، بذرة القصة بدأت معرفته بها اولاً عن طريق الترجمة وعلى ضوء المقارنة بين البذرة القادمة وبين ما هو موجود ، أحس الادباء أن الفرق بين الاثنين كبير ، فالموجود لا يخرج عن بعض السير وقصص الف ليلة ومقامات لم تدرس الا باعتبارها وثائق لغوية غرقت في تحف النحو والبديع ، عناصر ضئيلة من قوام القصة بوصفها لشخصية خيالية أو ضبطها في مرفق معين لا يخلو من الفكاهة احياناً كما في مقامات الحريري ، هي فتات في تنقصه الوحدة وتبيان رأي أو مذهب ، كل هذه كتب ترسم العصور الماضية ولا تمت بصلة الى المجتمع القائم . وبخاصة بعد ان انتقلت اليه من اوروبا بعض معالم المدنية الحديثة فقلبت اوضاعه وعاداته وأوهنت صلته بالماضي . لغت نظرهم في القصة القادمة قدرتها على النفع عن طريق التسلية واحتفاؤها الشديد بالحب وكان موضوعاً يتحرز الناس من الخوض

فيه الا تخفياً وراء غزل مصطنع في مطالع القصائد (١٦) .
ولم يتح للمعراق الاتصال بالنهضة الاروبية كما أتيح لكل من مصر
ولبنان لقرب هذين القطرين من اوروبا ، ولسرعة انتقال الافكار عن
طريق التعليم والتبشير والترجمة وحركة المطابع التي بدأت تزدهر
يوماً بعد يوم منذ دخول نابليون مصر ، واتسعت حركة الترجمة
في مصر وخرج مفهوم الأدب عن ذلك النطاق الضيق . واحس المترجمون
بالحاجة الى القوالب الادبية الجديدة حتى تتسع للمقضايا التي يودون
اثارها كما تتسع لمضمون حياة الطبقة المتوسطة النامية ، فدخلت الرواية
الحديثة الى ادبنا العربي في جملة ما دخل من قوالب نثرية اجنبية
وكانت اثراً من آثار اللقاء بين الثقافة القديمة والثقافة الاروبية
الوافدة .

واذا كان قد نبت في لبنان ما بين عام ١٨٦٠ والحرب العالمية الاولى
رعيل كبير من رواد النهضة العربية والمثقفين ، فقد أنبت لبنان ايضاً
الروائيين الاوائل وربما كانت القصص التي نشرها سليم بطرس البستاني
في مجلة ادبية (الجنان) - بين سنة ١٨٧٠ ووفاته عام ١٨٨٤ - هي اول
انتاج للقصص الحديثة في العربية وقد مشى في ركب الاوائل في لبنان
ومصر سعيد البستاني ١٩٠١ وفرج انطون (١٨٧٤ - ١٩٢٢) ويعقوب صروف
(١٨٥٢ - ١٩٢٧) ثم لبيبة هاشم وزينب فواز (١٨٦٠ - ١٩١٤) وجرجي زيدان
(١٨٦١ - ١٩١٤) وكذلك (١٧) حاول المهاجرون من الشام الى مصر تقديم
العلوم والافكار الغربية الى البيئة المصرية فاستمروا في تقديم الاشكال الفنية

(١٦) يحيى حقي (فجر القصة المصرية) ص ١٨ .

(١٧) شاكر مصطفى (القصة في سورية) ٦٧ .

الغربية مثل المسرحية والرواية ولكنهم في تقديمهم لها اتخذوا أحد موقفين يمثل أولهما اتخاذ الرواية وعاء لتقديم افكار الحضارة الغربية وكانوا في موقفهم هذا اشبه بالمعلمين منهم بالروائيين . اما الموقف الثاني فيتمثل في تقليدهم الروايات الغربية مباشرة سواء بالترجمة او الاقتباس او التأليف وباختيارهم الروايات التي تتلام مع الذوق الشعبي الجماهير القراء غير المثقفين (١٨) .



وكان للترجمات العربية في مصر ولبنان أثر كبير في توجيه القصصيين الناشئين في العراق الذين تعرفوا على آثار القصصيين الغربيين أمثال فكتور هيغو وتولستوي واسكندر ديماس عن طريق الترجمة اكثر مما عرفوهم عن الطريق المباشر وترسموا في التعريب صور الآداب الفرنسية والانكليزية والروسية قبل ان يعرفوها في لغاتها الاصلية .

وكانت الترجمة في البلاد العربية جهداً فردياً منذ اواخر القرن التاسع عشر تنصب غالباً على ما يقع بين ايدي المترجم من نماذج قصصية تروق ذوقه وذوق العصر . وكان الاتجاه نحو الترجمة عن الفرنسية هو الاتجاه العام الغالب . وقد احتل الادب الفرنسي في مصر وبلاد الشام منزلة سامية ، ويعود ذلك الى ان فرنسا منذ الحملة على مصر ودخول الادارة المصرية بلاد الشام كانت هي النافذة ، التي اطل منها الشرق على الثقافة الفرنسية وآدابها حتى بعد رجوع نابليون ، وهناك سبب هام أعان اللغة الفرنسية على الانتشار فقد جعلتها

(١٨) عبد المحسن ملة بدر (تطور الرواية العربية الحديثة) ص ٣٨ ، ٨٤

وزارة المعارف العثمانية لجبارية في جميع المدارس الرشيدية والاعدادية وفي كثير من المدارس العالية واصبحت أكثر اللغات انتشاراً في أرجاء الدولة العثمانية . هذا بالإضافة الى تقارب التيارات الثقافية بين شعوب البحر المتوسط (١٩) كما ان بعض كتاب فرنسا لعبوا أدواراً سياسية في حياة بلادهم وأصبح اسمهم رمزاً للحركات التحررية وذاع صيتهم مثل فكتور هيغو ، لهذا ترجم العرب آثارهم ، ترجم حافظ ابراهيم (البؤساء) وتبعه المنفلوطي فنقل عن الادب الفرنسي وكذلك كان ما ترجمته مجلة (الجنان) التي صدرت في بلاد الشام منذ العقد السابع من القرن التاسع عشر ، منقولاً عن الادب الفرنسي .

وهكذا تأخر الاتجاه في الترجمة عن الانكليزية بعض الشيء حتى اصدر نسيب متصلافي في اواخر القرن التاسع عشر مجلته الضياء ، التي عنيت بالقصة الانكليزية وعنيت مجلة (النفائس العصرية) التي اصدرها خليل بيدس في لبنان بترجمة القصص الروسي ، كما زودت مجلات الهلال والمقتطف المتعلم العراقي بما يصبو اليه من الادب الانكليزي .

وقد بدا في الترجمة منذ اواخر القرن التاسع عشر اتجاهان : اتجاه ادبي فني ، واتجاه تجاري شعبي ، وقد تواكب الاتجاهان وعاشا معاً الى اليوم فلكل منهما جمهوره وحياته . وكان القصص التجاري يزداد انتشاراً بسبب ظهور طبقة القراء من الطبقة المتوسطة محدودة الثقافة . واذا كانت الروايات التجارية التي ترجمت في معظمها نافهة القيمة من الناحية الفنية فانها قد اشبعت رغبة الناس في المغامرة والمواقف المثيرة . ولعل السمة

(١٩) يحيى حقي (نجر القصة المصرية) ص ١٩ .

البارزة لهذه الترجمات ان اكثرها نقل عن نماذج رديئة لكتاب يعنون بالغرائب والمفاجآت اكثر مما يعنون بالقيم الفنية للعمل الادبي او يظهر ان هؤلاء المترجمين لم يفرقوا بين الرواية والقصة القصيرة كعماين منفصاين فالقصة القصيرة او الرواية الصغيرة التي تنشر في عدد واحد لا تختلف لديهم عن المسلسلات الروائية الا في مسألة الكم والطول . وفيما وراء هذا كانتا تتفقان في رحاب الزمان والمكان وفي تعدد الاحداث والشخصيات . ولعل عجز المترجمين عن الخلق والصيغة في القالب الروائي وان كانوا يرغبون في ترجمته الى العربية ، دفعهم الى نوع من النقل اسموه (بالاقتباس) . ولم تسلك الترجمات طريقاً محدداً عند جميع المترجمين فتارة تأخذ شكل النقل الحرفي الامين واخرى تغير اسماء الشخصوس في الروايات حتى توافقي ذوق الجمهور . وكان المترجم يلجأ احياناً الى تغيير كلي في بناء الشكل الروائي او التصرف فيه . وبين هذا وذاك كان المترجم يدس نفسه بين السطور فيضيف فكرة او يقحم جملة او يزيد ما يراه مناسباً من شعر يستملحه يدفعه الى ذلك التفكه من جهة والموعظة من جهة اخرى . وكان من ابرز مشكلات الترجمة أن المترجمين لم يهتموا باللغة التي يترجمون اليها وكان بعضهم يستخف بهذه اللغة وطرائق تعبيرها فيأتي اسلوبه مبتذلاً ساقطاً تشيع في سطوره الاخطاء اللغوية والصرفية فجاءت معظم الترجمات قصصاً مسوخة ترجمت على أيدٍ يجهل أصحابها صرف اللغة ونحوها (٢٠) .

(٢٠) انظر عبد المحسن طه بدر (تطور الرواية العربية الحديثة) ،
شاكر مصطفى (القصة في سوريا) ، محمود حامد شوكت (الفن القصصي في
الادب العربي الحديث) ، محمد يوسف نجم (القصة في الادب العربي الحديث)

وساعدت الصحف والمجلات اللبنانية والمصرية التي دخلت العراق في فتح اعين العراقيين على هذا الفن الجديد عليهم كل الجدة ، بعد ان كانت فكرة احياء الادب العربي القديم والاهتمام بالشعر قد سيطرت على الجو الادبي فيه . ومن المجلات العربية التي عنيت بالرواية فنشرتها او اقتصت بها (البشير) عام ١٨٧٠ للاباء اليسوعيين و (الجنان) عام ١٨٧٠ لبطرس البستاني و (الاهرام) عام ١٨٧٦ و (لسان الحال) عام ١٨٧٧ لخليل سرقيس و (الصفا) عام ١٨٨٦ لعلي ناصر الدين و (جريدة لبنان) عام ١٨٩١ لابراهيم الاسود و (الكنانة) عام ١٨٩٥ اشاكر شقير و (المقتطف) عام ١٨٨٧ و (الهلال) عام ١٨٩٢ و (المشرق) عام ١٨٩٨ للاباء اليسوعيين و (فتاة الشرق) عام ١٩٠٦ للبيبة هاشم و (البرق) عام ١٩١٠ و (النفاثس) عام ١٩١٢ .

وقد اعانت الصحافة على ان تصبح الرواية لونا من ألوان الادب المألوف والضروري في وقت معاً وهناك مجلات اقتصت او كادت بنشر الروايات منها (منتخبات الروايات) عام ١٨٩٤ لاسكندر كركور و (الروايات الشهرية) عام ١٩٠٣ ليعقوب الجمال و (مسامرات الشعب) عام ١٩٠٥ لخليل صادق و (سلسلة الروايات العثمانية) عام ١٩٠٨ لجرجي دهان و (حديقة الروايات) عام ١٩٠٩ لشركة نشر الروايات و (الروايات الجديدة) عام ١٩١٠ لنقولا رزق و (السمر) عام ١٩١١ لقيصر الشميل و (سلسلة الفكاهات) عام ١٨٨٤ لنخلة قلفاظ و (السراوي) عام ١٩٠٩ لطانيوس عبده و (الروايات الكبرى) عام ١٩١٤ لمрад الحسيني (٢١) .

(٢١) انظر/ محمد يوسف نجم (القصة في الادب العربي الحديث) ص

والمثقفين في العراق أن يروا انفسهم متخلفين عن بقية اقطار
الوطن العربي في هذا المضمار ، فانصرفوا الى نتاج البلاد العربية العلمي
والادبي يتدارسونه . وقد استأثرت مصر بالجانب الاكبر في سوق الادب
والعلم العراقيين .



ولم تكن حركة الترجمة في العراق في مستوى حركة الترجمة في
لبنان ومصر لضعف الاتصال بين العراق والعالم العربي من جهة وقلة
انتشار اللغات الاوربية فيه بالاضافة الى تأخر الصحافة والنشر في
العراق . ولهذا لم تؤثر في نشوء الرواية العراقية كما أثرت الترجمات
العربية المصرية واللبنانية .

وكانت الترجمة في بداية الامر عن التركية ثم عن الفرنسية
والانكليزية وجاءت الترجمة عن الروسية متأخرة عنهما . وبعد ان بين
محمود السيد اهمية الرواية الروسية بقوله « وبعد فحسبي اني احتذيت
اميل زولا والكتاب الروس امثال شيكوف وتولستوي ، فهم ينزلون
الى الدركات السفلى من سلم حياة المجتمع الانساني فيقتطفون منها
المواد لقصصهم بدلا عن ان يعرجوا الى الدرجات العليا فينتثروا للناس
الزهور ويخطفوا الابصار بالالوان الساطعة البهية فيشغلوهم عن معرفة
الحقيقة والاهتداء الى الداء الدفين » (٢٢) .

وقد يكتفي المترجم العراقي بالاشارة الى ان الرواية مترجمة عن

٣ - ١٣ ، شاكر مصطفى (القصة في سورية) ص ٦٣ - ٦٥ .

(٢٢) محمود احمد السيد (الطلائع) ص ٦٨ ، بغداد عام ١٩٢٩ .

الفرنسية او الانكليزية ولكنه لا يذكر اسم مؤلفها ولا اسم الرواية نفسها بل يضع لها اسماً من عنده مثل (يوم زلزلت الارض زلزالها) عام ١٩٢٢ التي ترجمها رفائيل بطى و (المرأة المجهولة) عام ١٩٢٣ التي ترجمتها نزهة غنام وغيرهما كثير .

وتجاوز المترجمون ذلك الى محتويات الروايات نفسها ، وكان اخطر ما تعرضت له الروايات المترجمة الحذف والاختصار الذي يكتفى بالابقاء على الخطوط العريضة لاحداث الرواية مع ضغطها ضغطاً شديداً بحيث تتحول الرواية الى ما يشبه الحكاية او القصة القصيرة . وقد يقف الاختصار عند حد حذف بعض الفصول من الرواية او بعض تفاصيلها . وكان يغلب على هذه الترجمات السرعة الصحفية في الاسلوب والاختيار ، وهي في الغالب روايات رومانسية مشيرة لعواطف القراء لان اكثر هذه الترجمات كانت تنشر في الصحف والمجلات العراقية .

وقد بدأ الكاتب العراقي بترجمة الادب التركي اول الامر نتيجة لارتباط العراق بتركيا ، فقد كان اكثر المتعلمين يعرفون التركية لانها كانت لغة المدارس آنذاك ولغة الصحافة ودواوين الدولة . وكان عدد من العراقيين يدرسون في استنبول .

واول المترجمين عن التركية (الرصافي) الذي نقل الى العربية رواية (الرؤيا) للشاعر التركي نائق كمال عام ١٩٠٩ ، وكذلك عن محمود احمد السيد بترجمة القصص التركي (٢٣) وخص مجلة الحديث الحلبية

(٢٣) محمود السيد (نزعة من نزعات الادب القهصي التركي) جريدة الاستقلال العدد ١٠٩٥ عام ١٩٢٧ وطبيعي ان تكون الاكثرية الى جانب رشاد نوري لانه نزع في قصصه الى الحرية معبودة الترك والشعوب الشرقية الاخرى المتحفزة للنهوض والى هدم التقاليد البالية وشن الغارة على المحافظين والرجعيين

بالقسط الاوفر ولم يتهيأ له ان يجمع ما ترجم في كتاب .
وكان اكثر الادباء اعجاباً بالادب التركي خلف شوقي الدائري
الذي ترجم لرشاد نوري وأرجمند كرم ووالا نورالدين وغيرهم . وطبع
كتاباً ضم بين دفتيه ما ترجم سماه (قصص مختارة من الادب التركي)
وكذلك فعل انور شاؤول ونعيم طويق ويوسف مكمل ومولده يوسف
على ان عدداً كبيراً من القصص التركية المترجمة كانت تنشر في الصحف
والمجلات دون ان يشار الى اسماء مترجميها .

وقد التفقت المترجمون الى القصة التركية الحديثة لما تحملها من
نزعة حرة واتجاه نحو الاصلاح الاجتماعي والسخرية من كثير من
القيم والعادات والتقاليد التي تكبل المجتمع التركي وتعوق تطوره (٢٤)
وهكذا اتصل جمهور المتعلمين بناحية جديدة من الادب لم يعرفها
العراقيون من قبل ، ويمكن ان نلخص هذه الجهود بأنها محاولات بدائية
اضطر اليها ابناء العربية نزولاً على روح العصر الذي يربطهم بالثقافة
الغربية ويجري الآداب الاوربية .

ومن هنا نرى ان الادب العراقي قبيل الحرب العالمية الاولى كان
مرآة صادقة للحياة الحديثة التي اخذ بها الشرق العربي واتصاله بالآداب
الاوربية عن طريق الترجمة .

واول من قام بالترجمة عن اللغات الغربية وخاصة الفرنسية أولئك
الذين درسوا في المدارس التبشيرية المسيحية ، فترجموا في الثالث الاخير
من القرن الماضي ومطالع هذا القرن مسرحيات عديدة مثل (لطيف

(٢٤) محمود السيد (نزعة من نزعات الادب القصص التركي هدم للتقاليد
البالية) جريدة الاستقلال العراقية العدد ١٠٩٥ عام ١٩٢٧ .

وخوشابا) عام ١٨٩٣ و (الامير الاسير) عام ١٨٩٥ ترجمهما عن الفرنسية نعوم فتوح الله سحرار، والمسرحية الاولى ترجمها بتصريف عن مسرحية fan fan et colas لمدام دي بيغوار، وترجم القس جرجس قندلا بين عامي ١٩٠٨ - ١٩١٠ مسرحيتي (الطبيب رغماً عنه والمثري المتنبئ) لموليير. وترجمت مسرحيات عديدة بين عامي ١٩١٠ - ١٩١٩ مثل «ارثر البريطاني - الاسيران الصغيران - الاغلوون - الغدر - البرج الشمالي - البنت الضائعة - الطيور الصغيرة - ماركامان - شانتين - جنيفياف». وقد رفعت الحركة التمثيلية التي نشطت في العراق في الفترة ما بين الربع الاخير من القرن الماضي والشاطر الاول من القرن الحالي في المدارس التبشيرية - كما سنأتي على ذكره عند حديثنا عن بدايات المسرحية في العراق - الى ترجمة المسرحيات قبل البدء بترجمة القصص والروايات. فقد اقبلت المدارس على القصص التمثيلية حتى لا تكاد تمر سنة على اية مدرسة دون ان تقوم بتمثيل مسرحية او اكثر (٢٥).

وذكرت لفظه (رواية) لأول مرة في جريدة (صدى بابل). «فننشر لهم المقالات السياسية والخطب الادبية والاخبار الخيالية والروايات الفكاهية مما يلذ سمعه وتلذذ مطالعته» (٢٦) ونشر في العدد رواية ملخصة عن الادب الغربي تحت عنوان:

(رواية العدل اساس الملك) وهي حكاية من نوع المغامرات التي تستهدف العبرة والعظة. وقد نشرت مسلسلة في سبعة اعداد.

(٢٥) جعفر الخليلي (القصة العراقية قديماً وحديثاً) ص ١٧٠.

(٢٦) صدى بابل العدد الاول عام ١٩٠٨.

وتابعت جريدة (الرقيب) عام ١٩٠٩ جريدة (صدى بابل) في هذا النهج حين نشرت رواية مترجمة عن الفرنسية بقلم (الاديب انستاس الكرملي) بعنوان (الاصبحي) (٢٧) وقد وضع المترجم الدافع الذي دفعه الى ترجمة هذه الرواية (من تصفح كتب الافرنج التي تبحث عن الشرق والشرقيين يجد هذا الامر ، وهو انهم يعيرون ابناء هذه الديار بكونهم يحبون الاحاديث عن الجن والغول ويتبرأون هم من كل ما كان من هذا القبيل والحال لو انصفوا لما قالوا هذا القول وكتبهم مشحونة بمثل هذه الاحاديث يضعونها في ايدي اولادهم منذ نعومة اظفارهم وترويها النساء لبعضهن لبعض بما يزيد على ما يروى في بلادنا ، نعم ان اغلب حكاياتهم هذه لا تخلو من فائدة ادبية ومغزى لطيف يعود بالنفع على الهيئة الاجتماعية كما ذكروا في اقصيص ابناء وطننا ، فلماذا ينسبون اليها كل سيئة وينسبون اليهم كل حسنة ، فأمام الغرب وامم الشرق تتشابه في هذا القبيل ولاسيما اذا علمنا أن مصدر آدابهم وتمذنبهم وحضارتهم هي هذه البلاد ، واثباتاً لهذه الحقيقة قد عزمنا ان نتحف قراء الرقيب ببعض هذه الروايات اطلاعاً على آداب الافرنج واقوالهم في هذا الصدد وتسليمة للقارئ وحشاً لابناء المطالعة على تشرب حب الادب ، والمناقب والمآثر خلال تلك السطور) .

وقد نشرت رواية اخرى بعنوان (ذات القناع الاحمر) عام ١٩٠٩ ورواية اخرى بعنوان (المرصد) (٢٨) او ذات الكوت الزجاجي عام ١٩٠٩ .

(٢٧) الرقيب الاعداد من ١٧١ - ١٧٢ .

(٢٨) الرقيب ابتداء من العدد ١٧٣ .

وخذت مجلة (لغة العرب) حذو (صدى بابل) و (الرقيب)
فنشرت حكاية في العدد الاول وانتمتها في العدد التالي بعنوان (ينبوع
الشقاء) عام ١٩١١ من تأليف (كزافيه ميرميه) واطلق عليها مترجمها
عن الافرنسية (الاب انستاس الكرملي) صاحب المجلة (الاحدوثة)
ثم نشرت (لغة العرب) قصة اخرى بعنوان (مريم) عام ١٩١٢ .
كما نشرت جريدة (صدى بابل) عام ١٩١٣ اعلاناً باصدار
سلسلة من الروايات المترجمة (٢٩) وقد صدرت هذه السلسلة فعلاً
وظهر عددها الاول في ست عشرة صفحة عام ١٩١٢ وجموع ما صدر
منها اثنا عشر عدداً فقط . وقد فقدت هذه السلسلة المترجمة ولم نعثر
عليها .

وتمتاز هذه الروايات المترجمة بأسلوب تعليمي وعظي يدعو الى التمسك
بالدين وبالخصال الحميدة في اطار رومانسي يستند على التضحية في
سبيل الغير والعمل من اجل الآخرين .

ومن ابرز المترجمين العراقيين عن اللغات الغربية ، انور شاؤول
ورفائيل بطى وعبد الوهاب الامين وشاؤول حداد ونعيم طريقتى وعلي
الناصرى وحتا قريو . وقد نشرت مترجماتهم في صحف ومجلات كثيرة .
فنشر رفائيل بطى الذي ترجم عن الفرنسية (يوم زلزلت الارض
زلزالها) (٣٠) وشجع على ترجمة القصص والروايات في مجموعة صحفه
التي اصدرها في بغداد عام ١٩٢٩ . وترجم انور شاؤول عدداً كبيراً من

(٢٩) صدى بابل العدد ١٦٥ عام ١٩١٢ .

(٣٠) جريدة العراق عام ١٩٢٢ من ٢٣ آذار حتى اشرف العام على
نهايته بصورة مسلسلية .

القصص والروايات (٣١) عن الفرنسية ونشرت في جريدة العالم العربي في الفترة بين عامي ١٩٢٧ - ١٩٢٩ ومجلة الحاصد. وترجم على الناصري (٣٢) لصحيفة العالم العربي ايضاً ، وترجمت (م . ي) (٣٣) لمجلة المعلم الجديد عام ١٩٢٤ . وترجم معنا فريو رواية (خطيبة الروماني) عن الفرنسية عام ١٩٢٩ في مجلة النجم (٣٤) الموصلية في صور مسلسل (٣٥) ومن الروايات التي ترجمت في العشرينات (الجبهة الغربية الهادئة) (٣٦) لريمارك و (طريق العودة) (٣٧) لنفس المؤلف ولم يشر الى مؤلفها و (المرأة المجهولة) (٣٨) ترجمتها عن الفرنسية نزهة غنام دون ان تشير الى اسم مؤلفها و (طلاب المكتب) (٣٩) لميونيتر ماريا اركوداوس .

(٣١) حقيقة الحب القديم عام ١٩٢٧ . صفحة من الحياة الباريسية عام ١٩٢٧ ، المجنون ، المغامر ، هنديان زوجه عام ١٩٢٨ ، اللقيط ، فتاة باريس ، لقد كبرت عشرين سنة ، التجربة ، عاكف بك ، هدية العريس ، يريد ان يكون نائباً ، العقاب ، ساكسون كاساً ، تناثر الاوراق ، بعد ضياع المال ، ينفسجة ، سكر مجنون ، يوم الحساب في رؤيا ، ذكريات ، مذكرات خاصة .
(٣٢) ميدان الحب موباسان عام ١٩٢٨ .
(٣٣) الانتقام عام ١٩٢٤ ، الدرس الاخير ، الضوء ، الوحدة ، الحرب ، العباد .

(٣٤) الاعداد ٥ - ١١ عام ١٩٢٩ ، ٢ - ٦ عام ١٩٣٠ .
(٣٥) مطبعة النجم عام ١٩٢٧ الموصل .
(٣٦) في جريدة نداء الشعب ابتداء من العدد ٤٨٤ عام ١٩٢٩ .
(٣٧) في جريدة الاستقلال ابتداء من العدد ١٦٥١ عام ١٩٢١ .
(٣٨) جريدة العراق نشرتها متسلسلة ثم نشرتها في كتاب .
(٣٩) وجد له عروسا عام ١٩٢٣ ، الداع الابوي المبرر ، ضحايا الوالدين والمتزعمين عام ١٩٢٤ ، عقد الملكة ، الحسناء الياسلة ، تبحث عن مستقبل -

وترجمت ليلى (٤٠) عام ١٩٣٢ عن الانكليزية رواية (وجد له
عروساً) ورواية (تبحث عن مستقبل لها) بصورة مسلسلة في مجلة
المعلم الجديد .

وقد جاءت الترجمة عن الروسية متأخرة عن الترجمات السابقة
بعد ان رأى الكتاب العراقيون ان الادب الروسي ادب واقعي وأن الروائي
الروسي لا يخلق للمقارئ عالماً من الاحلام ثم يدعه يظل بين مجاهله
حتى يستعصى عليه الرجوع الى عالمه الحقيقي الذي يعيش واقعه واحداثه
لذلك تأثر الروائيون في العراق فنراه في رواياتهم يختارون ابطالهم
من العمال والفلاحين وعن الفقراء الذين ظلمتهم الانظمة الاجتماعية
ومن رجل الشارع الذي حرمته الحياة بهجتها ورونقها فأصبح في الحضيض
بينما يرتفع غيره من اصحاب الاموال وذوي المناصب في دنيا المموه .
فترجم عبد المسيح وزير عام ١٩٢١ عن البارونة زينيد تانكوف
رواية (القيصر في مقصورتها) وترجم ذنون ايوب (المعطف) لكوكول
عام ١٩٣٢ و (المكفول) لجيركوف عام ١٩٣٣ ثم تلاها بترجمة (الأم)
لفوركوي .

واقامت مس بيل (٤١) بعركة فعالة في الطباعة والترجمة والنشر
مع بعض رجال الفكر العراقيين في فترة الاحتلال البريطاني واقامت
مكتبة دار السلام وكان هدف هذه المكتبة اصدار مجلة دورية في اللغتين

- لها عام ١٩٢٥ .

(٤٠) جريدة الاهالي ابتداء من العدد ٤٨٩ عام ١٩٣٢ .

(٤١) مس بيل صحفية انكليزية قدمت الى العراق مع جيش الاحتلال

وبقيت فيه ونشرت مذكراتها المشهورة بمذكرات المس بيل .

العربية والانجليزية ، هدفها عرض الكتب المطبوعة باللغات الشرقية كالعربية والفارسية والتركية والهندوسية والكتب المطبوعة باللغات الاوربية وتتألف ادارة المكتبة من عرب وانكليز (٤٢) وبالرغم مما نأخذ على هؤلاء المترجمين فاننا لا ننكر ما كان لعملهم من الاهمية في تاريخ ادبنا الحديث ، فعندما بدأ هؤلاء ينقلون آثار الغرب الى لغتنا لم يكن للمقاص عندنا شأن يذكر وقد كان الادباء يحتقرون كتاب القصة ويعدونهم فئة متخلفة من ذوي المواهب الهزيلة (٤٣) . وبعد انتشار القصص عن طريق الترجمة والصحافة تغيرت نظرة الادباء الى الفن القصصي وفهموا نظريته وبخاصة الذين يجهلون اللغات الغربية واقبلوا على كتابة هذا اللون من الادب (٤٤) .

(٤٢) داود سلوم (الادب العراقي في القرنين التاسع عشر والعشرين

Let ters of G . B . vol / 2p bo3 عن ٤٥

(٤٣) جريدة العراق ٧٦٩ عام ١٩٢٢ (حاجتنا الى النهضة الفكرية) غير اننا ما نود ان نوجه النظر اليه هو الانحدار في هذه الطريقة من أغفل والسير مع الهوى فينصرف كتابنا الى الكتابة والترجمة في المواضيع الثقافية او الاقاصيص الفارغة والروايات السقيمة التي ليس ثمنها كبير ولا يستفيد مطالعها اي فائدة بل بعكس ذلك يضيع وقتاً ثميناً في قراءتها .

(٤٤) جريدة الفضيلة العدد ٧٥ عام ١٩٢٧ عبدالغني شوقي (مقام الرواية في الادب) : أما في الوقت الحاضر وفي بدء يقظتنا وتمييزنا فحري بنا أن نضرب صفحاً عن تلك القصص الخرافية القديمة وأن ندخل الفن الروائي الغربي الى ادبنا العربي ونترجم الى لغتنا من كبار روايات ادباء الغرب مما يغذي عقولنا ويرقي مداركنا ويوسع افكارنا فان ادبنا بأمس الحاجة اليها لكي ينهج ادبنا على نهجها ينسجون على منوالها فيموضوعوننا عن ذلك النقص الذي اعتزى ادبنا قديماً كما اننا في اشد الانتظار اليه وعدم الاستغناء عنه .

وقد كان لهؤلاء المترجمين اثر آخر هو انهم ذلوا اللغة العربية
وأساليبها حتى استلانت المقصة بما سهل الامر على كتاب الجيل الاخير
ومهد لهم السبيل للمخلق والابداع .

ولم يكن التأثير الخارجي مقصوداً على حركة الترجمة وحدها بل
اثر تأثيراً غير مباشر في ظهور القصة العراقية عن طريق الافكار
الاجتماعية الجديدة التي اخذت تظهر بشكل او بآخر على الاقلام الجديدة
فقد كان الحب خطيئة فوجد من يدافع عنه ، وكانت الحرية مجرد كلمة
تقال فوجدت من يضحى بنفسه من اجلها . وكانت الطبقات الاجتماعية
قدراً مقبولاً والاقطاع سمة العصر ، ولكن التفسخ بدأ في هذا الكيان
الاجتماعي مع ظهور طلائع الطبقة الجديدة - طبقة المثقفين وصغار
الموظفين والعمال ، وعلى هذا فثمة حقيقة لا يمكن انكارها ، وهي ان
هذه الطبقة مع بدء ظهورها في التشكيل والتكوين لم تنطلق الى الوجود
دفعة واحدة ولا طفرة سريعة يكون لها اثرها الهام الدامغ وانما ظلت
تكبر وتتسع مع مرور الوقت .

وتغير الكثير من مفاهيم الاخلاق والتقاليد وأساليب الحياة وتطورت
حتى الملابس فأخذ السروال الغربي يحل محل الثياب المرسلية السابقة .
ولكن الجهد الحقيقي لهذا العصر يتمثل في محاولات الاصلاح
الاجتماعي التي مهدت للرواية والقصة وذلك بما اتسمت به هذه المحاولات
من واقعية في النظرة وجرأة في تطبيق افكار الحضارة الاوربية على واقعنا
ومحاولة لتحرير شخصية الفرد من ناحية وابرار الشخصية العربية من
ناحية اخرى ، ومن هذه المحاولات التي تستهدف تحرير الفرد والمجتمع
محاولة تحرير ثقافة الفرد وتخليصه من الحصار الذي ضربه نظام التعليم

حرله بإنشاء الجامعة المصرية والجامعة الأمريكية في بيروت وكليات الحقوق والطب والتربية في العراق وتطبيق المناهج الغربية المنحرفة على التراث العربي وتصحيح نظرتة اليه والعودة الى بحثه وتحليله مع رفع قناع القداسة عنه . كما دفع القادرون من العراقيين بأبنائهم الى اوربا ليستفيدوا من ثقافتها المتطورة .

ودعا بعض الكتاب العرب المتأثرين بالفكر الاوربي كلطفي السيد الى احترام العقل والتفكير وتغليب اعتبارات المصلحة القومية والنظرة الواقعية على العاطفية والحماس الخطابى والى دراسة علاقة الفرد بالمجتمع وتفسير السلوك البشري تفسيراً علمياً يخضع للتطور ويتأثر بمناهج المفكرين الغربيين .

ولا تتضح محاولات الاصلاح الاجتماعى بأسمها التي قامت عليها كما تتضح في محاولة قاسم امين وامله في تحرير المرأة ، ومن ابرز الاسس التي قامت عليها دعوة قاسم ايمانه العميق بالحضارة الغربية وضرورة اتخاذها مثلاً اعلى في الاصلاح ، وفي كتابه (المرأة الجديدة) يبحث على دفع ابنائنا للتعرف على اصول المدنية الغربية وفروعها وهو على يقين من انه لن يتم صلاح احوالنا اذا لم يكن مؤسساً على العلوم المصرية الحديثة ، ويرى ان المرأة الجديدة ليست الا ثمرة من ثمرات التمدن الحديث بدا ظهورها في الغرب على اثر الاكتشافات العلمية التي خلصت العقل الانساني من الظنون والخرافات .

وقد لعب قاسم امين دوراً كبيراً في نشأة القصة وتطورها حينما نادى بدعوته التحريرية للمرأة ووجوب سفورها ودخولها المجتمع مع

الرجل جنباً الى جنب (٤٥) .

وقد لاقى هذه الدعوات صدى في العراق ، فمن ناحية اجتماعية ظهرت المرأة من خدرها بعض الظهور ولاسيما في الطوائف المسيحية ، ودخلت المدرسة لتتعلم وتتثقف - بعد ان كان ينظر الى تعليم المرأة نظرة احتقار واستهجان - كما دخلت الجامعة جنباً الى جنب مع الرجل ، وخرجت للعمل معه وخاصة في مجال التعليم . ونشأت الإقلام في الكتابة عن المرأة وزخرت القصة العراقية بموضوعات الحب بل استغرقت أكثر قصص الرواد من امثال محمود السيد وعبد المجيد لطفى ولطفى بكر صدقي وسليم بطي ، وتطرق القاص العراقي الى مشكلات المرأة في المجتمع العراقي واهتم بمشكلة البغاء والزواج والقتل غسلا للعار كما في آثار ذنون أيوب وعبد الحق فاضل ويوسف رجب وشالوم درويش وانور شاؤول وجعفر الخليلي . وبالرغم من ان النكبات السياسية والاقتصادية والطبيعية التي حلت بالعراق قوت العناصر الرجعية ووضعت في يدها اقوى الحجج ضد هذا التطور الا ان القافلة كانت تسير .



(٤٥) انظر/ لويس عوض (المؤثرات الاجنبية في الادب العربي الحديث) ص ٥٥ - ٥٦ ، وعبد المحسن طه بدر (تطور الرواية العربية الحديثة) ص ٤٢ - ٤٤ .

أثر الصحافة في الرواية العراقية

نشأت القصة العراقية اول ظهورها في احضان الصحافة ولم يظهر دور الصحافة في نشأة القصة الا بعد اعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨م الذي اعقبه اندفاع هائل نحو اصدار الصحف والمجلات ، فبعد ان كان العراق لا يصدر سوى ثلاث صحف رسمية ، اصبح يصدر في مدى عامين ستاً وستين صحيفة ومجلة (٤٦) .

وفي عام ١٩١٠ بدأت مجلة (تنوير الافكار) بنشر نمط من القصص له اهمية في تأريخ تطور القصة العراقية ، ومع هذا فليس في هذه القصص ما يشير الى الاقتراب من مفهوم الفن القصصي بشكل صحيح . فهي محاولات تتلمس الطريق ، وقد حددت نوعها الى حد كبير طبيعة ثقافة مؤلفيها وهي ثقافة تمت بأوثق الأسباب الى القديم الموروث . فقد ظهرت القصة العراقية في بدء نشأتها على شكل مقالة قصصية تتجه نحو التعليم ، تزخر بما في الأساليب القديمة من اثر للصنعة والتكلف ، وكتبت تحت تأثير اوضاع اجتماعية وسياسية مر بها العراق بعد اعلان الدستور العثماني ، وقد يكون الدافع الوطني القومي هو السبب الوحيد في كتابة امثال هذه المقالات القصصية ، لتقوم بدورها في التوجيه والارشاد بطريق التشويق للمقارئ بالشكل القصصي . وكان

(٤٦) انظر عبد الكريم العلاف (بغداد القديمة) روفائيل بطى (الصحافة في العراق) .

المقال القصصي الاول بعنوان (رؤيا عربية) (٤٧) نشر على شكل
مسلسلة في اربعة اعداد من اعداد مجلة تنوير الافكار العراقية عام ١٩١٠ .
يتلخص المقال في ان الراوي - الذي اغفل الكاتب ذكر اسمه
- ينام مرة ، ويرى فيما يرى النائم انه في قاعة كبيرة يسطع فيها نور
وماج يسأل عن مصدره . فيخبرونه بأنه (العروبة) . ويستطرد الكاتب
في دعوته السياسية ، ويطالب بتعليم اللغة العربية في المدارس العراقية
بدلا من اللغة التركية . ويذكر ماثر كل قطر من الاقطار العربية ،
ويدعو الى الرابطة القومية التي تعيد للعرب مجدهم الغابر « فقال هذه
العربية وقد أتت مربوخة صادعة لبيها على توانيهم بتكثير سواد الحكومة
الاسلامية العثمانية بعدم تسجيل نفوسهم وتكثير نوابهم وأن لا يصغوا
لاراجيف المرجفين ونعق الناعقين النابذين بين الوحدة العثمانية عصي التفرقة
بوسواس هذا تركي وهذا عربي مبيته لهم ان التنازع مقرون بالفشل -
فلا تنازعا فتنفشلوا وتذهب ربحكم - مبرهنة لهم ثمرة الاتفاق والاتحاد
بالبراهين القاطعة) وتوالت المقالات القصصية في مجلة (لغة العرب)
العراقية التي تبنت هذا الاتجاه بين عامي ١٩١٣ م - ١٩١٤ م ومن هذه
المقالات (رؤية ادبية) (٤٨) لمحمد فائق الكيلاني وقد كتبها بأسلوب
كليمة ودمنة . وفيها تأخذ الكاتب سنة من النوم فيرى انه في غابة
كبيرة خالية قفراء ويرى (حيدرا وخيتعور وخنوسا) تلعب فيما بينها
وعندما أنهكها اللعب اخذ الخنوس يتهمكم من الحيوانين الآخرين ثم
وثب على الاسد فبقر بطنه ، مات الاسد ووقف الخيتعور يخاطب

(٤٧) مجلة تنوير الافكار ج ٢ عام ١٩١٠ ص ٦٨ ، ١١٩ ، ١٦٨ ، ٢٢٢ .

(٤٨) مجلة لغة العرب ج ٤ ص ١٩٨ عام ١٩١٣ .

الخنوس «أيها المغرور بنفسك المعجب بقونك وفعلك انك فتكت فتكاً ذريعاً
بسيدنا المبجل وفجعتنا بتلك الفاجعة المدلهمة» ثم يفيق من نومه بعد
رؤيا طويلة مقشعراً متألماً «ثم لما ثابت الي نفسي وانعمت النظر في
حالتنا الاجتماعية التي نحن عليها فهمت ان ما رأيت في الخيال هو تصوير
ما يجري في عالم المثال وتحققت ان ما وقعنا فيه من البلاء المبين هو
نتيجة ما سعيينا اليه في ما مضى من السنين ولكن سيعلم الذين ظلموا
اي منقلب ينقلبون» .

وتوالى المقالات القصصية في هذه المجلة مثل (سياحة النوم) (٤٨)
عام ١٩١٣، و (المال حاكم) (٤٩) عام ١٩١٤ وغيرهما .
وتوالى المقالات القصصية كذلك في الصحف والمجلات الاخرى
واخذت شكل المسلسلات التي يتوالى نشرها في عدة اجزاء متتابعة
منها . وكان ابرز الكتاب العراقيين في هذا المضمار (عطاء امين) الذي
نشر (كيف يرتقى العراق) (٥٠) عام ١٩١٩ م ، و (عاقبة الحياة) (٥١)
عام ١٩٢٠ و (وقفه على ديالى) (٥٢) عام ١٩٢٠ و (لوحة من الواح

(٤٨) لغة العرب ج ٥ ١٩١٣ ص ٢٦٤ وتدور حول العفاف .
(٤٩) لغة العرب ج ١٨ عام ١٩١٤ ص ٤١٥ وتدور حول المال والقرن
وكيف يستثمر في البلاد المتقدمة .
(٥٠) مجلة دار السلام العدد ٧ ، عام ١٩١٩ وفيها يعلم الكاتب انه في
بابل القديمة ويقابل نبوخذ نصر ويقارن بين ما كانت عليه في زمن البابليين
وما آلت اليه حالها حينذاك .
(٥١) مجلة دار السلام العددان (٨ ، ٩) ١٩٢٠ وتدور حول التضحية في
سبيل الواجب .

(٥٢) جريدة العراق الاعداد من ٤٨٣ - ٤٩٠ عام ١٩٢٠ ويعرض فيها

الدهر أو فصل من رواية الحياة) (٥٣) و (سياحة الفكر) (٥٤)
وكان اولئك الكتاب مشدودين الى التراث العربي شداً وثيقاً . كما
كانوا يشعرون بأصالة غريبة يأبون ان يفراطوا فيها .
ولم يكن لهذا النوع من المقالات القصصية تأثير مباشر على نشأة
الرواية في العراق ولكن الامانة التاريخية اضطررتنا الى ذكرها .



وفي الوقت الذي نشرت مجلة تنوير الافكار المقالات القصصية ،
قامت مجلة العلوم العراقية بنشر مسلسلتين قصصيتين عام ١٩١٠ فنشرت
اول الامر قصة (فتاة بغداد) (٥٥) لرزوق عيسى في ثلاثة اعداد من
اهداد المجلة ولم يتم نشرها .

وموضوع الرواية موضوع عاطفي معتم تأثر فيه الكاتب بالروايات الفرنسية
الرومانسية ويتلخص في ان (ابراهيم) الشيخ الثري لم يكن سعيداً في
حياته لحرمانه من الولد ، وكانت زوجته (اديبة) تتألم لألمه ، ونصحته
طبيب زاره ذات يوم ان يعرض نفسه على طبيب مختص ، فصدع ابراهيم
بالامر وتم علاجه هو وزوجته ، ولم تمض الا ايام قليلة حتى حملت

- تاريخ العراق وتوالي الغزاة عليه ويشبهه العراق بفينوس اختطفها عدة
رجال فارسي ومغولي وتركبي وعربي ، وكان اشدهم حباً لها ، العربي الذي
جلس يندب حظه لفقده الفتاة .

(٥٣) دارالسلام العدد ١ ج ٣ عام ١٩٢٠ وتدور حول السعي في طلب العلم

(٥٤) دارالسلام العدد ٢ ج ٣ عام ١٩٢٠ .

(٥٥) مجلة العلوم الاعداد ١ - ٣ عام ١٩١٠ .

ادبية فعمت الفرحة الزوجين ، وولدت طفلة جميلة ولكن الأم أصيبت بحمى النفاس وماتت ، وبعد الانتهاء من مراسيم الدفن عاد ابراهيم الى البيت ليعني بابنته . ولم تتم المجلة نشر الرواية ، كما نشرت نفس المجلة رواية ثانية عام ١٩١٠ باسم (الاوهام) (٥٥) ليوسف رزق الله غنيمة ، ولم تتم نشرها ايضاً ، قد يكون ذلك راجعاً الى دعوة بعض كتاب المقالات الى الامتناع عن قراءة هذه الروايات بحجة انها تفسد الاخلاق (٥٦) . وتدور الرواية الاخيرة حول الحب الذي نشأ بين (اميل) الشاب الموسر ، وفتاة طلبت اليه أسرتها أن يشاركهم في نزهتهم « وهي مليئة بوصف مناظر الطبيعة » مالت الشمس نحو المغرب واستترت وراء حجاب الافق الصفيق وخيمت جيوش الظلام وذرت النجوم والكواكب المنتشرة في جو الزوراء الرائق . . وقف اميل يتأمل الطبيعة ويناجي نفسه : انني شاب حسن الخبر والسهر قد تيسرت لي اسباب السعادة

(٥٥) مجلة العلوم الاعداد ٢ - ٤ عام ١٨١٠ .

(٥٦) انظر مجلة لفة العرب الجزء ٩ عام ١٩١١ ، وجريدة الرقيب العراقية العدد ٥٧٣ عام ١٩١١ وجريدة العراق العدد ٧٦٩ عام ١٩٢٢ (حاجتنا الى النهضة الفكرية) « نجد اننا نود ان نوجه النظر الى الاحتراز من السير مع الهوى ، فينصرف كتابنا الى الكتابة والترجمة في المواضيع التافهة والاقاصيص الفارغة والروايات السقيمة التي ليس ثمنها كبير ولا يستفيد مطالعها اي فائدة بل بعكس ذلك يضيع وقتاً ثميناً في قراءتها .
وابليس في (من فضلكم وسوسات ابليس) مجلة الحاصد العدد ١ ، ١٩٣٥
« اصبحت كتابة القصة موضحة آخر زمان ففلان وفلان كلهم يسودون الصحائف بالقصص . . . يملأونها بالكلام الفارغ . . . يا ايها المتطفلون على موائد الادب اكرمونا سكو تكلم من فضلكم » .

واحاطت بي احاطة السوار بالمعصم » والرواية مليئة كذلك بوصف الحب العارم الذي يجمع بين العاشقين . وقد استغرق المضمون العاطفي هاتين الروايتين ، وكان من اسباب اندفاع الكتاب الى هذا اللون العاطفي انتشار روايات المغامرة والروايات العاطفية المترجمة .

وقد توقفت الصحف والمجلات العراقية عن نشر الروايات المؤلفة حتى عام ١٩٢٢ عندما نشرت (مجلة الزنبقة العراقية) رواية مسلسلة باسم (فتاة بغداد) (٥٧) ، لمؤلف لم يذكر اسمه ، ولم تتم فصول الرواية بسبب توقف المجلة عن الصدور ايضاً بعد مضي عام واحد من ظهورها . وموضوع الرواية ، عاطفي ، نسج فيه مؤلفها على منوال الروايات الفرنسية الرومانسية ، وملخصها ان (لطيف) وهو شاب من اهل بغداد ، يخرج الى ظاهر المدينة في مساء ربيعي . وبينما يرسل طرفه ويتملى من جمال الطبيعة يبصر عربة نقل فتاة في شرح الصبا ، جميلة فاتنة ، فيعلق بحبها ، ويخرج كل مساء الى ظاهر المدينة يناجي طيفها وكله امل وشوق الى رؤيتها ، ثم ينتقل المؤلف ليحدثنا عن الفتاة فهي من اسرة غنية يموت والدها ويرعاها عمها ، يرسلها الى المدرسة تتلقى فيها العلوم ثم ينقلها الى مدرسة اخرى تتعلم فيها فن الحياكة .

ولم تكن حال الفتاة احسن من حال الفتى فقد علقت به من النظرة الاولى وراح طيفه يجول في مخيلتها « وكانت تشعر بانقباض صدرها وترى المناظر المبهجة مظلمة امامها والدنيا على رحبها ضيقة في عينيهما واعز ذويها كالد اعدائها يريدون الفتك بها ثم استخرطت بالبكاء والمويل نادبة سوء طالعها ومنتحبة على تعاستها وشقاتها . اني

(٥٧) مجلة الزنبقة الاعداد من ١ - ١٢ عام ١٩٢٢ .

ابتليت بحب فتى غريب لا اعرف له اصلا ولا اعلم اين هو « (٥٨) .
وفي غرفة الطعام تصاب بنوبات من الاغماء ، وفي سريرها تبقى
ساهرة تناجي طيفه تنتظر المساء وهي نائمة والهة وتخرج في مركبتها
« واذا صارت خارج المدينة ترى لها من بعد شبح يخطر ذهاباً واياباً
في تلك البرية التي لا أنيس فيها ولا جليس فعرفت انه مالك قلبها
فأخذت تتفرس في طلعتها البهية ملياً ولم تعد تبالي بما حولها بل أصبحت
كانها خطفت الى عالم الارواح » (٥٩) .

وتدخل الصدفة في التقارب بين العاشقين حيث يمر طائر بشع
الصوت فتفزع خيول العربية وتحطمها ، وتسقط الفتاة مغشياً عليها
وتكاد حوافر الخيل ان تسحقها لولا ان يهب الشاب لانقاذها في اللحظة
المناسبة . وتلتقي روحاهما ويقدم لها نفسه باسم (لطيف) ويرجوها
ان تطلبه في أية لحظة تكون بحاجة فيها اليه ويعرف منها اسمها (ماري)
وعندما تعود (ماري) الى الدار تطلب من الخوذي (سلمان) العناية
بخيول العربية ، ويكتشف سلمان اصابة الخيل بجروح بليغة فتطلب
اليه ماري الا يخبر عمها بالامر وتعهده بمال كثير ، فيشير احسانها جشعه
ويحاول ابتزاز المال منها ، وعندما تمنع عنه المال يخبر عمها بالامر
وماري مشغولة عن كل ذلك بتدبير امر لقاء لطيف ، وتتكرر زيارته
لها في دارها بمساعدة خادمتها المخلصة ، كما تتكرر زيارتها له في داره
فيتبادلان فيها كؤوس الفرام ثم يتعاهدان على الزواج . ولكن القدر
يقف لهما بالمرصاد حيث يعود ابن عمتهما (نجيب) من أوروبا بعد ان

(٥٨) فتاة بغداد مجلة الزنبقة العدد ٢ ص ٦٢ عام ١٩٢٢ .

(٥٩) المصدر السابق العدد ٣ ص ٩٢ .

اكمل دراسته فيها . وتقدم له امه كل ما تملك من مال وتطلب اليه ان يتزوج من ابنة اخيها (ماري) فيصدع نجيب بأمر والدته ويسرع من فوره الى دار خاله ، ويطلب يد ماري فترفض ولكنه يصر على طلبه ويهددها بالويل والشبور ان رفضت طلبه (واخذ يتهددها بعذاب اليم ان لم ترعو عن غيها وتنقاد لامره صاغرة ذليلة) (٦٠) وهذا لايناسب ثقافة نجيب ومركزه الاجتماعي . فتبكي ماري حظه العاثر وتخشى كيد نجيب وتريد ان تبعد حبيبها لطيف عن مشاكلها الخاصة فتكتب اليه رسالة تخبره فيها انها قررت الزواج من غيره وتطلب اليه ان يقطع صلته بها لانها لم تعد تحبه . . . وتتوقف المجلة عن الصدور عند هذا الحد من الرواية .

ولا تختلف هذه الرواية عن سابقتها في افتقارها الى الخصائص الفنية المعروفة في الرواية . فشخصياتها شاحبة لالون لها ولا سمة مميزة ، بل هي شخصيات نموذجية مقررة تشمل الخير المطلق والشر المطلق (فلطيف) مثلا يمثل الخير المطلق بينما يمثل (نجيب) الشر المطلق في رواية (فتاة بغداد) على سبيل المثال .

وتعتمد هذه الروايات على المصادفات المفاجئة التي يخلقهها الكتاب ليجمعوا بين الحبيبين او ليفرقوهما ، ظناً منهم انهم يخلقون الحدث ويطورونه ، ويشيرون القارىء ويشوقونه ، كما تزخر هذه الروايات بتناقض الاحداث وغرابتها فتزى زوجة (ابراهيم) تحمل وهي في سن الشيخوخة في رواية (فتاة بغداد) لرزوق عيسى وتزخر هذه الروايات كذلك بالاحداث البعيدة عن واقع البيئة العراقية حيث تدعو اسرة محافظة

(٦٠) المصدر السابق العدد ١١ ص ٣٢٦ .

في العراق آنذاك شاباً لا تعرفه للسمر في رواية (الاوهام) ، وتلاقي
(ماري) الفتاة التي تنتمي الى اسرة محافظة حبيبتها في دارها تساقبه
كؤوس الغرام في رواية (فتاة بغداد) المنشورة عام ١٩٢٢ . واطار الحدث
الزميني في هذه الروايات غائم بلا حدود .

اما اسلوبها ، فسرد تقريرى تغلب عليه النزعة العاطفية وتشعب
فيه الصور الموجية ، ويتخلله الشعر (٦١) والغناء (٦٢) والصجع (٦٣)
والركاكة (٦٤) .

وقد انتشر هذا النوع من الروايات العاطفية في العراق طوال
فترة ما بين الحربين العالميتين ، واستمر الى فترة متأخرة بعد الحرب العالمية
الثانية كما سيأتي ذكره في الفصل القادم .

(٦١) مجلة الزنبقة العدد ٢ ص ٦٢ .

(٦٢) مجلة الزنبقة العدد ٦ ص ١٩١ ، ١٩٢ .

(٦٣) مجلة الزنبقة العدد ٤ ص ١٢٦ .

(٦٤) مجلة الزنبقة العدد ٥ ص ١٥٩ .

(٤)

الرواية الايقاظية

وتعد (الرواية الايقاظية) التي ألفها سليمان فيضي عام ١٩١٩ (٦٤) أول عمل كامل من وجهة تاريخية تظهر فيه ملامح السرد الروائي الى جانب العناية بالحوار، لأن الاعمال الروائية التي سبقت هذا العمل والتي جئنا على ذكرها كانت أعمالاً مبترة غير كاملة .

وجاءت الرواية الايقاظية على نمط الروايات التعليمية في عدم الاهتمام بالعناصر الروائية واختفاء العنصر الغرامي حرصاً على هدفها التعليمي ، ونتيجة مباشرة لاحتياجات البيئة وظروفها . ولم تتأثر الرواية الايقاظية الا بالنوع المماثل لها من الروايات الأجنبية أو الرسائل والمقالات الأدبية التي كانت تعتمد على الخيال تخلصاً من ظلم السلطات ، ذلك لأن مؤلفها لم يقصد تقديم (رواية) بالمعنى الكامل وانما يقصد التعليم والنقد الاجتماعي . وقد أرادها المؤلف أن تكون مسرحية كما جاء في مقدمة الكتاب ، « في بحر الليلة الثانية عشر من شهر ربيع الاول سنة ١٣٢٦ هـ المصادفة لولادة فخر الكائنات واشرف المخلوقات من اختصه الخلاق لاكمال مكارم الأخلاق اذ رأيت في منامي كأنني في حفل عام مزدحم بخيرة الرجال اشبه بالانتظام (بسينما عال العال) له ستة ابواب وفيه غرف وخراب فجري تشخيص هذه الرواية من قبل نبلاء الرجال » (٢) .

(١) ذكر علي الزبيدي خطأ أنها طبعت عام ١٩٢١ في كتابه (المسرحية العربية في العراق) ص ١٣١ .
(٢) سليمان فيضي (الرواية الايقاظية) ص ٢ - ٣ .

ويبدو ان الكاتب قصد كتابة مسرحية لارواية حسب ما جاء في مقدمة الكتاب . الا أن الكاتب لم يلتزم بالبناء المسرحي بل استخدم السرد الى جانب الحوار ، فهو يبدأ هذا العمل على هذا النحو « في صباح يوم من أيام الربيع صفت سماؤه وطاب هواه قام خضر بن المحسن ذلك الصبي الذي في سن الخامسة عشر من عمره من فراشه مسرعاً فتوضأ وصلى الصبح ثم جلس امام مائدة الطعام وتناول فطوره وبعد ان غسل يديه وفمه أخذ كتابه وتنحى عن اخوانه الصغار وجاء يطالع فيه ويتأمل الى أن نشرت الشمس أشعتها الذهبية على أوراق الأشجار . . . وخرج قاصداً المدرسة الاهلية . . . » (٦٦) . وليس هذا السرد من نوع التوجيهات المسرحية لأنه يستغرق صفحات عديدة ويأخذ شكل السرد الروائي كما يظهر لنا المقطع السابق والذي يستغرق ست صفحات كاملة على هذا المنوال وغيره كثير في (الرواية الايقاظية) ويغلب على القسم الثاني من (الرواية الايقاظية) عنصر السرد على الحوار ويغلب البناء الروائي عليها ، وتتسع رقعتها الزمان والمكان وتتوالى الأحداث سريعة عنيفة وتكثر مغامرات سعيد ومحاولاته المستميتة لانقاذ صديقه خضر من الموت . وان كان أسلوبه القصصي في هذا القسم يشوبه التفكك لما في الأحداث من افعال افقدها عنصر الصدق الفني ، أما القسم الاول من الرواية الايقاظية فهو الذي يختلط بالمسرحية النثرية ويأخذ فيه الحوار بين الشخصيات الطابع العام لنسجها لكن الحوار يمتزج بالسرد القصصي وعنصر الحركة مفقود تماماً بسبب دعوته الاصلاحية الوعظية . وأفكار المؤلف التي يطرحها بسيطة ساذجة تدعو الى التعلم والى تجنب العادات القبيحة كلعب الميسر وتناول

(٦٦) المصدر السابق ص ٣ - ٧٠

المسكرات ومعاشرة البغايا وتناول المخدرات . وتتصل الشخصيات بسلك
القصة وحبكتها ولكن المؤلف أعطى للشخصية أهمية أكثر مما أعطى للحدث
فالصفات التي تتصف بها الاشخاص تحدد نوع الحدث وليس العكس .
وفي الوقت الذي نقرر فيه ان القسم الثاني من الرواية الايقاظية ،
قريب الى العمل الروائي ، نجد أن القسم الأول منها ليس رواية
بالمفهوم الفني للرواية وليس مسرحية بالمفهوم الفني للمسرحية بل هو
مزيج من كلا الفنين .

وقد اختلف الباحثون في طبيعة الرواية الايقاظية ، ولعل التسمية
كانت السبب في هذا الاختلاف ، لأن لفظة رواية كانت تطلق في تلك
الفترة على الرواية وعلى المسرحية معا . فقد عد حسين الرحال الرواية الايقاظية
رواية في المقدمة التي كتبها لرواية (في سبيل الزواج) لمحمود السيد (٦٧)
والى هذا الرأي ذهب محمود السيد أيضاً في كتابه (السهام المتقابلة)
الصادر عام ١٩٢٢ حيث قال « أما الروايات وهي اهم ما يكتبه الكاتبون

(٦٧) محمود السيد (في سبيل الزواج) من المقدمة التي كتبها حسين
الرحال « وقد ظهر فيهم عدد كثير من الكتاب فتفننوا بالكتابة تفنناً تطرقوا
به لكل موضوع عرفوا من ورائه الفائدة للججمهور . . . وأخص بالذكر منهم
كتاب الروايات الذين ادجوا بقصصهم كلما ارادوا نشره من الافكار والعلوم
على اختلاف ضروبها . . . بما يؤسف له ان قطرنا - قطر العراق - ليس له نصيب
بما ذكرناه أبدا فالمهذبون عندنا يكتبون بقراءة ما يردهم من التأليف
والروايات الافرنجية والعربية المصرية والسورية ولم يلتفت احد منهم الى
تقليد الافرنج أو المصريين أو السوريين في هذه المسألة الجديرة بالأهمية ولا
خطر لأحد منهم ان يتطرق لهذا الموضوع فيكتب أو يؤلف فيه ما استطاع
الى ذلك سبيلا ، اللهم الا الرواية الايقاظية التي ألفها في الأيام الأخيرة الكاتب
المجيد سليمان فيضي افندي الموصلية وتلك واحدة لم يتبعها انباء وطننا
بأخرى » .

في العصر الحاضر فقد قيل ان بعضهم كتب شيئاً من نوعها بيد أننا لم نر الا الرواية الايقاظية لسليمان فيضي الموصلية التي طبعت اخيراً . وقد جاء ذكر الرواية الايقاظية لأول مرة على أنها مسرحية في كتاب الدكتور جميل سعيد (نظرات في التيارات الأدبية الحديثة في العراق) عام ١٩٥٤ حيث قال « وربما كانت الرواية الايقاظية التي أشرنا اليها الآن اول ما كتب من هذا النمط في هذا العصر الذي نتحدث عنه (٦٨) . وقال أيضاً « ويبدو للقارئ ان الرواية كتبت لتقرأ ولم تكتب لتمثل لأن المؤلف قسمها الى عشرين فصلاً وليس من السهولة تهيئة المسرح وانتظار النظارة على هذا النحو » (٦٩) . وقد جراه في ذلك كل من علي الزبيدي (٧٠) وجعفر الخليلي (٧١) . ونحن نخالف السادة الباحثين فيما مضوا اليه من ان الرواية الايقاظية مسرحية ، اذ نرى فيها مزيجاً من الفنون الروائي والمسرحي مع غلبة السرد عليها في القسم الثاني منها - كما أسلفنا . كما ونحن نخالف جميل سعيد في رأيه الثاني الذي مضى اليه من ان سليمان فيضي كتب الرواية الايقاظية لتقرأ لا لتمثل فمقدمته تدل على هدفه بوضوح . أما السبب الذي ذكره الباحث وهو تعدد الفصول الى عشرين فصلاً فإنه لا يعد سبباً قاطعاً فقد كان من تقاليد المسرح في بدايته دخوله الى البلدان العربية تعدد المناظر في مسرحيات عربية كثيرة (٧٢) كما هو الحال في المسرحيات التي ظهرت قبل الرواية الايقاظية بمدة (٦٨) جميل سعيد (التيارات الأدبية الحديثة في العراق) ص ٥٢ .

(٦٩) المصدر السابق ص ٥٤ .

(٧٠) علي الزبيدي : المصدر السابق ص ١٢١ .

(٧١) جعفر الخليلي : القصة العراقية قديماً وحديثاً ص ١٦٨ .

(٧٢) انظر محمد يوسف نجم : المسرحية في الأدب العراقي الحديث .

طويلة في العراق مثل مسرحيتي (لطيف وخوشابا) ، (البريء المقتول) . ويعود ذلك الى ان المسرح كان خالياً من الديكور كما هو الشأن في مسرح شكسبير في العصر الاليزابيثي ، ولم يكن تعدد المناظر في مسرح شكسبير ناتجاً عن تحمل من قيود مفروضة أصلاً بل كان نتيجة طبيعية لعدم تعدد المكان على مسرح خال من المناظر والستائر والخلفيات الا في حدود ضيقة (٧٣) وأن السبب الرئيسي في عدم تمثيلها غلبة السرد عليها واحتواء هذا السرد على أفعال لا يمكن تمثيلها على المسرح وخاصة في القسم الثاني من الرواية الايقاظية ، مثل خطف الطائرة من المطار والاحداث التي دارت في بلاد الحبشة . وقد احتار عبد القادر حسن الامين في كتابه (القصص في الأدب العراقي الحديث) بشأن الرواية الايقاظية، فهو يقول تارة « سليمان فيضي قد اسهم في العمل الأدبي بنصيب غير قليل وتعتبر مسرحيته المسماة الرواية الايقاظية من اقدم القصص في العراق » (٧٤) ولكنه بعدها من باب المقامة في نفس الكتاب حيث يقول « اني أرى في الرواية الايقاظية ما يبرر وصلها بمقامة الألوسي في نواحي الروح والتفكير والمادة السجعية المتكلفة مع ملاحظة التوسع في اللون المحلي واخضاع القصة لغرض الاصلاح الاجتماعي » (٧٥) .

ونحن لا نرى أن هذا الرأي صحيح ، لأن الرواية الايقاظية قد ارتبطت بالمجتمع الذي تدور فيه وهي في ارتباطها بمجتمعنا تكاد تتفق مع المقامة التي كانت تعني احياناً بوصف الكثير من وجوه الحياة الاجتماعية في عصرها على نحو ما نرى في مقامة بديع الزمان البغدادي

(٧٣) فاطمة نرسى (الفنية في مسرح شكسبير) مجلة المسرح العدد ٢٨

أبريل ١٩٦١ .

(٧٤ ، ٧٥) عبد القادر حسن امين : (القصص) ص ٣٧ ، ٢٠٦ .

التي تصور الحياة في بغداد والمقامة النيسابورية التي تقدم صورة دقيقة لفساد القضاء في عصره (٧٦) ، ولكنها تختلف عن المقامة في الهدف ، ففي الوقت الذي كانت المقامة تهدف أولاً إلى تعليم اللغة العربية وتقدم صورها الاجتماعية كعامل مساعد ، كان فيضي يهدف في عمله إلى النقد الاجتماعي ، ولم يهتم كثيراً باللغة الفصيحة فقدمها باستخدامه اللهجة العامية على نطاق واسع في الحوار . وقد استطاع المؤلف بفضل طرافة موضوعه واتصاله بالحياة أن يخرج أسلوبه عن السجع البارد المتكلف وإن لم يتحلل من العناية بالمحسنات اللفظية وإيقاع النغم ، فخرج عنده السجع القديم في ثوب عصري جديد لا تنفر منه الأذن . وما يبعد (الرواية الايقاظية) عن فن المقامة أيضاً إن الكاتب حاول إيجاد رابطة داخلية بين فصول كتابه ، وهذه الرابطة وإن بدت ضعيفة باهتة غير مطردة فإنها تميز هذا الأثر عن المقامة التي تعبر عن مجموعة من المواقف المنفصلة التي يرويها عيسى بن هشام عن بطله أبي الفتح الاسكندري ، مثلاً وهذه المواقف لا ترتباط بينها ولا يجمعها إلا شخصية الراوي وشخصية البطل .

ولكننا كما في المقامات لا نكاد نقرأ أول صفحاته ونتبين منهجه حتى لا يفيدنا إن نقف عند نهاية الفصل إذ يتم لنا علم بموضوع معين وليس هذا شأن فن القصص كما ورد في الغرب إذ لا بد للأدباء لوصف المجتمع القائم من اقتباس الشكل الجديد والتعبير بأسلوب جديد يلائم الشكل . وإن تندفع الشخصيات والحوادث في مجرى معين حتى تبلغ نهايتها . وتكوين الفكرة وتسلسلها تسلسلاً منطقياً طبيعياً يحتاج إلى

المهارة فهي لا تكون أخاذة الا اذا كانت كاملة متناسقة الأجزاء (٧٧) .
كما سار فيضي على منوال المقامة في السجع وسائر المحسنات البديعية ،
ولكنه تأتق في اختيار عبارته وألفاظه بما يناسب ذوق العصر ، فلم
يوغل في غريب اللغة والالفاظ كما فعل الهمداني والحريري . كما
ادخل الكاتب العامية في الحوار على لسان شخص جهمال لا يحسنون
الكلام بالفصحى . والشبه بين اسلوب الكاتب وأسلوب المقامة يتمثل
في العناية بالسجع ، وفي اختيار اللفظ وقصر الجمل وموسيقاها . ولكن
اسلوبه يختلف مع ذلك عن اسلوب المقامة في كونه لا يلجأ الى التعمق
ولا يختار الغريب من الالفاظ ، وذلك لاختلاف هدف الكاتب الذي
كان يهدف الى الاصلاح الاجتماعي عن هدف بعض كتاب المقامة
الذين كانوا يهدفون الى تعليم ألفاظ اللغة .

وقد لجأ الكاتب الى الأسلوب القصصي التصويري الذي يعتمد على
تقديم الصور الحية من ناحية والحوار من ناحية أخرى ، وقد استمد
الكاتب صورة من واقع مجتمعه وتكشف هذه الصور عن حس دقيق
ويقظة .

وقد يجد هذا الحكم من يعارضه (٧٨) على أساس أن الكتاب في
الواقع انما هو مجموعة مواقف اجتماعية تدين لفن المقامة ، وان ما فيه من
قصة وشخصيات هما من الهزال بحيث لا يبرر اعتبار الكتاب رواية
بالمعنى المألوف لهذه الكلمة .

وردي على هذه الاعتراضات هو أنه في الوقت الذي لا سبيل فيه
الى انكار ان الحديث يستند احياناً على فن المقامة ولكن لا يلبث ما

(٧٧) انظر الدكتور عبدالمحسن طه بدر - تطور الرواية العربية الحديثة .

(٧٨) عبد القادر حسن امين ، المصدر السابق ص ٢٠٦ .

فيها من حوار وقص ان يتغلبا على المقامة فتجرح الى الاتجاه القصصي بصورة واضحة . وفي كثير من الاحيان يكون هذا العلاج من القوة بحيث يحطم السجع ويخرج من اساره الى اطلاقه النثر (٧٩) « أمر الوزير بأن يذهب نحو السجن ويفك قيود المسجون ويأتي به الى قصره فقام سعيد على أثر ذلك والتمس من الوزير ان يأذن له بالذهاب برفقة المدير كي يفك قيود أخيه بيده أو يشاهد ذلك فعلا لتقر عينه فأذن له الوزير وخرجا » (٨٠) كما ان الشخصيات جميعها في الرواية الايقاظية لا تظهر مرة واحدة وتختفي بل تستمر حتى النهاية عدا شخصية يقظان مما يعطيها سمات الشخصية المألوفة وان كان من الواضح انها شخصيات بدائية غير متطورة .

ويضاف الى ذلك ان الكتاب يعالج قصة واضحة المعالم تبدأ باقناع خضر صديقه باقل دخول المدرسة وتنتهي برد باقل الاحسان الى صديقه خضر الذي كان واسطة لتعليمه ورسم مستقبله بأن يسعى لانقاذه من الموت .

ونحن لا نميل الى وصل الرواية الايقاظية بمقامة الألوسي كما قال (عبد القادر حسن الأمين) (٨١) . ولكننا نميل الى القول بأن الكاتب قد تأثر بحديث عيسى بن هشام للمويلحي ، فثمة جوانب شبه كثيرة بين الكاتبين وهذا الشبه لا ينحصر في استخدام السجع بل يتعداه الى محاولة كل منهما اسباغ طابع الخيال او الحلم على موضوعيهما ،
(٧٩) سليمان فيضي (الرواية الايقاظية) ص ٥٤ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٨٩ ،
١٣٠ ، ١٣٠ .

(٨٠) المصدر السابق ص ١٣٠ .

(٨١) عبد القادر حسن امين ، المصدر السابق ص ٢٠٦ .

فالمويلحي يوحى لنا على لسان عيسى بن هشام في الأسطر الأولى بأن الأحداث التي وردت في كتابه كانت حلاًماً ظهر له في نومه ولكن الأحداث تمضي دون ان يظهر عليها اي طابع مما يميز الاحلام في فوضاها وعدم انتظامها . وهذا ما فعله سليمان فيضي أيضاً والى جانب ذلك يتشابه الكاتبان في اهتمامهما بالمجتمع وذكر مساوئه ومحاولة اصلاحه .

والرواية الايقاظية تعليمية يسودها الوعظ من اولها الى آخرها ، وسليمان فيضي كاتب اجتماعي واعظ في المقام الأول .

وتقوم عقدة الرواية على المفاجآت والصدق ولا يستغل الكاتب ما يتيح له المجال الفني من الدراسة والتحليل والوصف واختراع الحوادث . فحوادثه في القسم الأول من الرواية قليلة ، والحياة عنده ضعيفة تحتاج الى ابراز جديد يثبت فيها الروح ، والمشكلة التي أثارها هي مشكلة التعليم وبيان أثره على مستقبل المتعلم وما يضيفه العلم على اخلاقه وصفاته وقارنه بالجاهل ورسم للجهاال مصائر سيئة أودت بهم الى التهلكة ولم ينس المؤلف عنصر التشويق في القسم الثاني من الرواية فقد ملأه بالحركة والمغامرات وهو يبطن روايته بالأراء الاجتماعية والأخلاقية متأثراً بدراسته العلمية والاجتماعية :

(أبو سعيد : نعم اليوم وضعناه في المدرسة لأجل أن يتعلم التربية والعلم .

الجماعة : قه قه قه يا للأسف عليك ظلمته للولد ايش مدرسة وايش لزومها ، ليش انت تعلمت في مدرسة ؟ واحنه تعاملنا فيها ؟ اشوف خيرنا كثير ومستانيين .

يقظان : جيداننا وهم شر الجوار لنا وصحبنا وهم شر الاصحاب

أبو سعيد : يا جماعة جاءنا رجل وبلشني بلشه ولا جاز حتى اقنعني
واظنه سحرني .

الجماعة : أخطأت ، ولكن أخطأت اكثر حيث ما تشاور أصحابك
وجماعتك الذين هم أعقل منك ، فتنأسف عليك .

يقظان ! انا لقيت زمن ترك القبيح به من أكثر الناس احسان واقبال
سعيد : ارجوك يا والدي لا تتردد اني مستأنس في المدرسة .

الجماعة : هي هي يا مجنون يا هلولد كم شهر وتتعلم ؟

يقظان : خلوة الانسان خير من جلوس السوء عنده
وجليس الخير خير من جلوس المرء وحده

سعيد : يا أعمامي لازم اداوم سنين حتى اتعلم .

وهذا النوع من الروايات كان أسبق الى الظهور في ادبنا الحديث
من غيره من انواع الروايات لظروف سياسية واجتماعية . وتتلخص
الظروف السياسية في نكبة العراق بهزيمة الثورة العربية واحتلال
الانكليز لبلادنا مما دعا مفكرينا الى انعام النظر في الآفات التي كانت
تنخر في حياتنا وتسبب ضعفنا وتخلفنا وهزيمتنا .

واما الظروف الاجتماعية التي دفعت مفكرينا وأدباءنا نحو النقد
الاجتماعي فقد تولدت من احتكاك الحضارتين الغربية والشرقية في
بلادنا . وقد ولد هذا الاحتكاك النقد الاجتماعي في اتجاهين متضاربين
متصارعين ، ففي ضوء حضارة الغرب وروحها الفعلية النقدية أخذ
مفكروننا ينتبهون الى ما كان قد تراكم في حياتنا من تقاليد وعادات وخرافات
طافت بحياتنا منذ عصور الظلام العثماني ، واما الظروف الثقافية فترجع
هي الأخرى الى اتصالنا بثقافة الغرب وآدابه وتنبهنا الى فنون من

الأدب لم تزدهر في تراثنا العربي القديم مثل في المسرحية والقصة .
والذي لا شك فيه أن دعوة أدبائنا ومفكرينا الى الاستفادة من آداب
الغرب وفتونه قد أثرت في الغالبية العظمى لأدبائنا حتى ولو لم يكونوا
يعرفون لغة أجنبية أو يجيدونها .

وظهر سليمان فيضي في فترة تاريخية مليئة بالأحداث ، وقد أسهم
في العمل الصحفي والادبي ، وأراد في وضع الرواية الايقاظية القضاء على
العادات التي تقف حائلا دون تقدم البلد وأنجي باللائمة على المتزمتين
وقناعتهم بما هم فيه .

ولما خص (الرواية الايقاظية) كالاتي : يحبب (خضر) الى صديقه
(باقل) وهو ابن تاجر غني التزود من العلم ولكن اباه يعارض في
ذلك خوفاً على صحة ابنه ان تضمنها القراءة ، وما يابث الوالد ان
يوافق بعد توسط أهل الخير ويستبدل اسم (باقل) باسم آخر وهو
(سعيد) . ويحاول اصدقاء الأب ان يثنوه عن ادخال ابنه المدرسة
ولكن سعيداً يصبر على الاستمرار في الدراسة ، ويتم دراسته الثانوية
ثم يذهب الى باريس لدراسة الطب ويعود منها طبيباً ويساعد والده
بعد ان تنهار تجارته ويعلمن افلاسه . ثم يعالج سعيد اصدقاء والده
وابناءهم أولئك الذين حالوا بينه وبين التعلم بعد ان أصيبوا بأمراض
مسرية من جراء اقبالهم على الممذات من خمر وميسر وبغايا ومخدرات .
ويتم خضر دراسته في كلية الهندسة ، ويذهب الى الحبشة للبحث عن
المعادن النفيسة ، فيعثر أثناء بحثه على كنز ثمين بما يوقر قلب خادمه
عليه فيطمع بالحصول على الكنز وبعد ان يسرقه يتهمه بمحاولة حرق
قصر الملك ، ويودع خضر السجن ثم يحكم عليه بالاعدام الا ان

صديقه سعيد يسارع لانقاذه ، فيختطف طائرة يطير بها الى الحبشة
ويحاول الاتصال بالملك ليخلص صديقه من الموت ولكن دون جدوى
ويعلم سعيد بمرض وزير الدفاع الذي يحبه الشعب مرضاً حارث الاطباء
في أمره ويعمل سعيد على ابرائه من المرض . ويطلب اليه الملك ان
يتمنى ما يشاء فيطلب اليه سعيد ان يطلق سراح صديقه خضر ، ويعود
الصديقان الى العراق بعد ان جمع القدر شاملهما .

أما شخصيات (الرواية الايقاظية) فهي نماذج مسطحة يلقي المؤلف
بواسطتها ما يريد قوله . وقد اختار المؤلف لكل واحد اسماً يتفق مع
موقفه الخاص (فباقل) بعد ان يتعلم يصبح (سعيدا) ويقظان ينسحب من
الرواية بعد دخول (باقل) المدرسة .

ونجد في الشخصيات الخيرة المطلق كما في شخصية خضر وباقل ويقظان
والشخصية الأخيرة شبيهة بشخص المقاتلات وهي شخصية وهمية
تلازم البطل دائماً وتقف الى جانبه ولا تحس الشخصيات الأخرى بها ،
دأبها الانتقاد والتعليق على حديث الشخصيات ثم تختفي نهائياً من الرواية . او
شخصيات تمثل الشر المطلق مثل (أبو جريدة ، أبو زرزور ، أبو ذبابة ، أبو
عزجور) . أما شخصية باقل فقد رسمها الكاتبة بدقة واعتمدت في رسمها على
سلسلة من الموجات وعديد منها ، وألقى عليها وعلى الأحداث أضواء مختلفة
من زوايا مختلفة . كما عني بتحليل مظاهرها وتصوير عالمها الخارجي والملاحم
الواضحة دون ان يتعمق الى قرارها يستنبطها ويستخرج مكنوناتها .

والشخصيات في (الرواية الايقاظية) تصور بنزعاتها ضروباً من
الصراع كما تشاهد ضروباً من السخرية المستمد من طباع الشخصيات
ومن مقارقات الحوادث ومفاجأتها ، وهو في حوارها وشخصياته وحوادثه

يستمد من الواقع المحلي ونظم البيئة العراقية .
وقد قدم المؤلف صوراً حية نابضة تكشف لنا عما في المجتمع من
مظاهر الجهل والتخلف والنفاق والفوضى والاستغلال ، هذه الصور هي
التي تشعر القارئ بالمتعة عند قراءتها . ومن الملاحظ ان هذه الصور
التي يقدمها سليمان فيضي للنماذج البشرية الهامشية في الكتاب اكثر
حيوية من شخصية يقظان لأنه شغلها بالتعبير عن افكاره الاصلاحية
مما جعل وظيفتها تقصر على المراقبة والتعليق فأفقدتها الحيوية التي تتمثل
في هذه الصور .

وكانت رغبة المؤلف في تقديم هذه الصور الحية هي التي مهدت له
السبيل لاستغلال الحوار استغلالاً طيباً فقد اجرى الحوار بما يناسب
شخصه فقد اتخذ العامية للشخصية الجاهلة والفصحى للشخصية المتعلمة .
(سعيد : انا أظن يا سيدي الوالد ان المدرسة لا تحتاج الى مصاريف
زائدة .

أبو سعيد : حالك من حال الناس يا ولدي كل الناس ما يعلمون
اولادهم وعائشين عيشة طيبة وايش عليك ؟ عايز انت ؟ خير كثير ، المبلغ
الذي تصرفه على الكتب اصرفه على بطنك .

يقظان : لو ان خنفة عقله في رجله سبق الغزال ولم يفته الأرنب
أبو عنجور : اسمع جواب والدك يا بني أحسن وشوف انا ابني
عنجور مستأنس كثير يلبس طيب ويأكل طيب بالليل يروح الى التياترو
والى مجمع (الدوما) واذا صار نصف الليل جاء ونام وبالنهار يدور
من چايخانه الى چايخانه ، صير مثله احسن وشوف هو كل يوم يسمن
اكتر من الذي قبله .

يقظان : وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه
أبو زرزور : وانا ولدي زرزور أيضاً مستأنس يدور ويلعب واذا
صار الليل يحصل كل ليلة عشرين ثلاثين رويية .
سعيد : من أين يحصل ذلك ؟ .

وفي هذا الحوار الدائر بين الشخصيات يريد المؤلف الكشف عن
طبيعتهم كنماذج بشرية تمثل مظاهر التخلف او الانحلال في المجتمع
- وهذا الحوار اكثر حيوية من الحوار المألوف في المقامة واقرب الى
الوظيفة الأساسية للحوار التي تكشف طبيعة الشخصية من ناحية وتدفع
الحدث الى التطور من ناحية أخرى .

(٥)

وكان محمود احمد السيد (١٩٠٣ - ١٩٣٧) أول من عنى بالرواية
في العراق ، وقد حاول واعاد المحاولة نحو الأحسن فالأحسن وبتأثير
العوامل السابق ذكرها مجتمعة ظهرت الرواية في العراق عند محمود
السيد . وكانت روايته (في سبيل الزواج) أول رواية عراقية وقد
صدرت في مارس ١٩٢١ ثم اعقبها بروايته (مصير الضعفاء) عام ١٩٢٢ ،
واخيرا روايته الشهيرة (جلال خالد) عام ١٩٢٨ .

وقد كان محمود السيد ممثلاً للطبقة الوسطى النامية ، وكانت آراؤه
ومعتقداته السياسية الدافع الأساسي لكتاباتاته ، وحرص في كثير من
الأحيان على أن يمزج الوعظ بالامتناع . وقد وجد أبناء الطبقة
الوسطى صورة صادقة لآمالهم وأفكارهم وظروفهم في أعماله الادبية .
وقد أثرت عقلية هذه الطبقة في رواياته وعاقبتها عن التطور بسرعة ،
فقد كان أبناء هذه الطبقة على استعداد لتقبل اي نوع من النشر

القصصي على شرط ان يقدم لهم في صورة حقائق . وقد استغل السيد هذا الميل ، فجعل هذه الحقائق محوراً لأعماله الروائية . وكان أسلوبه النثري البسيط أسلوب الصحافة والدعاية ، أهم وسيلة للتعبير في كتبه ، وهكذا بدأ النثر الروائي يبيت جذوره في ارض العراق ، ومن بعده استعمله كتاب الرواية في وصف حياة شخوص عادية ووعو الدرس الذي لقنه اياهم (السيد) .

ويتفق الدارسون (٨٢) على ان رواية (في سبيل الزواج) هي فاتحة فن الرواية في الادب العراقي الحديث . فهي علامة تاريخية في تاريخ التطور العام للرواية العراقية ، وقد تأثر الكتاب بمطالعائه الروائية (٨٣) واكتشف نتيجة مطالعائه في الادب الروسي نزعة واقعية تصور المجتمع وتسعى الى علاج مشاكله كما اكتشف في الادب التركي نزعة ثافية كان يجد لها صدى عميقاً في نفسه ، وهي نزعة الى الحرية ، الى هدم التقاليد البالية التي كانت تعوق مجتمعه عن التطور ولكنه تأثر

(٨٢) انظر/ علي جواد الطاهر (القصص العراقي المعاصر) ، عبد القادر حسن امين (القصص) جعفر الخليلي (القصة العراقية قديماً وحديثاً) باسم عبد الحميد حمودي (في القصة العراقية) سهيل ادريس (القصة العراقية الحديثة) الآداب العدد ٢ عام ١٩٥٣ .

(٨٣) محمود السيد ، مجلة المعرض ج ٢ عام ١٩٢٦ ص ١١١ (يعتبر تورغنيف ودمستوفسكي وتولستوي اقطاب هذا الاتجاه الادبي الذي اطلق عليه اسم الرياليزم - اي الواقعية وان قصة تولستوي البعث تحتوي صوراً من حياة الفلاح عندنا تماثلها او تكاد وواجب علينا ان نتخذها وماليها من صور ادب الرياليزم الروسي نماذج للادب الشعبي الجديد الذي نرجو ان يتكون في المستقبل القريب عندنا) .

ايضاً بنزعة عاطفية قوامها احساس المراهق وحرارة الشباب والنزعة العاطفية التي شاعت في كتابات المنفلوطي والنزعة الانسانية التي تلون الادب التركي عامة (٨٤) وهذا ما جعل روايته تحيطها هالة رومانسية تقويها عاطفة الذكرى والوان الخيال ، ومفارقات مستمدة من الحياة ، لاسيما ما يكشف منها عن نواحي الضعف الانساني ، وهي تنكشف للابصار . فهي تدور حول النفاق الذي يتكشف عند الامتحان ، والشر الذي يتغلب على الخير ، وعيوب الحسد والتعامي عن فضل الغير وعاقبة الخداع وعاقبة الغباء والغرور .

ووصف المؤلف روايته الاولى (في سبيل الزواج) بأنها (مسرحية شرقية هندية) (٨٥) ويبدو لنا ان سبب اختيار السيد الهند مسرحاً لروايته سبب اجتماعي هو زيارته للهند ، ومشابهة ظروف الهند لظروف العراق آنذاك ومحاولة السلطات البريطانية المحتملة ربط العراق ادارياً واقتصادياً بنائب الملك في الهند .

والرواية مليئة بالاحداث المتتابعة والاعمال البطولية الخارقة ، ينافس البطل في حبه رجلاً شديد البطش مرهوب الجانب يلقبه الناس (ببطل الجليل) يتأس عصابة مخيفة . ويمكن البطل مقدم لا يهاب

(٨٤) محمود السيد (نزعة من نزعات الادب القصصي التركي) ، الاستقلال العدد ١٠٩٥ ، عام ١٩٢٧ (وطبيعي ان تكون الاكثرية الى جانب رشاد نورى لانه نزاع في قصصه الى الحرية معبودة الترك والشعوب الشرقية الاخرى المتحفزة للمنهوض والى هدم التقاليد البالية ، لقد كنا نرغب في ان ننقل قصص الكاتب ولكن . .) .

(٨٥) يبدو ان المؤلف لم يكن يفرق في التسمية بين المسرحية والرواية .

الموت فيركب الالهوال حتى يلتقي ببطل الجيل فيصرعه وعصابته وحين يعود مكلا بالفخار يجد ان حبيبته قد فارقت الحياة حزناً على فراقه .
والرواية تعالج مشكلة الزواج في الشرق . وفيها تضمينات من الشعر العربي على لسان ابطال الرواية الهنود ، على طريقة حكايات الف ليلة وليلة ، وفيها اوصاف وتشخيص لمواقع وامكنة في الهند وبخاصة لمدينة (بمبي) (٨٦) التي سكنها الكاتب بعد هجرته من بغداد ، وفيها تقليد لما كان يترجم الى العربية من روايات ومغامرات قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها .

وقد خلع السيد على ابطاله صفات البطولة الخارقة التي لا يقف في سبيلها عائق ، وذلك تعويضاً عن آماله المحطمة بعد ان اصابته وطنه نكبات متوالية من احتلال انكليزي بعد استعمار عثماني ومن فشل لثورة العشرين التي ضحى فيها الشعب العراقي بأرواحهم في سبيل التخلص من السيطرة الاجنبية . والرواية العراقية الاولى تغلب عليها النزعة التعاليمية المباشرة (٨٧) والولع بالطريف من المفاجآت والنهايات المفتعلة . والآفة

(٨٦) في سبيل الزواج ص ٩ - ١٣ (كانت بمبي في زمن الحكام الهنود الاصليين عبارة عن سلسلة جزيرات صخرية صغيرة في احد سواحل البحر الهندي من جهة الشمال . . .) .

(٨٧) السيد (الطائع) ص ٦٨ (وبعد فحسي انني احتذيت اميل زولا ، والكتبة الروسيين امثال شيكوف وتولستوي من كتابها وهم ينزلون الى الدركات السفلى من سلم حياة المجتمع الانساني فيقتطفون منها المواد لقصصهم بدلا عن ان يعرجوا الى الدرجات العليا فينثروا للناس الزهور ويخطفوا الابصار بالالوان الساطعة البهية فيشغلوهم عن معرفة الحقيقة والاهتداء الى الداء الدفين) .

والآفة الرئيسية لابطال السيد انهم لا يدرسون عبر نفسياتهم ، فهم يدخلون كثيراً من الاحداث ولكننا لا نراهم اطلاقاً وهم في ردود فعلهم الخفية ولا نقرأ ما في اعماق قلوبهم المحرومة . انهم جميعاً يفتقرون الى تلك الحاسة السادسة حاسة الوعي والضمير . وفيهم آفة اخرى ليست اقل خطورة هي انهم يفتقرون الى (الجو) فان المؤلف لا يحيطهم بتلك الظلال من التفاصيل الصغيرة الحية ولا باللمسات الدقيقة المومية . ويمكن ان نقول اجمالاً ان هذا العمل ينقصه كثير من العناصر الفنية للرواية ولعل ذلك راجع الى عدم فهم المؤلف لطبيعة الفن الروائي فهماً حقيقياً والى مياه الواضح الى الايجاز المخل في كثير من الاحيان . وتبدو الرواية وكأنها وضعت لدراسة الزواج دراسة علمية نظرية ، نادى فيها المؤلف بوجود زواج الاكفاء ، واهتم بتبيان اثر التربية في الاخلاق والسلوك . وكان الكاتب وضعها للوعظ لذا نراه يستطرد احياناً الى ما يعوق السياق ويعطل التطور الطبيعي للاحداث في سيرها نحو النهاية ، ويترك الكاتب القارئ في تيه يضل فيه فيستطرد في نصائح يسوقها ، وتدور في الغالب حول الزواج والتربية (ولم يعلموا ان التعايب بين المرأة والرجل قبل الاقتران هو كتمهيد للسعادة التي ينتظرانها بعد الاقتران وما أحسن ما قال احد علماء الاجتماع وددت لو ان كل الآباء امامي فأعظمم بأن لا يزوجوا بناتهم الا لازواج يجدون في قلوبهم عواطف الحب الخالص الذي هو الحياة كلها) (٨٧) ، متأثراً في ذلك بما شاع على السنة الكتاب من الدعوة الى تحرير

(٨٧) محمود احمد السيد (في سبيل الزواج) ١٦ ، وكذلك في الصفحات

٢٠ - ٣٠ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ .

المرأة وزواج الاكفاء .

وتكثر الاحداث المتكلمة عنده كالاغماء لانفه الاسباب وبأقل انفعال ، وتكثر عنده المؤثرات والحيل والمبالغات . وتلعب المصادفة دوراً هاماً في احداث الرواية ، بالاضافة الى الجشو والاستطراد « والفيل هذا من غرائب خلقة الخالق جل شأنه وعجائبها » (٨٨) .

وشخصيات الرواية تكاد تكون متقابلة فيما تمثله من نماذج الاخلاق ، فبطل الجيل يقابله بطل الرواية الطيب (وكتور) ، وبطلة الرواية الطيبة تقابل ام بطل الجيل الشريرة .

وقد سلك الكاتب هذا المسلك ليستطيع ان يقارن مقارنة دقيقة بين عناصر الخير والشر واثر كل منهما في حياة المجتمع . وهو يقدم لنا هذه الشخصوس تامة من حيث الصورة والاخلاق . ثم يأتي بالحوادث برهاناً على ما يقوله . وهو لا يفسح للشخصيات مجال التحدث عن نفسها في حوار او مناجاة بل يقف لها بالمرصاد ، ويصفها وصف الصحفي الماهر مهتماً بعالمها الخارجي دون ان يأبه للتحليل ، ولذا تخرج من تحت قلمه باهتة ليس لها وجود حقيقي في الحياة كأنها ممثلو مسرحية تنتمي حياتهم فيها عند نزول الستارة ولا تمتد ذلك الامتداد الحيوي الخالد الى الحياة الانسانية . اما اسلوبه في عرض مادته القصصية فبالرغم من صفاته وجزالته فانه لا يخلو من اخطاء لغوية (٨٩) واملائية (٩٠) ولا

(٨٨) المصدر السابق ص ٦٠ وكذلك ص ٩ - ١٣ ، ٤٠ .

(٨٩) المصدر السابق ١٥ ، ٣٥ ، ١٦ ، ٢١ ، ٣٥ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٤ .

٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٢ .

(٩٠) المصدر السابق : ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٤٦ ، ٦٩ ، ٧٢ .

ينسى التمثل بالاشعار والاستماعة بها في تطوير المواقف والاجواء (٩١) .
وبعد سنة من صدور روايته الاولى صدرت روايته الثانية (مصير
الضعفاء) عام ١٩٢٢ وفيها نجد استجابة ظاهرة للمواقع ، فهي تعطينا
فكرة واضحة عن ظلم العثمانيين وطغيانهم . العثمانيون الذين اذاقوا
العراق الكثير من العسف والهوان قبل احتلال الانكليز للعراق .
وبالرغم من الفجوات الكثيرة من ناحية البناء الروائي فاننا نعدّها
تجاوباً فعلياً مع واقع عراقنا حينذاك . ونزع الى هذا الرأي ايضاً
باسم حمودي في كتابه (في القصة العراقية) (٩٢) . وتمثل (مصير
الضعفاء) احدى المحاولات الاولى لموهبة قصصية بينة تتعثر في ارض
زلقة تنغرز الاقدام ولا تتقدم . ونجد فيها دلائل الاخلاص للعمل وبذل
اقصى الجهود له . واهتماماً ظاهراً بالحبكة القصصية وبوادر صنعة التنقل
بين الحوار والعرض والسرعة واجادة في الوصف . ولكن الى جانب
هذا نراها اذا مالت مرة الى المذهب الواقعي والتزام الصدق مالت
مرات الى الاغراق في الخيال الميلودرامي واثارت الاشجان . وصورها
مستمدة من العراق في الاغلب ، ومن بعض اجواء غريبة عنا بتأثير
الآداب الاوربية . وفي الرواية احداث كثيرة متداخلة تكتنفها الخوارق
والمفاجآت ايضاً كما في روايته الاولى . يحب بطل الرواية (ابراهيم)
وهو ضابط في الجيش العثماني أخت القائد التركي (زهراء) . وفي
ليلة يعب فيها القائد الخمر وينتشي بالقصائد التركية التي يلقيها عليه
ابراهيم ، يوافق على زواج اخته من ابراهيم ، وما ان يفيق من سكره

(٩١) المصدر السابق : ٢٧ ، ٢٨ ، ٤٨ ، ٥٨ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٣ .

(٩٢) باسم عبد الحميد حمودي (في القصة العراقية) ص ١٢ .

حتى يسجنه ويرفض تزويجه بأخته . ثم يترك الكاتب قصة ابراهيم لينتقل
الى قصة زميل لبراهيم في المدرسة يدعى (حسن الفراتي) ، وينقل مكان
الحدث من الموصل الى بغداد . ونعلم ان حسن الفراتي درس في النجف ثم
اشتغل محرراً في الصحف (اول عمل قام به انه جعل يحزر المقالات الطوال
في الصحف يبحث فيها الناس على نشر العلم والاكتشاف من فتح المدارس) ،
ويستطرد الكاتب في اهمية العلم والثقافة (٩٣) . ثم يترك الكاتب حسن الفراتي
وينتقل الى صديق آخر لبراهيم يدعى (محمود الكرخي) ، والكرخي هذا مصلح
اجتماعي ايضاً يقوم بجمع المال من الاغنياء لينشئ بهذا المال مدارس
لتعليم الاولاد . ويزور الكرخي (الحاج علي) وهو من اغنياء بغداد
يحثه على التبرع لانشاء مدرسة فيمتنع الحاج علي عن المساعدة ويغالب
في القول فيرد عليه الكرخي ويجتمع رجال الحاج علي ويوسعون الكرخي
ضرباً . وهنا يأتي الفراتي لزيارة الحاج علي في الموضوع ذاته وحين
يجد صديقه يضرب يستخدم طلقاً نارياً فيزج به في السجن هو وصديقه
الكرخي . ويلتقيان هناك بابراهيم ويتمنى الثلاثة رؤية صديقهم (عبدان)
ثم يقطع الكاتب سرد الرواية ويروي لنا قصة اخرى عن (عبدان)
يرويهما رجل فقير التقوا به في السجن مفادها ان عبدان طرد من وظيفته
بعد ان طالب رئيسه بدين له عليه ، فطرده الرئيس وما كان من عبدان
الا ان يشتمه ويضربه فاقتيد الى السجن . ثم يتعرف الثلاثة على الراوي
فاذا به عبدان نفسه صديقهم القديم . ويعمل الاصدقاء على كسر قيودهم
ويهربون من السجن ، ويسكنون البراري والقفار . وعلى حين غرة وبينما
هم يضعون الخطط ويدبرون الامر يلحقون فارساً عن بعد فيرمونه

(٩٣) محمود السيد (مصير الضعفاء) من صفحة ٣٠ حتى صفحة ٥٣ .

بالرصاص ويختر صريعاً وإذا بالفارس زهراء حبيبة ابراهيم التي تغبره
وهي تلفظ انفاسها بأن اباها قتل امه بالسيف فقتلت هي اباها انتقاماً
لامه . وبعد موت زهراء يحيط الشرطة بهم ويستمر تبادل اطلاق النار
بينهم وبين الشرطة حتى يموتوا جميعاً . وينتهي الكاتب روايته بنفس
الاسلوب التعليمي (قتلوا كسجناء مجرمين ولكن ما هو ذنبهم ! وما جرمهم ،
الضعف الضعف) .

وتعتمد الرواية كما رأينا على الحوادث الفخمة والمخاطر العجيبة
وتقوم على عاملين اساسيين ، هما المصادفة . والمبالغة . المصادفة التي تجعل
حوادثها تتقلب وتتغير دون تمهيد منطقي معقول يقتضيه التطور
الطبيعي لها .

والرواية ملأى بالحشو الذي يعترض سبيل السرد ويظهر في صور
عديدة فهناك الوعظ والتهذيب « نحن اليوم في عدد غير قليل وبلادنا
واسعة كبيرة وارضينا خصبة غنية بمعادنها الكثيرة ولا ينقصنا الا
المال الذي لا يحصل عليه بالعلوم ، والفنون » . . (٩٤) .

كما يستخدم الكاتب الشعر (٩٥) والامثال (٩٦) ويلجأ الى الاساليب
الخطابية « يا كامل يا كامل انا اقول وقولي الحق انه دنيء وساقط ولو
كان له مال قارون ومكانة فرعون . . . لقد أن أن تزيج عن الابصار الحجب
الكثيفة التي تمنعها من رؤية هذا الفريق البشري المتظاهر بالحكبيرياء
والجبروت . . . (٩٧) .

(٩٤) محمود السيد (مصير الضعفاء) ٣٩ .

(٩٥) المصدر السابق : ٨ ، ١٩ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ .

(٩٦) المصدر السابق : ٢ ، ١٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٦٤ .

(٩٧) المصدر السابق : ص ٥٠ وكذلك ٢١ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٥٩ ، ٦٨ .

- واستخدام حوار لا يخدم الحدث ولا يطوره (- ماذا عندك يا ولدي
 - ليس من شيء عدي
 - كلا اني استغرب حاتمك
 - دعني يا ابي وشأني
 - لا حول ولا . . . قل لي عندك شيء يوجب الاهتمام .
 - كيف لا انا اهتم بك .
 بس انا ؟) (٩٨) .

اما الحوادث فقد سخرها الكاتب لخدمة قيمه الاجتماعية ولم يأت
 بها للتسلية والتشويق ويهتم الكاتب بالحادثة قبل الشخصية ، وليس
 للكاتب فلسفة عميقة او ملاحظة دقيقة يحاول ان يبثها من خلال
 السرد القصصي ، بل كان همه الاول اصلاح المجتمع وتهذيب الاخلاق
 ونقد العادات المستهجنة وتمجيد العادات السامية . ويظهر في الرواية
 تأثره بالفكر الغربية كالعدالة والمساواة . وهو كثيراً ما يتحدث عن
 المساواة بين الكبير والصغير والغني والفقير ، ووجوب تساويهم امام
 القضاء .

اما شخصيات الرواية فثابتة لا تتطور ولا تنمو ، فنرى مثلاً شخصية
 ابراهيم بنيت حول فكرة واحدة هي الاخلاص في الحب والتضحية في
 سبيله . وكذلك شخصية (زهراء) . ومثل هذه الشخصيات تستعمل
 لتعقيد الحوادث وتكديسها ، وتصلح لقصص الحوادث لتعدها وكثرة
 اعمالها ليسهل تذكرها ومتابعتها والتعرف عليها اثناء السرد . كما انها
 تساعد الكاتب على ان يمضي في تكديس الحوادث دون ان يضطر الى

(٩٨) المصدر السابق ؛ ٥٧ - ٥٨ ، ٦٢ - ٦٤ ، ٤٣ - ٤٤ .

بذل الجهد في بناء الشخصية ، وهو يهتم بحياة شخصياته الخارجية وتصرفاتها دون ان يتعمق الى تسجيل ما يضطرب في العقل الباطن . ولا تحتاج مثل هذه الشخصيات عادة الى ما تحتاجه الشخصيات النامية من متابعة لحياتها وتطوير لاخلاقها وتهيئة الجو المناسب والاحداث الملائمة لها . والكاتب يتورط في تعدد العقده فيدخل بعض الحوادث التي تصلح ان تكون قطعاً مستقلة يمكن فصلها عن جسم الرواية دون ان تشوّهه مثل قصة (عهدان) وقصة (الفراتي والكرخي) اذ انهما لا تفيدان تطور الرواية في شيء وليس لهما ادنى اثر في حبكة الحوادث حيكاً طبيعياً وثيق الاسر .

تلك آثار السيد في طوره الاول (٩٩) ، فصول مفككة واسلوب ضعيف وقصص مليئة بالوعظ والارشاد ، وتشيع فيها الاغلاط الاملائية واللغوية مع ضعف الربط بين العبارة والعبارة والجملة والجملة (١٠٠) وفيها يجمع بالكاتب الخيال ، وخياله ضعيف في هذا الدور من كتاباته فيؤلف الصور ولكن الصور تعجىء متنافرة قلقة . والى هذا الرأي ذهب

(٩٩) محمود السيد (هياكل الماضي) جريدة العراق العدد ١٠٠٨ عام ١٩٢٣ ، (لبيت السلطان في الشرق . . . ولا تغضب ايها القارىء . . . بيد اناس ماديين قساة يعملون على كسر قلم كل اديب خيالي او روائي غرامي يدعي العصرية ولكن لا فرق بين نفسيته ونفسيته ذلك الشاعر القديم القائل احبها ويحب ناقتها بعيري الا بالمظهر الكاذب . آه لبيت الظروف كانت تفهم فتكسر يدي قبل ان اكتب تلك الروايات الغرامية الفاسدة الثلاث في سبيل الزواج ومصير الضعفاء والنكبات السخيفة التي اعدّها لطفة عار في حياتي وحياة الادب) .

(١٠٠) محمود السيد (مصير الضعفاء) ٤٣ ، ٤٤ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ .

جميل سعيد ايضاً (١٠١).

والسيد بما صورنا من ملاحظه المستخلصة من ملامح عصره المأزوم
وجيله القلق قد بين رأيه في المشاكل والمواقف والازمات الدائرة في
محيطه والمائلة امامه . وقد كان الطابع العام للعراق وللبلاد العربية بين
انتهاء الحرب العالمية الاولى والحرب الثانية يمتاز بلون رومانتيكي ،
يتغنى بالحربة والانطلاق ويتمشق المثل وتهزه الاخيلة والالوان وتسيره
العواطف والاحاسيس . ومن الطبيعي ان يكون البلد بهذا الطابع بعد
وقوع الحرب وفشل مزاعم الحلفاء بعد فشل الثورة العراقية وبعد
تهديم الآمال الهادة الى تأسيس حكم وطني وقد جعلت هذه الروح
الرومانتيكية اوساط الناس من المطالعين ومن المتأدبين يعكفون على
قراءة الادب العاطفي الغامض بمداعبته للاحاسيس والاهواء والعواطف
والخيالات كقصص مصطفى لطفى المنفلوطي وقصص جبران وشعر
المهجر وكنتيجة حتمية لميلاد الواقعية من الرومانتيكية فان الدعوة الى
الادب الواقعي بدأت في الظهور في العراق بصورة مبكرة بسبب انتشار
المعتنقين للافكار الاجتماعية والمشتغلين في القضايا العامة .

وكان السيد من اول الدعاة الى الواقعية (كفى الجمود كفى الهيام
في اودية الخيال اكتبوا لهذه الامة ما يفيدها والا فان بقيتم تمسخون
وجه الطبيعة الجميل بأقلامكم وترقصون القمر وتطاردون عطاردها
وتثيرون غبار الحقد والحسد والتباغض في وجه الانسانية فعلى نهضتها
العفاء) (١٠٢) وقد تفتحت موهبة السيد مع تفتح امل العراقيين بقيام

(١٠١) جميل سعيد (التيارات الادبية الحديثة في العراق) ص ١١ .

(١٠٢) محمود السيد ، مجلة اليقين ١٩٢٣ .

حكم ذاتي ديمقراطي تعود السيادة فيه للشعب الذي اراق دمه في كمناحه ضد الاستعمارين العثماني والانكليزي . والواقع ان السيد قد كرس نفسه لانتاج ادب مقاومة ونضال ، وكان مسوقاً الى انتاجه بسبب من اوضاع العراق السياسية والاجتماعية ، ولم يكن بوسعها الا ان يستجيب لحاجات الشعب الاجتماعية ، ومن هنا كان اسهامه في رسم الطريق الجديد . (١٠٣) وتجمعت عوامل عدة خلقت الملكة الادبية عند محمود السيد : كثرة الكتب والمجلات والصحف المصرية الزاخرة بالقصص الموضوع والمترجم في المكتبات العراقية ، واتقانه اللغة التركية ، كما ساعد على تكوينه الادبي سفره الى الهند وتجوّاله في محيط يختلف كل الاختلاف في العادات والاخلاق واسباب المعيشة والوان الحياة واتصاله بكاتب هندي يدعى (سوامي) يشتغل محرراً في احدى الصحف الثورية التي يرعاها الزعيم (تيلاك) استاذ غاندي . وكان سوامي اشتراكياً متحمساً القى دروساً في الوطنية والعمل من اجل الحرية على محمود السيد وعلمه ان الجهاد لا يكون بالخروج من البلاد تخلصاً من وطأة الاحتلال ، وان الوطنية معناها الصمود في ارض الوطن واثارة المواطنين على الغاصبين (١٠٤) .

وقد ظهر اثر ذلك في روايته الثالثة والاخيرة من بين رواياته (جلال خالد) عام ١٩٢٨ ، وفيها يبدأ السيد اديباً قصصياً وطنياً يأخذ

(١٠٣) انظر زهير احمد (جلال خالد) مجلة الفنون العدد ٤ عام ١٩٥٨

وجعفر الخليلي (القصة العراقية قديماً وحديثاً) .

(١٠٤) محمود السيد (جلال خالد) ص ١٠ .

موضوعاته من تجاربه . ويسبغ السيد علي بطل الرواية (جلال خالد) صفاته الخاصة وتلتقط تخيلته من مجرى حياته موضوع الرواية وذهب الى هذا الرأي بعض الباحثين مثل جميل سعيد في كتابه (التيارات الادبية الحديثة في العراق) وباسم عبد الحميد في كتابه (في القصة العراقية) ومحمود العبطة في كتابه (محمود السيد) وزهير احمد في مقاله عن (جلال خالد) (١٠٥) فقد كان جلال خالد ، مترفعاً عن الناس منهمكاً في ارتداء الثياب الغالية (١٠٦) ثم انقلب عند تحطم آماله في حبه لساره وحبه لوطنه الى انسان حائر يائس (١٠٧) .

وقد استفاد محمود السيد من اسفاره وغيرت افكاره وخاصة سفرته الى الهند كما بدلت ميوله السياسية فقد كان قومياً متحمساً نصار ينزع الى الاشتراكية . كما فعلت بجلال خالد تماماً . يقول السيد واصفاً (جلال خالد) وانما يصف نفسه (وهو قارىء الان أن الانسانية فكرة جامعة شاملة للأمم كلها . وان القومية فكرة ضيقة النطاق ، الغلو فيها يدفع الامم الى الحرب الطاحنة والدمار وان الدين فكرة وان كانت اوسع من القومية نطاقاً لم تجمع الامم والاقوام تحت لوائها وهو قارىء الآن ان اعطاء المرأة حقوقها لا معنى له ما لم يسبقه التحرر من الاسر ومساواة الرجل والاشترك معه في العمل والانتاج) (١٠٨) .

(١٠٥) زهير احمد (جلال خالد) مجلة الفنون العدد ٢٤ عام ١٩٥٨ .

(١٠٦) محمود السيد (جلال خالد) ص ١٠ .

(١٠٧) انظر محمود العبطة (محمود السيد) ، زهير احمد المصدر السابق

وجميل سعيد (التيارات الادبية الحديثة في العراق) ص ١٢ وباسم عبد الحميد (في القصة العراقية) ص ١٢ - ١٣ .

(١٠٨) جلال خالد ٦٥ .

ويتحول محمود السيد تحولاً آخر فيرى ان الكتابة لا تجدي نفعاً
وعليه ان يقلع عنها الى العمل يقول في رسالة يرسلها جلال خالد الى
صديقه احمد مجاهد (ألا ما اضعفنا واضعف عقيدتنا ، وما هذا الانزواء
عن العالم والتلبي بالمطالعة في زوايا دورنا . اناكل ونشرب وتنام على
وسائد الراحة والنعمة ثم لا نعمل عملاً غير كتابة الرسائل يرسلها
بعضنا الى بعض تحمل الآهات والانات . او هل اصلحت الآهات والانات
شعباً ؟ وهل في رسائلك التي كنت ترسلها الي تصف لي حياة الفلاح
العراقي وشتائه ما يسعده وينجيه من عذابه ويحرره من الاسر) (١٠٩) .
يشهد (جلال خالد) احتلال الانكليز لبلاده فتضيق نفسه ويقرر
السفر الى الحجاز موطن الثورة العربية ، ولكن الظروف تحرمه من
السفر اليها فيتجه الى الهند ، وفي الباخرة التي تقله الى الهند تمتحن
عقيدته القومية ، والدينية هذه التي تجعله (كارهاً كل قوم عدا العرب)
امتحاناً مريراً ، اذ يقع في حب (سارة) وهي غانية يهودية بغدادية
كانت مسافرة مع ابيها وخطيبها داود ، وينشب الحب اظافره في قلوب جلال
في عنف وحرقة ، ولكن هذا الحب لم يكن في صميم الرواية بحيث كان
من اليسير جداً اسقاطه بجملته دون ان يؤثر ذلك على مجرى الرواية ،
ويقضي جلال في هذه المدينة سنة وبعض السنة مكرهاً اذ انه اعتزم
السفر الى (سنغافورة) للبحث عن حبيبته ولكنه كان يحجم على الدوام
اذ يتصور سارة حاملاً من زوجها داود - وهي ايماءة رومانتيكية
تمثل فيها المرأة كائناً علوياً لا يتصف بصفات البشر - ثم يرحل الى
كلكتا فيفاجئه حادث اضراب عمالي كبير يترك في نفسه اثراً عميقاً ،

(١٠٩) جلال خالد ٦٥ - ٦٦ .

وهناك يتعرف على كاتب هندي يدعى (سوامي) يؤثر فيه تأثيراً كبيراً
وتتغير نظراته للحياة ، ويجد ان الرأسمالية هي السبب في كل الويلات
التي تصيب العالم ويستمع الى محاضرات مفكري الهند ويتأثر بهم . ويتسنى
له بصحبة سوامي ان يشاهد نماذج عديدة من البشر : طاغية كشخصية
(المولوي ابراهيم) الذي يدعو لكفاح المستعمرين بالاكتراث انجاب
الاطفال ، وشخصية الصحفي الهندي المؤمن بالجامعة الاسلامية وبزعامة
الخليفة العثماني والمنكر حق العرب في الحرية ، وشخصية الشاعر البنغالي
الذي يجرح كبرياء جلال القومي بقوله (ان العرب في الهند اثنان
لا ثالث لهما : تاجر يجمع المال وشيخ طريقة يستجدي) .

ثم يأتيه نباء الثورة العراقية فيعود الى العراق ، ولكن امله يخيب
عندما ترده انباء فشل الثورة ، وتقترن الفجيعة الوطنية بمأساة عاطفية ،
اذ تصله انباء نامة عن محبوبته سارة وقد جن زوجها فتلقفتها دور
البغاء . يسقط جلال مريضاً فلم يعد بمقدوره احتمال فاجعته ؛ وطنه
وحبيبته . وفي يأس بالغ اضعف ثقته بالحياة وبالناس وبنفسه يفكر
بالانتحار ، لكنه يعدل عنه وينصرف الى القراءة والكتابة يدفن فيهما
يأسه وخيبته . ويبدأ الجزء الثاني من رواية (جلال خالد) بعد فترة
زمنية قدرها سنتان ، ويكون جلال خلالها قد اصبغ شخصاً آخر فقد
نسى (سارة) واستعاد كل ما اوشك ان يتخلى عنه من المثل التي فتح
(سوامي) عينيه عليها في الهند . وتستغرق الصفحات المتبقية من الرواية
رسائل متبادلة بين جلال وصديقه احمد مجاهد و (ك . س) وشخصيتا
هذين الصديقين باهتتان من غير معالم وبغير اثر ما في البناء العام
للرواية ، وفي هذه الفترة يكون احمد مجاهد المصاب بمرض اليأس القومي

قد آوى مختفياً من مطاردة المحتملين لبلاده الى احدى عشائر الفرات ،
هذه العشائر التي احبها لبطولتها في الثورة ولكنه لا يجد فيها الا الفقر
والقذارة والظلام ، فيعتوره اليأس ولا تعود تهزه رسائل جلال المليئة
بالصبر ، النابضة بالعناد المتمثلة ابدأ بتعاليم سوامي (١١٠) .

اما (ك . س) الحر الفكر فينتهي الى الضياع كانسان سحقته
الحياة فجرت به الايام كسواه ، فيعلن الى صديقه جلال عزمه على
الزواج ولا يجد جلال سبيلا الا العمل في الصحافة فيتصل ببعض ابناء
(الطبقة المستنيرة المخلصة) لاصدار مجلة تعبر عن رأيهم ولكنه يصطدم
بجمود مقيت اذ يجد فيه اصحابه (متطرفاً اقساموا ان لا يولوه شطراً
من عملهم) (١١١) .

وتعكس هذه الرواية نفسية جيل كامل حين تدرس نفسية جلال
خالد التي اتخذها الكاتب ذريعة لدرس الطبيعة البشرية والتطور
الاجتماعي والاخلاقي وعوامل الحضارة والبيئة . ولهذا اتسمت روايته
بطابع عملي واضح ، وكان اقدر ما يكون على ابراز ذلك السمات والمعالم
في المجتمع العراقي - وخاصة في الجزء الثاني من الرواية - متمسكاً
كل ما يعينه على بلوغ تلك الغاية .

وقد اختلف بناؤه الروائي بين الجزء الاول من الرواية وبين جزئها
الثاني ، فاعتمد على الاسلوب السرد في القسم الاول بينما اعتمد الى
اسلوب الرسائل والوثائق في القسم الثاني ، حتى بدأ القسم الثاني

(١١٠) انظر محمود السيد (جلال خالد) ، زهير احمد (المصدر السابق)
عبد القادر حسن امين (المصدر السابق) .
(١١١) جلال خالد ص ٦٨ .

كان لا علاقة له بالقسم الاول . ولكن المؤلف حاول ان يربط بين القسم الثاني وحوادث القسم الاول برسائل تدور عن (ساره) و (سوامي) وغيرهما من ابطال الرواية الذين نسجوا احداثها في القسم الاول . ولكن هذه الرابطة بدت ضعيفة لا يقرها الفن الروائي .

كما ان خفوت الحوادث في الرواية جعل جراً من الفتور يلزم القارئ منذ الصفحة الاولى حتى يفرغ من قراءتها . وقد كان في امكان القاص ان يوفر عنصر التشويق مستغلاً بعض الحوادث المثيرة التي اشار اليها اشارة عابرة مثل اضراب العمال واصطدامهم بقوى الامن في بومي واحتراف سارة للبغاء ، اما عناية الكاتب بتصوير الشخصيات فقد كانت كبيرة بالنسبة لجلال خالد فقد حملنا ان نشارك جلال خالد عواطفه الوطنية الرائعة وان نكبر سعيه الصادق في خدمة وطنه (وان كان هذا الشعور قد يمازجه شيء من السخرية والاستخفاف - اخيراً - بهم هذا النفر من الشباب الذي لم يستطع ان يترجم بالعمل تلك الاحاسيس الوطنية الجياشة) (١١٢) .

اما عنايته بالشخصيات الثانوية فكانت ضئيلة لم يبرز لنا بوضوح خصائص هذه الشخصيات مثل (سارة) و (احمد مجاهد) و (ك . س) . اما اسلوبه فمتين يدل على تمكنه من الوقوف على اصح الاساليب العربية التي تمكن الكاتب من ان ينقل الى قارئه خلاصة افكاره وآرائه دون كبير مشقة . وقد اعتنى باللغة عناية اكبر مما وجدناه من اساليب في روايتيه السابقتين ، ولم يتصنع فيها رغم استعماله مفردات

(١١٢) عبد القادر حسن امين (القصص) ص ١٩٣ .

شاذة مثل (تكأكا ، ينماز) (١١٣) . وقد خطأ خطوة موفقة في
العدول عن بعض الكلمات العامية واستخدام نظيرها من الفصح .
وملاحظاً رقتها ومطابقتها للتداول والاستعمال - فهو يستعمل كلمة
(الخرش) تقريباً لكلمة (خردة) العامية ، وكلمة (المكس) تعريباً
لكلمة (الجمرك) الاجنبية .

ويستعمل العامي من اللغة الذي اصله فصيح مثل كلمة (شنف
اليه) بمعنى نظر اليه كالمعتز عليه او المتعجب منه .

وقد تمكن الكاتب من تكوين اسلوب خاص به لكثرة قراءته في
الثقافة العربية القديمة ، وتمكنه من الاطلاع على الادبين التركي
والغربي . وحين كتب رواياته انعكس فيها هذان الاثران مضافاً اليهما
استجابة الكاتب للعوامل السياسية والاجتماعية والثقافية المعاصرة ،
وفكرة الكاتب الخاصة عن المثل الاعلى الفني وعن الحرية الفكرية (١١٤) .

(١١٣) جلال خالد : ص ١٥ ، ٧ ، ٩ ، السموق معنى العلو ، ٤ ، ٦ ، ١١ ، ٢٥ .
(١١٤) عبد القادر البراك (اعلام من الرق) ص ٨٢ (يصح القول ان
اهم عناصر فن السيد منحصرة في توفير شعوره ومقاربة هذا التوفر لأمال
أبناء البلاد في فترة الايمان بقيام حكم صالح ديمقراطي في العراق وعلى
احاطة واسعة بالافكار التقدمية الحرة التي كانت سائدة في المجتمع الاوربي
المتحضر وفي الحماس لاخراج هذه الافكار الى حيز (الواقع العراقي) وفي
مكانة الفقيه من اللغة العربية مكنة لم يرق اليها كتاب القصة في العراق) .
لغة العرب (جلال خالد) ج ٢ السنة السادسة ص ١٤٥ (كلنا نعرف
محمود احمد افندي وانه شاب متقد الفؤاد يحسن صوغ الروايات ويبرزها
في ثوب شفاف عن الحقائق الملموسة التي لا مبالغة فيها وهذه القصة من
هذا الطراز فلا عجب اذا اقبل العراقيون على مطالعتها) .

قال عنه محمد امين حسونه (ان مؤلفاته القصصية تمتاز بوضوح
الفكرة وسمو الاسلوب ونبالة الغرض الذي ترمي اليه . وهو محدود
في طليعة الشباب العربي الذين أخذوا على عاتقهم تحرير اوطانهم من
ريقة التقاليد الغثة البارزة وتطيعمها بالافكار الحديثة النبيلة) (١١٥) .
ويمكن ان يعد السيد رمزاً لفترة الانتقال من الادب القديم الى
الادب العراقي الحديث ، فقد بدأ رومانسياً ثورياً ثم أصبح رائداً
للا واقعية الجديدة في العراق لا بمستوى اعماله الفنية ولكن بمضامينها
الاجتماعية ، وكانت شخصيته واعماله جسراً بين القيم الخلافة لثقافة
الطبقة المستنيرة القديمة ، وبين ثقافة الجيل الجديد . وقد يتبادر الى
الذهن ان السيد قد قصر جهوده على كتابة الرواية والقصة وحدهما ،
ولكن الواقع يحتم علينا ان نقول انه كان في طليعة الكتاب الذين
وضعوا في اذهان المثقفين من ابناء البلاد البذور الاولى للدعوة الى
الاشتراكية والى تحرير المرأة والى الاقتصاد الموجه ، وانه كان يستهدي
في دعواته تلك بأثار الكفاح الوطني في مصر والهند .

الاتجاهات الروائية في العراق

للرواية التعليمية
الرواية التاريخية
الرواية الشعبية
الرواية الرومانسية

بسم الله الرحمن الرحيم

تأليف

مؤيد الدين بن عبد الله

تأليف

مؤيد الدين بن عبد الله

تأليف

مؤيد الدين بن عبد الله

الرواية التعليمية

واكبت ثورة الشعب العراقي عام ١٩٢٠ ، ظهور الرواية في العراق ولم تكتب قبل قيام تلك الثورة، غير رواية واحدة ، هي (الرواية الايقاظية) لسليمان فيضي عام ١٩١٩ ، تبعها في العشرينات من هذا القرن روايات الرواد . وقد اثر قيام الثورات الوطنية والفكرية والاجتماعية في الرواية العراقية تأثيراً كبيراً ، ودفع القصاصين - الذين عاشوا هذه الثورات المتوالية - الى التمسك برسالتهم الاجتماعية ، والدعوة الى مجتمع امثل ، وقد رأينا في الفصل السابق المحاولات التي قام بها كتابنا للتعبير عن الشخصية العراقية وتصوير المجتمع العراقي ، فكانت مقامة محمود شكري الألوسي ومحاولات عطا امين والرواية الايقاظية وروايات محمود احمد السيد .

وقد تمكن الرواد وعلى الاخص محمود احمد السيد ، باتخاذهم الواقعية مذهباً في الكتابة الادبية ، من تصوير المجتمع وابرار الشخصية المحلية . ومن سمات الرواية العراقية الاولى كما قلنا في الفصل السابق ، الميل الى استخلاص العبر من الاحداث ، وحث الدعوات الخلقية والاجتماعية ، مما لازم كتابنا المحدثين ايضاً ، فحرصوا على الهدف الاجتماعي ، على اختلاف في الدرجة وفي المنهج . وكانت الدعوة الى الفن الروائي مقرونة دائماً بما تحققه للمجتمع من فوائد التهذيب والاصلاح . اما التيار التعليمي الخالص ، فيمكن اعتباره اقدم الفنون التي

حاولت ان تتخذ شكلا قصصياً في ادبنا الحديث ، وقد سبق ان رددنا سبب ظهوره المبكر الى احساس رواده الاوائل به . فهؤلاء الرواد لم يدخل في اعتبارهم انهم يقدمون الى قرائهم رواية ، وانما كان هدفهم تعليم هؤلاء القراء وتثقيفهم . وكان هدفهم هذا يتفق وظروف مجتمعاتهم في اوائل القرن العشرين . وكان من الطبيعي ان تفتقر هذه المحاولات الاولى كمحاولات عطا امين ومن سار على منواله ، والرواية الايقاظية الى الفن القصصي .

وكانت غاية الرواية لدى هؤلاء الرواد ، الوعظ الاجتماعي او السياسي . وكانوا احياناً يرمون الى التعريف بالاعادات الغربية كما في (عروس البلدان) ، او الدعوة الى نظام سياسي مثالي كما في (ضحية المكائد) ، او الى دعوة تربوية في العلاقات الاجتماعية كما فعل مؤلف (غباوة نبيه) . والنقد الاجتماعي هو هدف هؤلاء الكتاب من كتاباتهم ، فالرواية عندهم ليست شحنة ولا قطعة من الحياة ، ولا انتاجاً فنياً متكامل ، ولكنها ، مجموعة مقالات وخطب ومواعظ ، يجري خيط القصة بينها حادثاً بعد حادث وكانما اوجد ليلصق بعضها ببعض . والقارىء مضطر للوقوف مرة لموعظة ، واخرى لنقد ، او لبيت شعر ، وثالثاً للدفاع عن فكرة ، حتى يخلص في النهاية لمغزى لم يكن الكتاب يغفلون الاشارة اليه . ومن الضروري ان يكون هذا الهدف انتصاراً للخير او لاحدى الفضايل .

ولم يقتصر التيار التعليمي على المحاولات التي ظهرت قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها ، بل امتد اثره في العراق الى ما بعد تلك الفترة ، وظهر ظهوراً واضحاً في رواية (عجائب الزمان في صرح عروس البلدان)

سنة ١٩٣٨ لأكوب كبرائيل ، ورواية (ضحية المكيد او المصلح
السجين) سنة ١٩٤٩ لنور الدين داود ، ورواية (غباوة نبيه) عام
١٩٥٤ لصاحب الصباغ ، ورواية (مأساة اللعابية) لابن الفرات عام
١٩٦٤ . ولعل اهم ما يميز التيار التعليمي الذي اتجهت اليه الرواية
التعليمية الخالصة ، هو انه كان نتيجة مباشرة لاحتياجات البيئة وظروفها
وانه لم يتأثر بالقصص الاجنبي ، وذلك لانه لم يقصد ان يقدم رواية
بالمعنى الكامل انما قصد الى التعليم او الى النقد الاجتماعي . ولم يكن
اصحاب هذا الاتجاه ينظرون الى الرواية كفن مستقل جدير بالاهتمام .
وهذا النوع من الروايات مدين للنهضة الاجتماعية بما تضمنته نصوصه
من الافكار الاجتماعية الجديدة التي كانت تناصر المرأة ، وتمجد الحرية ،
وتقدر الانسان ، وتحمل على البؤس والعادات والتقاليد البالية ، وتهاجم
بعض المظاهر الموروثة ، ولكن بشكل نظري خطابي ، دون عمق في
المعالجة القصصية نفسها ، او في دراسة الاسس الفكرية والاقتصادية التي
تقوم عليها تلك المشكلات .

والفن القصصي في هذه الروايات ، اقرب الى المحاولة البدائية منه
الى الانتاج الفني . فقوام الرواية سلسلة من الحوادث والمقالات ، لا
دراسة الشخصية في تطورهما ، وردود فعلها في الحياة ، والشخصية فيها
فكرة لا كائن حي قائم ، تحمل احيانا الاسم الذي يدل على نموذجها
الانساني ولهذا سمت الشخصيات امام الظلال الاخلاقية والاجتماعية
القوية .

ولا يمكن اعتبار رواية أكوب كبرائيل . (عجائب الزمان في صرح
عروس البلدان) التي أشرت اليها رواية الا على سبيل التساهل . وهي

تعتمد في محورها الاساسي على وصف مظاهر الحياة الاوربية ، وما بلغته من تقدم حضاري في جميع المجالات الحياتية ، وعرض لما يجب ان تكون عليه المرأة العراقية (١) ، والمجتمع العراقي بشكل عام (٢) ، ومقارنة ذلك كله بما عليه الحال في العراق الى جانب دعوة اخرى اساسية ابرزها الكاتب ، هي الدعوة الى الاتحاد والتآخي بين سكان العراق المختلفي القوميات والاديان ، للتمكن من استثمار ثروات البلاد (ان الله خلق هذا الجمال الطبيعي كله للانسان وسعادته الا ان الانسان تركها للمطيور والبهائم واختار لنفسه الشر والعذاب فأخذ يعبث فساداً او يبطش باين امه ويقتل ابناء جنسه وقومه . وان لم يكن قتله مادياً فمعنوياً اذ اللسان ارفه من السنان فقتل الانسان بلسان الافتراء وتمديه على شرف القريب ظلاماً وعدواناً وهو اعظم شراً من القتل بحد الحسام فهذا يلمتتم جرحه اما ذاك فيوغر قلب الاخ على اخيه عداوة وبغضاء ولا يشر لنفسه سوى العذاب والتفريع والألم الروحي فيحرمه السعادة ويجعل لديه ولدى قريبه الحياة مرة تعسة . ومادام ميدان الصفع عن ذنب القريب مفقوداً عندنا . . . والتفاضي عن نقائصه غير مراعى بيننا فمن المستحيل ان تقوم المحبة وهي اساس كل عمران ودستور كل نجاح وبدونها لا يمكن الوصول الى الاتحاد وبدون الاتحاد لا يمكن التوفيق بين القلوب) (٣) وربما قصد الكاتب بذلك الى ان تعباً جهود المواطنين لمقاومة الاستعمار .

(١) اكوب كبرائيل (عجائب الزمان) من ٣٩ - ٤٨ .

(٢) المصدر السابق ؛ ٤٨ - ٥٠ - ٥٤ - ٥٥ .

(٣) المصدر السابق من ١٢ - ١٣ .

وتتفق رواية آكوب كبرائيل مع القصص التعليمي في شكلها الظاهري ، فهي على شكل رحلة يقوم بها (سعيد) الذي يؤمن بأن الشرق مصدر الحضارة والالهام والمثل العليا ، مع صديقه (بهلول) الى الغرب ، فيبحثان فيه ويدرسان وينقبان ، ويشاهدان ما توصل اليه الغرب من التقدم والتطور . وتتغير نظرة سعيد نحو الحياة ويحس بأن الشرق متخلف عن الغرب بأشواط بعيدة ، فيعود الى العراق مع صديقه بهلول ويعملان معاً على نشر حضارة الغرب وعلومه وآدابه ، ويبدأن معاً ثورتهم ضد التخلف والجمود .

ولا ترجع اهمية هذه الرواية الى العنصر الفني فيها ، بل الى خطورة الآراء التي قدمتها ، وعرضتها بأسلوب قصصي يدفع القراء الى الاقبال عليها ولكنها لم تحظ بقدر كبير من الاهتمام ، بل ولم يذكرها اي دارس للقصة العراقية (٤) . وهكذا نجد ان القصة عند آكوب ليست اكثر من دعوات كتبت بأسلوب تعليمي خطابي (اف لك من ولد عقوق ارتضعت حلبي لتظلمني ؟ وتربيت في احضاني لتنكرني ؟ فما حيلتي وتربيتك اصبحت نكبة علي ووجودك سبباً لاعدام حياتي ؟ كيف يستقر قلبك وتلازم منامك وقلبي يتألم بما سببت له من الجروح ؟ بل كيف تأخذ عيناك الرسم والنوم وعيناي مقرحتان بالدموع ونفسي مطعونة بحراب الحزن والالم من جراء مكافأتك اياي بالسوء) (٥) .

وأسلوبها يبتعد عن الاسلوب القصصي في كثير من الاحيان (ما هي

(٤) والقصة مفقودة في العراق عدا نسخة واحدة موجودة في المكتبة المركزية في بغداد ، ومصنفة في قائمة الادب لاني قائمة الروايات والقصص .
(٥) عروس البلدان ص ٣٣ .

الاصحاب المانعة؟ قال سعيد هي : اولاً . . . ثانياً . . . ثالثاً . . . (٦) .
ويستخدم الكاتب الشعر (٧) مستشهداً به لاثبات رأيه ، ولا تخلو
الرواية من اخطاء لغوية واملائية (٨) والرواية تعليمية يجمع فيها
الكاتب ما استطاع من مختلف المعارف ، ويوزعها في ثناياها كما بينا
سابقاً . وهي اخلاقية ، ينتصر فيها الخير والخلق الكريم دائماً ، فبعد ان
كان سعيد ينتقد حضارة الغرب بشدة ، ويردد في كل مناسبة (لقد
طالما جال في مرآة تخيلتي التصور ان لا ديانة ولا ايمان بين اولاد
عروس الغرب) (٩) اذا به يغير رأيه ، بل يخجل منه ، (فخرجت حينئذ
واصلحت ما كنت ارتكيبته من الخطأ وزالت عني غياهب الظلال ، اذ
حكمت حكماً وهمياً بعدم التدين على ابناء عروس الغرب ، وشعرت
اذ ذاك بنقص العلم فيّ وفي سائر اخواني) (١٠) . ولكن ليس ثمة
من فلسفة عميقة او وحي اخلاقي من وراء ستار ، ولكنها محاضرات في
الوعظ تصل احياناً الى عدة صفحات ، ومقالات يمكن ان تقوم
بذاتها (١١) دون ان تؤثر على الرواية لو اسقطت منها .
والرواية قبل كل ذلك ذات غاية اجتماعية ، ولهذا فانها تشرذ
على طولها هنا وهناك وراء اللقطات الاجتماعية نقداً او بناءاً ، فمن

(٦) المصدر السابق من ٩٤ - ٩٥ .

(٧) المصدر السابق ٥١ ، ٦٥ ، ٩٣ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٨) المصدر السابق ١٣ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٤٤ ، ٤٦ .

(٩) المصدر السابق ٨٣ .

(١٠) المصدر السابق ٩٠ .

(١١) المصدر السابق ٣٩ - ٤٨ في التعليم والمرأة ، ٥٧ - ٦٢ ، في البناء

الاقتصادي ٦٧ - ٧٣ في المحافظة على الأثار القديمة ، ٧٣ - ٨٣ في الصحة العامة .

حملة على الجهل ، الى دفاع عن المرأة ، الى عناية بالصحة العامة ، الى توجيه البناء الاقتصادي الوطني ، الى تبيان لأسس العدل والقضاء وغير ذلك .

ونستطيع من خلال الاستطرادات الكثيرة والمقالات العديدة ، ان نتبين ان الكاتب يدعو الى عصر جديد ، يحمل قصته كل أفكار العصر المقبل ، فهو يذكر بوضوح تنازع العادات القديمة والجديدة ، ويدافع عن الجديد بحرارة وايمان ، ويسمى هذه الافكار - جميعاً بالتمدد وروح العصر والمبادئ العصرية ، في مقابل القديم الذي يسميه (بالعوائد القديمة) وقد يضع ذلك كله على لسان ابطاله ينطقهم ما يريد . ويمزق جو الرواية ، فيطل بنفسه من بين الاسطر يتحدث حديثاً مباشراً .

ولم ينقطع التيار التعليمي انقطاعاً كاملاً بعد العشرينات من هذا القرن ، فمن وقت لآخر تظهر بعض الآثار التي تكشف عن ان هذا التيار ما يزال يستهوي بعض المؤلفين ويلائم ثقافتهم واهدافهم ، ومن امثلة هذه الآثار رواية نور الدين داود (ضحية المكائد ، او المصلح السجين) ، سنة ١٩٤٩ وقد اهداها الى (الاحرار البائسين ضحايا الانانيات ونقص مدارك الحاكمين في كل مكان على وجه البسيطة) . والرواية بحث في السياسة واساليب الحكم الديمقراطي ، ودعوة الى التعليم والثقافة لمحاربة الاستعمار بسلاح العلم والحضارة ، وقد اختار لها الكاتب مسرحاً اجنبياً (بلاد النيبال) ليكون بمنجاة من بطش الحكام في العراق . ورغم ذلك يقول في مقدمته (هي مجموعة ذكريات مررت بها ومرت بي منذ الحرب العالمية الاولى حتى اليوم . وهي ذكريات ليست عراقية ولا نيبالية كما أردتها ان تكون . وليست هذه الذكريات من بناء

الخيال . . . ولا اريد ان اقول فيها اكثر من هذا تاركاً الى القارىء
الاهتداء الى الحقائق .

والكاتب يسدي نصائحه الى القارىء اما بأسلوب مباشر ساخر،
او عن طريق احاديث شخوصه او تتبعثر تعاليمه في ارجاء الرواية ،
فهي تارة اجتماعية تدعو الشباب المثقف الى الاهتمام بلباب الحضارة
الغربية ، وترك قشورها - تلك التي تخالف عاداتنا وتقاليدنا - « انني
يا بني لا اخشى عليك سوى التأثير بعادات الاجانب الذين يحكمون
الهند، انني واثق بقدرتك على النجاح في مختلف مراحل الدراسة ولكنني
اوصيك بأن تضع تقاليد بلدك نصب عينيك فلا تغرنك مباحج الحضارة
الأجنبية وملاذها لا تستبدل العمة بالقبعة ولا الشملة بالسترة والبنطلون
ولا تأكل اللحوم المحرمة ولا تشرب الكحول » (١٢) .

وتارة تكون الدعوة سياسية (اركان الدولة الاساسية) هي : (١) حكم
يختاره الشعب برضاه (٢) حدود دولية غير منازع فيها (٣) اعتراف
دولي . والمفهوم العصري لرضاء الشعب عن الحكم هو وجود دستور
مقرر من قبل ممثلي الامة وسلطات تشريعية وقضائية وتنفيذية منفصلة
عن بعضها تعين حدود واجباتها في الدستور . . . ويتضمن الدستور
عادة (١) حقوق الشعب التي لا تمس (٢) حقوق رئيس الدولة
(٣) الهيئة التشريعية وهي البرلمان (ومجلس الامة) (١٣) .
وتصلح هذه الاستطرادات لان تكون كل واحدة منها مقالا منفصلا

(١٢) ضحية المكائد ص ٢٢ - ٢٣ .

(١٣) المصدر السابق ص ٧٢ - ٨٢ .

مستقلا عن الرواية ، وهي تدور في اساليب الحكم (١٤) - او اصلاح
المساجين (١٥) او تقييم النظام الديمقراطي او مهاجمة النظم الديكتاتورية
كالنازية والشيوعية ، وعنوان هذا الفصل (نازيون وشيوعيون) (١٦) .
او نقد للمستعمرين (١٧) .

وهي ليست رواية بالمعنى الصحيح للرواية ، بل هي بحث سياسي
 واجتماعي ، ربطت فصوله شخصية الفيلسوف (مونك سمبا) بطل
الرواية ، وهو ابن قائد الامير النيبالي ، الذي يقتل في ميدان الشرف
دفاعاً عن بلاده ، ولكن دماؤه تذهب هدرأ عندما يفتح الانكليز بلاد
النيبال ، ويحكمونها من وراء ستار . ويتزعرع (سمبا) في دار الامير ،
وحينما يجد الامير فيه الاملية والذكاء ، يرسله الى الهند ليتم دراسته
فيها . ويعود بعد حصوله على شهادة الدكتوراه في القانون ، ليضع نفسه
في خدمة بلاده ، ولا يسند اليه الامير عملاً مهماً بل يعينه كاتباً لديه ،
بينما يحتل الاميون وصناعات الانكليز المناصب الحساسة في البلاد . ويتقدم
سمبا بنصائحه الى الامير لاصلاح المقاسد الضاربة اطنابها في البلاد ،
فتوقع به حاشية الامير عن طريق خلق الجفوة بينه وبين الامير ، ويدخله
الامير السجن ولكن سمبا يستمر في ارسال نصائحه الى الامير ، كما
يعمل في السجن على اصلاح حال المسجونين وتعليمهم . ويدبر الانكليز
وسيلة لقتله خوفاً منه . وقد استعار الكاتب بلاد النيبال مسرحاً لروايته

(١٤) المصدر السابق ص ٨٣ - ١٠٠ .

(١٥) المصدر السابق ص ٥٢ - ٥٩ ، كذلك نجد الدعوة السياسية في

الصفحات ٢٢ - ٢٣ ، ١٦ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٨٩ ، ٩٠ - ٩٩ - ١٠٠ .

(١٦) المصدر السابق ص ٨٣ - ١٠٠ .

(١٧) المصدر السابق ص ٥٢ - ٥٩ .

كما فعل محمود السيد في روايته (في سبيل الزواج) ، لان ظروف العراق السياسية والاجتماعية مشابهة كل الشبه لظروف الهند (١٨) عندئذ وربط الانكليز العراق عندما احتلوه في بداية الحرب العالمية الاولى ، ادارياً بنائب الملك في الهند وحاولوا ان يلحقوه بالهند اقتصادياً واستعملوا العملة الهندية (الروبية) فيه بدلا من العملة العثمانية . وتتحدد اهمية هذه الرواية في ! الحملة على الاستبداد ، ودعوة الشعب الى الانحاد واغتراف العلوم ، لطرد المستعمرين من البلاد . وهي سياحة فكرية في مجالات الحياة السياسية والاجتماعية ، ويلمس المؤلف مواضع النقص والخلل ، ويشير بالعلاج الذي يراه ، اما الحدث فليس الا اطراً خارجياً لهذه الجولة الفكرية .

وتكاد الرواية تفقد عنصر التشويق ، لان الهدف التعليمي يطغى فيها طغياناً كبيراً على العرض القصصي . وبالرغم من ان القصة ترتبط بخيط ظاهري ، يتمثل في سعي سمبا الى طلب العلم ، ومحاولاته الاصلاحية ، ثم زجه في السجن ، وقتله من قبل المستعمرين وعمالهم ، فاننا نكاد ننسى هذا الخيط ، في زحام التعاليم الكثيرة ، التي تدفع المؤلف الى افتعال الاحداث ، وقد بدت الرواية لهذا أشبه بمجموعة من المقالات

(١٨) المصدر السابق ص ٣٢ - ٣٣ ، كانت القنصلية البريطانية في الامارة محج القوم ، يحج اليها الكبار تزلفاً للقنصل ويقصدها صغارهم في طلب اجازتهم للمتاجرة او السفر او غير ذلك لانها هي سبيل الاستيزار وتقلد المناصب الكبيرة وهي وسيلة استغلال الارض والسيطرة على الفلاحين وهي مصدر الوكالات التجارية ترفع وتخفض وتغني وتفقر تقيد وتعتق وتسجن وتطلق فالتزلف الى رجالها ومداهنتهم بحق المبرء اقصى ما تطمح اليه نفسه ومعاداتهم قد تودي بحياتهم .

المنفصلة مكتوبة بأسلوب تقريرى ابعدها ما يكون عن الاسلوب القصصي .
(وقد توصل الانكليز والوطنيون الى النتائج التالية / الفيلسوف مونك
في نظر الانكليز ١ - انه رجل مثقف . . . ٢ - انه وطنى صاب
العقيدة . . .) (١٩) ويستمر التنقيط حتى الفقرة العاشرة . وما ان
ينتهي حتى يبدأ بتنقيط جديد (٢٠) . واستخدام المؤلف بعض الكلمات
الغريبة التي يعين القارىء على فهمها عن طريق شرحها في الحواشي (٢١) .
واكثر من الرسائل التي ارسلها سمياً من سجنه الى الامير (٢٢) .
وقد سار (ابن الفرات) في روايته (مأساة اللطيفية) على نفس
النوال ، والرواية أقرب الى البحث الاقتصادي منها الى الفن القصصي ،
يصف لنا فيها المؤلف منطقة (اللطيفية) (٢٣) وما تحويه من انهار
وجداول ومزروعات ، ويشرح بأسهاب تاريخ المنطقة (٢٤) ، وكيف
جرى تقسيم اراضيها (٢٥) ، مع وصف للمتربة وطرق الري والسكان
والحاصلات ، وكان الكاتب يقدم تقريراً الى جهة مسئولة عن ظروف
منطقة اللطيفية ، بأسلوب قصصي شارحاً طريقة استيلاء احد الوزراء

(١٩) المصدر السابق ص ٦٠ .

(٢٠) المصدر السابق ص ٦٠ - ٦٢ .

(٢١) المصدر السابق ص ١٢ ، ١٣ ، ١٧ .

(٢٢) المصدر السابق ص ٧٢ - ٨٢ .

(٢٣) منطقة اللطيفية منطقة زراعية واقعة في المنطقة الوسطى من

العراق .

(٢٤) ابن الفرات (مأساة اللطيفية) ص ٩ - ١٠ ، ٥٣ - ٥٤ .

(٢٥) المصدر السابق ص ١١ .

على المنطقة عن طريق الغش والخداع . وقد كتب روايته بأسلوب تقريرى بعيد كل البعد عن الاسلوب القصصي الفنى (وقد تمكنت الاسرة المالكة من الاستيلاء على مساحة شاسعة من الاراضى الملاصقة للعاصمة فى الحارثية والوزيرية والداودية تبلغ مجموع مساحتها ٢٣١٩ مشاركة اى ما يساوى ٥٣ مليون وربع المليون من الامتار المربعة . . .) (٢٦) . وهذا الاسلوب التقريرى يجعلنا نقررانها اقرب الى المقال . فبدلا من ان يحاول الكاتب تصوير المجتمع ومظاهره وعيوبه ، من خلال سلوك الافراد وحركتهم وتصرفاتهم ، نجده يكتفى باصدار الاحكام على المجتمع ، من خلال المشاكل التى تعرض لها (سمير) بطل الرواية . وهو فى عرضه لهذه المشاكل لا يخضعها لنظام معين ، بل يوردها كيفما اتفق وعرض هذه المشاكل ينحصر فى منطقة اللطيفية ، من حيث سيطرة اصحاب النفوذ والاقطاعيين عليها ، والخطر الذى يكمن فى سيطرة الاقطاع على الاراضى وحرمان الفلاحين الفقراء منها (٢٧) . والسلاح الخطر الذى استخدمه اصحاب النفوذ وهو (قانون تسوية الاراضى العراقى) (٢٨) . ثم يصف العلاج الناجع لحل مشكلة الاقطاع ، والطريقة التى يجب السير عليها فى تطبيق (قانون الاصلاح الزراعى) ، وانشاء الجمعيات التعاونية الزراعية (٢٩) والمزارع النموذجية (٣٠) ، ويقدم المقترحات لاعمار

(٢٦) المصدر السابق ص ٢٤ - ٢٥ .

(٢٧) المصدر السابق ص ٣٨ - ٤٠ ، ٤١ - ٤٦ .

(٢٨) المصدر السابق ص ٢٩ .

(٢٩) المصدر السابق ص ٣٦ .

(٣٠) المصدر السابق ص ٥١ - ٥٢ .

المنطقة (٣١) كل ذلك يقدمه الكاتب بأسلوب تعليمي مباشر (ولننظر يا أخي الى ما آل اليه الوضع من تفشي ضروب الاستغلال ، وتزايد نفوذ الاقطاعيين ورجال الحكم في البلاد واستخدامهم ذلك النفوذ في تسخير الطبقة العاملة ، ليجمعوا المال من عرقهم ، وينفقونه على ملذاتهم وشهواتهم او على موائد الميسر وفي دور الدعارة والعشق) (٣٢) . وتشيع في الرواية النقول من الشعر والحكم والأقوال المأثورة (٣٣) وتكثر فيها الاستطرادات البعيدة عن محور الحدث (٣٤) ، وتكون هذه الاستطرادات مقالات منفصلة .

اما الشكل القصصي فهو مظهر خارجي يضم العديد من المقالات والخطب والاقتراحات والانتقادات والتقارير المسهبة عن منطقة اللطيفية . وتتلخص احداثها القصصية في عودة (سمير) من الخارج بعد اتمام دراسته في الهندسة ، ويعين في مديرية الري ، يرعاه رئيسه في العمل (عبد العزيز) قريب الوزير (فؤاد) ، ذلك الرجل الذي لم يعرف عن اخذ الرشوة والسرقة واستخدام ولده اداة للابتزاز واستخدام النفوذ - وكأنه يعني نوري السعيد وولده صباح - . يخدع عبد العزيز سمير او يستغله ، ويجعله اداة طيعة في يده يستولي بواسطته على منطقة اللطيفية . وعندما يفيق سمير من غفلته ، يجد ان الخطة قد تم تنفيذها ، فيثور ويفضح اللعبة ، ولكنه لا يجد صدى لاقواله ، بل يجد البطالة تنتظره بعد ان يفصل من الوظيفة .

(٣١) المصدر السابق ص ٤٩ - ٥٠ .

(٣٢) المصدر السابق ص ٦ وكذلك ص ٧٠ - ٧٣ .

(٣٣) المصدر السابق ص ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٣ .

(٣٤) المصدر السابق ص ٨٨ - ١١٧ حيث يصف سفرته الى الحجاز .

وبعد قيام ثورة تموز تعود منطقة اللطيفية الى اصحابها الشرعيين الى الفلاحين فتقسم عليهم بعد تطبيق قانون الاصلاح الزراعي . وقد كتب صاحب الصباغ بأسلوب تعليمي انشائي روايته (غباوة نبيه) عام ٥٤ ، وهي بحث في الاخلاق وفلسفة الكمال . ولا يدرك الكمال في رأيه الا بالعمل في سبيله . وكمال الاخلاق هو مرتبة من الكمال الانساني في النهاية (فاعلم يا صديقي العزيز ان من يضع نفسه دون قدرها عليه ان يتوقى محاذر الناس ، فأحفظ نفسك من محاذر الناس ، وصن كرامتك من المكروه الذي قد يرمونك به ، وفكر يا صاحبي ، ففكر جيداً ، واعلم ان اخوف ما اخافه عليك ان تصرف في غيرتك اسرافاً صبيانياً ربما من اجله احتقرك . .) (٣٥) .

ويربط هذا الاسلوب التعليمي حدث بسيط ، يشكل الوعاء الذي ملئ بهذه النصائح والمواعظ الخلقية (٣٦) ، هو انقاذ (نبيه) صديقه من براثن اصحاب السوء ، وفي النهاية يكشف المؤلف السر للقارئ بأن هذا الصديق ما هو الا انثى (ان شخصية صاحبي هذا لم تكن شخصية رجل بمعنى الكلمة وانما هي امرأة متلبسة بزى الرجال . . .) (٣٧) وتفيد هذه الصديقة من نصائح نبيه ، وتتزوج ابن خالتها وتنجب منه وتعيش في سعادة غامرة ، ما دامت تستمع الى ارشادات صديقها نبيه . وتزخر الرواية بالرسائل التوجيهية ، والاشعار (٣٨) والحكم التي

(٣٥) صاحب الصباغ (غباوة نبيه) ص ٤٨ - ٤٩ .

(٣٦) المصدر السابق ص ٢٨ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٦٠ .

(٣٧) المصدر السابق ص ٥٣ .

(٣٨) المصدر السابق ص ٣٠ ، ٤٠ ، ٤٥ .

يستشهد الكاتب بها في كل مناسبة (٣٩) . ولا يخلو اسلوبه من ركاكة
والتواء في التعبير (أنسيت هذا الكلام يا صاحبي ام تناسيته ؟ فتركت
نفسك بهذه الوسوس وشدة البال بعد ما ثبتته معي من صداقتك وركزت
حولي اذتار عرك ووداك أيها العزيز . . .) (٤٠) .



(٣٩) المصدر السابق ص ٣١ ، ٣٣ ، ٤٤ .

(٤٠) المصدر السابق ص ٤٠ .

الرواية التاريخية

كتاب الرواية التاريخية في العراق قلة ، ويمكننا ان نقسمهم الى ثلاثة اقسام القسم الأول : منهم اهتم بالحقيقة التاريخية ونقلها في روايته كما وردت في كتب التاريخ ، دون اهتمام بالاختيار والتنسيق ، فابتعد عن الفن القصصي ، واقترب من حقائق التاريخ ، فجاءت روايته تسجيلاً لهذه الحقائق . وهذه الروايات حسب ترتيبها الزمني هي « الفرات الأوسط » لمحمد حسن النمري التي ظهرت عام ١٩٣١ ، و (غادة بابل) ليوسف غنيمه التي ظهرت عام ١٩٣٧ و (سي بابل) لعبد المسيح بلايا التي ظهرت عام ١٩٥٥ ، وظهرت في نفس العام الروايات التالية : « ارنب » لعبد الله حسون العلي ، و (صفحة في زوايا النسيان) لتاج الدين العمري ، (وقصة يوسف) لمحمد ظاهر توفيق ، و (ابراهيم) لمحمد مهدي الشيرازي . وظهرت رواية (المسلم الثائر) لظاهر مظفر العميد عام ١٩٥٦ ، و (فتاة العروسة) لعلي اسماعيل الغوار عام ١٩٦٠ ، و (قصة الشاعرة ولادة وابن زيدون) لحسين وره الكافلي عام ١٩٦٣ . وجميعها روايات صغيرة لا تتجاوز صفحاتها المائة صفحة .

اما القسم الثاني من الكتاب فقد جمعوا بين الأسلوب التعليمي التاريخي والفن القصصي ، ويمثل هؤلاء سليمان صايغ في روايته (يزداندوخت) التي ظهرت عام ١٩٣٥ ، وشعبان رجب الشهاب في رواية (سلمى التغلبيية) التي ظهرت عام ١٩٤٩ .

ورأى كتاب القسم الثالث في الرواية التاريخية تسجيلاً لحياة الإنسان ولعواطفه وانفعالاته في إطار تاريخي ، وتعتمد الرواية التاريخية عندهم على الميل الى التاريخ وتفهم روحه وحقائقه ، وفهم الشخصية الانسانية وتقدير أهميتها في الحياة . وبتأثير ثورة الرابع عشر من تموز في العراق تطور مفهوم الرواية التاريخية على يد داود سلوم في (عهد مضى) ١٩٥٨ ، وبهنام وديع في (الايام العمياء والناس الحمقى) ١٩٦٤ ، بتغيير النظرة الى الحياة نتيجة لقيام الثورة في الرابع عشر من تموز وما أحدثت هذه الثورة في العراق من تغيير كبير في مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع ، لهذا نظر هذان الكاتبان الى التاريخ نظرة جديدة ، وصوراه بشكل قصصي لم تعهدها الرواية التاريخية في العراق من قبل ، ليعكسا أزمة الحضارة الانسانية المعاصرة ، ومشكلة الفرد وعلاقته بالمجتمع .

ولم يكن هذا الانتاج الروائي التاريخي مرتبطاً بالقصص التاريخي التقليدي ولم يكن نتيجة تطور فيه ، ولا كان بحثاً له ، فان قصص عنزة وسيف بن ذي يزن وأبي زيد الهلالي لم تستطع ان تكون شيئاً ذا قيمة في اذهان الادباء العراقيين الذين انجموا الى القصة الغربية والقصة العربية الحديثة في مصر ولبنان والمتأثرة بالقصة الغربية .

وقد بدأت الروايات التاريخية في العراق متأثرة بالتيار التعليمي وتتضح السمات البارزة للرواية التاريخية التسجيلية في العراق في المقدمة التي كتبها محمد حسن النمرى لروايته (في الفرات الاوسط) ١٩٣١ ، (القصة في نظري جزء من التاريخ وهي ادق وصفاً واعمق بحثاً لأن ذلك التاريخ العام يكاد يكون سجلاً خاصاً لحياة الملوك

والعظماء ومن على شاكلتهم فهو في الغالب وقف على افراد معلومين في عصر يشيد بذكرهم ، أما القصة فهي ملك المجموع تهبحث عن شؤونه وتعني بقضاياها وتعالج مشكلاته (١) . ومن هذه المقدمة نستطيع ان ندرك ان الرواية التاريخية التسجيلية في العراق كانت تهتم قبل كل شيء بعرض احداث التاريخ ، دون ان تعير العنصر القصصي اهتماماً كبيراً .

وقد برز الهدف القومي الى جانب الهدف التعليمي في هذه الروايات ، فهي مستمدة من التاريخ العربي القديم او الحديث ، عدا قصتي (يوسف) و (ابراهيم) فهما مستمدتان من التاريخ الديني ، وقصتي (سبي بابل) و (غادة بابل) فهما مستمدتان من تاريخ العراق القديم . ويصور هذا المقطع الهدف القومي الذي كانت تهدف هذه الروايات اليه « ويجب الا يأخذنا العجب لنصر العرب الحاسم السريع اذا وضعنا نصب اعيننا وأخذنا بنظر الاعتبار بأن العرب قد كانت تدفعهم العقيدة التي آمنوا بها وهي ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » (٢) . وكانت هذه الدعوة القومية نوعاً من ردة الفعل ضد الحضارة الأوروبية التي غزت واقع العرب المتدهور استعماراً وآلة وفكراً . انه موقف نبيل وعبرة في الوطنية ودرس جدير بالتأمل والاختلاص لنداء الأرض التي تنعم بخيراتها تناديه هكذا يخف كل مواطن ضارباً بعرض الحائط كل خلاف شخصي أمام نداء الوطن متى تعرض للخطر (٣) .

(١) (في القرات الأوسط) ص ٤ .

(٢) تاج الدين العمري (صفحة في زوايا النسيان) ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٣ .

وقد تمثل ذلك الهدف أيضاً في الحركة المسرحية التي قامت على يد الجمعيات الأدبية في الموصل وبغداد ، بين عامي ١٩٢٠ - ١٩٢٥ ، حيث مثلت مسرحيات مستوحاة من التاريخ العربي (كفتح عمورية) لعبد المجيد شوقي و (فتح عمر) ليحيى ق العبد الواحد ، كما سنأتي على ذكره في الباب الثاني من هذا البحث .

ولا يعدو الخيال اخبار التاريخ في هذه الروايات التاريخية التسجيلية ، فالحقيقة التاريخية ذاتها تسبق الخيال وتحدداه ، ونجد النصوص التاريخية نفسها تتحدث عن الوقائع ، ونرى المؤلفين يكثرون من الاشارة الى المصادر التاريخية في الهوامش والذبول (٤) .

ومن ذلك ان رواية (أرينب) تحدثنا عن اغتصاب يزيد بن معاوية لأرينب زوجة (عبد الله بن سلام) واتخاذها زوجة له ومحاولة الحسين بن علي اعادتها الى زوجها الذي تبادلها حيا بحب ، تماماً ، كما وردت في كتب التاريخ . وحدثتنا قصة (المسلم الثائر) عن فتح مكة من قبل المسلمين وبلاء (ابي نصير) في قتال المشركين بعد ان منحه الاسلام حريته وليس من فضل للمكاتب فيهما الا تسجيل التاريخ . وحدثتنا قصة (صفحة في زوايا النسيان) عن فتح العرب للاندلس ونزول طارق بن زياد في اسبانيا ، وحدثتنا (قصة الشاعرة ولادة وابن زيدون) عن عاطفة الحب العارمة التي نشأت بين ابن زيدون وولادة بنت المستكفي الخليفة الاندلسي ، وقد نقل المؤلف روايته عن كتب

(٤) انظر على سبيل المثال محمد طاهر توفيق (قصة يوسف) ص ١٢ ، ١٣

١٩ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ٤٢ .

الأدب كما وردت فيها . أما قصتنا (يوسف) و (ابراهيم) فقد
انتزعهما كاتباهما من الكتب الدينية ولم يغيرا فيما ورد فيهما شيئاً .
أما رواية (في الفرات الأوسط) فهي تسرد أحداث ثورة العشرين
كما راقبها المؤلف ونقل الأحداث كما هي بل ولم يغير حتى في أسماء
الشخصيات وكأنه يكتب تاريخاً لا رواية فنية . « ان الكثير منا لا زال
مائلًا في خيلته شخص الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ويوجد فينا من
شاهدها بنفسه واطلع على روحها وكيف رأى ان جنب كل مجاهد
صادق عشرة من المطففين » (٥) ومن ذلك قصة (فتاة العروبة) التي
تدور حول البطلة الجزائرية (جميلة بوحيرد) . كما أخذت أحداث
رواية (غادة بابل) من التاريخ العراقي القديم . وقد رأى المؤلف من
خلال قصة الحب التاريخية المشهورة بين (شميرام) و (شمسو) تاريخ
مدينة بابل والحالة التي كانت عليها في مجال الاقتصاد والسياسة
والاجتماع .

وتقف الرغبة في تعليم التاريخ عائقاً في وجه ترابط الحدث القصصي
وتسلسله اذ يفتح الكتاب كل رواية بتقديم وصف تاريخي وجغرافي
دقيق للمدينة التي تدور فيها الأحداث ، فتصف رواية (غادة بابل)
مدينة بابل وما فيها من قصور فخمة تزخر بالجواري والخدم وصفاً
دقيقاً كما تصف أسواق بابل ومن بينها سوق الزواج « . . . والسوق القائمة
في احدى ميادين المدينة كانت تعرض فيها البنات للزواج ، والسمسار
يصيح بصوت جهوري واصفاً جمال هذه وحسن تلك . . . ومن وقت

(٥) في الفرات الاوسط : ص ٥٤ وكذلك في الصفحات التالية : من .

٥٤ - ٦٢ ، ٨ - ١٤ ، ٤٠ - ٤٥ .

الى آخر كان ينادي معرفاً ثمن السياق - المهر - الذي يجب ان يدفعه الشاب الراغب في تلك الابنة الجميلة أو الباننة التي تدفع عن الأخرى الدميمة الصورة للشاب الراغب في زواجها ، وهناك رجل آخر يقبض مهر الجميلات ويدفع باننة عن الدميمات « (٤) . وتمضي الرواية في وصف مظاهر الحياة في بابل بصورة مسهبسة ، وكان مؤلفها يكتب بحثاً تاريخياً عن مدينة بابل ، فيصف طريقة استغلال الاراضي الزراعية وطريقة استملاكها - وطريقة المعاملات التجارية فيها ، ويصف الاحتفالات الدينية وغير الدينية وطريقة معالجة المرضى عن طريق الكهنة ، وايمان البابليين بالحرق كما يصف طريقة تجهيز الموتى ودفنهم (٧) . وتصف (قصة الشاعر ولادة . . .) مدينة قرطبة كما تصف رواية (سبي بابل) مدينة بابل أيضا .

وقد اعتاد هؤلاء الكتاب تصيد الفرص في صلب الرواية ليحدثونا عن معلوماتهم في حضارة العصر الذي تدور فيه الرواية ، فارضين هذه المعلومات على تطور الأحداث فيها ، فتحدثنا (قصة الشاعرة ولادة . . .) مظاهر الحضارة العربية في الاندلس ، وعن النزاعات الشديدة القائمة بين الامارات العربية (٨) كما ينقل الكاتب معظم شعر ابن

(٦) يوسف غنيمه (غادة بابل) ، مجلة لغة العرب ص ٢٥٧ عام ١٩٣٧ .
 (٧) المصدر السابق الصفحات على التوالي ٣٧ - ٢٨ ، ٥٤٤ - ٥٤٦ ، ٤٨١ - ٤٨٤ ، ٤٧٩ - ٤٨٠ ، ١٢٤ ، ١٢٣ ، ٢٠٨ - ٢١٢ مجلة لغة العرب المجلد الخامس عام ١٩٣٧ .

(٨) (قصة الشاعرة ولادة وابن زيدون) ص ٤١ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٦٠ - ٦١ ، ٦٤ - ٦٦ ، ٩٧ - ١٠٠ .

زيدون ، ومثل هذا الاستطراد نجده في باقي روايات هؤلاء الكتاب (٩) .
 وحتى عناوين الفصول في هذه الروايات تدل على المعلومات التاريخية ،
 وهي على سبيل المثال تشير على هذا النحو في رواية (سي بابل)
 (أينانا - كلكامش - زيبار - نوجل شراصر - نيادا - نبوزردان -
 انكيدو - نبوخذ نصر - فتح أورشليم) . ويربط الكتاب بين هذه
 الفصول المفككة بأن يتجهوا مباشرة الى القارىء ، وهي صورة من الصور
 التي يتكرر ظهورها في الأدب الشعبي « لنترك الفونس ومحاولة اليهود
 لجعله المطية الذلول لتحقيق اغراضهم ونعود الى فلورندا - ونحن الآن
 في غمرة ونشوة لنعود قليلا لنرى ماذا جرى لفلورندا - نعود الى روايتنا
 لنسدل الستار بعدما رأينا ابطالها يمرون على مسرحها ويغيثون في
 ظلام الاجيال الواحد بعد الآخر » (١٠) ويضاف الى ذلك ان عناوين
 هذه الروايات تكشف عن الهدف التعليمي فيها ، فمن الكتاب من
 اختار العناوين التي تشير الى التاريخ (أرينب - ابراهيم - قصة يوسف -
 سي بابل - قصة الشاعرة ولادة وابن زيدون - في الفرات الأوسط)
 ومنهم من ابرز الهدف القومي في العنوان (فتاة العروبة - صفحة في
 زوايا النسيان) ، واذا كانت رغبتهم في تعليم التاريخ أو في اثاره الوعي
 القومي قد اثرت في اختيارهم لموضوعات رواياتهم ، فانها قد اثرت في
 تطور الحدث كذلك وفي رسم الشخصيات ، فهم يختارون فترة تاريخية

(٩) انظر (فتاة العروبة) ص ١٣ ، ٥١ - ٥٢ ، ٧٢ ، (صفحة في زوايا
 النسيان) ص ١٤ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٥ (في الفرات الأوسط) ص ٥٤ - ٦٢ ، ٨ -
 ١٤ ، ٤٠ - ٤٥ .

(١٠) (صفحة في زوايا النسيان) ص ١٤ ، ٢٣ ، (فتاة العروبة) ص ٥٢ .

معينة ولكنها مضغوطة في حيز ليس واسعا ، ونلمس في الاحداث المنقولة عن كتب التاريخ ضعف الخيال او كفته ، وكثيراً ما تكون وحدة التأثير مفقودة ، والنسيج مخلخلاً لتوزع الحوادث واختلاف البيئات ، وقلّة العناية بابرار الحوادث المهمة ، وتنسيق الأحداث الصغيرة الى جانبها تنسيقاً فنياً بحيث يتدرج التأثير في شعور القارىء ، فيتابع العمل القصصي في صعوده نحو الذروة ، وفي انحداره منها الى الحل أو الى النهاية . ثم يختار الكاتب الشبكة وهي في الغالب واقعة غرام ، تاريخية مثل ولادة وابن زيدون ، وشميرام وشمسو ، وكلكامش ونيبارا ، وعبد الله بن سلام وارينب ، ويوسف وزليخة .

ولا يعتمد المؤلفون على المصادفة والمغامرة في هذا الجانب ، لأن الشخصيات التي تمثل الجانب الغرامي شخصيات تاريخية ، ولأنهم يكونون في هذه الحالة محكومين بالاحداث التاريخية ، ولا يستطيعون تجاوزها .

ويبني هؤلاء الكتاب العقدة في رواياتهم على الأساس التاريخي الذي ورد في كتب التاريخ ، وقد يلجأ بعضهم الى السر في تعقيد الحدث ، وهو عنصر هام من عناصر التشويق ، فيأتون بمسألة خفية أو شخصية غامضة ويماطلون القارىء ويشوقونه الى اكتشاف الحقيقة والبحث عن السر . فكلكامش لا يعرف انه ابن الكاهن الاعظم الذي يقف في طريقه الا في نهاية الرواية . وولادة لا تعرف أن ابن زيدون ما زال يحبها حتى يخبرها ابن عبدوس بمؤامراته لتفريق الحبيبين في نهاية الرواية ايضاً (١١) . اما شخصياتهم ، فشخص تاريخية في الغالب ، وهذا يعني ان لها قبل ان

(١١) انظر (سبي بابل) و (قصة الشاعرة ولادة وابن زيدون) .

يختاروها ويصوروا ملاحظها لدى الناس ، ولهذا فهم لا يجدون الحاجة لبنائها داخل الحدث القصصي . وتنطلق ظلالها التي رسمها التاريخ في الأذهان في حنايا الرواية بمجرد ذكر اسمها ، مثل شخصية ولادة وابن زيدون ، وورسف وزليخة ، وابراهيم وهاجر ، وكلكاش ، وانكيدو ، ونبوخذ نصر والحسين ، ويزيد ، وطارق بن زياد . فاذا ما اضطر الكتاب الى تكوين بعض الشخص لضعف شهرتها التاريخية ، لم يخلقوها من الخيال ، بل يعتمدون الى صفاتها المشهورة والى نصوص التاريخ فيضفونها عليها مثل : عبد الله بن سلام ، وابن عبدوس ، وأبي نصير (١٢) .

ان امانة الصور في هذه القصص تكاد تجعلها شيئاً من التاريخ ، أما الخيال فيظل ابعد من أن يعس الحقيقة التاريخية . وعمل الكتاب هنا يتمثل في أن يهيئوا الجو وينسقوا الحوار ، أما الشخصية والحدث التاريخي فهما فوق الخيال . لذا نجد شخصياتهم تعرف ادوارها ، وهي مجبرة على القيام بها ، غير معني بها العناية الكافية ، فلا تشعر انها مخلوقات حية تتحرك على الورق كما تتحرك في واقع الحياة . وهم يميلون الى النماذج الثابتة التي تمثل صفة انسانية واحدة كالشجاعة والاخلاص ، والخبث ، والكرم او الجبن او البخل .

واذا كانت شخصيات هؤلاء الكتاب تتشابه في خطوطها العريضة ، وفي قشرتها الخارجية ، وتصرفاتها ، فانها تتشابه أيضاً في اخلاقها ، فشجاعة أبي نصير هي نفس شجاعة طارق بن زياد ، وخبث ابن عبدوس هو نفس خبث الكاهن الأكبر . واخلاص أرينب لزوجها عبد الله بن سلام

(١٢) انظر الروايات التالية : أرينب ، قصة الشاعرة ولادة ، المسلم

الثامن .

هو نفس اخلاص فلورندا للمفونس ونيبارا لكلكامش .
 ومؤلفو هذه الروايات يقدمون الشخصية للمقارىء كاملة أو شبه
 كاملة عند ظهورها على مسرح الرواية لأول مرة ، فيضعون قشرتها الخارجية
 واخلاقها ويسردون أعمالها ويرددون اقوالها وقل أن يعودوا الى رسمها
 بعد ذلك « خرج ذات يوم ابراهيم من مخبئه وعمره آنذاك ثلاث عشرة
 سنة ، فنظر الى آثار قدرة الله تعالى في السماوات والأرض ، وشاء الله ان
 يلفت نظر ابراهيم الى آيات الكون ، ليكون من المؤمنين وهكذا كان
 ينظر الى آيات الله تعالى حتى قربت الشمس الافول ، فلما جن عليه الليل
 رأى كوكباً في السماء وكان كوكب الزهرة ورأى ان جماعة من الناس
 يعبدونه ويخضعون له فتعجب من فعلهم هذا وقال مستنكراً عبادتهم
 للكوكب : - هذا ربي ، ونظر اليهم في صمت - لكن كان يتحين الفرصة
 للرد عليهم ، فلما غرب الكوكب واختفى عن الابصار ، توجه الى
 اولئك الذين كانوا يعبدون الكوكب وقال لهم : لا احب الآفلين (١٣)
 ولعلمهم تأثروا في ذلك بروايات جرجي زيدان التاريخية .
 ويختلف أسلوب هؤلاء الكتاب باختلاف الكتاب ومقدرتهم اللغوية
 فمنهم من كتب بأسلوب ضعيف ركيك كما لاحظنا في المقطع السابق ،
 ومنهم من كتب روايته بأسلوب رصين قوي وهي اشبه شيء بنجم
 الصباح المتلألئ في الافق : ربيعة القوام ، عيلة الساعدين ، رخصة
 الجسد ، لدنة المعاطف ، حوراء البشرة ، دعجاء وطفاء ، شعرها أسود حالك
 مثل . . (١٤) .

(١٣) (ابراهيم) ص ٢ - ٣ .

(١٤) (المسلم الثائر) ص ٧ - ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٥ - ١٨ ، ٢١ ، ٢٥ ،

٣٠ ، ٤٤ - ٤٦ ، ٥٠ .

ولكن الاسلوب الصحفي البسيط يغلب عليهم ويكثر في كتاباتهم
تضمنينهم لآيات من القرآن الكريم (١٥) او آيات من الشعر (١٦) كما
يكثرون من الاوصاف والذمات عند وصفهم لشخصياتهم « الما جن الخليع
اللعب ، المتهتك الخليع ، اللعوب المتهتك ، وعلى الحسة والوضاعة في
النفس والعمل (١٧) -- على سبيل المثل -- او يلجأون الى اوصاف في
غير محلها (وشعر اسيل فاحم) ليرقصا امام اصبع شروق الشمس الوردية ،
تنهب الخطى بسيرها السهمي (١٨) ولا يخلو اسلوبهم من ركافة واخطاء
لغوية (١٩) . من شفيتها المحمراوتين (٢٠) .

واذا كانت نزعة هؤلاء الكتاب التعليمية قد أثرت في الحدث وفي
تطور الشخصية وفي الأسلوب ، فانها قد اثرت في الحوار أيضاً ، فمادام
اهتمامهم موجهاً اولاً الى تعليم التاريخ ، أو استنهاض الهمم ، أو نشر
الروح القومي وليس الى الكشف عن طبيعة الشخصية ، أو ربط الاحداث

-
- (قصة يوسف) ص ١٢ - ١٣ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٨ ..
٤٢ . (ابراهيم) جميع صفحات القصة .
(١٥) (غادة بابل) مجلة لغة العرب ص ٣٥١ المجلد الخامس عام ١٩٣٧ .
(١٦) (قصة الشاعرة ولادة) ص ١٨ - ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ - ٣٣ .
٣٦ - ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦ - ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٠ - ٦٢ ، ٦٦ ، ٧١ ، ٧٣ .
٧٦ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٩ ، ٩٧ - ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧ .
(أرينب) ص ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٤ .
(غادة بابل) ص ٢٨٧ .
(١٧) (في الفرات الأوسط) ص ٣٠ .
(١٨) (أرينب) ١٦ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٦١ .
(١٩) (في الفرات الأوسط) ٢٣ ، ٣٤ (ابراهيم) ١٢ .
(٢٠) (في الفرات الأوسط) ٢٣ .

بعضها ببعض ، فأنهم لذلك يفضلون استخدام الحوار ، ويعمدون الى السرد في اسلوب سهل مبسط ، أقرب الى الأسلوب العلمي ، الذي يفيد القارئ ويوصل اليه معلوماته ، كما بينا سابقاً .

و حين يلجأون الى الحوار ، فان الشخصيات في رواياتهم لا تعبر بالحوار عن نفسها ، وانما تنقل عن طريق المعلومات التاريخية . وحين تختلف طبيعة الحوار ، فان هذا الاختلاف ينبع من طبيعة المصادر التاريخية التي يستمد الكتاب منها معلوماتهم ، فقد جعل محمد حسن النمرى في روايته (في الفرات الأوسط) شخصياته تتكلم العامية عندما تكون هذه الشخصيات امية ، مثل الحوار الدائر بين الضابط الانجليزي و (الشيخ باهظ) ، عميل الانكليز ضد بني قومه في ثورة العشرين في العراق ، لأنه اراد ان يصور الواقع كما هو :

« انا يريد اسألك يا شيخ باهظ .

- تفضل مولانا .

- أشلون الشيخ محمد نزال .

- والله شكولك يا حضرة الحاكم .

- هذا شلون ما يواجه حكومة ولا يجاوب على مكاتيب مال

حكومة » (٢١) .

بينما ينزع غيره الى الاسلوب الفصيح في الحوار ، ومنهم من يستعين بالشعر (٢٢) ، مثل حسين دوره الكافلي في (قصة الشاعرة ولادة وابن زيدون) .

(٢١) (في الفرات الأوسط) ١٨ - ١٩ .

(٢٢) (قصة الشاعرة ولادة) ص ١٨ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٧ - ٣٠ ، ٢٢ -

اما كتاب القسم الثاني للرواية التاريخية في العراق وهما سليمان
 صائغ في روايته (يزدان دوخت) وشعبان رجب الشهاب في روايته (سلمى
 التغلبيّة) فقد عتيا بالعنصر القصصي عنايتهما بالعنصر التعليمي، وغدا
 العنصر القصصي خادماً للمنصر التعليمي. وهذا المقطع من المقدمة
 الطويلة التي قدمها الصائغ للرواية تدل على ذلك «حقائق تاريخية،
 قد كشفت عن أسلوب لطيف جذاب فسدتكم بذلك فراغاً واسعاً وسهلتم
 لمسيحيي هذه الأزمان معرفة ماضى مجادهم الدينية علمهم يندفعون بذلك
 الى احياء معالم مجيدة دثرتها حدثان الزمان وصروفه فيما سلف . . . وهي
 في الوقت عينه نظرة في تاريخ تأسيس النصرانية وجهادات في تلك الأوضاع
 مع وصف لأحوال العراق وشعوبه . . . وهي كتاب تاريخي أخلاقي
 اجتماعي يتناول حوادث ما بين النهرين وتاريخها . . . وقد سدت هذه
 الرواية بل هذا التاريخ ثلثة في تاريخ العراق عن العصر الذي سبق
 الاسلام، ويقرأ مطالعها اخلاقاً وأدباً سامية ووصفاً للمدن وأفراد التاريخ
 والعادات في تلك الأيام مما لا يجده في كتب أخرى وبأسلوب شيق جذاب
 أزر الخيال فيه التاريخ» (٢٢).

ويلتقي هذان الكتابان في ذلك ويختلفان عن كتاب الرواية التاريخية
 في الغرب الذين يرون ان التاريخ خادم للفن، أما هما فيجعلان الفن
 خادماً للتاريخ.

٢٢، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٥٤، ٥٦، ٥٠، ٦٠، ٦٢، ٦٦، ٧١ -
 ٧٣، ٧٦، ٨٠، ٨٤، ٨٢، ٨٩، ٩٧، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٨، ١١١، ١١٤، ١١٦ -
 ١١٧.

(٢٢) سليمان صائغ (يزدان دوخت) المقدمة أ، ب، ت.

وكان هدف الكاتبتين من كتابة روايتيهما ، الى جانب الهدف التعليمي ،
الدعوة الى عقيدة دينية . فقد دعا سليمان صائغ الى المسيحية بينما دعا
شعبان رجب الى الاسلام والى احيا . عصور الادب العربي والابحاد عن
طريق التاريخ للمعزة القومية .

وقوام رواية سليمان صائغ (يزدان دوخت) صراع واسع النطاق بين
المسيحية والوثنية . وقد وضع المؤلف هالات مثالية حول الأديرة والرهبة .
بينما وضع الساسانيين في اطار القساسة الظالمين ، كان الملوك يخاصمون
الأمرء الذين يظهرون عليهم العصيان بالسجّل فينزعون بعناية تقشور
منها الأبدان بصب الزيت المغلي في العينين أو بادخال ابرة كبيرة محمية
بالنار في زاويتي العين (٢٤) .

وقد كتب المؤلف في نفس الموضوع ، ولغرض تعليمي هو الدعوة الى
العقيدة المسيحية ، قصته الاولى (على عهد طيبايربوس) ونشرها في مجلة
النجم التي أصدرها في الموصل عام ١٩٣٠ ، وهي قصة دينية ، كما كتب
قصة (الثبات حتى الموت) عام ١٩٣٢ ونشرها في المجلة نفسها . وهي
تدور في نفس الاطار الديني أيضاً . تروي القصة الاولى انبثاق فجر
المسيحية في اورشليم ، بظهور المسيح وانتشار دعوته في ارجاء الامبراطورية
الرومانية ، أما القصة الثانية فتروي انتشار الدعوة المسيحية في ارجاء
بلاد فارس ، والصراع الشديد بينها وبين الوثنية . وقد تأثر المؤلف في
خلق الموضوع الغرامي بين (يزدان دوخت) و (ساسان) في روايته
بالقصص الشعبي التقليدي والقصص المترجم ، من مغامرات خيالية ينتقل
البطل خلالها من مكان الى مكان آخر وراء صاحبه حتى يشرف الموضوع

(٢٤) (يزدان دوخت) ص ٩٦ .

التاريخي على غايته فيلقاها ، وكان المؤلف اراد أن يقدم للمقارئ التاريخ من ناحية والقصة الغرامية التي تسليه وتجذبه الى قراءة التاريخ من ناحية أخرى ، فلم يتجه الى التعليم الخالص ، وجعل التسلية في خدمة العلم . ولعل اهتمامه بالقصة التاريخية يرجع الى دراسته الدينية ، فقد كان آنذاك قسيساً ، وكتابه عدة مسرحيات تاريخية (يوسف الصديق - الزباء - الامير الحمداني - يمامة نينوى وسميراميس) يرجع الى اهتمامه بالتاريخ ، وتأليفه كتاب (تاريخ الموصل) وتأثره بقصص جرجي زيدان التعليمية قد دفعه الى تقليدها .

وقد ساعده اختياره هذا الموضوع - موضوع الصراع بين العقيدة المسيحية والوثنية الفارسية - وسهل مهمته في الجانب القصصي لعمله ، لأنه قدم له الحوادث المتنوعة والمغامرات ، كما قدم له الشخصيات الخيرة والشريرة التي استغلها في روايته الغرامية . والرواية مزيج من المخاطرات والمغامرات ، والوصف الواقعي وغير الواقعي للأخلاق والعادات والمواقف العاطفية ، في اطار تاريخي . وهي تصور لنا مجتمعاً خاصاً ، في فترة من فترات التاريخ ، وأشخاصاً لهم وجودهم الحقيقي (يزدان دوخت - ساسان - مارشمعون - طيماي - افرام النصيفي - مارميلس) وأشخاصاً آخرين من نسج الخيال : (منسي - باعوت - الموبيد - بهمان) . ونجد في هذه القصة خروجاً على اصول السرد القصصي في مواضع كثيرة ، لأن الكاتب يهمل ايراد التفاصيل التاريخية والدعائية للعقيدة المسيحية اكثر مما يهمل احكام الخيال في خلق صور حية لذلك المجتمع ، وتكاد الرواية تخرج من بين يديه عرضاً تاريخياً جافاً ، وكان رسالة الصحافة (٢٥) في حرصها على

(٢٥) كان رئيساً لتحرير مجلة النجم التي صدرت في الموصل في أواخر

الإصلاح الاجتماعي ، ومهنته ككاهن تملك عليه قلمه ، حتى في هذا الفن فزاه يحشو الرواية بالمواعظ (٢٦) والنصائح . كما انه يسرف في ايراد التفاصيل التاريخية والجغرافية (٢٧) . وكثيراً ما يشير في هوامش الصفحات الى المصادر التي اخذ منها احداثه (٢٨) ويعتمد المؤلف على العنصر الغيبي أو عالم وراء الطبيعة (اشفاء مارمبلس لساسان من مرضه الخطير - معجزات القديس افرام النصيبني ومارش.عون) ولكنه في غير أعمال القديسين ، يلتزم بالواقع ويرسم في روايته التاريخ في صورة مكبرة ، تجمع اهم المظاهر يوشىها بما يشوق القارئ الى مطالعة التاريخ ، واستطلاع أحوال الفترة ، أو التعرف على عادات الأمة وتقاليدها التي تحيط بالوقائع .

ويستعين بالمصادفة لكي تعينه على ربط المواقف أو حل العقد العشرينات واستمرت في الصدور حتى الحرب العالمية الثانية ثم توقفت عن الصدور في الخمسينات ثم توقفت بعد سنة من صدورها .

(٢٦) (يزدان دوخت) ٢ - ٤ ، ٥١ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٨٠ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣٢٠ ، ٣٢٤ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٢ ، ٤٦٢ ، ٤٦٩ ، ٤٧٤ ، ٤٧٦ ، ٤٨٤ ، ٥٠٠ ، ٥٠٧ .

(٢٧) المصدر السابق ص ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٤٣ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٨٦ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٢٤ ، ٣٣٥ ، ٣٤٣ ، ٤٦٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ .

(٢٨) المصدر السابق ص ٧٣ ، ١٠٤ ، ١٦٠ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٦٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٩ ، ٣٩٢ ، ٤٠٣ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٨ ، ٤٦٠ ، ٤٦٢ ، ٤٧٦ ، ٥٠٠ ، ٥٠٤ ، ٥٠٦ .

(اكتشاف جان ان بتاوفيل اخوها - اكتشاف ساسان ان جان أم
يزدان دوخت - اكتشاف يزدان دوخت ان امها على قيد الحياة - اكتشاف
يزدان دوخت ان باعوث صديقة امها) وهذا الاعتماد يضعف بجانب
الابداع في الرواية ويدل على ضعف الحاسة الفنية عند الكاتب ، فتهافت ،
وتبرد حرارتها ، وتبرز الصنعة المهلهلة فيها . وتناجح عناوين النصول
في روايته بين دلالتها على المعلومات التاريخية والدلالة على الحدث القصصي ،
وهي تسير على هذا النحو « تحت أسوار العاصمة - السيف - كنيسة
كوخي - البطولة الانجيلية - المرزبان المسيحي - فندق اربل » .

ويربط بين فصول روايته ، بأن يتجه مباشرة الى القارىء على هذا
النحو « لا يخفى على القارىء اللبيب انه في الأجيال الأولى للمكنيسة -
نعود الى روايتنا لنسدل عليها الستار بعد ما رأينا أبطالها يمرون على
مسرحها ويفييون في ظلام الأجيال الواحد بعد الآخر » (٢٩) .

أما شخصياته التاريخية والموضوعة فيعرضها بطريق الوصف والتحليل ،
ولكن الوصف والتحليل لا يبعثان فيها الحياة حتى تحيي في الرواية ،
ولا ينجح الحوار في اكسابها أبعاد الحياة ، لأن الكاتب يريد الوصف
وسرد التاريخ ، دون ان يسهى الى التحليل الكامن وراء التاريخ .
وشخصياته تكاد تكون نماذج في الجمال أو العقل أو الرجولة أو الاخلاص ،
أو ما هو مناقض لهذه الصفات . وهذه الشخصيات لم تتطور عنده ، بل
ظلت طوال الرواية كما عرفناها منذ البداية ، عدا شخصيتي (يزدان دوخت
وساسان) فقد كانت الحوادث المتعاقبة عليهما تلقي أضواء على جوانبها
المختلفة .

أما أسلوبه فهو أسلوب بسيط خال من الشاعرية والجمال ، ولكنه خال من الأخطاء اللغوية او الاملائية في الوقت نفسه ، وهو يهمل وصف المناظر والاحداث ، واذا اضطر الى شيء من ذلك ، فانه يوجزه ويمر به مروراً سريعاً ، واذا أطال فيه بهتت ألوانه . ولا يستغرب ذلك من الصائغ وهو عالم مؤرخ يهتم بالحقائق ولا يؤمن بالخيال .

وحين تقدم شخصياته في حوارها شيئاً آخر غير المعلومات التاريخية ، فانها تعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ، فالخادمة المسيحية تجيب بزناندوخت - وقد أدركت انها وثنية « حورب المجد سيدنا يسوع المسيح اله السلام والمحبة ، نعم لم يكن يسوع المسيح اخوه لكنه لما أراد ان ينتشل البشرية من شقائها السحيق شاء أن يستنصر بؤساء الارض وان يؤثرهم على اغنياء العالم وعظمائه وأن يسميهم اخوته فأوصى بهم وانذر بعذاب اليم لمن امسك عنهم حنانه فقال مكنياً اياهم بشخصه : كنت مريضاً فلم تعودوني وغريباً فلم تأوونني ومحبوساً فلم تزوروني وعرياناً فلم تكسونني وجائعاً فلم تطعموني وعطشاناً فلم تسقوني . وللتصريح بهذه الكناية كان الجواب : يا رب متى كنت مريضاً او غريباً او محبوساً او عرياناً او جائعاً او عطشاناً ولم نخدمك ؟ فيجيب مؤكداً القول : الحق اقول لكم بما انكم لم تفعلوا هذا بأحد اخوتي هؤلاء الصغار فلا بي فعلتموه اذهبوا الى النار المؤبدة » .

ونحن لا نرى فارقاً بين مثل هذا الحوار الذي يأتي على لسان الشخصية ، وبين تعبير (سليمان صائغ) عن آرائه على لسانه شخصياً « فبينما كانت الوثنية تستخدم القوة والقسوة المقضاء على مزاحمتها المسيحية كانت هذه الاخيرة قد اكتفت بشباتها قوة وسلاحاً ، وماذا يقوى

على الثبات اذا سائده الحق؟ وزادت على الثبات فضائلها التي سحرت
الألباب واصطادت العقول من بين جماهير الخرافات القاصية حتى اضطر
ابن الوثنية في نهاية هذا الصراع ان يحني رأسه اجلالاً لديانة ساوت
بين ضعيف وقوي وعبد وسيد ونادت بشريعة محبة سامية ورفعت من
معجم الاجتماع كلمات الشحناء والعداء والبغضاء والحسد والاثرة...» (٣٠).
وتدل رواية (سلمى التغلبيية) أو قصة (الفتح الاسلامي لتكريت)
١٩٤٩، من اسمها على أن موضوعها يدور حول فتح المسلمين لمدينة
تكريت، والحالة التي كانت عليها المدينة قبل الفتح الاسلامي (٣١)
وقد استغرق وصف تكريت، وانتشار المسيحية فيها، أكبر جزء منها،
ولم يترك الكاتب لاحداث الفتح الاسلامي الا الثلث الأخير فقط (٣٢).
يبدأ المؤلف روايته بالحديث عن (ماروتا) الذي ينزح من قريته
في شمال العراق بعد ان فقد والديه، ليضرب في الارض، وقادته المطاف
الى دير قرب الموصل فانضم الى رجاله، وبرز في مجال العلم والفلسفة،
فما دفع رئاسة الكنيسة الشرقية الى جعله رئيساً للكنيسة الخضراء في
تكريت، فسمى وجد في نشر الديانة المسيحية في ارجاء العراق وسجستان،
ساعده في ذلك أمراء تكريت (عامر) أمير تغلب (وسطيح) أمير
أياد. ويخلق الكاتب من هذين الشخصين ندين متنافسين على الامارة،
والحصول على الالقاب والاستيلاء على قلب (سلمى التغلبيية) التي تزف
الى (عامر)، بما يوغر قلب سطيح عليه، فيكيد له، ويمعمل على قتله

(٣٠) المصدر السابق ص ١٩٤، ٥٠٦.

(٣١) (سلمى التغلبيية) ص ١ - ١٦٨.

(٣٢) المصدر السابق: ١٨٦ - ٢٤١.

أثناء نهره للديانة المسيحية في أرجاء سمجستان باثارة (النساطرة) اعداء الكنيسة الشرقية ضدّه، ولكن عامر يسخر من محاولاته، ويعبّط بمؤامراته، ويكشف دسائسه، وينتصر في النهاية ويقربه (ماروتا) اليه، بما يدفع سطّيح الى الاستعانة (بالكاهن مارين) الذي يحقد شديد الحقد على ماروتا، ويظهر له غير ما يبطن، ويستطيع سطّيح بفضل دسائسه ومكره ويساعده مارين ان يحصل على لقب (حامي الكنيسة) بما يوغر صدر (عامر) فيميل الى الانهزال عن مجتمّع تكريت وينصرف عن الكنيسة رغم لوم زوجته سلمى له.

وعندما يحاصر المسلمون تكريت بقيادة (عمرو بن جنيد) يدخل الايمان في قلب (عامر) بمد رؤيته حليماً يدعو فيه المسلمون الى الاسلام، ولما يشاهده من صدق العرب واخلاصهم في دعوتهم. وعندما يجتمع القائد العربي بماروتا، يخيره بين الاسلام أو دفع الجزية. ويتعاون عامر مع المسلمين على وقف اراقة الدماء، ويفتح لهم ابواب المدينة، بعد أن يتسلم قيادة الجيش في تكريت. وينصبه المسلمون حاكماً على المدينة، بعد أن يعلن اسلامه. أما غريمه سطّيح فيختطف سلمى بعد أن يقتل والدها، ثم يعثر عليها عامر بعد مغامرات طويلة ويعيدها الى حضيرته، وتعلن هي الاخرى اسلامها، ويعلن اكثر سكان تكريت اسلامهم ويدفع الآخرون الجزية، ويبقى ماروتا رئيساً للكنيسة الخضراء. ينفذ الكاتب من خلال هذه الاحداث الى رسم صورة للمجتمّع تتضح من خطوطها ملامح الحياة الاجتماعية في (الجزيرة) في ذلك الحين، فالصراع قوي بين الكنيسة الشرقية والنساطرة، والتعصب الطائفي وسوء الادارة سائدان. ولا تسلم هذه الصورة من المبالغات والالوان الغاقمة

والمواعظ الطويلة (٣٣) « لعدم اعترافي بما يقرب به الناس ويعترفون من وجود الحواجز بين ناس دون آخرين تلك الحواجز هي حواجز الأفضلية بالرتب والمنازل والالقباب التي خلعتها المادة وتبعتها الفطرية فوهبتها الانانية وحب الذات وأكملت نضجها ونموها الاغراض والمقاصد الشخصية التي ترمي الى الحكم في رقاب العباد والتصرف بأموالهم وحررياتهم ويا لبت انها ألقاب ورتب وأفضليات تنال عن كفاءة ومقدرة . . » (٣٤) والاطار العام الذي يضم الحوادث هو الاطار الرومانسي القائم على المخاطرات ، والهدف في الرواية وصف للمعارك والبطولات المربية ، وتشيع فيها روح البطولة منذ البداية ، ثم تزداد اتساعاً وانتشاراً حتى تملأ الجو كله ، واذا بنا نعيش في بيئة يمتاز أهلها عن الناس الذين نعيش معهم .

وتمزج الرواية بين الحياة المربية الخالصة والحياة الفارسية ، ثم هي تصور للمثل الاعلى من التقاء العقيدة المسيحية بالعقيدة الاسلامية . وقد اضطر اتساع رقعة الرواية الكاتب الى الاسراع في عرض الحوادث ، والى التلخيص والحذف في بعض الاحيان ، مما أفقدها تناسقها وانسجامها ، ولاسيما في الثلث الاخير منها وهو الخاص بالفتح العربي لتكريت . ولا يجد المؤلف من ضرورة لوصف أو تحليل ، الا ان كان ذلك للتاريخ - فالمناظر عنده اطارات تاريخية تصف المدن والآثار (٣٥) ، وتحليل الشخصيات لا يعدو أن يكون تاريخاً لحوادثها ، فاذا وقف عند

(٣٣) سلمى التقلبية ٨٩ - ٩٠ ، ١٧١ ، ٩٦ ، ١١٣ - ١٢٠ - ١١١ .

(٣٤) المصدر السابق ٨٩ - ٩٠ .

(٣٥) سلمى التقلبية : ٣٧ - ٤٦ ، ٩٦ - ٩٧ .

أمر ، فليقدم درساً في التاريخ (٣٦) . ولهذا السبب كانت الصدفة تلعب دوراً هاماً في روايته وتقدم لنا عدداً من المواقف « حلم ماروتنا أثناء خروجه من قريته بعد وفاة والديه - لقاء سطيج لسلمى في الكنيسة - اجتماع عامر ويمبلوس - حلم عامر بفتح العرب لتكريت - حصار تكريت مباشرة بعد رؤية عامر الحلم » . ولهذا ايضاً كان انكثير من احداث الرواية مفككا ، لان المؤلف أراد ان يجمع في روايته كل المعلومات التي أخرجها من بطون كتب التاريخ وقد استطاع المؤلف ان يتحدى الوقوع في الخطأ الذي وقع فيه اكثر الروائيين العراقيين ، كما رأينا على سبيل المثال في (قصة الشاعرة ولادة وابن زيدون) وهو جعل الشخصيات التاريخية الشهيرة الابطال الرئيسيين في الرواية . وبهذا تمكن المؤلف من ان يستعمل التاريخ من غير ان يحماه اكثر مما يحتمل . ولم يعن المؤلف بشخصياته ، لذلك ظلت رغم ما ألقى عليها من ظلال التاريخ والحوادث ، دمي لا شخصيات حية . (فسلمى) بطلة الرواية تشبه في حبها وشكواها اي انثى أخرى تحب وتشكو ، و (سطيج) في حقه يشبه اي عزول آخر ، و (عامر) الذي حاول ان يجعل منه المؤلف بطلا قومياً ظلت بطولته سطحية لا تتعدى نشر الدين المسيحي ، و قتال اللصوص ثم فتح أسوار المدينة للمعدو وانقاذ الحبيسة .

وقدم لنا الشخصيات جاهزة ، توجز صفاتها في بضعة سطور ، وتستمر على هذه الصفات أثناء وجودها في العمل القصصي . والتفاعل بينهما وبين الحوادث فاطر ضعيف ، كأنها تسير وحدها مستقلة لا تلتفت يميناً

(٣٦) المصدر السابق : ١٩٥ - ١٩٦ ، ٢٠٢ - ٢٠٣ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٩ ،

٢٣٠ ، ٢٣٩ - ٢٤٠ .

ولا شمالاً ، ولا تتأثر بالأحداث أو تؤثر فيها ، وعلى الاخص شخصيتي
(سلمى وماروتا) .

ويسوق المؤلف روايته هذه بأسلوب بسيط سليم خال من الأخطاء
اللغوية ، وبالرغم من أنه يعطي الرواية طابع الحديث والوصف والحوادث
الجارية ، إلا أنه يحرص دوماً على أن تأتي روايته بحثاً تاريخياً ايضاً ،
فهو يفي للتاريخ كل الوفاء ، ولهذا تنشر الحواشي في ذيول الصفحات ،
مشيرة الى المصادر التي استعان بها في استخلاص أحداث روايته أو
أوصافها (٣٧) . وقد يلجأ الى النبرة الخطابية في سرده الرواية اذا ما
اعترضه موقف حاسم ، أو اذا ما أبدى فكرة أو أراد الدعوة الى عقيدة
معينة (٣٨) ، أو لغاية تعليمية (٣٩) « يا حمّة القلعة ؛ لا تكونوا
مكابرين في قتلكم فتطرحوا بحياتكم وتلقوا بأنفسكم في مهاوي الهلاك
والدمار فان كنتم تحرصون على حياتكم وسلام قلعتمكم واموالكم وعقيدتكم
فاقبلوا بعد الاستسلام احد الأمرين اللذين بهما سلامتكم وحررتكم
الاسلام أو الجزية » (٤٠) .

ووجه الشبه بين الكاتبين في روايتيهما تصوير انتشار المسيحية في
العراق كما اسلفنا عند كلامنا عن الروايتين ، وفي أن الحقيقة التاريخية
في حد ذاتها تسبق عندهما الخيال ، ويأتي التخيل في طريقة العرض

(٣٧) سلمى التغلبيّة : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٦٢ ، ٦٨ ،

٨٨ ، ١١٥ ، ١٥٣ ، ١٦٠ ، ٢٠٠ ، ٢١٨ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(٣٨) المصدر السابق ، ١١٤ - ١٢٠ ، ١٤٧ - ١٤٨ ، ١٧٨ - ١٧٩ ، ٢٢٦ .

(٣٩) المصدر السابق : ١٩٢ - ١٩٣ ، ١٩٧ - ٢٠١ .

(٤٠) المصدر السابق : ٢٢٦ .

وتصوير واقع الماضي البعيد . اما الوقائع فكثيرا ما تأتي النصوص التاريخية نفسها ، لتتحدث بها الرواية وتثبت المراجع في الهوامش والذبول (٤١) ، وليس التاريخ فيها اطاراً تصب فيه الحياة الدافقة كما هو الامر عند ديماس ، ولكنه النسيج الحي العميق ، كما تتأثر في رسم المكان والجو القصصي « على بعد ثلاثة وأربعين فرسخاً من الموصل الى الجنوب تقع مدينة تكريت وهي تطل على نهر دجلة من الجهة اليمنى من فوق جبل لا يتجاوز الخمسين متراً في الارتفاع مشادة على بضعة تلال تتخللها وديان منخفضة تنحدر نحو النهر بصورة تدريجية وبيوتها متلاصقة الى بعضها مما ادى الى ضيق الشوارع » (٤٢) . وقد وصف الصانع كذلك مدينة (المدائن) التي تقع فيها احداث روايته جنوبي بغداد عاصمة العراق على مسافة عشرين ميلاً بناء ضخم يشغل مكاناً فوق الرمال نحو ٣١٢ قدماً ويبلغ ارتفاعه نحو مئة قدم ويمر في وسطه ممشى فسيح يبلغ عرضه ٣٨ قدماً . ذاك (طاق كسرى) او بقية المدائن الذي شهد جيوش الاسكندر وعظمة الغربيين ولبت شاهداً جامداً يدل بصمته المتوحش على ابهة الدول الساسانية (٤٣) .

(٤١) (يزداندوخت) الهوامش ص : ٧٣ ، ١٠٤ ، ١٦٠ ، ١٦٨ ،

١٧٢ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٨ ، ٢٢٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٦٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٣٩٢ ، ٤٠٢ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣١ ، ٤٦٠ ، ٤٧٦ ، ٥٠٠ ، ٥٠٤ ، ٥٠٦ .

(سلمى التغلبيية) ص ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٦٢ ،

٦٨ ، ٨٨ ، ١١٥ ، ١٥٣ ، ١٤٠ ، ٢٠٠ ، ٢١٨ ، ٢٢٩ ، ٢٢٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(٤٢) (سلمى التغلبيية) ص ٥

(٤٣) يزداندوخت ص ١١ - ١٥ .

وقد تحدث الكاتبان عن أكثر من مدينة ، لأن أحداث روايتهما تدوران في أكثر من مدينة . فقد تحدث شعبان رجب عن مدينة (شوزرق) (٤٤) ثم تحدث عن (تكريت) بعد أن انتقل إليها (ماروتا) أحد أبطال الرواية كما تحدث عن (سجستان) . وتحدث الصائغ في أول الأمر عن (المدائن) ثم حدثنا عن مدينة (أربل) كما حدثنا عن (نصيبين) بعد أن أسرف فيها (ساسان) بطل الرواية . ويعترض الكاتبان أحداث الرواية ليحدثانا عن معلوماتهما في حضارة العصور التي تدور فيها روايتهما (٤٥) ؛ وقال هذا واطرق برأسه المكمل بالشيب والجميع في هيبة وسكوت ، ولا بد لنا أن نعرف القارىء بأردشير .

إن الدولة الساسانية كانت في العصر الذي نحن فيه تنقسم إلى أقطاعات يحكم كل أقطاعية شطر دار - أمير الدولة - ويدعى عندهم صاحب الأقطاعية أو الملك ، وهذا هو السبب في تسمية العاهل الساساني بملك الملوك (٤٦) .

ويقوم الجانب القصصي في روايتي الكاتبين على علاقة غرامية بين بطل خير بصورة مطلقة وبطلة خيرة يحبها وتقوم العقبات والدسائس والمؤامرات بينهما ، فيقف الموبيد بمكره وحيله حائلا بين يزدان دوخت

(٤٤) وصف للمدائن : مدينة دهوك الحالية في شمال العراق .

(٤٥) انظر (سلمى التغلبيية) ص ٢٧-٤٦ ، ٥١-٥٢ ، ٩٦ ، ١١٣ ، ١٢٠ ، ١٩٥

١٩٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ - ٢٣٩ ، ٢٤٠ (يزدان دوخت)

ص ٢٩ ، ٨٩-٩٢ ، ٩٤-٩٥ ، ٩٦ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٨٦ .

(٤٦) يزدان دوخت ص ٦٩

وساسان ، كما يقف سطیح حائلا بین سعادة عامر وسلمى التغلبيية .
وحین ینتهي المؤلفان من الاحداث التاريخية یكونان قد انتہیا أيضاً من
هذه العلاقة الغرامية .

وتتجه روايتا صائغ والشهاب الى تشويق القارئ واثارة فضوله
ليتتبع الحوادث التاريخية بادخال المفاجآت والمصادفات التي تؤدي الى
تعقيد الحادثة الرئيسية ثم تحلها . وذلك مثل تغلص (عامر) وخادمه
عن عصابة اللصوص في جبال حميرين وهما في طريقهما الى سجستان (٧٤)
وقدرة (بهمان) الجسدية الخارقة على قتل ثلثة من الجنود
أو اللصوص ، واحباطه جميع المؤامرات والمكائد التي تحاك للايقاع
بیزد اندوخت وساسان .

وتعمل المصادفة عملها الكبير في تطور الحوادث عند الكاتبين ، ومن
ذلك كشف (بتاوفيل) وهو يعالج سكرات الموت من ان ام
یزد اندوخت على قيد الحياة في مدينة (الخيرة) ، وكشف (جانا) عن
حقيقتها لساسان الذي كانت تعني به بعد اصابته واسره بأنها ام
یزد اندوخت ، واكتشاف جانا كذلك ان الضابط بتاوفيل اخوها عندما
عثرت وهي تغسل ملابسه على اوراق نسيها في جيبه ، وكذلك حب
سطیح سلمى التغلبيية عندما رأها صدفة في احتفالات الكنيسة ، ذلك
الحب الذي كان المحرك الأول للرواية .

وقد بنى الكاتبان التعقيد على الفراق بين الحبيب وحبیبته ثم عودته
سالمًا ، كما لجأ الى السر وماطلا القارئ وشوقه الى اكتناء الحقيقة ،
والبحت عنهما ، اذ لا تعرف یزد اندوخت أن امها على قيد الحياة الا

(٤٧) انظر (سلمى التغلبيية) .

في نهاية الرواية عندما يخبرها حبيبها ساسان بذلك . وكذلك تعرف
يزد اندوخت أن بتاموفيل اخوها الا بعد أن تكشف الأبراق في جيبه
ولا تعرف يزد اندوخت أن ساسان على قيد الحياة الا في آخر الرواية
أيضاً ، ولا يعرف عامر أن (الكاهن مارين) يكيد له الا في نهاية
الرواية بعد ان يخطف سلمى التغلبية ويهرب بها مع سطیح . وقد
استعان الكاتبان بالشخصيات الثانوية لخلق التعقيد بجملهم من الأعوان
المخلصين ، يساعدون عنصر الخير في اعماله او عنصر الشر على تحقيق
مآربه الشريرة مثل (بهمان وباعوث ومنسى) في رواية (يزدا ندوخت)
و (جرير وزوومة) في رواية (سلمى التغلبية) . أما عنصر الشر
عندهما فيتمثل غالباً في خصم البطل في الحب مثل سطیح ، في (سلمى
التغلبية) والموبيد في (يزدا ندوخت) ، أو يتمثل في شيخ من
داهية مثل (الكاهن مارين) في (سلمى التغلبية) والموبيد أيضاً في
(يزدا ندوخت) .

وتشابه شخصيات الكاتبين في خطوطها العريضة ، وفي قشرتها
الخارجية اوتصرفها ، كما مر بنا ، كما تشابه أيضاً في نفسياتها ،
فهي حين تعبر عن حبها أو عن قلقها ، تعبر بصورة تكاد تشابه ،
فجهاد (مار شمعون) وقلقه على العقيدة المسيحية في (يزدا ندوخت)
هو نفس قلق (ماروتا) وجهاده في سبيل العقيدة المسيحية أيضاً في
(سلمى التغلبية) . وشجاعة ساسان في الرواية الاولى هي نفس شجاعة
عامر في الرواية الثانية ، وخبث الموبيد في الاولى هو خبث الكاهن
مارين في الثانية واخلاص يزدا ندوخت وساسان في حبهما هو نفس
اخلاص سلمى التغلبية وعامر ، وكره الموبيد للعاشقين الأولين ووقوفه

في سبيلهما هو نفس ما فعل سطيح بالنسبة لعامر وسلمى . واخلاص
(بهمان) لسيدته يزد اندوخت وتضحيته في سبيلها هو نفس اخلاص
(جرير) لسيدة عامر في (سلمى التغلبية) .

ولم يتقيد الكاتبان بالدراسات النفسية الحديثة ، التي اوضحت ان
الشخصية الانسانية مزيج من المشاعر والاحاسيس والدوافع الخيرة
والشريرة ، والعناصر الوضيعة والرفيعة ، وأنه ليس في عالم النفس
خير خالص او شر خالص ، وهما بالتالي لا يعنيان بالتحليل النفسي
ولا يطمانا على اعماق النفوس ، ولا يستبطنان الدخائل .

وحين يحاولان التحليل ، يلجآن في احيان كثيرة الى التحول بالقضية
من تحليل لشخصية معينة الى قضية عامة تنطبق على جماعة كبيرة من
الناس ، فحين يتحدث (شعبان رجب) عن حب سطيح من النظرة
الاولى لسلمى في رواية (سلمى التغلبية) ، لا يتحدث عن حب بعينه ،
لكم . يتحدث عن عاطفة الحب الصادق عمراً ، فيقول «الحب سلطان
السلطين وملك الملوك تذل له التيجان وتخضع لأوامره العروش يغزو
القلوب لا يذلها ويستعبدها بل ليملاً فراغها فيصقل العواصف ويهذب
الشعور ويرهف الاحساس ، لكنه يزيد الاضطراب المحبب الى الحبيب
رغم ما يخلعه عليه من اردية الضعف والسهر والنفى » (٤٨)

ويصف (سليمان صانغ) قلق يزد اندوخت امام سرير حبيبها
ساسان المريض « ليثت الفتاة امام سرير المريض وقد شعرت بوجودها
قريباً من ساسان بسعادة مشوبة بمرارة وتمنت لو انه فتح عينيه
ورأها تسهر عليه . وتسمع منه كلمة تنم عما يشعر في نفسه

(٤٨) شعبان رجب (سلمى التغلبية) ص ٥١ .

نحوها (٤٩) .

ويصف الكاتب نفسية يزد اندوخت فيقول « كانت يزد اندوخت طيبة القلب كريمة الصجايا رقيقة الشعور شكورة لمن يقوم بخدمة كبيرة ام صغيرة وبهذا الشعور الرقيق تراها شديدة الاهتمام بآسان بعد الذي ابداه نحوها من الشهامة في بيت كوتستاي حينما قدم لها ذراعها وسيفه للدفاع عنها» (٥٠) .

ويتخلصان بهذه الصورة من تحليل الشخصية ، فبدلاً من ان يحاولا تحليل نفسية فرد معين في ظرف معين ، يعلمان الموقف ليتحدثا عن مجموعة من البشر ، وتصبح شخصياتهما في هذه الحالة نماذج عامة كما بينا سابقاً .

ويمتاز اسلوبهما العام بالوضوح والسهولة ، فهما يخاطبان الناس بلغتهم التي يفهمونها ويتفاهمون بها في صحفهم وكتاباتهم ، لا بتلك اللغة الخاصة التي يلجأ اليها كتاب النثر الفني . وهم يكتبون دون عناء او كلفة ، يرسلان قلمهما حراً طليقاً لا يقيدانه بقيد غير قيود الدقة والافهام ، ولا يقصدان تجميل الاساليب وتفخيخها لأن الهدف من كتاباتهما هدف تعليمي بالدرجة الاولى (٥١) . والاسلوب التعليمي

(٤٩) سليمان صايغ (يزد اندوخت) ص ٤٩ .

(٥٠) المصدر السابق ص ٤٧ .

(٥١) (يزد اندوخت) ٣-٤ ، ٥١ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٨٠ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٤ ،

١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٥ - ١٦٨ ،

١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢ - ٢٥٦ ،

٢٦٤ - ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣٢٠ ، ٣٢٤ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤٠٦ -

٤٠٨ ، ٤٤٩ - ٤٥٢ ، وكلها دعوة للعقيدة المسيحية .

لا يميل الى الزر كشة البيانية ، والابداع الفني ، لأنه يهتم بالمضمون قبل اهتمامه بالشكل . ولا يخلو أسلوبهما من نبرة خطابية عندما يأخذهما الحماس في الدعوة الى عقيدة او في موقف حماسي يستنهض به همه القارى . (٥٢) .

ويكثر تضمين الصايخ لفقرات من الانجيل في كتاباته وقد استخدم شعبان رجب ذلك بصورة اقل ، كما يكثران من الاوصاف والنعوت عند وصفهم لشخصياتهم « سيدة العتل ، كالثور الهائج ، ثم كشر شابور عن نابيه وبقه قهقهة القروء » (٥٣) . قلق الافكار ولا يزال في الدور الميتا فزيقى (٥٤) .



وبعد ان عرفنا محاولات كتابنا في الرواية التاريخية ، وهي محاولات لم ترق في احسنها الى منزلة الرواية التاريخية العالمية ، فقد كانت في الاكثر تجارب في كتابة التاريخ ، الغرض الأول منها تعليم هذا الموضوع للقارىء المتوسط بأسلوب سهل مستساغ ، فهي الى التاريخ القصصي ، اقرب منها الى القصة التاريخية ، وقد ظل هذا الفن متخلفاً

(٥٢) (يزد اندوخت) ٦٣ ، ٦٩ - ٧٠ ، ١٢٧ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٤ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤٠٧ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ .

(سلمى التغلبية) ١١٤ - ١٢٠ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٧٨ - ١٧٩ ، ٢٧٦ .

(٥٣) (يزد اندوخت) ١٩٧ ، ٢١٨ ، ٢٩١ .

٥٤ سلمى التغلبية ص ١١١ .

في ادبنا ، وكانت الصعوبات والاشواك التي اعترضت طريق الرواد
الأوائل ، ومحاولتهم استخراج الاشواك التي اعترضت طريق كتاب الرواية
التاريخية في العراق هو ما دفع جيل ما بعد ثورة تموز ، ليصبحوا
اكثر احساساً بالواقع ، وتفهما له وقرباً منه ، واكثر كتابنا تعبيراً
عن هذا الاتجاه ، داود سلوم الذي حاول في رواية (عهد مضى) ١٩٥٨
تحليل الواقع على ضوء فروض استمدتها من علم النفس وعلم الاجتماع
ليقدم لنا صورة هذا الواقع بكل تفاصيله وآلامه ومشاكله . وقد ادار
داود سلوم مرآته نحو الماضي البعيد - العصر البابلي - وخلق من
العظام الجافة شيئاً ينبض بالحياة والجمال ، وقد حاد سلوم عن التتابع
الزمني للاحداث احياناً واختلق مواقف جديدة ، واعطى لنفسه
الحرية في خلق ثياب شخصياته وتطوير عاداتهم واذواقهم وتغييرها ،
وبالرغم من كل هذا ، فقد احبب التاريخ وكانت محاولة رائعة ، فقد
وجد التاريخ كمجموعة من الصور في فانوس سحري بأشخاصه وحوادثه
واضفى عليها روح الاستمرار والحركة من عنده ، ولهذا نقول ان نظرتة
للتاريخ كانت نظرة رومانسية ، وليست نظرة تسجيلية دقيقة وهو يعد
الحوادث الجسام نتيجة وتعبيراً عن سير الانسان ، وحظه من الخير
والشر ، وليست تسجيلاً للحوادث التاريخية ، وهو يسخر من الالتزام
الحرفي للتاريخ ، على لسان يونس بطل روايته ، « ثم اشماز من نفسه
وتخيل انه مخدوع من نفسه مأخوذ بسحر كاهن لا يعرفه اراد شراً
فصرفه عن حاضره وحاضر بلاده الى الماضي السحيق ينبش القبور

ويتنسم الروائح النتنة من عظام موتى التاريخ ماله ومالهم » (٥٥) .

(٥٥) داود سلوم (عهد مضى) ص ٣٣٥ .

وقد ابتغى المؤلف الى تحليل المشاكل ، وبحث في مشكلة لها صداها ومداما البعيد في العصر الحاضر في العراق . يضاف الى ذلك العرض الفني الذي يرعى فنية الرواية حيث هي وحدة فنية حية تتطور فيها الشخصيات تطوراً مماثلاً للتطور في مظاهر السلوك البشري . وتطلعنا الصورة الفنية على ما يسترعي اهتمام الناس ، معتمدة على منطق الحياة ، وعلى صورة صراعها ومفارقاتها وسخرياتها وما تفاجيء به الانسان « ان اول كاهن على الارض كان اذكى أهل قريته آنذاك ، فهو الذي عرف كيف يتستر بأوراق الأشجار وهو الذي عرف كيف يوقد النار كما انه هو الذي آوى الشيطان عندما طردته السماء من حديقته اعترافاً بالفضل له ، أوجد الشيطان له هذه اللعبة - مرآة المعرفة - فصنعها من تراب الارض ووضعها في معبد وقال ادع الناس فسيكون لك بها مجد وثروة وسلطان ، كل هذا جزاء الذي صنعت معي » (٥٦) .

كما ابتكر الكاتب في العرض الفني ، فهو يأخذ الفترة بجمالها وشخصياتها ، ويحرك روايته فيها ، بحيث يبرز طابع الجمال قوياً في تحريك الحدث والشخصيات ، ويسعى خلال ذلك الى تكامل التأثير الفني لعالم الرواية البين المجال ، والحوادث والشخصيات على ان تنبض بالحياة بطريق الحوار والتحليل المباشر ، مع خضوع تطور الموضوع نحو الذروة والنهاية ، وما به من صور السخرية والتهكم والتحليل للدوانع الانسانية للشخصيات ، والتطور الفني الدقيق النابع من الطبايع ومن السلوك « ولعل من أشهر نوادر المدرسين التي حفظها التاريخ البابلي ورواها للأجيال الصاعدة هو ان مدرساً من الذين قدرت معلوماتهم بطريقة الوزن على الخشبة

(٥٦) المصدر السابق ص (٢٦) .

المسطحة (. . .) وجد ينهش بأسنانه أوراقاً من البردى الثمين في مكتبة أحد الآلهة فلما سأله الخازن ماذا يعمل؟ قال أعضم المادة جيداً لأدرسها لطلابي (. . .) يجوز أن المدرس قد أكل أوراق البردى حقيقة لأنه جانح ولأن أجور المدرسين قليلة في كل عصور التاريخ « (٥٧) . ان هذا التحليل للطبائع الانسانية . وما يتلون به صورته وطبيعته وراه اطار التاريخ ، لما يميز فن الكاتب ، ويفتح امامه مجال الابتكار الفني حتى يكسب الرواية طولاً ، وعرضاً وعمقاً يبرز خلال الصدر . يهبها قيماً انسانية فذة ، يصف الكاتب يونس بطل الرواية فيقول : « لقد كان من عامة الناس وكان من فقراء الناس واشدهم فقراً واكثرهم املاقاً لقد يرى نفسه كأنه الشعب في تلك المدينة الضائعة (. . .) وحين ينظر حوالياه لا يرى الا نفساً واحدة حائرة مستعبدة في اجساد متفرقة » (٥٨) . وكان الكاتب في هذا الرصف ليونس ، يصف كل مواطن عراقي . وتدور احداث الرواية في بابل القديمة ، بطلها فرد ما من عامة الشعب (يونس) يؤخذ من وسط الشعب في طنزانه ، ليسجن عتاباً له على عدم سجوده للآلهة . ويعرض المؤلف هذه الصورة ببساطة عذبة محببة « وضائق نفس الغلام وشعر ان والده الأمي سوف يهديه للعبودية الى سبيل الكاهن الأكبر فوقف وأثبت قدميه في الارض ورفع قامته مستقيمة وصرخ بأعلى صوته : لماذا؟ فارتفعت الوجوه اليه وارتجف أبوه وماتت امه من هول الصدمة ثم قال : لماذا نعطى لك ؟ لماذا يبيع الآباء بناتهم في سبيلكم ؟ لماذا

(٥٧) داود سلوم ص ١٩ .

(٥٨) المصدر السابق ص ٩ .

تستحيون نساء الناس وتأخذوهن لآلهة من صخر؟ وهل الصخر يسمع أو يتكلم وهل يأكل الصخر؟ لماذا تكذب على الناس فان لحيتك تكسبك وقاراً وإن ذبك يدل على انك غني مترف ، فضربه الكاهن الاكبر بالسوط ولم ير الغلام له ذنباً يعاقب عليه فصرخ لماذا ؟ . وهنا فقط يتحرك جماعة من اللصوص الشجعان في المدينة وقالوا لماذا ؟ فهم كذلك لا يؤمنون بما يقول الكهنة . فخاف الكاهن الاكبر على حياته الغالية فابتسم في وجدهم وأشار الى حراسه وقال خذوا الصبي فهو يستحق ان يكون كاهناً أطمعوه وأطعموهم ، وأشار الى اللصوص الثلاثة وقال لحراسه : اكرموا اخوانكم على احتجاجهم للضعفاء ، ضعوهم في فراشهم حتى أتى .

أما الطفل يونس فقد سجن في معبد الاله الصخري ، وأما اللصوص فقد قيدوا ووضعوا معه (. . .) ولم يعرف أحد ما صنع بهم ويظن أنهم قتلوا في ذلك الحين (. . .) عاش الطفل في المعبد ولم يسمح له بالخروج منه وأريد به ان يكون كاهناً من طبقة الكهان فمن الخطر على نظام الكنيسة وحكم السلطان ان يترك اطفال الفقراء الأذكياء بدون رقابة خوف ان يثيروا العامة ويلمبونهم بأسواط النقد فيثوروا ، فان ثقفوا ثقافة كهنية عادوا أنصاراً للآلهة الصخرية ولطبقة الملوك والحكام وكبار ذوي النفوذ « (٥٩) . ويشب يونس عن الطوق في المعبد الكبير كما أراد الكهان ، ويمر في مشاكل نفسية ، فهو يكره العلوم التي يدرسها له القاضي الأكبر ، بل يكره الكهنة وحياتهم المنعزلة عن حيز المعرفة ، وعن تفهم الشعب الذي يقودونه الى حجر أصم « لماذا لا يسجد فلاحو القرية

لأبي وعمي (. . .) لا يعرف بعد الى اي اله يتجه ولأبي اله ينادي
فكل آلهة المدينة صماء اذ انها نحتت من صخر كاجسادها « (٦٠) . ويهرب
يونس من المعبد الكبير ، ويهيم على وجهه في البراري ، ويحاول الوصول
الى معرفة الحقيقة . وعند شاطئ النهر يخرج اليه (الاله الاصم) .
الذي ألقى في النهر في موكب حافل ، ليوفر الخصب والخير لأهل بابل .
ويطلب اليه يونس ان يحوله الى رجل شريف ، ظناً منه ان الشر يقوده
الى المعرفة ، بعد ان عجز الخير عن ذلك ، فيجيبه الاله الى طلبه . ويضرب
يونس في الارض ، حتى يصل مدينة تابعة لبابل ، ويلتقي هناك بفيلسوف
يحاول أن يكشف له سر الحياة ، ويستطيع يونس بواسطة (مرآة المعرفة)
التي يمتلكها الفيلسوف ، أن يكتشف خبايا الناس وأسرارهم ، وما
يضمرون من شر بعضهم للبعض الآخر . ويجد ان اسوأ الناس نفساً
في المدينة هم كهنتها وقادتها وملوكها . ويحب يونس زوجة الفيلسوف
بعد ان يكتشف بواسطة المرأة أنها الوحيدة التي تحمل نفساً طيبة في
طبقتها ، وينعم معها بالحياة . وبعد ان يقتل الشعب الفيلسوف ، بتعريض
من الكهنة لانه لا يؤمن بالآلهة الصخرية ، يفاجأ بأنها تفضل عليه الملك
والشهرة ، فيسام الناس ويترك بابل الى جزيرة نائية (جزيرة قبرص)
وينصرف في منفاه الى الدرس والبحث المتوصل الى سر الحياة . ولكن
المرض لم يممه طويلاً ، فيموت مسلولاً .

وقد تأثر المؤلف بالأدب الشعبي ، ويبدو ذلك واضحاً في اكتشاف
مرآة المعرفة ، التي تستطيع الكشف عن خبايا النفوس . ويونس رب
فلسفة ، وصاحب رسالة جادة حزينة ، يؤديها كما يؤديها كبار المصلحين

(٦٠) المصدر السابق ص ١٠ .

ويعرض المؤلف الفكرة التي تدعو للمحبة بين الناس ، في اطار التطور القصصي للكاتب . ففي الفصول الاولى يظهر يونس الصبي ثائراً ناقماً على المستغلين من كهنة وملوك ، يتحداهم بصلابة الرجال وبراءة الاطفال ، وعندما يقاد الى المعبد الكبير خشية من ذكائه المفرط ، يتأكد له اعتقاده بفساد هذه الطبقة (طبقة الكهنة) وجشعها ، فيترك بابل الى مدينة أخرى لعله يجد فيها ملاذاً لنفسه القلقة وفي البلد الجديد يرى طبقات جديدة ، لا تقوم على الكفاءة والعلم والمعرفة والفضل ، وانما تقوم على أساس المادة والمال ويبشريونس برسالته في عالمه الجديد وبمساعدة أستاذه الفيلسوف ، ولكن الكهنة تقف لهما بالمرصاد ، فيهرب من بطشهم ويلقى الفيلسوف حتفه على ايديهم وهو سعيد ، لأنه يموت من اجل رسالته « ولما سألهم لماذا ترجموني ؟ قالوا : وكيف تقول هذا ؟ نحن لا نرضى أن نرى انفسنا مساوين لحاكمينا ، نحن نريد ان نكون عبيداً ونحن يجب ان نسجد للحجارة ونحن يجب ان نحج للتخيل التي لا عقول لها ، انك لن تخلد ، ان فلسفتك هي التي تفسد العقول وهي تقطع ارزاق الكهنة وهي التي تخلص الى عقول البسطاء فيتركون مزارعهم وطواحينهم ومعاصرهم ومراعيهم ويشورون فيهدمون المعابد وينهبون الذهب ، انك ملحد ايها الفيلسوف . . » (٦١) . وعندما يعتزل يونس في جزيرته النائية ، يائساً من بقظة الشعب ، تكون تعاليم استاذه الفيلسوف قد نفذت الى عقولهم وقلوبهم وبدأوا يتحركون ضد مستغليهم .

ولسلوم فنية واضحة في العرض ، فهو يتفنن في التقاط الزاوية التي يدخل منها الى الرواية ويبدأ بوصف المكان ، والتقاط لحظة مأزومة

(٦١) داود سلوم ص ٦٦ .

(وصف احتفالات العيد والسجود للآلهة ورفض يونس السجود لها) ،
ولكنه لا يفتح الكوة مرة واحدة . انه يطلق خيوط الرواية خيطاً خيطاً ،
لكه يحتفظ بالخيط الذي يحل كل عقدها في يده ، وتتابع الرواية
توقفاً بعد موقف ، فيما يشبه الصور المتتالية ، والمؤلف يعرف كيف
يسوق روايته في تشويق ملح وإحكام بنيان الى النهاية . ويعتمد بناؤه القصصي
على التطور الخارجي الذي يجمع الحوادث والشخصيات في اطار مبسط ،
يقوم على عاطفة الحب للناس والمعرفة ، وكره للكتب القديمة والمكهنه ،
بالاضافة الى تطور داخلي نفسي ، ينتج عنه التطور الخارجي للشخصيات
وهو تطور متأثر بالحبكة المسرحية (٦٢) ويتستر وراء قيم بعيدة دقيقة
مبتكرة ، لا تكتفي بالشائع المعروف ، بل كثيراً ما تعارضه (٦٣) ، وتسعى
الى تصوير الحياة بتعقيدها وبمعانيها المركبة : « وارتجف يونس رعباً ،
وعلم ان مدرس الفضيلة - يقصد الكاهن الاعظم - يخون صديقه
المخلص - الملك - في أهله ، ويكاد يونس يبكي وكاد ان يرفع المرأة - مرآة
المعرفة - ليحطمها ولكنه انتظر ليرى نهاية قصة والده - الكاهن الاعظم -
المتعفف المتنزّه التقي الصالح كما دعاه البابليون » (٦٤) . وتكتسب
الشخصيات عنده درجة أقوى من الحياة حين تحلل نزعاتها الطارئة في
اطار عواطفها وتحت تأثير الظروف الخارجية فتبرز آمالها وآلامها

-
- (٦٢) للمؤلف عدة مسرحيات ناجحة سنأتي على ذكرها في الباب الثاني
من هذا البحث ، وهي - اسكندر ذو القرنين - حين ينخسف القمر .
- سيرة غير تاريخية - أحلام يقظة .
(٦٣) انظر الفقرات المارة الذكر التي انتزعناها من الرواية .
(٦٤) المصدر السابق ص ٥٠ .

فيصبح يونس في وجه الحكام والكهنة بعد ان يكتشف دخائل أنفسهم
وبمساعدة المرأة « سأعرفكم على ذات أنفسكم لأريكم ان الذين يحكمون
على الأبرياء بالموت والسجن هم أنفسهم ليسرا بخير منهم » (٦٥) . وشخصياته
وليدة الطبيعة التي تعيش فيها ، فهي تتأثر بها وتستجيب لها ، ولكن
تبرز ذواتها خلال اللون العام . فتبرز الشخصية مستقلة واضحة المعالم ،
وبواعث سلوكها مبسطة في وضوح ، أما الحوار فلا يعرض عرضاً وصفيّاً
تركيبياً ، وإنما هو لون كامن وراء الصورة ، يحس بوجوده ولا يقف
في طريق حركة الرواية ، وإنما يكمن وراءها ليعطيها لونها العام .
ولذلك يخضع الحوار خضوعاً تاماً للحركة النفسية والمادية في الرواية ،
فهو وسيلة للمعرض والتحليل والتصوير ، واكتساب الحوادث أبعاد الحياة
النابضة .

بقيت الفكرة والفلسفة التي تبرز من وراء الرواية ، فوراء العوامل
الاجتماعية والاقتصادية التي تدير المجتمع الخاص ، عوامل انسانية عامة ،
وقيمة نفسية وخلقية تدير البشرية منذ وجدت ، تبرز في القصة طبيعية
لم تفرض عليها فرضاً .

أما رواية بهنام وديع (الايام العمياء والناس الحمقى) ١٩٦١ ،
فتصور لنا المجتمع العراقي - الموصل - ابان الحرب العالمية الاولى ، وتقدم
لنا اشخاصاً لهم وجودهم الحقيقي في ذلك المجتمع مثل (القواس
وحمانه) ، وتجعل كل شيء خاصاً ونسبياً وتاريخياً « وارتباط الرواية
بفترة ما ، يحط من قيمتها الفنية ، ويفقدها صفة العالمية ، في حين انه
يتيح لكتابها ايراد التفاصيل المعاصرة التي تصرف خياله عن الابداع

(٦٥) المصدر السابق ص ٣٠ .

الذي يقتضيه الحمل الفني» (٦٦) ، وكان همّ المؤلف أن يجمع المعلومات الصحيحة المثبتة ، والاحصاءات الدقيقة ، فخرجت الرواية من بين يديه ، وكأنها عرض مجرد للمجتمع فلم يكن عمله عمل الفنان الخالق ، وإنما عمل المقرر الذي يحاول وصف المجتمع ، وتوضيح جوانبه المختلفة ، واعطاء فكرته الخاصة في تلك الفترة من الزمن . وقد اضطرته الامانة التاريخية الى أن يتطرق الى بعض التفاصيل التي تهوق السياق ، وتفسد التسلسل القصصي (٦٧) ، وحديثه عن اسباب قيام الحرب العالمية الاولى - وصف هذه الحرب في صحراء سيناء - ، ووصف ما ارتكبه الاتراك من مجازر في منطقة الشرق الاوسط ، - وصف المؤتمر الصهيوني المعقود في مدينة (بال) في سويسرة عام ١٨٩٧ ، والمجاعة التي حدثت في الموصل عام ١٩١٧ - وكثيراً ما يتدخل الكاتب لربط الشتات المبعثرة بين سرده التاريخي وبين أحداث روايته بقوله « عشرون سنة كاملة مرت على هذه الحوادث وهانحن الآن في سنة ١٩١٤ ، وفي الفصل الاول تركنا المحترم المنصور ، لا يخفى على القارئ اللبيب ، تصور عزيزي القارئ (٦٨) ولم يكن تعرضه للمحب من اجل كتابة رواية عاطفية ، بل كانت غايته التي رمى اليها تهذيبية في المقام الاول ، اذ يظهر في اسلوبه الهدف التعليمي واضحاً « الحلم من شيم النفوس الكبيرة والعفو عند المقدرة فضيلة يسبقها الله نعماً على نفوس انقياء القلوب والذين هم كالزجاج

(٦٦) محمد يوسف نجم (القصة في الادب العربي الحديث) .

(٦٧) الايام العمياء والناس الحمقى ١٢٩ - ١٣٦ ، ١٣٩ - ١٤٤ ، ١٦٨ -

١٧٢ ، ١٩٣ - ١٩٥ ، ١٩٨ ، ١٩٩ على التوالي .

(٦٨) المصدر السابق ٨١ ، ١٨٦ ، ٧٨ وكذلك ١٦٤ ، ٢١٢ .

الصقيل فتخترقه النعمة وتملاً قلوبهم رحمة موقدة فيها نيران حب يتغلغل في السويداء ليغدو منبعاً لا ينضب معينه أبدأ يتدفق رحمة وحباً لبيّن الآخرين ان المشاعر الانسانية لا يمكن ان تمحي من قلب بني آدم لانه خليفة الاله وروحه المتفوضة فيه منبثقة من منابع الرحمة الازلية والحب الكامل وأنها تحمل بين طياتها نسماتها المباركة وأريجها المعطر» (٦٩) .
ومنهج المؤلف في هذه الرواية طبيعي في التحليل والتصوير ، يمثل مقومات الشخصية المحلية ، ويسعى نحو قيمة انسانية ، فهو يدرس الانسان المعلي وراء قناع التاريخ ، وفي فترة عصيبة من تاريخ العراق الحديث ، ليستطيع ان يكشف في خضم هذه الظروف أغوار نفسه ، وفي فن يتسم بالطبيعية والتحليل واتخاذ نماذج متباينة للانسان العراقي منها ما يمثل الخير المطلق (ناصيف ، أبو فريد ، نجمة) ومنها ما يمثل الشر المطلق بأشكاله المختلفة مثل (منصور) الذي يمثل رجل الدين الجشع البخيل ، الذي يستر آثامه وراء مسرح الدين ، و (أبي جورج) السكير العربيذ الأناني ، الذي لا يتوانى عن سرقة صناديق الموتى ، ليعود فيبيعها من جديد و (الغواس) الذي لا يتوانى عن قتل الاطفال وبيع لحومهم اثناء المجاعة التي حلت في الموصل عام ١٩١٧ ، وشخصيته حقيقية لا أثر للخيال فيها ، و (رحيم) اليهودي الذي يقترف جميع الأثام ، ويتجسس لحساب الانجليز في سبيل انشاء وطن قومي لليهود و (حفار القبور) الذي يسرق الموتى بعد دفنهم ، ويبيع أكفانهم والصناديق التي يوضعون فيها بمساعدة ابته (منحوس) المشوه الذي يحقد على العالم أجمع ، بسبب احتقار الناس وخوفهم منه ، لقبه الشديد المخيف . وقد استعار له

(٦٩) المصدر السابق ص ١١٦ - ١١٧ وكذلك ص ١٢ - ٨٥ .

الكاتب صورة (أهدب نوتردام) لفكتور هيجو (وكان رأسه شيئاً بالغ التشويه ، غابة من الشعر الاسود كسواد الفار وفتحتان صغيرتان هما العينان وشق يمتد من اذن الى أخرى هو الفم . . . فيظهر تقوس العمود الفقري و بروز الصدر واختلاطه مع البطن ينتهي برجلين ضخمتين بالغتي التقوس تنتهي كل منهم بقدم شديد التقوس بارز العظام في نهايته سبعة اصابع متساوية الطول كأصابع الضبع ، ومجمل القول كان . . . الأهدب شيئاً قريباً من الانسان ولكنه ليس بالانسان » (٧٠) وكما كان أهدب نوتردام يعيش متنقلاً في ارجاء الكنيسة الكبيرة ، كذلك كان (منحوس) ، فهو يقضي طوال وقته في مقبرة الكنيسة . « وبمرور الزمن تعود هذا البائس المسكين ألا يرى في العالم شيئاً وراء ساحة المقبرة التي تأويه الشطار الأكبر من النهار (. . .) فكنت تراه يجور قدميه بسرعة عجيبة بينها ويقفز بخفة الفهود ومهارة القروود من قبر الى آخر ووجهه مضاء بابتسامة بلهاء » (٧١) .

وروايته مفعمة بالملاحظات والعواطف المواتية ، وهو يحاول دوماً النفوذ الى هواجس النفس المتقلبة ، والى نجواها في الاغوار . ولكن فنه يعتمد على دراسة الحياة المباشرة بتعميقها بالدرجة الأولى (٧٢) . وتدور أحداث الرواية في مدينة الموصل ، قبيل الحرب العالمية الأولى ، وتقع في حي - الميدان « - وقد انتزع شخصياتها من النماذج البشرية التي تعامش

(٧٠) المصدر السابق ص ٣٤ .

(٧١) المصدر السابق ص ٩٥ - ٩٦ .

(٧٢) المصدر السابق يصور المجتمع تصويراً دقيقاً : ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٦ .

١٠٧ ، ٨٦ ، ٣٢ ، ٢٧ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٧٩ ، ٨٦ ، ٧٧ ، ٧٨ .

« الميدان حي للنصارى في الموصل .

ذلك الحبي . (فمنصور) خادم الكنيسة نهم شره ، يأكل دون ان يدفع ثمن ما يأكل الى (مطرود الغواس) ويخلصه ذلك من شراء اللحم من (ابي ابراهيم) ، فهو يفضل ان تعيش (نجمة) زوجة اخيه المرحوم (ناصيف) على كسرة من الخبز فقط ، لأنه مواع باكتناز المال ، وهو لا يريد طرد زوجة اخيه لأنها ترعى شؤونه ، ولا تكلفه مالا كثيراً . ولكن منصور لا يتخلص هذه المرة من مطالبة (مطرود الغواس) بالدين الذي له عليه .

ويسعى المؤلف الى أن يحدثنا في فصول متفرقة عن كل شخصية من شخصيات روايته حديثاً مسهباً ، واعطائنا وصفاً خارجياً دقيقة لها ، وكأنه يسعى الى كتابة طوبغرافية لسكان هذا الحبي ينثر لنا فصولاً عن (منصور - نجمة وزوجها ناصيف - مطرود الغواس - نجية وزوجها حفار القبور - منحوس ابن حفار القبور - رحيم الاسكاني - ابو جورج صانع التوابيت السكير الذي يسرق صناديق الموتى - أبو فريد منافسه في العمل والنسخة المعاكسة له في الشهامة والطيب وحسن الخلق - سلمى ابنة ابي جورج وفريد - وقد استعار لهما حباً شبيها بحب روميو وجوايت) .

كما عمق في الرواية فصولاً خاصة عن (أسباب قيام الحرب العالمية الأولى ، أحداث الحرب في الشرق الأوسط ، أحداث المجاعة في مدينة الموصل عام ١٩١٧) . بالإضافة الى تسجيله صور (فولكلورية) عن المجتمع العراقي آنذاك (أسلوب التربية ، لجوء الابوين الى الغيبات ، اعتقاد الاس بوجود الشاطين والجان ، طريقة الخطبة ومراسيم الزواج واحتفالات الزواج ، التعميد ،

مراسيم الجنائز ودفن الموتى (٧٣) .

وبعد أن تتداخل الاحداث وتتشابك ، يتغلب الشر على الخير وتعلن الحرب ، وتبرز العناصر الشريرة في الرواية ، وكأنه يريدنا ان نحيا بعز وجاه ، وسط شرور الحرب ، فيتشارك (رحيم ، أبو جورج ، منحوس ، منصور ، مطرود) في تجارة القمح ويثرون ، بينما تموت العناصر الخيرة حزناً وجوعاً ، (ناصيف ، نجمة ، فريد ، أم فريد ، سلمى ، أم سلمى) ويقف القدر بالمرصاد للأشرار فيشي أبو جورج برحيم اليهودي ، ويساق الى السجن هو وابنه ، ويقبض على مطرود وحماته وهما يذبحان الاطفال ويصنعان من لحومهم طعاماً يبيعانه الى الجنود ، ويساق كل من منصور وأبي جورج ومنحوس الى السجن بتهمة التجارة غير المشروعة واحتكار المواد الغذائية .

ويسوق المؤلف روايته ضمن اطار الزمن وتسلسله ، وقد يلجأ الى سوق احداث وقعت في الماضي بأسلوب تقريرى سردي لا عن طريق التداهي والمونولوج كما فعل في الفصلين الثاني والثالث (٧٤) ، اللذين سرد فيهما حياة نجمة مع زوجها المرحوم ناصيف . وكل ما يلجأ اليه من فن ، انما هو في التقاط الرواية عند مطلعها ، في لحظة من لحظاتها . ويدخل عليها ليلقى القارىء لقاءً مباشراً في جوها وبين ابطالها . وهكذا بدأت عنده بمشهد معين ، ظهر فيه بعض الشخصوص في موقف معين ، وفي مكان وزمان معين ، وانطلقت الرواية بعد ذلك الموقف حتى

(٧٣) المصدر السابق : ٣٢ - ٣٧ ، ٥٤ - ٥٦ ، ٥٨ - ٦١ ، ٧٩ ، ٨٦

على التوالي .

(٧٤) المصدر السابق ص ٢٩ ، ٦٢ .

نهايتها (٧٥) وعند احتياجه العودة الى الماضي - كما ذكرنا قبل قليل - أو ايجاد التوقيت بين حدثين من احداث الرواية ، عند الجمع بين سير الحدث وذكر الاحداث التاريخية التي كثيراً ما يسردها سرداً أشبه بأسلوب المقال منه بالأسلوب القصصي ، يلجأ الى السبيل الأسهل ، بتقسيم الفصول في الرواية حيث يتيح له ذلك باقامة ما يشاء من التواقف ان كان ثمة ضرورة له . يذهب مع الحدث الأول الى نهايته ويقف ، ثم يبدأ الفصل الذي يليه من مكان آخر او زمان بعيد يصله بالفصل السابق ، والقفزة في الزمان ليست مهمة لديه كما فعل بين الفصل الاول والثاني وبين الفصل الثالث والرابع (٧٦) ، كما لا تهتمه القفزة في المكان ، فمن مدينة الموصل الى صحراء سيناء وبالعكس ، ومن الموصل الى سيرا جوفو وبالعكس (٧٧) . ويمثل الرواية اشخاص مختلفون ، كل منهم رمز لنموذج انساني ، أو لمشكلة خلقية ، أو لقضية اجتماعية ، وتغدو الرواية في بعض فصولها مقالة اجتماعية ، يبيح الكاتب لنفسه فيها نقد بعض العادات والاخلاق والتحدث عن احداث المجتمع ، ومعالجة

(٧٥) وهو المشهد الذي فتح فيه (ابراهيم) دكانه لبيع اللحم لزبائنه عندما مر منصور يريد شراء اللحم ولكنه عدل عن الشراء لارتفاع سعر اللحم وفضل ان يأكل (باچه) - وهي اكلة عراقية شعبية - عند مطرود الغواس الذي طالبه بالدين الذي عليه وتردد منصور في ذلك واستعمل معه مطرود اساليب شتى حتى الجأ الى التهديد . والزمان بين الخيط الابيض من الخيط الاسود بانبلاج الصباح ، ص ٤ قبيل الحرب العالمية الاولى .
والمكان : الموصل حي الميدان .

(٧٦) المصدر السابق ص ٢٩ - ٦٢ .

(٧٧) المصدر السابق ١٢٧ - ١٣٢ ، ١٣٨ - ١٤٥ ، ١٦٨ - ١٧٢ .

للقضايا العامة ولا يهمه بعد ذلك تسلسل السرد بقدر ما تهمة تجلية
افكاره وآرائه (٧٨) .

ويغفر للمؤلف هنا هذه عندنا ، أنه كان بارعاً في كثير من
الأحيان في جمع الافكار والاحداث ، وقيادتها لتؤدي ما يريد من جو
تاريخي ومن قصص . ان تشتت الاخبار والحوادث من جهة ، وتنوع
الشخصيات من مبتكرة وتاريخية ، لم يمنعه من النجاح ، لأنه تشبه
بحاسته الفنية الى أثر اللقطات الجانبية والمناظر الاضافية في اثناء
الرواية اكسبها عمقاً . وبالرغم من انه لم يصطنعها كثيراً ، فانه كان يعرف
حين يصطنعها كيف يمطي الرواية كثيراً من الحياة والارهاق . وقد
أراد ان يعكس حقد (منحوس) على العالم فأدخله عالم المقابر ، وجعله
يرقص فوق القبور رقصات جنونية ، ويصيح في الميت الذي اوري التراب
« ويحك أتهين مليكك يا كلب بني آدم . . سأنزل عليك صواعق غضبي
سأضحك عليك حينما أراهم يخرجونك الى الخارج لينزعوا عنك اكفانك
ويبيعونها بثمان صغير الى بائع العتق ناحوم ومن ثم يقلعون لك اسنانك
السليمة لتمتد اليها يد طبيب الاسنان ابن رحيم الاسكاني هذا الشاب
المتأنق . . » (٧٩) . ويريد المؤلف ان يعكس أثر التربية القديمة
السيئة ، حيث كان الأبوان يخوفان أولادهما بالشياطين ، فيجعل الصغيرة
نجمة تتحدث عن رؤيتها للشياطين في ليلة مقمرة « وتلفظت الصغيرة
بصوت متدهج وشفتين مرتجفتين وقلب وجيب . . طول أطولهم لا يتعدى

(٧٨) المصدر السابق ص ١٢٩ - ١٣٦ ، ١٣٩ - ١٤٤ ، ١٦٨ - ١٧٢ ، ١٩٣ -

١٩٥ ، ١٦٨ - ١٧٢ .

(٧٩) المصدر السابق ص ٩٥ - ٩٦ .

الشبر وعرضه بطول خنصر اليد غير أنهم سريعو الحركة . . فقد رأيت
جماعة كبيرة يعملو أحدهم رقبة الاخر . حتى شدو أشبه بمغلاق يشبه
العمود طولا ولا يتعدى ساعد اليد عرضاً « (٨٠) .
ولم يوفق الكاتب في النهاية لأنه تطعها قطعاً متعجلاً ولجأ الى حل
سريع اقتضته ضرورة الاختصار ، وهو انتهاء الشخصيات الشريرة الى
السجن ، وانتهاء الشخصيات الخيرة الى الموت جوعاً بسبب المجاعة .
ونسجل للمؤلف نجاحه في تصوير الجوالتاريخي ، ورسم البيئة الاجتماعية ،
وخاصة الصور القولكلورية التي سجلها لبعض العادات والاحتفالات
المتبعة في العراق آنذاك ، والتي لازالت تتبع الى الآن (وادى اقتراب
موكب العريس اقفل باب العروس حسب العادة فبقى اصحاب العريس
في الخارج يطرقون الباب بشدة حتى كادوا ان يعظموا الواحه وهم
يصيحون :

- افتحوا الباب فيرد عليهم الخواجه - والد العروس من ورائه :
- ما نفتححه وازدادت الطرقات وكيلت الرقصات حتى اذا
ما تعبت الأيدي وقد قاربت التمثيلية على نهايتها خاطب المحترم منصور
(أخ العريس) الخواجه عبد الكريم قائلاً :
- خواجه عبد الكريم هلا فتحت الباب لقد قدمنا لأخذ عروستك .
وسمع صوت المزلاج واذا بالباب يفتح على مصراعيه ويظهر الخواجه
تعلو بحياه ابتسامة محببة مرحباً بالقوم .
واندفع القوم داخل البيت وازداد الضجيج والصخب وعلا صوت
(النقارة «) والدف وكادت اوتار العود تتقطع تحت ضربات أبي

(٨٠) المصدر السابق ص ٣٢ .

« النقارة آلة طرب تستخدم في الافراح .

خليل وقد هلت اصوات الشوباشي والفردحافات « (٨١) .
كما نجح في جعل الفكرة العامة ، والوحدة الفنية معنى انسانياً عاماً
وبذلك تحرك فنه من المحلية الى الانسانية ، وبرزاللون الشخصي في قصته ،
من تحليل لصور نفسية ، وحوادث تاريخية ، تحليلاً حديثاً وراء علم
النفس وعلوم الاجتماع والتاريخ والسياسة والصور المحلية التي تحل
مؤخرة الصور ، وتوجه منها الكاتب الى بيان أثر العيوب الفردية في
الاحداث التاريخية الهامة ، ووراء الرواية فلسفة شخصية بدأت في التكون
في معاني التاريخ وحوادثه ، واخذت تنمو حتى وصلت الى هذه الفكرة
النهائية « أيهما اجدى على الانسانية الصراع في سبيل شهوة صراعاً قد
يؤدي الى الحرب والدمار أم الايمان برسالة المحبة التي يجب ان
تقوم عليها العلاقات بين الافراد ؟ » وقد اهتم المؤلف ببعض شخصياته ،
وخدمها خدمة صحيحة وتعمق في قراراتها واجاد في تحليلها ، وخير مثل
على ذلك (منحوس) الذي صور الدوافع الخلقية والنفسية والاجتماعية
التي ساعدت على تكوينه العدائي المائل الى الشر ضد الانسانية جمعاء .
كما اجاد في تصوير شخصيتي (منصور وابي جورج) فهي لا تعيش
وتتكلم فحسب ، بل تنمو وتتطور . وهي وليدة البيئة التي يعيشان فيها وهما
يتأثران بها ويستجيبان لها ، ولكن تبرز ذواتهم خلال اللون العام ،
فتبرز الشخصية واضحة المعالم ، وبواعث سلوكها مبسطة بوضوح .
والشخصيات شخصيات آلام وكوارث ، معظمها تحمل اقدارها الفاجعة
كخشبة الصلب على عواتقها ، وبالرغم من مرح بعضها كشيبة متجهمه
تلفها جهامة الالم والجد واحدة واحدة . كأبطال أساطير الاغريق .

(٨١) المصدر السابق ص ٥٨ - ٦١ .

« اصوات يخرجهما اصداق العريس ابتهاجاً فرحاً .

وقد ساعد الحوار على تطور الموضوع ، وعبر عن انفعالات الشخصية في مواقفها المختلفة ، كما اتسم بالبساطة . فهو وسيلة للعرض والتحليل ، واكتساب الحوادث ابعاد الحياة النابضة ، وبذلك ساعد على تمثيل الحركة القصصية تمثيلاً حياً ، كما يمثل الحوار اللون العام لأسلوب الكاتب السهل فلا تأنق فيه ولا تكلف وان كان لا يميل الى الدقة او العناية بالشكل فتشيع الاخطاء اللغوية في الحوار كما تشيع في أسلوبه السردي (٨٢) . وقد يمزج احياناً بين اللهجة المحلية واللغة الفصحى (٨٣) . فتدخل ناحوم محاولاً تهديئة أبي ابراهيم - انقل على الشيطان يا اسطى ابراهيم الدنى ما تسوا افدا لك الخوجة رحيم رجل طيب فهو لم يتقاض منك ما تقاضى الا لايمانه بمساواة المعاملة انه رجل صريح لا يخفى باطنه عن ظاهره الكل امامه سواسية الصديق والعدو الداني والقاصي (٨٤) كما يكثر من استخدام الامثال المحلية بعد صوغها بالفصحى في الحوار (٨٥) . فأكمل ابو جورج كلامه - سمعت المحترم مرة يقول من حافظ على البارة حافظت المجيدية على نفسها ومن بذر البارة حكم على المجيدية بالبور .

اما أسلوبه فتقريرى بسيط غير ايحائي فهو لا يترك المقارىء ما يكتشفه بنفسه بل يقول كل شىء باسهاب ، وهو لا يأبه لتجميله

(٨٢) أخطاؤه كثيرة ولا تكاد صفحة واحدة تخلو منها ولعل السبب

يرجع الى عملية الطبع .

(٨٣) المصدر السابق ص ٦٧ ، ١٥١ ، ١٨٢ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٧ .

(٨٤) المصدر السابق ص ٨٥ .

(٨٥) المصدر السابق ص ٦٧ ، ١٥١ ، ١٨٢ ، ١٩٢ ، ٢٠٧ .

او زخرفته وحسبه منه ان يعبر عما يريد المؤلف ، ولم يكن اسلوبها قوياً فنيا بل ضعيفاً غير محيوك الجمل والعبارات ركيبكا (٨٦) نشيع فيه الاخطاء اللغويه وتجييء عبارات عامية في السرد (٨٧) أحياناً ، «بانتصاف الليل اذداد الضجيج وعلا صوت الصراخ وقد اشتدت عريدة المعريدين وامتزج الغناء بزفرده المزغردين وصوت النقارة والدف والعود مع هذيان السكرى وثرثرتهم وتصفيق المنشعين ، والحق يقال لم يبق بين القوم صاح فقد لعبت بنت الحان الساحرة بالرؤوس فأدارتها وبالعقول فخمرتها وبالنفوس فحورتها والأجساد فأظمأتها لتزيد لحاحاً طلباً الى المزيد من المدام دونما ارتواء» (٨٨) كما اكثر من استعمال الصفات : المعترم ، السارق الجشع ، مكشر الانياب كحمار خائر ، حماته الشريرة ، البالغ ادنى غايته من الاسفاف والانحطاط (٨٩) ، او استخدام التشبيهات غير المناسبة : ويزعق كنبيح كلب ، وهديره كقوقعة (٩٠) وقد يميل الى الاسلوب الخطابي في المواقف (٩١) التعليمية التي يقف فيها المؤلف وراء الشخصية يزجي بواسطتها النصائح والارشادات الى القارىء .

(٨٦) المصدر السابق ١٥٩ ، ١٧٨ ، ٥٧ .

(٨٧) المصدر السابق ٥٧ .

(٨٨) المصدر السابق ١٠ ، ١١ ، ٣٩ ، ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٨٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨ .

(٨٩) المصدر السابق ٧٣ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ١٢٨ .

(٩٠) المصدر السابق ٨٥ ، ١١٨ ، ١٢ .

الرواية الشعبية

ويظهر الأدب الشعبي في بعض الروايات العراقية الحديثة مثل رواية (في قرى الجن) ١٩٤٤ لجعفر الخليلي ورواية (رجل الاسوار) ١٩٤٨ لعبد الكريم عباس ، ورواية (شيخ القبيلة) لحمدي علي و (ابن الناطور) ١٩٣٠ لفهمي مصطفى .

وقد جعل الادب الشعبي للعشق بين الجن والانس سبيلا ، فما من اكثر ما يحب رجال الجن نساء الانس ورجال الانس نساء الجن ، وربما احب الانسان جنية ، وتجشم في سببها! الاهوال ، كما نرى في قصة حسن البصري ، من قصص الف ليلة وليلة . وما اكثر ما كان العرب القدماء يتحدثون عن اولئك الجن الذين كانوا يتصلون بالكهان من رجال الانس ونسائهم ، ويتحدثون اليهم بأنباء الغيب . ومنذ عرف الناس في الديانات السماوية امر الشيطان ، وما كان من معصيته لله ، وطرده من جنته ، تأثروا بهذا الشيطان في آدابهم وفنونهم على اختلافها(١).

وقد تأثر جعفر الخليلي في روايته (في قرى الجن) بكل ذلك ، واستعار لها جواً غير واقعي تتحرك فيه شخصيات كأجواء الف ليلة وليلة ، حيث تعج بالسمحر والبخور والدرأويش والعفريت الذي يصيح

(١) سبير قلماوي (ألف ليلة وليلة) ص ١٣٧ .

(لبيك لبيك) . وقد امكن الكاتب فيها في الحديث عن نقائص الحياة
الحاضرة ، وحاول ان يرسم مثلاً أعلى للحياة في السياسة والعمل
والحب والقضاء ، وكأنه يتحدث عن مدينة فاضلة يصورها في قرى
الجن (٢) .

وتدور عقدة الرواية حول حب الجنية لانسي وخطفه ليلة زفافه ،
وهو موضوع يتكرر في الليالي كثيرأ في قصة التاجر والعفريت (٣) .
« فلما استيقظت زوجتي انتفضت فصارت عفريتة فحملتني
وأطلعتني على جزيرة . . . » (٤) ، وفي قصة انس الوجود وحببيته (٥) .
وكانت من جن الصين وقد احبت انساناً وخافت على نفسها
وعليه من اهلها . . . (٦) ، وقد تكرر في الف ليلة وليلة خطف
العفريت للانسية في ليلة زفافها ، ففي الصفحات الأولى منها جاء « فلما
نظر اليها الجنبي قال : يا سيده الحرائر التي اختفتها ليلة عرسها أريد
ان انام قليلاً » (٧) وفي حكاية الحمال والبيع بنات ، وقصة الصعلوك
الثاني (٨) وحكاية هارون الرشيد والكسلان (٩) ، وفي حكاية
سيف الملوك وبديعة الجمال (١٠) .

(٢) انظر جميل سعيد (المصدر السابق) ص ٤٧ .

(٣) - الف ليلة وليلة الجزء الأول ص ٣٠ - ٣٢ طبعة دار الهلال .

(٤) المصدر السابق ص ٣١ .

(٥) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٢٤ - ٢٤٦ .

(٦) المصدر السابق ص ٢٤٢ .

(٧) المصدر السابق ج ١ ص ١٧ .

(٨) المصدر السابق ج ١ ص ٨٣ - ٨٧ ، ٩٢ - ٩٣ .

(٩) المصدر السابق ج ٣ ص ١٥٠ .

(١٠) المصدر السابق ج ٥ ص ١٤١ .

وتعد هذه الرواية وثيقة احتجاج أدبية على نظام حكم فاسد ، يعيشه مجتمع مطحون لمجموعة من الحكام البعيدين عن احلامه وأمانيه ، وقد استعار المؤلف الجو من الف ليلة وليلة ، ليتخلص من بطش الحكام وعمقائهم ، فوراء البناء القصصي (في قرى الجن) نقد ودعاية وعرض لمشاكل العصر الانسانية من ناحية ولجميع مظاهر الحياة في العراق من ناحية اخرى مقارنة ايها بما هو شائع رمتبع في قرى الجن ، وقد خلق المؤلف من هذه القرى مدينة فاضلة ، وضع لها اسما كما فعل افلاطون في الجمهورية وتوماس مور في (اليتوبيا) .

ومن ناحية أخرى جعل موضوعه قصة اسطورية ذات مجال يتسع للخوارق والرمز ، فبنيت (الملك الأزرق) ملك الجن تخطف (طاهر السامي) ليلة زفافه لتزويجه ، بعد ان هامت به حياً للملازمة وقوته . ويستطيع صديقه (كريم الغرباوي) ان يسخر الجن بعد فشل ام طاهر ، ومساعدة (الملا مهدي) ويصبح العفريت (مروان) خادماً له ، حتى يميته من كثرة طلباته . ويستطيع الغرباوي بمساعدة صديقه وخادمه مروان الحصول على الخاتم المسحور ، والنظارة السحرية والقلم السحري ، ثم ينتقل الى عالم الجن على ظهر عفريت ، وفي هذا العالم السحري ينقلب الى نملة ثم الى كلب حتى يعود الى صورته الطبيعية ، ويعيش سعيداً مع سكان العالم السفلي (١١) .

(١١) الخليلي (في قرى الجن) ص ٧٢ - ٧٧ ، ٨٠ - ٨١ ، ٩٨ ، ٩٩ - ١٧٨ ، ١٨٩ ، ١٢٢ ، ١٧٥ ، ١٥٤ - ١٦٠ ، ١٧٢ ، ١٠ ، ١٠٤ - ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ - ١٤٦ ، ١٥٢ .

ولا يكتفي المؤلف بهذه الصورة العامة المنتشرة في الف ليلة ، بل يلجأ الى نقل موقف كامل ليضعه صلب روايته « . . . وانتصف الليل وباشرت ام طاهر عملها . . . ثم تكاثف الدخان وسط سماء الغرفة حتى كان في حجم اشبه بالقمقم او الجرة وما كادت توالى القراءة حتى انفجر هذا القمقم المملق في السقف ، فخرج منه ديك كبير اسود اللون واسع العينين . . . وانشق على اثرها سقف الغرفة ، وخرجت منه افعى ذات ستة قرون واربعة عيون وهي في سمك قد يزيد على سمك الشجرة المتوسطة من اشجار التوت ، ولها فحيح مرعب ، وقد اندلعت النار من فيها . . . واذا بيد غريبة مرئية تحمل ام طاهر من محلها ، وترفعها الى سقف الغرفة ، وتلقي بها من هناك محاولة اخراجها من الخطة » (١٢) . وجاء في الف ليلة وليلة « ثم ان بنت الملك اخذت بيدها سكيناً مكتوباً عليها اسماء عبرانية وخطت بها دائرة في وسط القمر وكتبت فيها اسماء وطلاسم وعزمت بكلام لا يفهم تماماً كما فعلت ام طاهر في قرى الجن - وبعد ساعة اظلمت علينا جهنمات القصر حتى ظننا ان الدنيا انطبقت علينا واذا بالعفريت قد ندلى علينا في اقبح صفة (. . .) ثم انقلب اسد وفتح فاه وهجم على الصبية (. . .) فصار راسه عقربة (. . .) ثم انقلب عقاباً » (١٣) . وتتكرر امثال هذه المواقف المستعارة من الف ليلة (١٤) .

(١٢) في قرى الجن .

(١٣) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٩٢ - ٩٣ ،

(١٤) في قرى الجن : ١٦ - ١٧ ، ٢٥ - ٢٨ ، ٣١ - ٣٤ ، ٤٠ - ٤١ ، ٤٢ -

٤٦ ، ٤٥ - ٥٤ ، ٨٠ ، ١٤٦ ، ١٤٧ - ١٤٨ ، ١٥٣ .

ووراء كل ذلك رسالة الكاتب الأدبية في إبراز ما في القمص الشعبي من ممكنات قصصية ، تتكيف مع مقومات العصر وتياراته الفكرية المختلفة ، ولا تقف هذه الممكنات عند حد المستوى القومي المحلي ، وإنما ترمي الى بلوغ المستوى الانساني الرفيع بما لها من رسالة انسانية ، ووراءها رسالة الكاتب السياسية العامة التي تعكس مجال الحرب العالمية الثانية ، ووراءها رسالة الكاتب الاجتماعية ، من حيث معنى الخير والشر ، ومشكلات السياسة والحرب ومعنى الديمقراطية ونظام الطبقات والحقوق الدستورية . وقد تفاعلت هذه العوامل مع مقومات فن الكاتب العامة الاولى من نزعة للعناية بالعرض اللغوي الجمالي الذي تكثر فيه المترادفات اللفظية والمعنوية والتصوير الحسي للمعنويات .

وعمد الكاتب الى استعمال طريقتين في السرد : اولهما طريقة السرد المباشر والثانية طريقة الوثائق او الرسائل المتبادلة . وتميزت الطريقة الاولى بالحركة والتشويق . فالرواية حلقات متتابعة من الحوادث والاخبار المشوقة ، التي تستأثر بلب القارئ بما ساقه من غرائب عالم الجن ، في حين انعدمت الحركة في الطريقة الثانية ، وحل محلها سرد تقريرى تناول اراء المؤلف الخاصة في الاصلاح والتهذيب كما ذكرنا سابقاً . والأسلوب السردى هو احسن ما يستطاع من اساليب ادبية مع الرمز ، فالراوي في الرواية يمنع القارئ من ان يتمثل نفسه في شخصياتها ويباعد بينه وبين الحديث مما يجعل ملكة النقد مستيقظة دائماً لدى القارئ ، بحيث ينفذ اليه الرمز مباشرة ويطلق على سطحه الراعي اثناء عملية القراءة ، وبذلك ينتقل القارئ من الظاهر الى

الباطن ، او من المستوى الحرفي للرواية الى المستوى الاستعماري بسهولة دون ان يفقد الرمز عمقه . ولو اتبع الخليلي اسلوباً غير الاسلوب السردى ما احتفظ بعمق الرمز ، ولما ظهر فيه المستوى الشخصي والمستوى السياسي والمستوى الميتافيزيقي ، ولما اتحدت المجالات الثلاث الانسانية - الشخصية والاجتماعي والتأملي - في رمز الرواية ، ولما توصل الخليلي من خلالها مع التجربة الانسانية . وقد امتاز قلمه بالسخرية اللاذعة التي لم تكن تنبع من اصطدام شخصه ، وليست فكاهة مفارقات ، اي الفكاهة التي تنتج تلقائياً من عمليات اصطدام او مقارنة او تفاوت بين مواقف ووجهات نظر مختلفة ، بل هي فكاهة انتقادية مفكرة هادفة في تعمق طبائع الناس وتفهم الدوافع التي تدفعهم الى التصرف « وما اسرع ما وضع الشيخ كريم النظارة على عينيه - النظارة السحرية فالفى امه العجوز تجمع فضلات الطعام وما تبقى من الخبز لتقدمها للسائل . . . وما كاد يلقي بنظرة عليه من وراء النظارة حتى وجده يحمل احد عشر مجيدياً فضياً ورأى من بعيد من وراء حجب الجدران احدى غرف الخان الذي يسكنه هذا الشحاذ وقد دفنت في زاويتها مئات من العملة الذهبية التركية وهنا وقف وقفه حائر ايهم على هذا الشحاذ ويسلبه ما يحمل من دراهم ام يتريث قليلاً ويرجى الامر الى وقت آخر ، ثم رأى اخيراً ان من الافضل ان يؤجل الانتقام من هذا المشرى على حساب الاستعطاف والمرورة الى ساعة غير هذه الساعة وبدا له ان يستكشف من يراهم من هؤلاء الشحاذين الذين غصت بهم هذه المدينة وسائر المدن العراقية » (١٥) .

(١٥) في قرى الجن ٨٠ - ٨١ .

وتقوم روح الفكاهة فيها بوظيفة فنية ، فهي ترسم جزءاً هاماً من الروح العراقية ، يتمثل في حب المرح والدعابة ويستخدم الكاتب الفكاهة في انتقاد المجتمع انتقاداً لاذعاً ، لنواحي عديدة من مظاهر الحياة في العراق (١٦) . وهذه كلها نواح تفيد الرواية فنياً وتزيد من ربط القارئ بها .

والاسلوب في الرواية جميل متقن ويستعين الكاتب بالشعر في بعض الاحيان (١٧) مع اهتمام بتصوير البيئة والجو العام للحوادث ، ويعتمد احياناً على الحوار لاحياء الشخصيات وبث النشاط في الحوادث .

وقد يحدد ملامح شخصياته وعلى الاخص شخصيتي (طاهر الساعي وكريم الغرباوي) واهتم بوصفها وصفاً خارجياً « الشيخ طاهر فقي وحيد امه وابيه حياء الله بشيء غير قليل من الملاحمة والوجاهة ورزقه قامة معتدلة واعضاء متناسبة » (١٨) ، كما اهتم بتحليل عواطفها ، وحاول تصوير الصراع الداخلي والحياة الداخلية لهما . وقد وفق في معالجة العواطف العنيفة التي ظهرت في حب (طاهر الساعي) للمجنونة وتردده بين حياة الجن المثالية وشوقه لأسرته والصراع الذي وفق المؤلف في اظهاره عندما اشتاق (كريم الغرباوي) الى الاستقرار في عالم الجن ، واشفاقه على امه التي بقيت وحيدة من بعده ، وانفصالاته عندما حول في عالم الجن الى نملة ثم الى كلب .

(١٦) انظر صفحة ٦٩ ، ١٠٦ ، ١٧٥ .

(١٧) في قرى الجن ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

(١٨) المصدر السابق ص ٥ .

أما الشخصيات الثانوية فقد لفت بالغموض واختفت آثارها من مسرح الرواية واطفى عليها سيل المعلومات التي يكتبها (طاهر السامي) عن عالم الجن ، مليئاً برغبة صديقه المطلعة الذي يلحف بالسؤال عن كل شيء . ولولا ان هاتين الشخصيتين ترددان تلك الاسماء لما عرفنا لها وجوداً او شعرنا بأهميتها .

وقد يلجأ بعض المؤلفين الى خلق قوى غيبية تتدخل في كثير من المواقف تدخلا مباشراً ، وكأنه يرفع المؤلف بهذه القوى المشكلة من مجال المناقشة الى مجال المسلمات ، اذ تتمتع هذه القوى بنفوذ اكيد خطير يرتبط بالدين كما يرتبط بالمعجزة ، ومن هذه القوى الشخصيات الأسطورية (كالخضر) عليه السلام ، الذي تبدو شخصيته كالروح الخفية المسيطرة الذي تحمي ابناءها ، وتؤكد لهم النصر وتخرجهم من المأزق وهذا الدور الغيبي الذي تلعبه هذه القوى ، يرمز الى القوى العميقة التي تربط ابناء هذا الشعب وتسير مصائرهم نحو هدف مشترك واحد لا بد من اجل تحقيقه ان تصفو نفوسهم بعضهم لبعض وان يتآخروا أخوة الصداقة وأخوة الصلاح تلك الاخوة التي تجتمع بينهم في كفاح مشترك يحقق لهم النصر ، بل يمكن ان نقول ان هذه القوى الغيبية برموزها المتعددة وحركتها الخفية وراء الاحداث ثم اهميتها في سير الاحداث يمكننا ان نعتبرها رمزاً للاساس الفني الهام الذي تقوم عليه وحدة بين شعوب المنطقة ، اذ تشعر بوحدتها وارتباطها بنوع من الملاقة الخفية التي تعمل دون ان تظهر ظهوراً حقيقياً وانما تظهر آثارها دالة عليها (١٩) .

(١٩) فاروق خورشيد (اضواء على السير الشعبية) ص ١٠١ - ١٠٢ .

وقد اعتمد كاتب عراقي هو (عبد الكريم عباس) على هذه القوى
في روايته (رجل الاسرار) ، التي يحدثنا فيها عن ذهاب بطل الرواية
(عامر) عبر الصحراء الغربية في شمال افريقيا الى (معبد داود)
وتعرفه على الكاهن الذي يثق بعامر ويريه عجائب الوجود وسيطرة
الانسان على الشياطين والحیوانات ، وبعد ان يجتاز عامر الامتحان الذي
يعقده له الكاهن بنجاح ، يهبه خاتماً يسيطر به على الشياطين ،
وشمعة تنير له الحياة ويتغلب بواسطتها على صعاب الحياة (٢٠) « رأى ذلك
الشيخ الهادي الوداع يسلط على الأفعى عينين فيهما من النفاذ ما لم
يكن ينتظره عامر (. . .) فاذا بها تجمد في مكانها وكأنها اصابتها
صاعقة والتفت الشيخ الى عامر قائلاً في صوت هامس : انها الحارس
الامين لباب حجرة سليمان فما يستطيع ان يقترب من الحجرة انسان
ما لم تكن لديه القوة التي تؤثر فيها (. . .) وقاده الى منضدة من
المرمر وعليها لوحة من المرمر أيضاً وأشار الراهب الى كتابة حجيبة على
سطحها وقال : هذا امر من سليمان عليه السلام وهذا ختمه في نهايته
. . . ثم يقوده العفريت الذي يطير به الى مسافات شاسعة حتى يوصله الى
(صومعة الصحراء) فاذا بالباب يفتح على مصراعيه وما ان يدخل
حتى يسمع صوتاً قوياً خفياً يأمره بالتقدم وتنعقد له الاصوات اختبارات
عديدة مفزعة يفوز بعد ان يجتازها بنجاح ، مر عامر خلال خمس
وستين وثلاثمائة قاعة كانت تتشابه جميعها وكان يدخل كل قاعة بعد
مشكلة ليخرج منها وفي اليوم الأخير انتهى الدهليز وظهر له نور النهار
بيهجته وبهائه (. . .) وفي نهاية الصفيين رأى منيراً من الذهب يجلس

(٢٠) عبد الكريم عباس (رجل الأسرار) ص ١٠٦ .

فوقه شيخ وقور (. . .) وسمع صوتاً يقول : تقدم يا عامر وحيى سيدنا
الخضر (ع) الجالس على المنبر (٢١) وبعد ان يتحدانا يقوم القوم للصلاة
ويدعو سيدنا (الخضر) الى ربه المسلمين العرب دعاء طويلاً يستغرق
أربع صفحات ويمكنك جنة (صومعة الصحراء) ، ويشاهد فيها من
الأعاجيب ما يعجبه اعاجيب الف ليلة ويطلعها (الخضر) على سر الحياة
وكيف تنفصل الروح عن الجسد « ولقد تجزأت يا بني كما قلنا الى
جزأين الروح والجسد بعد ان اشعلت قطعت الرق فجاءت روحك لصومعة
الصحراء لكي تريض وتقوى وأما جسمك فيأتي في غرفة سليمان وقد
نقله اليها كهنة معبد داود ولكي تشع عليه سعة الغيب المقدسة من
ينابيعها الالهية القوة والمقدرة » (٢٢) . ويستطيع عامر بفضل هذه القوة
التي منحه اياها (سيدنا الخضر) ان يعالج المرضى المشرفين على
الموت ويشفيهم .

ويسلمنا المؤلف من قصة الى قصة ، يسرد الاحداث ويسوق الانباء ،
فمن العراق الى استنبول ومنها الى مصر ومن الازهر الى معبد داود ومن
معبد داود الى صومعة الصحراء ومنها الى تونس ومنها الى الصحراء
الكبرى ومنها الى مصر ثانية ، كل قصة تتشابهك مع الاخرى ،
فتتشابهك مع حكايات المكر الذي يدبرها (زياد) ، والشجاعة التي
يقوم بها (عامر) بمساعدة الجن من ناحية والرجال الصالحين من
ناحية أخرى . والقاص الذي يقفز من حركة الى حركة ، ومن حادث
الى حادث ومن موقف الى موقف دون استخراج للبواعث ويعلم

(٢١) المصدر السابق ص ١٠٩ - ١٤٢ .

(٢٢) المصدر السابق ١٣٦ - ١٣٧ .

التصرفات ، أقرب شياً بمن يسجل انباء موقعة يتخيل أبطالها في معترك فيعز من يشاء وينذل من يشاء ، وبذلك تغلو القصص من تلك المقومات التي تصلها بالاعراق الانسانية في حقائقها الثابتة وجوهرها الصميم (٢٣) .

والرواية مليئة بالحشو والاستطراد ، فقد شرح المؤلف نظريات فلسفية ونظريات في التنويم المغناطيسي « ومن فلسفته ايضاً انه ليس للروح المقدرة على الظهور والقيام بفعل يؤثر على الجهاد فهي مجردة من المعاد والاعضاء وكان يتلقى هذا الامر بوصفه وسيطاً يجرده من ارادته بالتنويم المغناطيسي لتحل الروح المطلوبة في جسمه وتتكلم على لسانه . وفي بعض الاحايين كانت الارواح تظهر له دون وسيط فكان يعمل هذه الظاهرة بأن الكون ذرات حية نتيجة لتحلل اجسام الموتى من البشر والحيوان فمجال الروح المغناطيسي يجمع هذه الذرات فتظهر بها المادة ويكون ظهورها مصحوباً بهالة من النور ، وذلك للتبادلات المغناطيسية الروحية مع الخلايا الحية . . . » ويتحدث حديثاً مسهباً عن كيفية تحريك اليد وما يحدث للمعضلة من انكماش وانبساط ، وتأثير (السيال) الذي يسري عن طريق الاعصاب الى الدماغ (٢٤) . ولكنه لم يوفق في شيء من ذلك ، واصبح هدفه جذب القارئ ، والتأثير عليه . ويكاد المؤلف يخضع لنفس الصفات التي يصف بها الدكتور عبد الحميد يونس سيرة الظاهر بيبرس في قوله « وليس من اليسير أن تلخص هذه السيرة الشعبية كما تلخص بعض الحكايات

(٢٣) محمود تيمور (دراسات في القصة والمسرح) ص ٩٥ .

(٢٤) المصدر السابق ص ٦٣ .

والقصص والمسرحيات لأنها حلقات كثيرة فيها الوقائع والاحداث وتزدحم بالرجال والنساء وتتسع رقعة الارض التي كانت مسرحاً لما عجت به القصة من وقائع وحروب وهي تشبه الى حد كبير الروايات المسلسلة المعروفة في ايامنا : كالقصص البوليسي الذي لا تكاد تعرف له نهاية ولا يكاد يجمعها خط عريض واحد يضبط سير الحوادث فيها ويحدد ما بين احداثها من علاقات بارزة » (٢٥) .

ويبرز تأثير الف ليلة وليلة وسيف بن ذي يزن من القصص الشعبي في هذه الرواية فمساعدة الخضر لعامر تشبه الى حد كبير مساعدة الخضر لسيف بن ذي يزن ، وهو في طريقه الى جزيرة (واق الواق) لانقاذ زوجته (منية النفوس) وولده (مصر) (٢٦) ، وعند عودته من الجزيرة وقد اصطحب معه زوجته وابنه (٢٧) ، كما يظهر تأثير الف ليلة وليلة وقصة سيف بن ذي يزن معا في دور العفاريت التي تحمل البطل الى مسافات بعيدة ، او الى بلاد لا يستطيع ان يصل اليها انس ويبدو هذا التأثير كذلك في الاشارة الى معبد داود المتوارث عن سيدنا سليمان ، واللوح الذي ختمه بخاتمه ، والعجائب التي رآها عامر في كل من معبد داود وصومعة الصحراء . ولا يظهر تأثير القصص الشعبي في الموضوع فقط بل يتعداه الى الشكل ايضاً ، فمؤلفها يعلق على الاحداث (٢٨) بالشعر ويربط بين الفصول بنفس الطريقة التي يربطها بها راوى السيرة

(٢٥) انظر عبد الحميد يونس (الظاهر بيبرس) .

(٢٦) فاروق خورشيد (مغامرات سيف بن ذي يزن) العدد ١٩١ روايات الهلال ص ٤٥ - ٤٦ ج ١ .

(٢٧) المصدر السابق العدد ١٩٢ ج ٢ ص ٥٧ ، ٨١ .

(٢٨) رجل الأسرار ١٤٤ - ١٤٥ .

الشعبية (٢٩) « ويمجز القلم ان يرسم صورة لشعور عامر وهو يجابه هذه المعضلات فلنترك القارئ ان يتصور بنفسه ونعود فنقول انه برغم كل ذلك استجمع عامر شجاعته وتقدم الدهليز راکعاً (٣٠) ومرة اخرى نرجوالمعذرة من القارئ اذا مررنا مر الكرام على ذكر رحلة عامر من مصر الى العراق ، ويكفى ان نقول انه استقل سفينة الى بيروت ثم اجتاز الشام الى العراق » (٣١) .

وترجع حاجة المؤلف الى مثل هذه الروابط الى انعدام الحتمية والسببية في تسلسل هذه الاحداث في الرواية ، مما يجعل نهايتها لا ترجع الى التسلسل المنطقي للاحداث ، وانما ترجع الى ان المؤلف قد استنزف كل ما لديه من حيل والاعيب .

ولا تختلف الروايات التي تأثرت تأثيراً مباشراً بالقصص الشعبي عن هذه الرواية الا اختلافاً نسبياً ، فقد علق حمدي على احداث رواية (شيخ القبيلة) ١٩٥٢ بالشعر (٢٢) ، وربط بين فصوله بنفس الطريقة التي استخدمها عبدالكريم عباس ، وتشبه روايته رواية عبد الكريم عباس في الاحداث الخيالية ، وتقديم سلسلة من الاحداث العجيبة ، والمغامرات التي لا ارتباط بينها وفي الربط التعسفي للفصول واستخدام الشعر والحكم والامثال ، وتكديس الاحداث دون تقييد بالزمن والمكان . كل ذلك المتأثير في القارئ وتسلية ، كما انها تستجيب لذوق جماهير الشعب . ومن الطبيعي ان تنعكس الظروف

(٢٩) المصدر السابق ٤٥ ، ٧٧ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٦٦ ، ١٧١ ، ١٩١ ، ١٩٦

(٣٠) المصدر السابق ص ١٢٤ .

(٣١) المصدر السابق ص ١٦٦ .

(٢٢) حمدي علي (شيخ القبيلة) ص ١٩ ، ٢١ - ٢٧ . الخ .

والمؤثرات التي اثرت على الحدث وبناء العقدة ، في هذا النوع من الروايات على اختيار شخصياتهم .

ونجد في شجاعة (علي) الذي انكرته قبيلته ، شجاعة (عنقرة) ونكران قبيلته له وشجاعة ابي زيد الهلالي (٢٣) ، ونجد في بداية الرواية لمحات عن (الأميرة ذات الهمة) عندما تخرج ام علي هاربة بعد ان ذاقت الهوان على يد شيخ القبيلة المغتصب للمشيخة .

وفي سيرة علي الرماح تعريض بالحالة الاجتماعية ، ونقد للفساد المستشري في نظام الحكم - نظام المشيخة . حتى ضاع الأمن ، واصبحت اليد العليا للبطش والقوة ، لا للقانون والنظام . كما تمثل الرواية في احداثها هجوماً مباشراً على اصحاب السلطة انفسهم ، فتصورهم بصورة مجموعة من اللصوص والقتلة وقطاع الطرق ، وصلوا الى السلطان عن طريق التفوق في السرقة ، والامعان في البطش والغدر والمهارة في اللصوصية .

وفي هذا الاتجاه تسيروا رواية (ابن الناطور) ١٩٣٠ لفهمي مصطفى . وربما كان هذا تعريضاً بالقائمين على الحكم في العراق آنذاك . ونجد اثراً لسيرة علي الزئبق في اتجاه الكاتبين من هذه الناحية بالذات . كما يظنني جو الف ليلة على رواية (ابن الناطور) في مواقف اللصوص ، وحياتهم في مغاورهم النائية ، والتجارب التي يجرونها على من ينضم الى زميرتهم « أتري هذا الكهف ؟ الحيوانات الوحشية على اختلاف انواعها تسكن فيه فادخله وامشي الى الامام حتى تصل منتهى المقارة وهناك

(٢٣) عبد الحميد يونس (الهلالية في التاريخ والادب الشعبي)

١٠١ - ١١٦ الباب الأول .

تجدد جمجمة بشرية على الطريق وربما عثرت بها فعليك ان تسحقها
بصخرة تجدها هناك في داخل هذه المغارة كثيراً من الشياطين والمردة
والارواح الخبيثة ، وان كثيراً ممن ارادوا الدخول الى عصابةتنا جنوا عند
دخولهم هذه المغارة . . « (٣٤) .

وقد كتبت هذه الرواية بأسلوب نثري بسيط ، مع الاستعانة بالسجع ،
عند تصوير العواطف المتأججة او الحوادث المشيرة ، ويكثر في هذه الروايات
التمثل بالاشعار ، ولا تخلو من ضعف في التركيب وضآلة الاوصاف
الجميلة الملهمة ، باستثناء (حمدي علي) فقد كانت لغته سليمة بصفة
عامة ، الا ان القاص جشم نفسه عناء انتقاء بعض الكلمات ليكسب
اسلوبه قوة ، فبدت كرقع مستعارة لشوب خلق . اما شخصياتهم فبسيطة ،
وتكاد تكون نماذج ثابتة فهي اما خيرة مثل (علي الرماح - ابن الناطور)
او شريرة مثل (موسى الفاضل - قرة عثمان) ، ولا وسط بين الحالين ،
بالاضافة الى أنها لا تعني باحيائها بل تتركها باهتة الالوان ضعيفة
النبضات ، وكأنها دمي خشبية تحركها يد المؤلف في هذا الزخم الحاشد
من الاحداث .

الرواية الرومانسية

تأثر العراق بالحضارة الاوربية، وقلدها في اساليب الحكم والادارة والتربية والسياسة والاجتماع، وأخذ منها ما انتجته صناعتها كما اسلفنا في الباب الاول، ولكن نتائج هذا التأثير لم تظهر بوضوح الا بعد الاحتلال البريطاني للعراق، وخاصة في الثلاثينات وفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، فانقلب المجتمع العراقي نتيجة هذا التأثير الى مجتمع معقد مضطرب، تصارعت فيه القيم واختل التوازن بين حاجات العقل وحاجات الجسد. والسبب في ذلك ان التقدم الحضاري الذي حققه المجتمع العراقي، لم يكن مصحوباً بتقدم ثقافي اصيل، يعين على الحياة الجديدة، وقد سبق ان بينا ان المستعمرين العثمانيين والانكليز، لم يلتفتوا الى تشجيع التعليم في العراق، بل كانت سياستهما في التعليم تتجهان الى مقاومة التعليم بعامته والتعليم العالي بصفة خاصة. وذلك لخلق نموذج من القادرين على القراءة لا يتمتع باستقلال الشخصية، ولا القدرة على التفكير الحر المستقل. وامتدت مقاومة المحتلين من التعليم العالي الى التعليمين الثانوي والابتدائي. وان كانا قد شجعا نسبياً، التعليم الاولي لتخريج جيش من الموظفين الذين يقومون بتنفيذ الاوامر الادارية، التي يصدرها رؤساء الدوائر الاتراك او الانكليز في العراق.

وقد ساعدت هذه السياسة على ايجاد طائفة كبيرة من العراقيين يستطيعون القراءة والكتابة ، ولكنهم لا يتمتعون بقدر مناسب من الوعي ، يدفعهم الى التنبيه للمشاكل الحقيقية في بلادهم .
فنشأ تباين بين مطالب الحضارة ومطالب الثقافة ، وعانى الوطن من ازمة نمو حادة لسرعة تبدلاته المادية ، وببطء تبدلاته الروحية ، حتى اختل التوازن بين قواه الفاعلة والقوة المنفعلة . وكثرت البعثات الى الغرب بعد قيام الحكم الوطني لتلقي العلم هناك ، كما جاءت الثقافة الغربية تسمى بين الناس بصورة اوسع مما كانت عليها قبل الحرب العالمية الاولى ، نتيجة تيسير وسائل النقل واقبال العراقيين على الكتب والصحف الانكليزية ، بعد ان قويت ملكتهم في هذه اللغة عن طريق المكتبات الاجنبية ودور السينما والاذاعة . واتهم القراء العراقيون الكتب الاجنبية ، واطلعوا على الفكر الغربي ، وخاصة المؤلفات التي تأثرت بمؤثرات الثورة الفرنسية ، وبالنزعة الرومانسية التي كانت سائدة في ذلك العصر . على ان الاتصال الفكري والثقافي بين العالم الغربي والعراق ، لم يكن السبب الاول في النشأة الرومانسية ، فقد وجدت الرومانسية المجلوبة نفسها على وفاق مع روح البلاد . واعطت العوامل السياسية والاجتماعية والنفسية وما مضت من اهمية بالغة نالتها الطبقة الوسطى والانحطاط الاقتصادي والثورات العديدة (١) ، وعاطفة

(١) ثورة العشرين التي هدفت الى التخلص من السيطرة الاجنبية وثورة الآثوريين في الشمال المدفوعة من قبل الاستعمار الانكليزي والمطالبة بوطن شرعي مستقل لهم . وثورة العشائر في الجنوب وثورة الرميثة الاولى وثورة سوق الشيوخ وثورة بني ركاب وثورة الرميثة الثانية وثورة قبيلة الاقرع بتجنب الطائفية ومنع التخريب ضد الشيعة . والانقلاب العسكري الذي

الشعب المفرطة ، كل ذلك اعطى الاتجاه الرومانسي ارضاً صالحة ملائمة .
لقد وجدت الرومانسية نفسها على وفاق مع روح البلاد ، واعطت
الاحداث المتأزمة المتتابعة في العراق كالانطباع المأسوي الذي تركته
الحرب في النفوس ، والالام الانسانية التي سببتها ، والخوف من المجهول ،
ومأساة فلسطين وما خلفت من جروح غائرة في كرامة كل عربي والتأثر
للكرامة العربية . كل ذلك مجتمعا اعطى الاتجاه الرومانسي ارضاً صالحة
ملائمة . وقد ساعد الشعور باليأس ، الذي ساد البلاد عقب فشل ثورة
المشربين والثورات التي تلتها ، على أن تصبح وظيفة القراءة عند فئة
المتعلمين ، مقتصرة على تحقيق حاجتها الى التسلية ، والى نسيان هموم
واقعها وآلامه ، وبعد ان كانت هذه الفئة تجد صدراً لتسليتها في الملاحم
الشعبية ، التي كانت تقوم لجماهير الشعب الامية بوظيفة مزدوجة لتحقيق
لها التسلية من ناحية ، وتربطها باجسادها وبطولاتها القديمة من ناحية
اخرى ، نراها تتجه الى البحث عن مصدر لتسليتها في الكلمة المكتوبة .
وحاولت الرواية الرومانسية تحقيق حاجة هذه الفئة من القراء ، التي
تحولت من الاعتماد في تسليتها على الملاحم الشعبية الى الروايات
المترجمة من الادب الغربي ، والروايات التي تقلدها وتنسج على منوالها .
ولم يتغير وضع العراق الاقتصادي ، رغم دخول بعض اشكال
التطورات التي تعقب الحروب عادة . اذا قدم الكثيرون على التوسع في

قام به بكر صدقي عام ١٩٣٦ . لايقاف التناحر الحزبي الذي كان يتقاذف
حكام العراق . والثورات الكردية في الشمال والمطالبة بالانفصال والتدخل
العسكري السافر في نظام الحكم وأخيراً ثورة مايس ١٩٤١ التي قام بها رشيد
عالي الكيلاني بمساعدة بعض ضباط الجيش ، وانتهاء الثورة باعادة احتلال
الانكليز للعراق ثانية واعادة حكمها السابقين .

الزراعة اعتماداً على المضخات التي انتشرت في مختلف الاماكن ، وساعد على انتشارها رخص اسعار الوقود في العراق ، مما خفض نفقات الزراعة . اما الاقطاع فقد بقى مسيطراً من الناحية الاقتصادية ، ودعم مركزه بعلاقات قوية فيما وراء البحار من قبل شركات النفط الاجنبية التي استثمرت نفط العراق ، وارتبط العراق بمجلة الاقتصاد الانكليزي ارتباطاً مصير ، بحيث شارك انكثراً ازماتها المالية بلا مبرر داخلي ، كآزمة تخفيض قيمة النقد ، والازمة المالية عام ١٩٣٩ (٢) مما اثار النفوس واسعر النعمة في قلوب العراقيين .

وبقيت الصناعة متخلفة في العراق الامن بعض الصناعات الاستهلاكية . لان رجال المال في العراق اعتادوا توظيف اموالهم في مشروعات زراعية وعقارية وتجارية . اما الصناعة فجديدة ، وفيها من المخاطر الشيء الكثير ، بالاضافة الى أن الدراسات الاقتصادية الدقيقة للصناعة لم تكن موجودة ولم تستطع الشركات المساهمة القيام بدورها في الاعاش الصناعي ، لضعف امكانياتها المالية والفنية ، عدا صناعة النفط التي ازدهرت بمساعدة الشركات الاجنبية (٣) .

ولم تتغير نظرة الناس الى نظام الحكم فحسب ، بل تغيرت نظرتهم الى الحياة وقيمتها ، والسبب في ذلك اضطراب الدخل الفردي ، وازدياد

(٢) قارن / عبد الرحمن الجليلي (السياسة النقدية في العراق) . عبد الحكيم الرفاعي (الاقتصاد السياسي) ، جابر جاد عبد الرحمن (الاقتصاد السياسي) احمد فهمي (الاقتصاد السياسي) .

(٣) انظر مير بصري (مباحث في الاقتصاد العراقي) عبد الرحمن الجليلي محاضرات في الاقتصاد العراقي .

الفروق في الدخول بين الطبقة المترفة والطبقة الفقيرة والطبقة الوسطى ،
واثراء بعض الفئات خلال الحربين العالميتين ، وعدم حصول الطبقة
الفقيرة على دخل فردي يناسب مستوى المعيشة . وتبرم المثقفون من
قلة دخلهم ، وسوء وضعهم المادي والمعنوي . وكانت الحالة في الريف
اكثر سوءاً منها في المدن بسبب استغلال الاقطاعيين لفلاحهم ، مما
حدا بهم الى الهجرة الى المدن سعياً وراء وراء الرزق . فأقاموا في
اكواخ من الطين يحيون حياة البؤس (٤) ، لانتشار البطالة بينهم ، مما
اثر في انخفاض معدل اجور العمال .

وقد انعكست الاحوال الاقتصادية والسياسية انعكاساً مباشراً على
الحياة الاجتماعية ، لان انتقال سلطة الحكم من العثمانيين الى الانكليز
- وحقى بعد تأسيس الحكم الوطني - كان ادخل الشعب كله في الصراع
السياسي مع السلطات الحاكمة ، وسمح للطبقة البرجوازية التي تكونت
قبل الحرب العالمية الاولى بأن تحتل مركز القيادة الوطنية .

وقد فتح الباب واصماً للتأثير الغربي في جميع مناحي الحياة وكانت
سرعة التأثير فيه اشد من قابليته للتطور فأخذ تحوله الشكل القاسي
الفاجع في بعض الاحيان . واذا كان من المألوف ان نرى الحمير والجمال
تمشي الى جانب السيارة في شوارع المدن ونرى تنوع الازياء واغطية
الرأس ، فمن المألوف ايضاً ان يابق الابن من ابيه ، وان نرى في البيت
الواحد أمّاً بالعباءة وابنة ساعرة ، وان يبقى ظل المرأة باهتاً عند الطبقة
الرجعية خلف اسوار البيوت في المدن يضرب حولها الحجاب ، وينظر
اليها على انها مصدر الخطيئة ، الى جانب امرأة تخرج للعمل مع الرجل ،

(٤) انظر عبد الكريم ابو التمن (هذا هو العراق) .

أوفتاة تدخل المدرسة لتعلم ، كما تدخل الجامعة الى جانب الرجل وتخرج منها الى الحياة لتعمل ولتثبت مركزها في النضال السياسي والثقافي والاجتماعي . وانتشر السفر بين ابناء الطبقة المتعلمة ، وازدادت ثقة المرأة بنفسها ، وتحسن شعور الرجل تجاهها . وبرزت في هذه الظروف ادبيات عراقيات ، شاركن في خلق جو ادبي في العراق ، ومنهن من ذاعت شهرتهن في الاوساط الادبية العربية .

وقد انعكس هذا القلق في افكار المثقفين ، نتيجة لاحساسهم بضرورة الجمع بين طرفين كانا ما يزالان يبدوان كأنهما نقيضان لا يجتمعان ، وهما : الثقافة التقليدية الموروثة من جهة والثقافة الاوربية المنقولة من جهة اخرى .

ولعل ما لفت المترجمين الى ترجمة الروايات الرومانسية احتواؤها على عناصر المغامرة والحب ، وهي العناصر التي سيطرت على الذوق الشعبي ، وظهرت في الانجاهات الاخرى للترجمة ، والتي يعبر عنها القصص الغرامي من ناحية ، والقصص الذي يعتمد على المغامرة سواء أكانت بوليسية ام غير بوليسية . وكان أغلب القصص الاجتماعية المترجم ، لا يكشف عن المشكلات الاجتماعية الحقيقية ، وانما يقصد الى التسلية ومن خلال ما يعرضه من علاقات غرامية ، او ما يحفل به من مغامرة ، بحيث نستطيع ان نقول ان اغلب الانتاج المترجم في هذه الفترة كان يخضع للذوق الشعبي الذي يميل الى قصص المغامرة والحب .

ولم يكن تأثير القصة العربية بأقل من تأثير الصحافة ، فقد كان مصطفى لطفى المنفلوطي عاملا مساعداً في تقوية اثر المدرسة الرومانتيكية ، لتمكن اسلوبه في نفوس قارئيه ، فأسمى اكثر الكتاب قراء ، وتلقفت

أيدي الناشئة كتيبه ، يضاف اليه ما ترجمه الزيات من الادب الرومانسي ، كآلام فرتر وروفائيل ، وما انتجته الرابطة القلمية التي اسست في نيويورك عام ١٩٢٠ ، ومن ابرز كتابها ذوي الاثر في الحركة القصصية الرومانسية في العراق جبران خليل جبران الذي استهوى افئدة المتعلمين العراقيين في فترة ما بين الحربين ، والعصبة الاندلسية التي اسسها المهاجرون العرب في امريكا الجنوبية ، الى جانب تأثير الكتاب المصريين مثل هيكل والمازني وغيرهما .

وما من شك في ان اجتماع العوامل السابقة قدخلق الاتجاه الرومانسي في الرواية العراقية . كما ان انهيار النظام الاجتماعي لاقطاعي القديم ، وقيام مجتمع جديد ، يعتمد على افراد الطبقة الوسطى ، غير نظرة الانسان العراقي للحياة ، وقد احس هذا الانسان بخلخلة عنيفة ترافق انهيار نظام قديم . وآلام حادة تصاحب مولد نظام جديد ، وعلى قمة هذه الازمة نألفت نظرة جديدة للانسان ، نظرة تسبق حاضرها اميالا بعد اميال في متاهات شاسعة بلا حدود ، نظرة نابغة من اعماق تغلي بالوحدة والفردية والانطواء ، نظرة تتجاهل الماديات ، في سبيل الورد والاحلام ، وان لم تجهل ثمن الورد واسعار الاحلام . وبهذه النظرة الرومانسية احاط الانسان الجديد المرأة بهالة نورانية ، وانزوى الجنس من صفحات الادب الرومانسي الى الهوامش ، وهكذا صورت لنا الرواية الحب ، لتغرق بين المثل العليا التي جاء بها مجتمع الطبقة الوسطى الوليد ، والقيم الاقطاعية المنهارة ، واعطانا كتاب الرواية الرومانسية في العراق روحاً جديدة ، وفكراً جديداً ، ووقفوا من ظلم المجتمع ، موقف الشكوى ، ووقف بعضهم موقف التمرد على هذا المجتمع ليضمن

الرفاه الفردي والاجتماعي . وكانوا نقلة من الاعتدال الى التطرف
الخيالي والعاطفي ، وابرز الفردية ، وجعلها مركز الرؤية ، بالنسبة للمكون ،
والانسان ، والحياة ، وكل ما يمت اليهم بصلة بالقياس الى الفرد
الرومانسي ذاتي ونسي ، وترتبط هذه الفردية بالحرية ، التي اعتز بها
الرومانسيون ، وجعلوها شعاراً لهم وحملوا مشعلها تعبيراً عن مشاعرهم
وعن احلامهم في سعادة حرمهم اياها المجتمع ، وتعبيراً عن الآمال العامة
للوطن الذي يخيم عليه ظلام الاستعمار المقنح ، يقيده بقيود الذل ،
والعبودية ، وامتزجت هاتان الدعوتان الى الحرية ، حرية الفرد وحرية
الوطن - داخل نفوس كتاب هذا الاتجاه امتزاجاً كاملاً ووقفوا بسببها
في مواجهة الاستعمار الغربي ، وساقوا على لسان ابطالهم صرخاتهم في
سبيل الحرية .

وكان محمود السيد من اوائل المتلمذين على هذا الاتجاه ، كما مر
بنا في الفصل الاول . وحين شعر ان آثاره الاولى كانت مفككة ، الى
على نفسه ان يتزود من العلم ، ويقبل على القراءة حتى يصيب حظاً من
جمال العبارة ورشاقة القول ، فوجد ضالته في هذه الكتب التي طالما اشاد
بها مكبراً جزيل فائدتها (٥) .

وليس محمود السيد الوحيد الذي تأثر بهذا الاتجاه ، بل تأثر به
عدد غير قليل من كتاب الرواية العراقية قبل الحرب العالمية الثانية
هم : علي الشيبلي في (رنة الكأس) التي ظهرت عام ١٩٣٦ ، وخلييل
عزمي في روايته (دلال) التي ظهرت عام ١٩٣٨ ، وأبو انيس زكي

(٥) محمود السيد (الطلائع) ص ١٨ ، ٢٣ ، ٦٧ و (جلال خالد)

ص ٦٧ ، ١٠٦ .

حسن في روايته (العذاب) التي ظهرت في السنة نفسها وعربي عراقي في روايته (من بنات الناس) التي ظهرت عام ١٩٣٩ . وقد استمر هذا الاتجاه بعد الحرب العالمية الثانية ، بسبب الظروف نفسها التي ساعدت على وجود هذا الاتجاه قبل الحرب ، فظهرت روايات رومانسية : (في سبيل الخلود) عام ١٩٤٦ لصاحب الصباغ ، و (الخطيئة) عام ١٩٤٨ لرضاء الدين الحيدري ، و (نهاية حب) عام ١٩٤٩ و (اناهيد) عام ١٩٥٣ لعبد الله نيازي و (الثالث) عام ١٩٥٣ ليحيى عباس و (٤ نساء) عام ١٩٥٣ لناجية حمدي و (باهرة) عام ١٩٥٤ لحمدي علي و (يا ظالمني) عام ١٩٥٦ لعلي الداودي و (نبي العذريين في القرن العشرين) عام ١٩٥٦ لشهاب احمد و (فتاة الريف) عام ١٩٥٧ لعبد الله حلمي و (ناديا) عام ١٩٥٧ ليلي عبد القادر و (التائمه التافهه) عام ١٩٥٨ ، و (اين تذهبين) عام ١٩٦١ لحازم مراد .

وقد ظهرت روايات رومانسية في الستينات من هذا القرن كتبها مؤلفون مسكوا القلم لأول مرة ليعبروا عن ذواتهم وعواطفهم او ليهربوا من واقع الحياه الممل في العراق ، ذلك الواقع الذي سالت فيه الدماء بسبب الصراع الحزبي واضطراب الاوضاع السياسية والاقتصادية في البلاد . مثل الروايات التالية : (لقيط بين القصور والاكواخ) عام ١٩٦١ لغالب آل يحيى ، و (نسرين) عام ١٩٦٣ لعبد اللطيف العبادي ، و (الزوجان المنتحران) عام ١٩٦٤ لخضر الشابندر و (الشمعة الاخيرة) عام ١٩٦٤ لوهبي حسين كوزمي ، و (مات النهار) عام ١٩٦٦ للطيف عبد الحسين .

واقنصر هؤلاء الكتاب جميعاً في مناقشتهم لموضوع الحب ، على

الظاهرة الاجتماعية منه ، والصراع بين القيم الروحية والاجتماعية الموروثة ، والقيم الجديدة التي يفرضها تطور المجتمع العراقي . ويمكن القول ان هذه الظاهرة ترجع الى عاملين ، عامل اجتماعي ديني ، يرجع الى موقف المجتمعات الاسلامية المتعننت من قضايا الحب ، مما جعل القاص العربي حذراً من اقتحامه للبيئة الاجتماعية الاسلامية . وذاتي فردي ، يرجع الى وعي المؤلف نفسه ، لمشكلة الجنس من جهة ، والى وعيه الادوات الفنية للرواية ، والذي يتسم في هذه المرحلة بالفقر الشديد . فمشكلة الحب هي اكثر ازمات الفرد والمجتمع التواء ، وتخفياً في التعبير عن نفسها ، وبالتالي من اكثرها حاجة الى وسائل التعبير ، القادرة على امتصاص كافة ابعادها (٦) ، فلم يكن والحالة هذه يوسع الكاتب ، تناول الموضوع بأدواته التعبيرية القاصرة فنياً .

ان الآثار الاولى للرواية العراقية ، موسومة بهذا الطابع من التقليد ، الذي ينتجه كل فن جديد غير اصيل ، ولذلك لم تعد هذه الآثار ، كونها تقليداً فاشلاً للرواية الغربية ، في شكلها الرومانسي ، لذلك جاءت محاولات كتابها مضطربة ، وغير متناسبة الابعاد ، رغم ان هؤلاء الكتاب ، كانوا يحاولون ان يصنعوا ادباً روائياً جديداً مستوحى من بيئتهم . ولعل هذا هو السبب في ان تصويرهم للمتجارب الاجتماعية ، كان مرسوماً بدفع الاحداث الى ابعد الحدود ، التي يحتملها المنطق . وكانوا وما زالوا يستجيبون لرغبات قارىء جديد ، يميل الى هذا اللون من الادب ، فحرصوا على ان يقدموا له الرواية في اطار عاطفي ، يشوقه الى المتابعة ولكنهم غالباً ما كانوا يخفقون وسط هذا الاطار في الحبكة القصصية

(٦) انظر / غالي شكري (ازمة الجنس في القصة العربية) .

العامة . فلم يكن من المستحيل فصل هذا الاطار ، عن مجموع الرواية من غير ان تفقد اهميتها الرئيسية ، او تصدها المطلوب . فقد كان الاطار الذي تصب فيه هذه الاحداث ، يقوم على حبكة عاطفية يجري فيها الصراع بين كائنين متحابين ، تقف في وجه حبهما قوى خارجية ، يقاومانها حتى ينتصرا عليها ، او يموتا دونها . فهو اذن المحور الرئيسي الذي يشبغ ان تضاف اليه العناصر الاخرى ، ولهذا كان من الطبيعي ، ان تفتقد في هذا النتاج ، وحدة تنصهر فيها المادة القصصية بكل محتوياتها ، فلا يبرز منها جانب على جانب آخر . والواقع ان هذا التفاوت او التفكك في عناصر الرواية يمكن ان يرد الى شخصية المؤلف نفسه ، فمعظم كتاب هذا الاتجاه من الشباب الذين لم يجتازوا مرحلة كبيرة في التعليم ، او من الذين يمسكون القلم لأول مرة ، يجربون فيه حظهم ، في مجال الرواية .

وقد حرصوا على التنبيه الى ان حوادث رواياتهم وقعت فعلا وان كانت في حقيقتها اقرب من الخيال ، حرصهم على النص على فائدتها وعبرتها . وكثيراً ما يكون هذا في تعليق اخير او في المقدمة . ويبدو لي ان ذلك راجع الى عدم ثقة المؤلفين بانفسهم وفنهم ، وتقدمهم الوجل في مضمار هذا الفن من ناحية ، والى ان فن الرواية يتقدم في العراق على استحياء لان الناس يسمونه بالعبث وبجرد اللهو ولا يأخذونه مأخذ الجد ، فيحاول المؤلف ان يؤكد نفسه وينفي عنه تهمة التلفيق الخيالي والتفاهة المسلية . فقد جاء في مقدمة رواية (يا ظالماني) « انها قصة نارية مثلت وقائعها على مسرح الحياة منذ عهد قريب ، تعالج مشكلة

اجتماعية بحتة ولا يزال بعض اشخاصها احياء يرزقون» (٧) وجاء في مقدمة (دموع الوداع) «انها قصة واقعية كتبت على صفحات سوداء لا يتحسبها التاريخ» وجاء في مقدمة (دموع الوداع) ايضاً «انها قصة حدثت فعلاً وابطالها ما زالوا عائشين بين ظهرانينا لم يتغير منهم سوى الاسماء فقط» (٨) . وجاء في مقدمة رواية (التائبة التافهة) «وكانت ضحية ، احدى ضحايا هذا المجتمع العايب فانسأقت بفرورها وجمالها وذكائها مع تيارات طيشها وعيشها . . . كنت اعرف (ن) منذ سنوات غير بعيدة . . . فان كانت البيئة التي عاشت فيها الفتاة ضيقة لان كانت التقاليد البالية التي فرضها عليها مجتمعها تافهة عقيمة» (٩) . واتخذت الرواية عند هؤلاء الكتاب شكلاً ذاتياً ، لان المؤلف يشرح افكاره بصيغة المتكلم كما في بعض هذه الروايات مثل (فتاة الريف ، نهاية حب ، اناهيد ، البنادق المسروقة) ، بل لاهتمامهم بكيانهم الخاص المعذب ، وتحليلهم لانفسهم فقد ركزوا مهمم كله على البطل الاساسي - بدلا من تفريقه على عدة اشخاص وجعلوا البطل يمر بأحداث كثيرة ، محورها الحب ، كما مر بنا ليعكسوا في نفوسهم وهو ليس الحب المرصود من الخارج ، كما يصفه مشاهد ذكي ، بل الحب المشاهد من الداخل كما يقاسيه القلب ، وتقوم العقدة على علاقة حب بين حبيبين مثاليين تفرق بينهما العقبات وتنتهي علاقتهما باجتماع الشمل او الموت بانتصار المثل العليا واندهار الشر وربح المعركة في

(٧) يا ظالمني ص ٩ .

(٨) دموع الوداع ص ٩٠٥ .

(٩) التائبة التافهة ص ٥ - ٦ .

سبيل الخير وهي العقدة التقليدية لكثير من القصص الشعبي والقصص المترجم .

وقد تظهر هذه الذاتية عن طريق تدخل المؤلف المباشر عن طريق فرض معلوماته على الاحداث . او اقحام الوعظ والارشاد اقحاماً على الحدث ، فيتجه المؤلف الى القارئ مباشرة ليعين له الدروس الاخلاقية التي يفرضها فرضاً على الرواية . وقد ينتهز البعض الآخر منهم اية فرصة من داخل الرواية ، ليخرج من سرده للحوادث الى الحديث المباشر عن المشاكل الاجتماعية ، ويحاول تقديم الحلول التي يراها صالحة لها ؛ لا يتمهلون في فرض شروط العمل الصعبة من وقت طويل واجر بسيط والعمال لكثرتهم وبطالتهم يتهافون على الاشغال تحت تلك الظروف القاسية، سيما وليس لهم ما يدفع عنهم ذلك الاجحاف الا وهو التنظيم النقابي الذي يعد بمثابة درع يحميهم . ان هذا العدو الذي سبب له الحرمان وحرمه حقه في الحياة ، الجهل ما اقسى الجهل . . . الجهل شر لا يضاهيه اي شيء ضررا (١٠) الويل لمن احاطته بيثة سحيقة واحاط به محيط دنيء فربما يجرفه تيارهما دون رغبة ومن غير شعور . . . لذلك كان الواجب على الابوين ان يرعيا ابنتهما رعاية حنكة وعقل وان ينهجا عليه بكل كليهما فيرياه تربية صالحة صحيحة مرضية نافعة لنفسه وللناس (١١) ولقد اخفوا عنا تاريخنا وضاعوا علينا قوميتنا وانكروا جنسيتنا وما كنا نعرف لغتنا العربية او ندرس عنها . . . وحتى نسينا من اين جئنا او لا ندري اين نحن سائرون ؟ وكانهم جرعوننا كؤوس

(١٠) يحيى عباس (الثالث) ص ٢١ - ٢٢ ، ٢٧ - ٢٨ .

(١١) صاحب الصباغ (في سبيل الخلود) ٦٧ - ٦٨ .

الغفلة والذهول وحمم الجهل والخمول (١٢) .

وقد جاء في مقدمة (الزوجان المنتحران) « علينا ان نعلن ثورة اجتماعية لاصلاح مجتمعا ونطلق كافة السبل لمحاربة علمها وقطع جذور الشر فيها لنصل الى شاطئ السلامة ونرتقي سلم الحياة لنبي بجدنا وامتنا . . . وباعتقادي ان يكون لها هدف وهذه القصة لها اهداف ومغاز سامية سيقدرها الجمهور القارىء دون ادنى ظل من الشك والريب لان العناصر الخيرة في هذا البلد آخذة بالانتصار فالشر وقتي سريع والخير الذي يسود ويعم » (١٣) . وجاء في مقدمة (الشمعة الاخيرة) « بسم الله الرحمن الرحيم وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا . ان المجتمع لن يدوم الا اذا تمسك افراده بدينهم وايمانهم وذكروا الله في قلوبهم وانه ان يصبح قوياً ولن يدوم الا على الالفة والمحبة والتعاون والاحترام واطاعة الوالدين ، ولن يتقدم المجتمع الا اذا تنقف افراده ثقافة حقة وتعلموا علماً يستفيدون منه استفادة كاملة في تقدمهم وبناء حضارتهم ومجد امتهم وترك قشور المدنية جانباً آخذين منها صالحها نابذين طالحها » .

ويلاحظ ان هؤلاء المؤلفين يقحمون هذه الدروس اقحاماً في قصصهم ، ويظنون انهم لو لم يشيروا بانفسهم الى هذه الدروس الاخلاقية لما تمكن القارىء من استنتاج شيء عنها او الخروج منها بفائدة تذكر . كما يقحمون في حديثهم اقوال ادباء مفكرين وشعراء ، وهي ظاهرة منتشرة في رواياتهم لانهم يحاولون اضفاء الاهمية على آرائهم بهذه الوسيلة ،

(١٢) عبد الله حلمي ابراهيم (فتاة الريف) ص ٦١ .

(١٣) خضر الشايندر (الزوجان المنتحران) ص ٣ - ٤ .

ولو لم تكن هناك مناسبة اصلا ، لهذا الاستشهاد فقد نقل مؤلف (في سبيل الخلود) على سبيل المثال خطبة المندوب السامي البريطاني وخطبة الملك فيصل الاول حين تسلمه العرش ومقال الدكتور زكي مبارك عن المتسولين ، وخطاب مبارك الى ربات الجمال ، وايات شعرية من مسرحية بجنون ليلى (١٤) .

ونستطيع ان نقسم الروايات الرومانسية في العراق من حيث الموضوع الى عدة مجموعات لا تتعدى في محتواها مأساة شوقية اوجدتها التقاليد والعرف والبيئة : مأساة الفتاة التي يزفها اهلها ، الى غير من تحب ، لفقدان حقه في اختيار الزوج ، والتقاليد ، كالروايات التالية (فتاة الريف) حيث تتزوج البطلة ، رغماً عنها ، من اقطاعي كبير ، يفرق بينها وبين ابن عمها الذي تحبه ، فلا تجد الفتاة سبيلا للخلاص الا بالموت (والقلوب المتوجعة) اذ تتحدى البطلة اهلها الذين يمنعونها من الزواج ، بمن تحب ، ويكون مصيرها القتل غملا للعار ، ومصير حبيبها الانتحار . وحول نفس الموضوع تدور الروايات التالية (اربع نساء ، نبي العذريين في القرن العشرين ، العذاب ، ناديا ، نهاية حب ، اناهيدي) . والى جانب مأساة الزواج ، مأساة الخيانة الزوجية ، وما ينجم عنها من محن وشجون مثل (في سبيل الخلود - الزوجان المنتحران) ومأساة البقاء ، حيث تدفع الفتاة الى السقوط بسبب فقرها ، وحاجتها الى الطعام والمأوى ، او بسبب قسوة التقاليد الاجتماعية كما في الروايات التالية (الثالث - من بنات الناس - دموع الوداع -

(١٤) صاحب الصباغ (في سبيل الخلود) ٥٢ ، ٥٣ ، ٤٩ ، ٨٩ ، ٩١ .

زكي حسن (العذاب) ص ٥٠ .

أين تذهبين - التائهة التافهة - الخطيئة) .

ويرتبط بهذه الموضوعات ، موضوع الوهم ، عندما يكون الانسان العروبة احلامه ومطامعه ، تنفتح له الحقيقة ، فلا يرى في الحياة الا ما يريد ويشتهي ، حتى يلتحم مع الحقيقة في ازمة ما تكون الحدث في الرواية ، فتنكشف له كما هي وتعيده منكسر الخيال ، وبذلك يعود الى نفسه وهو اكثر حزنا ولكن اكثر حكمة من ذي قبل ، كما في الروايات التالية (باهرة - ياظالمني - الشمعة الاخيرة - رنة الكأس - نسرين - مات النهار) .

ولدينا رواية واحدة عاجت مشكلة اللقطاء ، (لقيط بين الاكواخ والقصور) وقد اتصفت هذه الروايات ، بالسذاجة والافتعال ، وتبدو فيها مظاهر الارتجال ونضوب المهوبة ، وتصدر عن طبع لم يحس أدواء هذا المجتمع ، ولم يتعرف عليه بعمق ، كما يضعف التصوير فيها ، حتى ليخيل انها تصدر عن انسان لم يعيش في هذا المجتمع ، لان غاية هذه الروايات ان تشير فضول القارىء ولناخذ على سبيل المثال رواية (الثالوث) حيث تتابع فيها الاحداث المؤثرة ، عندما يحاول الاقطايمي تعذيب (سلمان) الفلاح والتنكيل به ، كما نكل بصديقه جابر « فأحرق بيته واقطع اذنيه فشواهما ثم ارغمه على أكلهما والقى به اخيراً في النهر في شهر كانون . . » (١٥) فيهرب سلمان بأهله الى بغداد ، بعد صراع طويل مع رجال الشيخ وكلابه ، ويعمل حمالاً في بغداد ، ثم يمرض ويصبح غير قادر على العمل ، ويترك ابنه حسن المدرسة ، يعمل حمالاً كوالده ليعول الاسرة . ثم يعمل حسن في مصنع ، ولا يلبث ان يجد نفسه عاطلاً ، يجوع هو واهله ويغوى شاب غني اخته (جميلة) فتحمل منه ، وحينما ينكشف امرها يقتلها اخوها ويهرب الى الكويت ثم يموت ولده وتصاب

(١٥) يحيى عباس (الثالوث) ص ٧ .

امه بالجنون . وعندما يعلم بالامر يعود الى العراق ، وتعرض العربية التي تقله لرصاص الشرطة ، ثم يقاد الى السجن ليموت فيه . ومثلها رواية (الشمعة الاخيرة) اذ تنشأ (سعادات) في بيت رخاء ونعمة ويفقد والدها ثروته ، بعد ولادة اخيها الشرير (بشير) وتترك سعادات المدرسة وتمتهن الخياطة لتمول اسرتها الفقيرة وتحب (محمود) صديق اخيها ، الذي يسرع بخطبتها من ابيها ، ولكن القدر يكون له بالمرصاد فيموت في حادث مفاجيء . ويسافر بشير الى اوربا للدراسة وتسوء حالة الاسرة بعد وفاة الام . ثم يعود بشير وقد تزوج من فتاة اجنبية فيتنكر لاهله ويصاب الأب بصدمة عنيفة يموت على اثرها ، وتحيب سعادات رهينة المرض والفقير ، ويلتقى بها ذات مساء صديق قديم لاخيها ويأخذها الى داره ليعني بها ولكنها لانلبيث ان تموت وقبيل دفنها يعود اخوها نادماً مستغفراً بعد ان يطلق زوجته الاجنبية العابثة .

ومن الواضح ان حب الاستطلاع ، يزداد حدة اذا اتبعت الاحداث خطا معيناً ، اذا جعلت القارئ يتساءل ، ماذا يمكن ان يحدث بعد ، بدلا من ان يطلب حادثة غريبة اخرى . كذلك يستطيع القاص ، ان يثير مستوى جديداً من الانفعالات الحادة كالتوقع ، والفزع ، والخوف وما شابه ذلك ، ان استخدم سياقاً مترابطاً ، لا مجرد وقائع متعاقبة ، وباحلال الحدث الواحد المركب ، مكان الاحداث الكثيرة المتتالية . وعليه من ثم وقد اثار هذه الانفعالات ، اذا اراد الاستمرار في امتاع القارئ ، ان يقدم اليه ما يطمئن معه الى ان هذه الانفعالات ستهدأ مرة اخرى .

وتنتهي احداث هذه الروايات نهايات فاجعة ، ففي رواية (القلوب المتوجعة) على سبيل المثال يقتل اهل (سميرة) ابنتهم غسلا للمعاص

ويشتجر زوجها (فؤاد) . وفي رواية (من بنات الناس) تموت (سنا)
بالالتهاب الرئوي بعد ان يتركها حبيبها . وفي رواية (دموع الوداع)
تحترف (لمياء) البغاء لتموت وحيدة بعد ان يخدعها حبيبها (سامي)
وفي رواية (مات النهار) يحاول (جمال) الانتحار بعد ان تتركه
زوجته (ليلى) التي يحبها بجنون . وتنتهي بعض روايات هذا الاتجاه
نهايات سعيدة مثل رواية (باهرة) اذ تتزوج الفتاة البائسة من
طبيب احبها واشفق عليها . وتتزوج (منيرة) في رواية (في سبيل
الخلود) من الشخص الذي تخلص له الحب .

وقد نجد في هذه الروايات المتعة بالاحداث ، ولا شك ان سرد
الاحداث الغريبة يمتعنا . وتعليل ذلك ، امر خاص بعلماء النفس
حيث يمكن ان يكون للمحادثة الصغيرة نتائج كبيرة غير متوقعة تتفرع
ثم سرعان ما تزيد على الحصر وتنسج فيما يبدو نسيجاً معقداً يحل
بعد ذلك بطريق مفاجيء ، فالحدث يستحوذ على اهتمامنا بتعقده وحله وقد
ذكر بصراحة بعض كتاب هذا الاتجاه . كما جاء في مقدمة رواية (ناديا)
على سبيل المثال « ولم يبق لي الان سوى الانسحاب وترككما لبعضكما
قربما يجد كلاكما عند صاحبه بعض ما يريد فهي تريد منك الاصغاء
وانت تريد منها بعض المتعة والاعانة على قضاء الفراغ » (١٦) لذا
يسخر هؤلاء الكتاب الحديث في خدمة الحكمة وتكوين طبيعة الشخصيات
وقدراتها بوجه عام . فلو لم يتنكر ضابط الشرطة (صبري) في ثياب
الاعراب في رواية (البنادق المسروقة) لما استطاع ان يكشف البنادق
المسروقة ، ولو لم يلحق الضابط القبض على المص (عبد الامير) بتهمة الفرار
من الجندية لما استطاع صبري اكتشاف السرقة ، ولو لم يزوج

(١٦) ليلى هيد القادر (ناديا) صرس

(محسن وحسين) في السجن مع اللص لما اعترف بالجريمة ، ولو لم يسافر (عامر) الى مصر بعد فشله في دراسة الحقوق في استنبول ، لما تزوجت حبيبته (نوال) من ابن خالتها نامق في رواية (رجل الاسوار) ، ولما قتل نامق بيد (زياد) الذي يحب نوال ولا تبادله الحب لما مرضت نوال مرضاً خطيراً بعد ان حلت بها المصائب . ولو لم يعثر عامر في صحيفة على الخبر الذي يشير الى اكتشاف (معبد داود) لما استطاع الذهاب اليه . ولو لم يذهب عامر الى الدير لما استطاع امتلاك (القوة الاشعاعية) الخارقة . ولولا هذه القوة الخارقة لما استطاع اشفاء نوال من مرضها بعد ان عجز الاطباء عن شفائها . ولولا اتمام شفائها على يده لما عادت العلاقات بينهما الى ما كانت عليه .

ومن اوضح المظاهر التي تتصل بالحدث في هذا النوع من الروايات اتجاه المؤلفين الى الهرب من واقع الحياة العراقية . وقد ترجع اسباب رغبتهم في الهروب الى تأثر بعضهم تأثيراً كبيراً بالروايات الغربية ، وما دامت هذه الروايات تدور في بيئات اجنبية فلا بأس بأن تدور الروايات المؤلفة ايضاً في بيئة عراقية يستعار لها جو غربي فتقام الحفلات السامرة التي تضم كلا الجنسين في الدور ، حيث تدار كؤوس الخمر ، ويرقص الرجال والنساء على نغمات الموسيقى الصاخبة ، وحيث تضم المقامي خليطاً من الجنسين وغير ذلك مما يقرأ في القصص الغربي ، او يشاهد في الافلام الاجنبية (١٧) .

(١٧) انظر / عبد اللطيف الحسين (مات النهار) ٢٠ - ٢١ ، ٢٢ ، ٣٠ ،
٨٠ ، ٨٩ ، ١٦٦ ، ٢٠٦ ، ٢١٤ - عبد الله حلمي ابراهيم (فتاة الريف) ٩٢ ،
٩٤ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٤ - (ابن تذهبين)
١٨ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٧٢ (التأنيه التأنيه) ٤٦ ، ٦٤ .

وقد يدور الحدث في بيئة غير عراقية ينقل اليها المؤلف الشخصيات وقد يرجع السبب الاقوى الذي دفع المؤلفين الى الهروب في رواياتهم من واقع البيئة العراقية الى رغبتهم في عدم الاصطدام بتقاليد مجتمعهم وعاداته ، وقد سبق ان اشرنا الى ان العنصر الغرامي يمثل العمود الفقري في هذه الروايات ، ولما كانت علاقة الحب مازال محرمة في مجتمعهم ، كانت وسيلتهم للخروج من هذا المأزق ، الانتقال برواياتهم الى بيئة اخرى ، تعطي مجالاً اوسع للحب والغرام (١٨) . ومن صور الهروب الى بيئة اجنبية ، استعارة رضا الحيدري ببيئة ايرانية لرواية (الخطيئة) ، وانتقال عبد الكريم عباس في روايته (رجل الاسوار) بين تركيا ومصر ، واستعارة كثير منهم جبال لبنان وسهولها مسرحاً لاحداثهم كما في (بنات الناس - نسرين) .

وقد اغرت الصحراء البعض لتركوا المجال واسماً امام الشخصيات المغامرة وارتكاب الجرائم كما فعل يحيى عباس في (الثالث) . وليس معنى هروب المؤلفين من البيئة العراقية الى بيئة غير عراقية انهم نجحوا في تصوير هذه البيئة الغريبة عنهم بل العكس هو الصحيح فقد كان همهم اشباع فضول القارئ ، بسلسلة من الاحداث المتشابكة التي تعتمد على المصادفة ، وهذه الاحداث لاتخضع للتفسير والتحليل ولكنها تخضع للقدرية ، وليست مترابطة ترابطاً عضوياً . ولم يكن الكاتب منهم يشعر بضرورة التعبير عن التجربة الانسانية وما تؤدي اليه من الشعور بالبيئة الخاصة والفرد المتميز، لذلك لم يلجأ الى الاسلوب التصويري الذي يعرض تفاصيل التجربة وجزئياتها ، بل لجأ الى الاسلوب انتقري السرد ، الذي يكتفى بتلخيص الحادثة ، وذكر خطوطها العريضة .

(١٨) عبد المحسن طه بدر (المصدر السابق) ص ١٤١ .

ولما كانت الاحداث متشابهة وتقوم على علاقة غرامية بين حبيبين ،
توضع بينهما الحواجز والعقبات فلا يكاد القارىء يلمح فارقاً كبيراً
بين البيئات المختلفة التي تتحدث عنها هذه الروايات ، بحيث تتشابه
البيئة الايرانية في رواية (الخطيئة) مع البيئة اللبنانية في رواية (من
بنات الناس) مع البيئة العراقية في رواية (فتاة الريف) على سبيل المثال .
وساعد على زيادة هذا التشابه ان علاقة الحب وهي العلاقة التي
تدور عليها الرواية تتشابه في جميع هذه البيئات ، فالعلاقة بين الحبيبين
الخيرين يجب ان تكون طاهرة ومثالية ، سواء اكان الحب في ايران ام
في لبنان ام في العراق . وكل الاتصال بين الحبيبين ولو كان اتصالاً
جدياً لا بد ان يكون طاهراً عفيفاً ، وهذا الاتصال الجدي لا يتعدى
حدود القبل ، ولا بد ان يكون العناق رمزاً للحب الطاهر الذي يجمع
بين الحبيبين ، اما الحب الجسدي الدنس اذا حدث في الرواية فلا بد
ان يكون بين الشخصيات الشريرة وحدها والهروب من الحياة عندهم
مأمون العواقب ، فيتخلص المؤلف من بعض الشخصيات بالموت
او الانتحار ، ولكن مع انتصار عنصر الخير على الشر ، وتموت (نسرين)
بعد ان يهجرها حبيبها خالد ولكنه يعود من اوربا وهو اكثر اخلاصاً
لها (١٩) . وتموت (سماعات) فقيرة معدمة بعد ان انكرها اخوها
بشير ، ولكن بشير مالبث ان عاد مستغفراً وطلق زوجته الاجنبية (٢٠)
وقد يهرب البطل من واقعه الى الانفراد بذاته ، والانطواء على الام
ربما لا يكون لها وجود في واقع حياته ، واستعذاب هذه الالام حتى
تصبح عنده غرضاً مقصوداً ، واللجوء الى الطبيعة ليندمج فيها بعيداً عن

(١٩) انظر رواية (نسرين) .

(٢٠) انظر رواية (الشمعة الاخيرة)

الانسان ويبقى يعذب نفسه بالآلام البعد ، ويجرى وراء سراب الرمال
كما فعل (محمود) عندما هجرته زوجته ليلي (٢١) . وكما فعل
(حمدي) عندما تزوجت (باهرة) من صديقه الطيب وتركته
لوحده وشقاته .

وتعتمد احداث الرواية ورسم شخصياتها عندهم في الغالب على السرد
والتقرير وتتابع الحوادث وتراكبها ، وخضوعها للمقدر والمصادفة (٢٢)
وتدخل المؤلف في السرد بتعليقه على الاحداث واتجاهه الى القارىء
ومخاطبته (٢٣) ، وربطه بين الفصول ربطاً تعسفياً لانعدام الرابطة الحقيقية
(ولا تسل يا قارئ العزيز عما حل بجواهر - وفاتنا ان نذكر عند
بدئنا ان سمير كان في الصف الخامس الثانوي (٢٤) - نرى ان من
الافضل ان نلقى نظرة على نسرين فسوف نتكلم عنها بعض الشيء في
المستقبل (٢٥)) . ولا نجد فيها تصويراً فنياً لمواقف من الانفعال
تعتمد على الصراع النفسي فتتعمد عناصره وتشد انتباه القارىء ، وتحمله

معها في جوها يعيش فيه لحظة ما ويتدرج معه خطوة حتى تحل عقدة
(٢١) انظر رواية (فات النهار - ورواية باهرة) .

(٢٢) انظر / عبد الوهاب النميمي (دموع الوداع) ص ٣٣ - ١٠٢ ،
٦٨ - ٧٢ ، غالب آل يحيى (لقيط بين القصور والاكوخ) .

(٢٣) عبد اللطيف العبادي (نسرين) ص ٤٥ ، حازم مراد (التائهة
التافهة) ص ٧ ، غالب آل يحيى (لقيط بين القصور والاكوخ) ص ٨٥ ،
وهبي حسين (الشمعة الاخيرة) ص ٢١٣ - ٢١٤ .

(٢٤ - ٢٥) عبد الهادي عبد الخالق (ضحية الشهور) ص ٢٢ ، ٢٤ عبد
اللطيف العبادي (نسرين) ص ٤٥ .

الموقف ، وليس فيها تحليل نفسي يغوص الى اعماق النفس الانسانية ويجلو اسرارها ويستخرج مكنوناتها فيكون كل ذلك خطوطاً فنية في رسم الصورة الانسانية لشخصها وليس فيها وصف عميق متبع للاجزاء الدقيقة التي يكون لتجسمها في رسم الجو الشخصي والجو العام شأن يفوق شأن الكليات الكبيرة . وانما هي اشبه ما تكون بحكاية تعتمد على سرد الحوادث سرداً تقريرياً ووصف الاشخاص وصفاً عاماً مباشراً . ولكي يحقق الكاتب منهم السيطرة والبروز للحادثة يعتمد الى طريقة مبسطة في رسم المشاهد ويصف المواقع التي تدور فيها الاحداث بحيث تصبح وكأنها استارة من ستائر المسرح الخلفية كل فائدتها انها تقدم للمشاهد القارى صورة ملمومة الاطراف ضيقة النطاق يسهل استدراكها واستيعابها وهذه الصورة السريعة الموجزة تلخص المقارىء المحيط الذي تتحرك فيه الحوادث وتنقلب بين ربوعه الاحداث (٢٦) .

ويدور رسم الشخصيات في اطار ضيق مغلوق بحيث تشترك الشخصيات في هذا النوع من الروايات في مجموعة من المظاهر لا تخرج عن اطارها وقد ادى فهم المؤلفين المطلق والمثالي للخير والشر في الانسان ، الى وقوف شخصياتهم جامدة بعضها في وجه بعض ، ويمثل بعضها الخير المطلق ويتمثل في الحبيب وحبيبته ، ويمثل بعضها الاخر الشر المطلق ، الذي يتمثل في اعداء المحبين الذين يضعون العقبات في طريقهما . ولكل جبهة من الجبهتين اعوان يتصفون بنفس الصفات ، ولا توسط بين الجبهتين ، وبذلك ينعدم الصراع في نفوس الابطال ، كما ان المؤلف الذي لا يدرك اثر ظروف الفرد وبيئته في شخصيته ، يفقد تبعاً لذلك قدرته على

(٢٦) محمد يوسف نجم (فن القصة) ص ١٤ - ١٥ .

التحليل والتبرير ، ويظهر الخير والشر عند ابطاله بلا تبرير او تحليل ، ولا يدري لماذا كان هذا البطل خيراً الى هذا الحد ، او شراً الى هذا الحد . وهي شخصيات متشابهة وغير نامية ، لان المؤلف يحكم عليها حكماً نهائياً مطلقاً يستمر من اول الرواية حتى نهايتها . وهو لا يتركها تمارس عملها ، وتنمو وتتطور مع الاحداث ، او يترك للقائه الحكم على صفاتها من خلال اقوالها وافعالها ، ولكن يطلق عليها مجموعة من الاحكام التقريرية ، تظل محتفظة بها حتى يسلمها المؤلف الى مصيرها .

وحيث يريد المؤلف للشخصية ان تتحول من النقيض الى النقيض خدمة لاغراض الرواية ، هذا التحول الذي يكون غالباً من الشر الى الخير ، فان هذا التحول يكون سريعاً حاسماً ولا يمهد له المؤلف التمهيد الكافي ، كما فعل الكورزيجي بشخصية (بشير) في رواية (الشمعة الاخيرة) . وحازم مراد بشخصية (نبيل) في رواية (التائهة التائهة) وبشخصية (حمدي) في رواية (الى اين تذهبين) وبشخصية « احلام » في رواية (الحب اقوى) ، وكما فعل المشاهدي بشخصية (شفق) في رواية (نبي العذريين في القرن العشرين) كما يسمع صوت الكاتب يصيح مقدراً ان بطله حزين اوسعيد ولا تعرف فرحه وحزنه من ذاته ؛ (صممت وقد اغرورقت عينها بالدموع فأخرجت مندبلاً ومررت به على عينيها الغائرتين وازدادت بصوت طقت عليه الحان الحزن والالم المر - وصممت فترة واشعلت لفافة تبغ واخذت منها نفساً طويلاً - وسكنت وتغير لون وجهها وابتلعت ريقها - وتنهدت وازدادت - فقالت ليلي مطرقة الرأس .. ثم فتحت فمها واخرجت طرف لسانها من جانب فمها الايسر كآية من آيات التعجب

فابتسمت ليلى .. فتنهدت او كادت (٢٧) كل ذلك في صفحتين فقط
من صفحات الرواية .

ومثل هذا التقدير لا قيمة له لانه ليس جزءاً لا يتجزأ من الحدث
ولذلك فنحن نستطيع ان نقتطعه من الرواية دون ان نخسر شيئاً
مادام لم يأخذ شكل الصورة المجسمة فهو لم يكتسب صفة فردية مميزة .
وتحرك النماذج البشرية التي يعرضونها في الحوادث وهي تامة تعرفها من
اول لحظة لانهم يحسنون تصوير قشورها الخارجية . فمثلا (سنا) بطلة
رواية (من بنات الناس) بمشوقة القوام مكحولة العينين اثيلة الفرع ،
دقيقة الفم والانف ولو نها اقرب الى البياض منه الى السمرة (٢٨)
وحسن في قصة الثالث رجل صلب لا يخاف على نفسه من الموت ، ذونفس
شريفة عالية (٢٩) واناheid في رواية (اناheid) كأنها ملاك هبط من الجنة ، وكان
ثيابها الناصعة اجنحة ملائكية جاءت تظلل القلوب الكسيرة الحزينة وتفيض
عليها بالرحمة والحب والحنان (٣٠) ونبييل في (التائهة التافهة) :
شاب انيق بلا اناقة ، تلوح معالم الرجولة من خلال الفاظه المترننة
بالمحكمة والفاسفة العديقة (٣١) . وفريدة في (عبث الشياطين) : فتاة
في مقتبل العمر وفي ريعان الشباب بعينها الدعجاوين وعودها الفارع
وجسدها الغض النضر الممتلىء بالنشوة والحوية وبنهديها الكرويين اللذين

(٢٧) (مات النهار) ص ٢٣ - ٢٦ .

(٢٨) (من بنات الناس) ص ٤٠ .

(٢٩) يحيى عباس (الثالث) ص ٦١ .

(٣٠) عبد الله نيازي (اناheid) ص ٢٧ .

(٣١) حازم مراد (التائهة التافهة) ص ١١

يشبهان الرمان الناضج وهما يترنحان ويهتزبان كما تهتز اكلة - الجلى -
في الطبق (٣٢) . وسلمى في (صرخة العمالقة) : اجمل صبايا القرية
بلا منافسة وكأنها آية في الجمال ومعجزة المحالوة حتى غدت الورود
تحسدها في الجمال والربيع يخاطب روحها بهمسات النسمات . واحمد
شاب جميل ومرح ذو عضلات قوية فولاذية (٣٣) .

وشعار بطلاتهم دائماً ما قالته سنا (انا البائسة الولهي ، بالامس
كنت اسعد مخلوقة في دنياي واليوم اصبحت الاشقى اكابد مضني
الوحشة في عيشتي القاحلة الشائكة المملة) (٣٤) . وشعار ابطالهم
دائماً ما قاله فؤاد (ليتها تعلم ان سعادتني الان اضحت فاقرة مجمدة يشوبها
الكآبة والاشجان واصبح قلبي المكوم ضامراً ناراً على رماد مغطى من
آثار ذلك الحب الذي سيدوم الى سر مدية الحياة) (٣٥) .

وتسخر الشخصيات لتعميق الحوادث وتوليدها ، وليس لها قيمة
خاصة في ذاتها ، ولهذا فانها لاتسلك مسلك الاحياء الذين تقابلهم في
حياتنا بل تمضي على صورة خاصة يرسمها لها المؤلف ، حتى تكون
مطية ذلولا للحوادث والمفاجآت ، وبمقدار ما يوفق الكاتب في خلق
شخصياته ، وجعلها حية قوية الحضور تمشي على صفحات روايته كما
تمشي على سطح الارض ، وتتفاعل مع الاحداث تفاعلاً طبيعياً صادقاً ،
يصل بها الى النهاية التي يفضي بها اليها واقعها في الحياة دون تطفل خارجي

(٣٢) سيف الدين اسماعيل (عبث الشياطين) ص ٧ .

(٣٣) احمد صبحي (صرخة العمالقة) ص ١٠ .

(٣٤) عربي عراقي (من بنات الناس) ص ١٠١ .

(٣٥) جميل حمزة (القلوب المتوجعة) ص ٦٤ .

او تحكم من المؤلف او الزام بمقدار ما يوفق المؤلف الى ذلك تكون روايته ناجحة ، ويكون قد نفذ الى قلوب قرائه ووصل بينهم وبين اشخاصه وصلا يجعلهم غير قادرين على نسيانهم .

واعتماد الكاتب منهم ان يختار شخصياته الخيرة من القطاع الذي يرتاح اليه ويتعاطف معه ، وبهذه الوسيلة يستطيع ان ينقل الى القارىء ميوله وعواطفه ، فقد اختار يحيى عباس في (الثالث) شخصية فلاح فقير ، وتعاطف معها الى ابعد الحدود ، واختار للشخصية الشريرة (الاقطاعي وابنه) لان المؤلف (مهني بسيط حرم التعليم صغيراً وذاق مرارة العيش كثيراً (٣٦) واختار عربي عراقي في روايته (من بنات الناس) شخصية بغي يهجرها حبيبها وتموت وتعاطف المؤلف معها وثار في نفسه عن حياة واحدة من بنات الناس ، بعد ان قرأ في صحيفة خيراً مفاده انتحار بغي . وكأنه عالم بأمرها (فالحياة تهاوت بها ، فساقتها الى الرذيلة ، وذات شقاءها ، فلما ارادت النجاة ، حيل بينها وبين الحياة) (٣٧) . ويكتب المؤلف روايته بحمد شديد على المجتمع ، الذي يخلق ضحاياها ، ثم يقودهم قرابين على محراب تخلفه وفساده .

ولانقسام الشخصيات الرئيسية عندهم الى شخصيات شريرة وشخصيات خيرة ، اصبح من اللازم ان تنقسم الشخصيات الثانوية الى شخصيات خيرة واخرى شريرة لان الشخصية الخيرة في حاجة الى اعوان يساعدونها على الخير ، والشخصية الشريرة في حاجة الى اعوان كذلك يساعدونها على الشر .

(٣٦) الثالث ص ٢

(٣٧) من بنات الناس ص ٣ - ٤ .

والتنوع اكبر فيما يتصل بالشخصيات الشريرة التي نجد فيها شخصية العجوز الماكرة التي تدفع الفتية الى السقوط (٣٨) او التي تفرق بين حبيبين (٣٩) ، او الشاب المستهتر الذي يوقع بالفتيات البريئات ثم يهجرهن ، بعد ان يقضي وطره منهن (٤٠) ، او رئيس الدائرة الذي يستغل موظفاته الفقيرات ، ويعبت بهن (٤١) ، او الاب القاسي الذي يفرق بين قلبين متآلفين (٤٢) او الاقطاعي المستغل (٤٣) . وحين تتكلم شخصياتهم لاتتحدث بلسان نفسها ولا بمستواها وانما تتحدث بمستوى المؤلف نفسه وبالاقوال التي يفرضها عليها ، اذيجري لطيف عبدالحسين على لسان الخادم حديثاً عميقاً لا يناسب مستواه الفكري والاجتماعي (سيدي عفوك كيف يطلب الانسان الموت وللحياة وجه مشرق عليه نور السعادة مهما كانت الظروف خلق الانسان للعمل للفن للمحب للجمال) (٤٤) ويجري على لسان امرأة جاهلة حديثاً عن اللانهاية (- الفلسفة يا اماماء عالم ضخم فيه الملايين من علامات الاستفهام كمصاييح وردية تنير الدرب الى حيث الطهارة والنقاء والصفاء . وكذلك الذي جاء في كلامك ، عالم من اللانهاية الساكنة حيث طهارة الجسد والنفس وصفاء العقل حيث نقاء الروح الكامل الذي

(٣٨) انظر من بنات الناس

(٣٩) انظر نهاية حب واناheid .

(٤٠) انظر الثالث ودموع الوداع .

(٤١) انظر التائهة التافهة واين تذهيبين .

(٤٢) انظر فتاة الريف والقلوب المتوجعة .

(٤٣) انظر الثالث ولقيط بين القصور والاكواخ .

(٤٤) مات النهار ص ١٠٢ .

يشعر المرء واياه من انه قريب من روح الحياة (٤٥) . ويجعل مؤلف
(من بنات الناس) بطلة البغي الجاهلة (سنا) تدون في مذكراتها
(فما حيلتي وتلك ذنوب النظم الفاشمة التي لا تجلوها يد وحيدة
كيدي فعسى ان تشرق الشمس فنرى نورها ساطعاً مشرقاً في كل نفس
وكل مكان) (٤٦) .

وقد يلجأون الى الاسلوب التقريري في السرد ، فهم عند تعرضهم
للحادثة لا يصورون تفاصيلها الدقيقة لكنهم يقتصرون على تقديمها الى
القارئ موجزة مضغوطة وقد كان قراؤهم الذين لا يتمتعون بثقافة
حقيقية وعميقة جديرين بأن يحسوا بالملل ، لو لجأ المؤلف الى العناية
بتفاصيل الحادثة وجزئياتها الدقيقة (٤٧) .

وحين يلجأ المؤلف في بعض الاحيان الى تصوير بعض المواقف ،
فانه يعتمد الى تقديم الصور الكلاسيكية المعروفة التي تخلو من الابتكار
والتجديد ، ولناخذ على سبيل المثال لقاء عاشقين بعد غياب طويل في
رواية القلوب المتوجعة « كانت سميرة ونحن نسير بذلك الطريق وتبادل
اطراف احاديث اشواقنا تبادلتي النظرات المليئة بالحنان والانعطاف
والرقة ، كانت تستمع الى وتسير بهيبة وخيلاء الى جانبي وقد ارضى
غرورها ما سمعته من شفاء حبيبته وضغطت على يدها الباردة
البضبة التي كانت غافية في مامن بين كهف اصابعي وراحة
يدي ، فأجابتنني والابتسامة الجميلة البيضاء تضيء وجهها اليراق وتزبل

(٤٥) (مات النهار) ص ٣٥ .

(٤٦) من بنات الناس ص ٩٦ .

(٤٧) عبد المحسن طه بدر ص ١٦٢ .

عنه علامات الاسى وملامح القنوط والخوف من المستقل» (٤٨) . ولقاء عاشقين في رواية فتاة الريف « وقفت برهة جامداً خاشعاً امام صفاء وقوف شحيح ضاع في التراب خاتمته . وهي ساهمة حاملة ، واعتزنتي قشمريرة حادة وتقدمت بخطوات مرتبكة من صفاء ووضعت يدي بيدها التي لمست بها لأول مرة وكانت حارة مرتعشة وتبدلت بيننا النظرات والابتسامات وكل منا مأخوذ على امره » (٤٩) او تصوير الفجيرة لموت حبيبتيه « ياللفاجعة ياللمصيبة ، لقد ماتت صفاء ، اجل ماتت صفاء نبراس حياتي ولذائد ذكرياتي ، الصورة الجميلة التي اتطلع اليها واقبل عليها ، صفاء التي سعدت ببشائر حبها وامتزجت بروحي بروحها وتقمص قلبي قلبها فذلت مبعث مسراتي ومتعة حياتي ، في ماضيها وحاضرها » (٥٠) .

وتقتصر هذه النماذج التي ذكرناها على سبيل المثال ، على مجموعة عامة من الاوصاف وعلى بعض الصور الكلاسيكية التي اصبحت مستهلكة من كثرة التداول والاستعمال . ومثل هذا الاسلوب يساعد على تشابه البيئات والمواقف في هذا النوع من الروايات ، لانه يلجأ الى الاوصاف العامة المألوفة ، ولا يحدد الالوان والخطوط التي تفصل بين بيئة وبيئة ، وبين موقف وموقف ، بل يقدم مواقف روتينية مكررة ، تتعارض مع خصب الحياة وتنوعها ، وتجمد الحياة بأسرها في لوحة جامدة تخلو من الظلال .

والفرق الذي نلمحه بين اساليب الكتاب لا يرجع الى طبيعة الرواية بل الى تمكن المؤلف من اللغة او عدم تمكنه منها ، والى الدرجة

(٤٨) (القلوب المتوجعة) ص ٦٩ .

(٤٩-٥٠) (فتاة الريف) ص ٧٦ ، ١٦٠ .

التي وصل اليها في ثقافته العربية ، وبينما نجد قوة في اسلوب الروايات
التالية ؛ (من بنات الناس - فتاة الريف - شيخ القبيلة - باهرة - في
سبيل الخلود - نسرين - لقيط بين الاكواخ والقصور) ، نجد في الاخرى ضعفاً
واضحاً في الاسلوب وتهاوتاً وركاكة (٥١) وشيوعاً في الاخطاء الاملائية
ولناخذ رواية (العذاب) على سبيل المثال ، فنجد ان الاخطاء والركاكة
تشيخان في صفحاتها (وهو يعانني من اوجاع مرضه آلاماً والادوية
المريرة فيه تذهب دون جدوى - لا يهمني ولا بساعة ولا يرأف بي ولا
بالحظة لالم اجن بعد - كانت تمسك اشواقها وتبثه بعضها - فلم يشأ
ان يتبصر بعيداً فحكم ان فيك نهاية العالم ولذا انحصرت نفسي فيك
فيحمت شطرق قلبك الازلية فأيقنت بالحب ايقاناً صادقاً) (٥٢) .

وقد لا تجد الشخصية وسيلة للتعبير عن مشاعرها الا في ترديد
مقطوعات من الشعر (٥٣) (فارتسمت على حيا لؤي ابتسامة السخرية

(٥١) زكي حسن (العذاب) ص ٧ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ،
٤٠ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٨ . احمد شهاب (نبي العذريين في القرن العشرين)
ص ٢٠ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٧٣ ، صبري عبد الله (البنادق
المسروقة) ص ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٥٢ .
نجم سلمان (مأساة طفلة) ص ١١ ، ١٦ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٤٩ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٩٠ ،
٣٦ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٨ . عبد اللطيف الحسين (مات النهار) ص
١٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٤٥ ، ١٠٠ ، ١١٦ ، ١٣١ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ، ١٦٤ ،
١٧١ ، ١٧٥ ، ١٨٤ .

(٥٢) زكي حسن (العذاب) ص ٨ ، ١٧ ، ٢١ ، ٤٨ - ٤٩ .

(٥٣) شهاب احمد (نبي العذريين في القرن العشرين) ص ٤٧ ، ٢٦ ،
٥٤ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٩١ ، ١٠٢ . صبري عبد الله (البنادق المسروقة) ص
٤ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ١٠٣ ، ١١١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٥٤ . صاحب الصباغ (في سبيل

والاستهزاء من امثال هؤلاء القوم وقال :

يمشي الفقير وكل شيء ضده والناس تغلق دونه ابوابها
هذا يعيبه وهذا يهينه ويرى العداوة لا يرى اسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذابزة هشت اليه ولوحت اذناها
واذا رأت يوماً فقيراً معدماً نبحت عليه وكشرت انيابها (٥٤)
وهو شعر غث ضعيف . او تعجز عن الكلام نهائياً ، فتصيبها حالات
الاغماء (٥٥) بمناسبة وبدون مناسبة ، وهو طابع المزاج الشعبي في
تصور الحب عموماً . وهذا الاغماء الشائع في هذه الروايات ناتج عن
عجز الشخصية عن التوفيق بين القدرة والامل اللذين يتعارضان
فيشقى الفرد بهذا التعارض ويظل يشقى شقاء لا مفر منه الا بأحد
امرین ، اما ان يغير الفرد طبيعته ويتخلص من آماله ورغباته او تغير
الاشياء من طبائعها بحيث يستجيب لتلك الآمال والرغبات . ولما كان
كلا الامرین عسيراً ، فان هذا الشقاء يصبح ضرورة ، وظاهرة الاغماء
انعكاس لهذا الشقاء .

وقد شاع استعمال النغمة الخطائية (٥٦) ، في اساليبهم لانها وسيلة

الخلود) ص ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٥٨ ، ٦٨ ، ٧٣ ، غالب علي الداودي (يا ظالمني)

ص ٧١ ، ٧٢ ، ناجية حمدي (٤ نساء) ص ٤١ ، ٤٤ .

(٥٤) صاحب الصباغ (في سبيل الخلود) ص ٤٠ .

(٥٥) انظر : احمد شهاب (ني العذريين في القرن العشرين) ، عبدالهادي

عبد الخالق العزاوي (ضحية التمور) .

(٥٦) نجم سلمان (مأساة طفلة) ص ٤٩ - ٥٠ صاحب الصباغ (في سبيل

الخلود) ص ٤٨ ، ٥٥ - ٥٨ ، ١٤٧ . غالب علي (يا ظالمني) ص ٦٠ . وهي

حسين (الشمعة الاخيرة) ص ١٢ - ١٣ ، ٢١٣ - ٢١٤ . ناجية حمدي (٤ نساء)

ناجعة للاخلاقية التي يهدف اليها هؤلاء الكتاب . وقد تأتي هذه
المواعظ على لسان المؤلف عن طريق تدخله المباشر ، او على لسان
الشخصيات التي ينطقها بما يريد ليعظ قارئه او لينبئه الى غرابة
الاحداث التي يقدمها له ، او ليعلق عليها بحكمة او بشعر . وهم في
خطبهم ينسون الزمان والمكان وطبيعة الشخصية ، ويهيجون وجهاً لوجه
امام القارئ ليلقوا عليه دروسهم وعظاتهم ، ويستثيروا فيه الحماسة
والنخوة والشعور الوطني والقومي (٥٧) . وقد يرتفع الاسلوب عند
البعض الآخر الى مستوى التهويمات الشعرية والتموجات العاطفية (٥٨)
« . . . شاهدت نهاري يدفن في حفرة كالشريد من غير كفن . . . وهنا
يكمن سبب حزني اللانهائي . . . انا الآن رجل بلا نهار . . . بلا حياة . . .
فالحياة هي النور . والنور هو النهار الابيض . . . وانا رجل مات منه
النهار والشمس والقمر والنجوم والاشجار . . . عالم فيه ظلام وفيه
حرمان . . . وفيه سماء وشمس وقمر ونجوم ولكن من نوع آخر

ص ٢٧ - ٣٨ ، ٤٥ ، ٨٧ .

(٥٧) صاحب الصباغ (في سبيل الخلود) ص ٥٥ - ٥٨ ، عربي عراقي
(من بنات الناس) ص ٨ ، ٩ ، ٦ ، ٧٨ ، ٧٩ . وهي كوزة جي (الشمعة
الاخيرة) ص ٧ - ٨ . يحيى عباس (الثالث) ص ٦٦ - ٦٧ ، ٥٩ . عبد الله
حلمي (فتاة الريف) ص ٢٥ ، ٤٧ - ٤٨ .

(٥٨) رضاء الدين الحيدري (الخطيئة) ص ٢٦ ، ٧٣ ، ٧٥ ، احمد صبحي
(التائهون) ص ٣٥ ، ٣٩ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٦٤ . وهي كوزة جي (الشمعة الاخيرة)
ص ٢٣ ، ٤٥ - ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ . عبد اللطيف الحسين (مات النهار) ص ٤٣ -
١٤٤ .

جميل» (٥٩) . وقد استخدم بعضهم اسلوب الرسائل (٦٠) . والبعض الآخر اسلوب المذكرات (٦١) كما استخدم آخرون ضمير المتكلم (٦٢) . وقد يسف الاسلوب فيتدنى الى استعمال اوصاف وتشبيهات غير مناسبة بالاضافة الى الركاكة والاختطاط اللغوية (لاضعها بين يديك العبلوين) (٦٣) ، وانتعشت شعيرات قلبه المنكمشة (٦٤) ، انا كنت ككرة نطنطت (٦٥) .

ولم يهدف كتاب هذا الانجاء في لغتهم الى تقديم لغة فنية ، بل كانوا يهدفون الى تقديم رواياتهم بلغة يستطيع القراء فهمها ، واللغة الغالبة على أسلوبهم ، لغة الاسلوب الصحفي الذي يتجه الى السهولة ، ويجرد إيصال المعنى الى القارئ بأسهل الطرق ، وهو لذلك لا يخلو من

(٥٩) (مات النهار) ص ١٤٣ - ١٤٤ .

(٦٠) زكي حسن (العذاب) ص ٢٢ - ٢٣ ، ٣٢ . احمد شهاب (نبي العذريين في القرن العشرين) ص ٦٦ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٨٠ - ٨٢ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ١٠٠ . صاحب الصباغ (في سبيل الخلود) ص ٣٢ ، ٨٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١١٥ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٣٦ . غالب علي (يا ظلمي) ص ١٨ ، ٢٠ ، ٢٠ - ٣٠ ، ٤٧ - ٦٦ ، ٦٧ - ٦٩ ، ٧٠ . ناجية حمدي (٤ نساء) ص ٦١ .

(٦١) (من بنات الناس) ٩٥ - ١١٨ . عبد الله نيازي (نهاية حب)

٧٥ - ٧٧ .

(٦٢) نهاية حب ، اناهيد ، فتاة الريف ، طريق الدموع ، القلوب

المتوجعة .

(٦٣) (نبي العذريين في القرن العشرين) ص ٥٠ .

(٦٤) (الثالث) ص ٤٩ ، ٥٠ .

(٦٥) (مأساة طفلة) ص ٢٦ .

محاولة لاستعمال بعض الالفاظ العامية ، وتعريبها (٦٤) ، أو من ركافة في التعبير . ومشكلتهم انهم لم يفهموا بعد عبقرية اللغة العربية وطواعيتها ، ولم يدركوا ادراكاً واعياً قوتها على الاداء والتعبير ، لذلك جاءت رواياتهم مفتقرة الى مقومات الفن الاصيل .

كما تتأثر لغة الحوار عندهم بمستوى لغتهم في السرد ، وهذا مقطع يوضح لنا ذلك (وطرق سمعها صوت سميرة قائلة : ليلى أنتظرين الى المصباح ؟ انه جميل لكنه قبيح ، قبيح جداً . فهالته الجميلة تجذب الفراش ليحترق . وابتسمت ليلى وهي تنظر الى هالة المصباح الساحر التي فتنت الفراش الذي اخذ يقترب من المصباح بشوق ، واستطردت سميرة قائلة : ليلى ، الفراش يقترب من المصباح بنهم يا للمسكين ، حبه يدفعه الى الفناء .

فقال ليلى وهي تشاهد الفراش يحلق راقصاً حالماً بالسعادة وهو يقترب من النور ؛ ما ذنب المصباح انه جميل وهذا شيء حسن ولكن هذا الفراش يقصد هذا الجمال ليموت .

- الفراش لا يعلم هذه النهاية .

فتنهدت ليلى وقالت : لماذا ؟ بي حاجة ان اعرف سر ذلك .

- الفراش يشعر وكأنه بمنجاة عن التعاسة ويشعر وكأنه فوق ما يسمونه بالالم ، لا شيء الا لانه بالقرب من النور لان النور احب شيء للفراش .

- هنا يكمن خطأ العاشق يا سميرة .

فاجأبتها سميرة وهي تمر بيدها على شعرها الاشقر : نعم العاشق

(٦٦) (فتاة الريف) ص ٧ (الثالث) في معظم صفحات القصة .

بالقرب من حبه أكثر بني البشر عاطفة ورقة واحساساً، حتى ان نظرته الى مشاكل الحياة تكاد تكون نظرة عاطفية محضه اكثر منها عقلية دائماً لانه يكون محروماً من التفكير العميق .

- هذا ليس حباً بل جريمة، جريمة ان لم يتحول المصباح الى شيء لا نور فيه من اجل ان يعيش الفراش . وتنهدت وازافت بصوت محزون !
الفراش الذي يعبد نور المصباح أليس كذلك ؟ .

ومرت الكلمات على مسمع سميرة وكأشياء ضخمة ضخامة المحيط واذهلته حرارة ليلى وجدما وصرامتها وهي تتكلم هذه الجمل الكبيرة في المعاني فبقيت حائرة بماذا تجيب ، وكمن يهرب من حراجه الموقف قالت : الحياة خضم متلاطم كل شيء جائز فيه ، خضم يجعل من غاية المرء وسيلة لتدمير المرء نفسه (٦٧) .

وكان الاجدر بهم ان يعبروا تعبيراً منظماً يرفع بالاحداث الى الامام على لسان هذه الشخصية ، ويخلقوا الحركة التي تبت الحياة عن طريقها وينظموا الحوار المتدافع بعنف تارة ، والاسن تارة اخرى بما يتناسب مع الموقف ، وليست مهمتهم ان يتكلموا على لسان الشخصية دون ان ترى الشخصية رؤية واضحة .

وقد يستعملون الحوار لا لخدمة الحدث ، ولا لمساعدة على تطويره ، فيأتي مملاً تافهاً لا فائدة منه ولا قيمة له (٦٨) . حتى انه اذا اقتطع من

(٦٧) عبد اللطيف الحسين (مات النهار) ٧٣ - ٧٥ .

(٦٨) (فتاة الريف) ص ٧٥ - ٧٨ ، ٩٢ - ٩٦ ، ١٢٣ - ١٢٩ . حازم مراد

(التائهة الزافهة) ص ١٥ ، ٧٤ - ٧٥ ، (اين تذهبين) ص ٤٤ ، ٥٠ - ٥١ .

(من بنات الناس) ص ٢٤ . (نبي العذريين في القرن العشرين) ص ٣٧ - ٢٣

. ١٠٨ - ١١٣ .

الرواية لا يؤثر فيها شيئاً بل على العكس يريح القارىء، ويخلصه من كلام لا نفع فيه. وهذا حوار عقده حازم مراد في روايته (اين تذهبين) بين بطلة القصة (كوثر) وصديقتها زبيدة - (هل تعجبك هذه الغرفة ؟ - جداً .

- انها صغيرة أليست كذلك ؟ .

- بل كبيرة علينا أنا وأنت .. وتجاوب الى سمعها صوت سعدي ينادي من خلف الباب :- زبيدة .

- نعم .

- هل تستطيع ان ادخل ؟ .

- بامكانك لو شئت .

- هل من مساعدة ؟ .

- مساعدة كبيرة ان تخرج وتغلق الباب من خلفك (٦٩) .

ويلجأ البعض الى استعمال الحوار العامي ، ظناً منه انه يعطي للشخصية جميع ابعادها ، ولكن معظم هذه المحاولات باءت بالفشل . ولناخذ على سبيل المثال ما اوردته عبد الله حلمي في روايته (فتاة الريف) (- عيوني ويا من تعاركت ؟ اول قالي انت تتعارك بالدروب ، أخاف المعلم ضربك انزول نزله ؟ لكن انت مو من التلاميذ الي ينضربون بالمدرسة ؟ بس وين صارت هاي الدكة حتى نرشدك للماي والملح ونحرك البخور بمكانها وكنت المغرب ؟ ثم استطرقت قائلة : ان شاء الله تنكسر ركبته وايدته كلمن مد ايد على ابني وخلاه نايم بالفراش . وهنارفعت خالتي يدها قائلة : آمين يا رب العالمين . الا انني قلت بصوت

(٦٩) حازم مراد (اين تذهبين) ٤٤ - ٤٥ .

ضعيف ؛ لالا . . . وقد سمعت الطبيب يقول لامي لا بد وانه تعرض لحرارة الشمس (٧٠) . فقد جعل المؤلف امه وخالته وجدته فقط يتكلمن العامية وتتكلم باقي الشخصيات الفصحى حتى الخدم ، وهذا استخدام سيء للعامية ، وكان الاجدر به ان يدع الشخصيات غير المتعلمة تتكلم العامية والشخصيات المتعلمة تتكلم الفصحى وما دام ان استخدام هذه الطريقة في الحوار . . .



وخير من يمثل هذا الاتجاه في الرواية العراقية الحديثة (عبد الله نيازي) في روايته (نهاية حب) عام ١٩٤٩ و (اناهيد) عام ١٩٥٣ ويتناول المؤلف فيهما حوادث الحياة ببساطتها التامة دون ان يشبعها بالفنية المطلوبة . ويغلب عليه فيهما طابع السرعة وتسعفه في ذلك ذاكرة عجيبة ، تمده بحوادث الايام ، ونوابث الدهر . ولا عجب ان يتأثر أسلوبه بتلك السرعة حتى يهبط الى المستوى الصحفي احيانا ، ويعتمد على المبالغة والتحويل وتضخيم العواطف والانفعال .
ونلمس في روايته هوة سحيقة بين واقع الشخصيات واحلامها ، فهي شخصيات يمضها الواقع المؤلم ، ويحزنها ما فيه من قيود وعادات وتقاليده ، تقف حائلا امام سعادتها وانطلاقها ، فتهرب من عالمها هذا الى عالم الاحلام ، حيث تكسر فيه القيود وتحطم العوائق ، ولكنها ما تلبث ان تكتشف الهوة بين الواقع والحلم فتتنطوي على نفسها وتجتز الآمها ويدفعها عجزها عن مصارعة الحياة الى الاغراق في الآلام والاحزان وكانها تلتذت بها .

(٧٠) عبد الله حلمي (فتاة الريف) ٧ - ٨ .

وقد اتخذ (نيازي) فن الرواية وسيلة للتعبير عن ذاته ، وكشف نفسه ، وثورته ، ومطالبته بالحرية ، والتحرر من القيود الاجتماعية ، ويعقب ثورته تلك بالشكوى والتشاؤم والسلبية ، وقد يجد في شقائه نوعاً وقبلاً رغم محاولته الهرب من آرزاء تلك الحياة .

ويدور محور الروايتين حول أحداث غريبة ، تعتمد على المصادفات المدهشة من غير خضوع لتخطيط معين بل تجريان في حرية واسترسال تسوقان فكرة معينة أو تعكسان حالة نفسية .

يحدثنا المؤلف في روايته الأولى (نهاية حب) اول ما يحدثنا عن (عمر افندي) الموظف الصغير في قرية نائية من قرى الجنوب عرف بحسن الخلق وقناعة النفس ، كان يرفض الزواج اول الامر ، ولكنه رضي اخيراً أن يتزوج فتاة تركية تصغره بسنين كثيرة فأنجب منها بنين وبنات ثم نفس عليه زملاءه مكانته وعلو مركزه فدبت عقارب السعاية ، وحملت الوشايات الملققة الى رئيسه حتى فصل من وظيفته ثم اجريت له عملية استئصال الزائدة الدودية ، وتشاء الاقدار ان يحققه الطبيب خطأ بسم يقضي عليه . وشقيت الأم بتربية ابنائها واستطاعت بمساعدة اخ زوجها ان تحصل على وظيفة معلمة في مدرسة في بغداد ، وتحسنت حالة الاسرة الصغيرة بعض الشيء ، وتقدم الصغار في دراستهم عدا الولد الكبير (عادل) فقد كان طالباً خاملاً في الدراسة ، سعى له عمه فوجد له وظيفة بمرتب صغير يتعيش منه . وحين شبت الابنة البكر عن الطوق ، تقدم الى خطبتها شاب رضيت به الام صهرراً لها ، واضطرت ان تصحب ابنتها الى مقر وظيفة الزوج تاركة ابنها الكبير يقاسي الام الوحدة الا انه وجد في بيت خالته بعض السلوى ، واحب ابنتها وحينما تقدم لخطبتها

رفض طلبه ، وحز في نفسه ذلك الرفض ولكن الحب الذي اضطرم في قلب
الفتى وجد له متنفساً في المطالعات الادبية ، وهكذا كانت نهاية حبه
ذكرى حلوة جميلة يستمد منها القوة في انتهاج مسلك الادباء . ولا تخرج
الرواية الثانية (اناهيد) عن هذا المضمون ايضاً .

والعقدة في هاتين الروايتين ، هي العقدة التقليدية ، شاب يحال بينه
وبين حبيبته ، لتحقيق منفعة مادية تعود على ذوي الفتاة فيقضي عمره
غماً والمأ وحسرة ولا ينفع شيء في تعزيبته . والتركيز حول هذه العقدة
الروائية لا يعني ضحالة الخيال بقدر ما يعني التنفيس عن الكبت الفكري
والاجتماعي والاقتصادي الذي تعانيه الطبقة المتوسطة في العراق .

وقد انعزل المؤلف بذاته وتفرد بالآلامه ولم يتفاعل بالمجتمع الذي
عاش فيه . فقد كان موقف البطل موقفاً سلبياً جامداً منذ البدء حتى
النهاية ، فهو لم يحاول ولم يفكر في ان يثور على الوضع ، ولم يفعل الا
ان يتألم ويتعذب ويمضي حياة جامدة خالية من اي معنى . وقد كان
البطلان - عادل ونهاد - شخصيتين انانيتين ذاتيتين ، ضلتي التجربة
النفسية حدودتي الافق مخنوقتي النزعة الانسانية ، لم تحملا لواء الصراع
في مجتمع لا يجدي فيه غير الصراع . ويغلب على الروايتين الجانب السلي
اي الجانب الوصفي التقريري لواقع فاسد ولنفوس محطمة وسط ظروف
مكدودة هي نفوس هؤلاء الناس العاطفين المضيعين . ونلمس فيهما
الفرد العراقي المندفع بكل آلامه وآماله وعقده التي ولدتها قيود المجتمع
الثقيلة التي سحقته تحت عجلاتها .

فيهرب من واقعه الى عالم الخيال ، ينشد الحرية من هذه القيود ،
فلا يجد غير الاحلام يلجأ اليها ويتدفأ بصدرها الحنون ، ليستيقظ

ثانية وعلى حين غرة من حلمه اللذيذ ، فيجد نفسه معلقاً بين الارض
والسمااء يخشى السقوط والانسحاق لانه يعجز عن التوفيق بين القدرة
والامل اللذين يتعارضان اشد التعارض فيشقى بهذا التعارض .
ولم يدرك المؤلف ان فنية الرواية ليست في التزامها الصدق في
وصف مسرح الحوادث بل التحوير بما يحمل هذا الواقع نزوعاً ينبغي
الا يخلو من مثالية . والروايتان مليئتان بالعواطف المفتعلة والاحاسيس
المبتسرة ، التي لا طبع فيها ولا تلقائية ، بل افتعال ومبالغة وتناقض
وسطحية في المعالجة القصصية وبطء في الحركة ، فقد اعتمد المؤلف على
الحديث ، واستعان بالخيال يجمع به شتات الموضوع . كما لا تخلوان من
الحشو والفضول . وقد تدخل المؤلف في السرد لابداء رأي او تقديم
عظة .

وقد حفلت الرواية الاولى (نهاية حب) بالكثير من المبالغة والبعد
عن الواقع ؛ فليس مفهوماً ان يفصل شخص من وظيفة بناء على وشاية
مغرضة ، دون ان تشفع له خدماته الطويلة وسمعته الحسنة (٧١) ، كما
يستبعد وقوع خطأ كهذا الخطأ الذي وقع فيه الطبيب وأدى الى وفاة
المريض ، اذ ليس معقولاً ان تترك حقنة ملئت سابقاً بسم احد لقتل
كلب مسعور في غرفة العمليات كما لا يعقل ان يجهش رجل بالبكاء
في هربة ركاب عامة (٧٢) ، ولا يصح ان تنقلب عاطفة الام الحنون
هذا الانقلاب الفجائي من النقيض الى النقيض ، فقد كانت شديدة
العطف على اولادها ، تسهر على راحتهم ، وتحرص على مستقبليهم ، فما
بالها تقابل ابنها الكبير بهذا الجفاء وتلك القطيعة . كما يؤخذ عليه

(٧١ - ٧٢) نهاية حب ص ١٨ ، ٢٠ ، ٩١ ، ٢٧ على التوالي .

امرافه في التفاصيل ووقوفه عند التافه منها حتى انه ليذكر ان مدير
المدرسة اخذ بيد الولد وارشده الى الصف بعد ان تم قبوله في المدرسة .
والى هذا الرأي ذهب عبد القادر حسن امين (٧٣) .

ويظهر التناقض والضعف واضحين في روايته (اناهيدي) ، فهو يبدأها
بقوله (كانت الطيوف تراوده كما تراود شخصاً ينتظره مجهول مخيف
ولكنه ما كان يقيم لاحاسيسه هذه وزناً ولا لشعوره اهمية . . وما هذه
الطيوف السوداء التي تراوده ماهي الا ظلال نفسه الكئيبة التي لاتنعم
بغير الحزن ولا ترضى بغير الشقاء والتي قد يبلغ الامر بها في بعض
الاحيان ان تخلق الحزن خلقاً وتوقظ الالم الدفين لتميش ساعة في
جحيم من الاحساس العنيف) (٧٤) ، ورغم التناقض الظاهر في هذه
العبارة حيث يبدأ بالقول انه لا يقيم وزناً لاحاسيسه ولكنه ما يلبث
ان يقول انه لا يعيش الا في هذه الاحاسيس الحزينة . نجد صورة صحيحة
لهذا البطل الذي لا يرضى بغير الشقاء ويخلق الحزن خلقاً ليعيش في
جحيم من الاحساس العنيف ، والروايتان تقومان على اصطناع الجو
الحزين لانسان يعيش حياته في شقاء وفاجعة ، ويحس نهاد بالاسى والحزن
وهو في طريقه الى دار عمته ، وحين يخرج من هندا يحس انه يودعها
الى الابد ولا داعي لهذا الاحساس لانها لم تخبره بخطوبة حبيبته ، وهو
يحزن لشقاء والد اناهيدي ، ولضيق ذات يده ، ولكنه يقول بعد صفحات
قليلة من قوله السابق (ولقد كان يسعد حين يرى ان الذين قوضوا
حياته يتألمون ويتعذبون . .) .

(٧٣) انظر (القصص) ص ١١٩ .

(٧٤) (اناهيدي) ص ٩ .

ويتخلل الروايتان كثير من السرد غير المحبوك والاحساسات غير
الناضجة والتعابير التي لا تتفق والسرد القصصي ، بل هي عبارات ينفث
فيها الكاتب آراءه ، وعواطفه على لسان أبطاله . لحرصه على التهجير عن نفسه
وعرض افكاره ، ولم تخل من نصائح تعاليمية يقدمها الى الآباء يحثهم على
السماح لاولادهم الصغار باللعب لانه يفيدهم ويزيد ثقتهم بأنفسهم (٧٥) .
ويدعو الناس الى الانصراف الى القراءة والدرس (٧٦) .

والآراء التي يوردها (نيازي) آراء فجة مبتسرة ، ولناخذ على سبيل
المثال قصة انقطاع الخيط ، وفلسفة العمياء السعيدة ، وفلسفة شرب
الخمر (٧٧) . كما يتصف عرضه لواقع المجتمع العراقي بالضحالة والسطحية
« ايه .. هذه هي الحياة او قل انها هكذا في الشرق وحده يقبلون على
الواحد منا اذا كان جيبه عامراً ويشغل منصباً مرموقاً وان كان من
الحطة والقذارة بحيث تزكمت رائحة افعاله الكريمة . ويبتمدون عن
الانسان الذي تفوح منه رائحة العفة والطهارة والشرف كما يفوح
الشذى من الاوراد اذا كان خالي الوفاض ولا يشغل منصباً مرموقاً ،
ايه هكذا هم الناس وقد اسميتهم كذلك مجازاً فليس هم اناس بالمعنى
الصحيح لهذه الكلمة » (٧٨) .

وقد عجز المؤلف عن خلق جو او عالم متميز واضح الابعاد والخطوط (٧٩) ،
والروايتان متكلفتا العاطفة (فنهاد) لا يفعل شيئاً غير ذرف الدموع في
كل وقت ، تماماً مثل عادل في (نهاية حب) واناheid شخصية ضبابية

(٧٥-٧٦) (نهاية حب) ص ٧٢ ، ١٠٩ .

(٧٧-٧٨) اناheid ص ٣١ ، ٣٥ ، ٤١ ، ٦٠ على التوالي .

(٧٩) انظر (اناheid) مجلة الآداب العدد ١٢ عام ١٩٥٣ .

غير واضحة المعالم كحبيبية عادل - التي لم يخصصها الكاتب باسم ما - في الرواية الاولى . وموضوع (الحب) الذي اختاره تعبير عن مشكلته الذاتية شأنه شأن الكثير من كتاب هذا الاتجاه ، الذين اتخذوا من الحرمان والحيرة اللذين يسودان علاقتهم بالمراة ، رمزاً للحرمان والحيرة اللذين يسيطران على علاقتهم بمجتمعهم بصورة عامة . ولما كان جو الروايتين في اغلبه حزيناً يائساً ، فان وصف الطبيعة هو الآخر غائم ماطر دائماً ليساير نفوس الشخصيات الحزينة . وفي هذا تجن على الطبيعة في العراق التي قليلا ما تهدر وتعصف ، وكثيراً ما تشرق وتبسم - فضلاً عن اقحامه الطبيعة اقحاماً (كالديكور) الذي لا يناسب المسرحية . فاذا رفع هذا الوصف لا يؤثر في سير الحدث (٨٠) كما ان رغبته المستمرة في التعبير عن اسس الطبيعة تحتفظ لها بصورة ثابتة لا تتغير . وتفنقر شخصياته بالاجمال الى الحياة الطبيعية وهي تبدو نماذج جامدة لا تحركها العواطف الانسانية المتقلبة فضلاً عن ان عنصر المبالغة في وصف هذه الشخصيات كثيراً ما يفسدها ويجعلها تبدو وكأنها في عالم يختلف كل الاختلاف عن العالم الذي نعيشه ونعيشه . وهي على العموم شخصيات مسطحة لا ابعاد لها عمومية مجردة من المسحة الانسانية المادية او النفسية ولا يستبطنها المؤلف من الداخل ، ونادراً ما يصفها من الخارج . وقد يسهو عن اعطائها اسماً وكأنها مشجب يعلق عليه الكاتب الحدث او الفكرة . وشخصياته جامزة غير متطورة ، فنهاد كمادل عاشق مدنف لا يكف عن ذرف دموعه واناheid غائمة غير واضحة المعالم ليست انسانية الخلق ولا الابعاد ، ولا تتصف بصفة الفرد المتميز . وهدف الكاتب :

(٨٠) اناheid ص ٢٧ ، ٢٨ - ٢٩ ، ٦٢ ، ٦٩ .

ابراز شخصيتي - عادل ونهاد - ولها تين الشخصيتين عند الكاتب مفهوم واحد ثابت ، طلق لا يتغير ، وان تغيرت المواقف التي يجدان فيها نفسيهما ، والاشخاص الذين يتعاملان معهم ، وان لهما معنى بعينه عند الكاتب هو الجري وراء ما لا يمكن أن ينال ، والحيرة الدائمة ، والسعي وراء اوهام النفس .

وتجد شخصياته بصورة عامة مكانها في الحياة الحقيقية الواقعية ، ولكنه لا يريد لها أبداً ان تدخل الى الواقع ، ومصيرها بالنسبة اليها لا يحمل الا معنى خارجياً ، ومملكتها ليست من هذا العالم فهي لا تود ان تخط طريقها في هذا العالم ، ولا ان تشغل مكانها بل تنفق من ذاتها دون حساب ولا تقوى أبداً على تكهن ما ستقوم به من اعمال . ولهذا تحدث فينا شخصيات نيازي تأثيراً يدلنا على حمقها فهي لا تسير قدماً ، وليس لها غاية تقصد اليها ، وهؤلاء الكبار يحتاجون الى عكاز كالعميان ، يترنحون كالسكران ، ويقفون ويستديرون ، ويلقون جميع انواع الاسئلة ، ويندفعون نحو المجهول ، دون ان ينتظروا جواباً فيخيل انهم وصلوا حديثاً الى عالمنا ، ولم يعتادوا الحياة فيه . وهم قلقون مضطربون وعاطفتهم المتدفقة ينقصها نقطة الارتكاز ، قلوبهم مشغلة بالصدمات وعدم اليقين ، ففي كل مكان نجد الخوف والذل والاهانة ، تصدر عن العاطفة الوحيدة لهؤلاء الناس . فمثلا (عمر افندي) اشرف على الاربعين من عمره أو جاوزها قليلا موظف حكومي قديم الا ان راتبه لا يزيد على الخمسة عشر دينارا ، لامهاله في المطالبة بحقه ولان الحكومة نفسها لا تذكره لتشمله بالترقية (٨١) . ويشاء القدر ان يموت عمر افندي بحقنة سامة

(٨١) نهاية حب ص ٧ - ٨ ، ٢٠ - ٢١ .

اعدت لكلب مسهور اثناء اجراء عملية جراحية له (٨٢) . وقد ترك صبية في الثانية عشر من عمرها ، وولدين احدهما في العاشرة والثاني في الخامسة من عمره تركهم جميعاً بلا عائل (٨٣) . و (عادل) بطل رواية (نهاية حب) شاذ في كل مرحلة من مراحل نشأته ، فقد كانت حياته فوضى ، بانسة (٨٤) .

ويهتم المؤلف بالوصف الجسماني لشخصياته دون الالتفات الى ما يدور في نفوسهم من انفعالات واحاسيس ، فهي شخصيات مسطحة دائماً ثابتة ابدأ ، فعمر افندي يشرف على الاربعين ، طويل القامة ابيض اللون يضرب الى السمرة قليلا قوي البنية ، صحيح الجسم ، مستدير الوجه ، دقيق الانف ، يحوط فمه شاربان لاهما بالكثيفين المديبين ولا هما بالخفيفين (٨٥) . وزوجته : لا تزويد على السادسة عشرة ، بيضاء البشرة ، ذهبية الشعر ، دقيقة الانف ، ضيقة الفم ، عملية العينين ، دقيقة الخصر ، نامدة الصدر (٨٦) .

ويكتب (نيازي) بأسلوب بسيط لا تعقيد فيه ولا عناء ، ولكنه لا يعمق الاحاسيس ولا يمضي بها الى غايتها من الوصف والتحليل ، فهو كمن يضرب في انتظام ضربات هادئة فاترة ، فيصيب بعضها مواضع حساسة ، ويخيب بعضها الآخر ، وحتى الضربات التي تصيب ، سرعان ما يضيع تأثيرها مع تتابع الضربات ، لانه يكتب في نوع من عدم المبالاة والسلبية ، ويميل الى الاسلوب الخطابي في المواقف المشيرة اليانسة ، وتراه يقيم بينه وبين شخصياته علاقة قد تكون مباشرة حيناً وغير مباشرة

(٨٦ ، ٨٢) نهاية حب ص ٧ - ٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٠٧ ، ١١٢

على التوالي .

حيناً آخر ولكنها في الحالتين تسمح له بأن يعلق على هذه الشخصيات ويصف سلوكها ويوجه هذا السلوك ، وهو بدوره يدعم الطابع التعليمي للفن الخطابي ويؤكد ما يحمل من مبادئ اخلاقية (٨٧) .
وهذا الاسلوب الذي يكتب به اخباري تقريري ، أشبه ما يكون بالاسلوب الصحفي ، عباراته الفاظ تقرأ العين حروفها ويفهم العقل معناها اللغوي ثم لا شيء بعد ذلك ، ليس في اسلوبه نبض الحياة ، ولا لمسة الفن ، والفاظه وعباراته مصممة لا تفتح على آفاق موحية بما يمكن ان تغوص عليه من اغوار . او تمتد اليه من ابعاد او تموج به من نعم ، او توميء اليه من الوان وظلال . اما لغته فتشكل العقبة الكبرى في سبيل تطور فنه القصصي ، فاللغة ضعيفة ، تشيع بين سطورها اخطاء كثيرة ، وقد يلتوي عليه التعبير ، وتشيع الركاكة في أسلوبه ، وان تطورت لغته في روايته الثانية عما كانت الحال في روايته الاولى . ولناخذ صفحتين من صفحات روايته (نهاية حب) على سبيل المثال ، فنجد فيهما وحدهما كل هذه الاخطاء (تقدم بالخطوبة لها - خرجت مع امها لزيارة بيت من اهل البلدة - كانت بناء على طلب دعوة وجهت له - وجاءت خالته ومتملقها - يحس بنزوة ينزرو بها قلبه - يخدش غرة نفسه) . ولم تسعفه لغته ليلقي من الضوء على شخصياته ما يكفي لتألقها وتجليها ، كي يستطيع القارئ أن يتعرف عليها ويدرك انفعالاتها بقوة ووضوح . وللكاتب عدة مجموعات قصصية (٨٨) .

(٨٧) انظر ناهيد ص ١٨ - ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ - ٣٥ . نهاية حب ٨٠ ، ٩٢ - ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١٠٣ - ١٠٤ ، ١٠٩ .

(٨٨) انظر رسالتنا في (القصة القصيرة في العراق بعد الحرب العالمية الثانية) .

الاتجاه الواقعي في العراق

الرواية للتسجيلية

الرواية الفنية

عبد الحق فاضل

ذنون ايوب

خالد الدرة

فؤاد التكري

غائب طعمة فرمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله

على ما هدانا لهذا

ما كنا لنهتدي لولا

هدى الله لنا

بهدى الله لنا

بهدى الله لنا

بهدى الله لنا

بهدى الله لنا

بهدى الله لنا

بهدى الله لنا

بهدى الله لنا

بهدى الله لنا

بهدى الله لنا

بنهوض الطبقة الوسطى ، وبعد انحطاط الطبقة الاقطاعية التي ولدها
الحكم العثماني المندثر ، ظهرت الرواية الواقعية . فته ظهر الشعور القومي
مع نمو الطبقة الوسطى ، وكان مصحوباً بالرغبة في الاستقلال بالشخصية
العراقية من ناحية ، وبالثورة على الثقافة التقليدية من الناحية الأخرى
كما سبق ان اشرنا .

وكانت الطبقة الوسطى تحسد طبقة الاقطاعيين ، وتتطلع الى النجاح
المادي والسيطرة السياسية ، ويهملها (الأمانة) اكثر مما يعنيهها الشرف .
وكان هم كتابها أن يصوروا الحياة كما هي ، ليتتبعوا سير أبطالهم
وتقلبات أيامهم في رحلتهم الاجتماعية ، أو يرسموا نهوض الأسر وسقوطها
لأسباب أخلاقية أو روحية ، ضمن الاطار المادي الذي لا منجاة منه .
ومن هنا نشأ الأدب الواقعي تلعب فيه المادة وعادات المجتمع دوراً
خطيراً ، فكل شخص له مكانة اجتماعية معينة حسب دخله يتصرف
بموجبه ، وقد تلتبس عليه مظاهر الحياة ، وينسى خطورة المال والعادات
في تقلب أوجهها ، فيقع ضحية خلط الوهم في الواقع ، أو يعجز عن
تفريقها فيعيش خارج المجتمع ، متصوراً نفسه اسماً منه ، ويمده المجتمع
غير لائق لأن يكون واحداً منه ، كما هي الحال في معظم روايات
الاتجاه الرومانسي الأنف الذكر . فالرواية فن جدي لا تسلية هابرة
كما يقول لايرنيل توينغ « ان الرواية بحث مستمر عن الحقيقة ، وميدان
بحثها هو العالم الاجتماعي ، ومادة تحليلها هي عادات الناس التي تتخذ
دليلاً على الاتجاه تسير فيه نفس الانسان » (١) ، ولهذا يتفاخر لورنس
بمهمته ويقول « بما انني روائي فاني أعد نفسي أسماً درجة من القديس

(١) جبرا ابراهيم جبرا (الحرية والطوفان) ص ٦٦ .

والعالم والفيلسوف والشاعر ، فالرواية هي كتاب الحياة المتسع
الوحيد» (٢) ، ويقول هنري جيمس للمقاص « لا تفكر كثيراً في التفاؤل
والتشاؤم ، حاول ان تصيد لون الحياة نفسها » (٣) .

وبعد أن بدأت الطبقة الوسطى تخوض معاركها الكثيرة المعقدة
ضد الاقطاع ثم ضد الاحتلال الانكليزي ، رأينا الدعوة الى الاستقلال
تقترن بأفكار (لبرالية) وافدة . واستغرق الصراع السياسي النشاط
القومي الوطني والطبقي ، وانصرف الممثلون الفكريون لهذه الطبقة
يرسمون الاسس للنظام الاجتماعي الذي يتيح لها أن تحكم ، وهو اقامة
دولة برجوازية على النمط الغربي ، وسواء أكان هؤلاء الممثلون الفكريون
من ابناء هذه الطبقة أم كانوا أبناء أناس بسطاء ، فقد تمييزوا كفاح الطبقة
المتوسطة ، وأصبحوا اجتماعياً وسياسياً جزءاً منها . وقد اتاح لهم هذا
الوضع ان يتوفروا على الدراسة والمعرفة بهدوء بال ، فقاموا بدور كبير
في نقل التراث الذهني والفكري للبرجوازية الغربية الى لغتنا .

وتذوق العراقي الحديث - الذي تلقى قسطاً من الثقافة الأوروبية
وعاش في مجتمعات يتحول الى التقاليد الغربية شيئاً فشيئاً - للرواية
الغربية تدريجياً ، وضعف ميله لأنواع القراءة الأدبية القديمة . وقد
نهج الكتاب العراقيون النهج الواضح ليسدوا هذه الحاجة ، واستعاروا
فنهج من الغرب ، الذي كان محط الإعجاب في هذا البلاد .

وقد زاد انتقال السكان من القرى الى المدن بسبب انخفاض الأجور
في المزارع ، واصابة الزراعة بسنوات جدد متتالية لقلة هطول الأمطار
التي يعتمد عليها في الزراعة اعتماداً كلياً في العراق وخاصة في الشمال .

(٢ - ٣) هنري جيمس من مقال (فن الرواية) عام ١٨٨٨ .

ذلك الانتقال الذي يتفق في حدوثه مع الزيادة العامة في عدد السكان التي أضافت الى تعدادهم مليوناً بين الحربين ، واستمرار السكان بالزيادة حتى وصول تعدادهم الى سبعة ملايين في الستينات ، وهذا يعني التركيز على الموارد الموجودة للطعام والمأوى ووجود وفر في القوى العاملة يفيض عن الحاجة ، فانخفض معدل الأجر الحقيقي للعمال وساءت حالتهم .

ووصف القصاص العراقيون أحوال الطبقات المحرومة والطبقات المترفة ، وطالبوا الأغنياء بحقوق الفقراء ، واهتموا بتنظيم احوال الفلاحين ، وخاصة بعد الانقلابات الاشتراكية في أوروبا ، وهذا هو السبب في ان الرواية العراقية لم تبلغ ما بلغته في الاقطار العربية الأخرى من الناحية الفنية والانقان ، فقد سخرت للاغراض الوعظية الاجتماعية ، ودارت حول البؤس والبائسين . وشرع الكتّاب يغمسون في اعماق مجتمعهم يدرسون ادواءه ، ويردون الاسباب الى أصولها الحقيقية ، ولقد شرهوا يعنون بحالة الفلاح ، وما يلقاه من مختلف ألوان الشقاء وضروب السلب والاستغلال . هذا البائس الذي يعيش مع البهائم ، يشاركها مأكلا ومأواها ، يفنى زهرة حياته في التعاسة والحُرمان في حين يتدفق ما تنتجه يداه ذهباً خالصاً الى جيوب طائفة ضئيلة تتفنن في اساليب الاسراف والانفاق وتبتدع صنوف الملذات والشهوات . ودرسوا اوضاع العامل ، فوصفوا قسوة العمل الذي يكدح فيه ليل نهار ، وتفاهة الأجر الذي يعود عليه من وراء كدحه المضني ، وضخامة الارباح التي تتكدس في خزائن أرباب الأعمال .

وتنجه الرواية العراقية الى المطالبة بحقوق الانسان ، وبازالة

الطغيان. وكان بعضهم يعظم الثورة الفرنسية ، ويتخذها مثلاً لانتصار الحرية على الظلم . وظل الكتاب يتفنون بمبادئ الثورة الفرنسية الى الآن ، لأن الاستعمار ما زال ضارياً أظنا به في بلادنا وبرزت خلال هذه السنوات الطبقة العاملة العراقية بقيادة حقيقية ذات أثر فعال في الحركة الوطنية ، بعد أن احتجزها النفوذ الاستعماري قبل الحرب الثانية . ومع هذه المرحلة الوطنية الجديدة نضجت في الطبقة العاملة طليعة جديدة من الكتاب ، كما نضج اتجاه جديد في الواقعية . وكانت الطليعة الجديدة من الكتاب من أبناء الطبقة الوسطى الذين ينتسبون انتساباً فكرياً وسياسياً الى الفلسفة العلمية التي تتسلح بها الطبقة العاملة مثل ذنون أيوب وشاكر خصباك ، وقد أخذت المشكلات التي كانت تعد فردية من قبل ، تنجمع في صور مشكلات طبقية تؤثر في جميع أفراد الطبقة الواحدة ، وتعقدت الحياة ، وازداد احساس الناس بمدى ما يلقون من جهد ليوفروا لأنفسهم بعض ما تفرضه الحضارة الجديدة من وسائل المعيشة الآمنة الكريمة . لذلك زاد احساس الأدباء بمشكلات هذه الطبقات الجديدة التي هي مشكلات بعض هؤلاء الأدباء أنفسهم واتجهوا الى تصوير المشكلات الاجتماعية والشخصيات والأجواء الشعبية (٤) . وعلى أساس هذا التطور الملحوظ في المجتمع العراقي بزغت حاجات جديدة ، كما تدفقت في الحركة الوطنية سيماء جديدة من مصلحتها ان يتحرر العراق تحراً كاملاً من بقايا الاستعمار ، ويؤسس اقتصاده على أساس سليم .

وتبنت الأحزاب السياسية منذ تأسيس الحكم الوطني في العراق

(٤) الدكتور عبد القادر القط (في الأدب المصري المعاصر) ص ١٢٠ .

مهمة مقارعة الاستعمار مثل (الحزب الوطني) و (حزب الشعب) واشتد الصراع بين الوطنيين والمساندين للسياسة الانكليزية ، فحدثت الانقلابات العسكرية مثل انقلاب (بكر صدقي) عام ١٩٣٦ وانقلاب عام ١٩٤١ . وبدأت المبادئ الشيوعية تتسرب الى داخل العراق نتيجة القلق السياسي والأزمة الاقتصادية العالمية . وانضم الشيوعيون الى حزب الاصلاح الشعبي قبل ان يستقلوا في حزب خاص بهم خلال الحرب العالمية الثانية .

وتبلور التأزم السياسي في العراق عام ١٩٤٧ حين عقدت معاهدة (بورتسموت) بين انكلترا والعراق .

ووجد العرب أنفسهم بعد نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ امام حقائق لم يعد بمقدورهم تجاهلها البتة . هذه الحقائق تشير الى أنهم شعب مضطهد مقهور ومغلوب على أمره ، وأنه اذا ظل على استسلامه للحكام فسيصل به هؤلاء الحكام الى الهاوية . فجدوا في طلب التحرر من أوضاعهم والخروج من محتهم وسارت في البلاد موجة من التحسس بالواقع والشعور بضرورة التهيئة للسير في طريق الحرية والخلاص . وشاركت الرواية في معركة الخلاص هذه على يد (ذنون ايوب) و (شاكر خصباك) . واستمر التأزم السياسي على ما كان عليه وازداد بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ العراق عام ١٩٥٦ بعد ان تم العدوان الثلاثي على مصر . وتكملت جميع الأحزاب في العراق السريّة منها والعلنية اليسارية واليمينية في شجب موقف الحكومة السلي من العدوان .

وكانت تلك الاحداث الضخمة نواة لقيام ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ التي قضت على الحكم الملكي ، فاستولى الجيش على مقاليد

الحكم في العراق وأعلن نظام الحكم الجمهوري وكانت هذه الثورة حصيلة صراع طويل بين الشعب العراقي وحكامه .

ويعد تحرير العراق في ذاته عملاً عظيماً ، فقد تحول من قاعدة رجعية وتخریب الى قاعدة دفع وتطور وثورة . وأصبحت كل موارده الطبيعية والبشرية سلاحاً من اسلحة الثورة بعد ما كانت سلاحاً موجهاً ضدها .

وكان للمجلات الأدبية أثر في بروز الاتجاه الواقعي مثل مجلات (عالم الغد ، الحارس ، أخبار الساعة ، الاسبوع ، الرسالة الجديدة ، الوادي ، الثقافة الجديدة ، المثقف ، الفكر ، الكتاب) . أما الصحف اليومية فقد كانت تخصص صفحة من صفحاتها للأدب والفكر والفن يسهم فيها أبرز الكتاب والشعراء والفنانين .

وقد استمر النتاج الأدبي في الصحف والمجلات رغم تعطيل الكثير منها ، حيث كان الادباء يعرضون عن ذلك بما يصدر من مؤلفات حتى بلغ أوج النشاط في بداية تموز سنة ١٩٥٨ . وقد باتت الصحف والمجلات الأدبية تتسابق من اجل الحصول على نتاج الأدباء العراقيين ، كما راحت المطابع العربية تعني عناية خاصة بالانتاج العراقي ، بل ذهبت المجلات الأدبية في البلاد العربية كالأديب والآداب الى محاولات أوسع في اجتذاب الكتاب العراقيين اليها . حتى ان مجلة الآداب اللبنانية - جعلت من بعض الكتاب العراقيين على رأس محرريها ، يغمرون المجلة بنتائجهم ويفرملون نتاج الآخرين . ولهذا ظهرت دراسات أدبية عراقية عميقة متبلورة ، في مختلف مجالات الأدب الذي تميز آنذاك بالعمق والتحليل والدقة في التعبير . وأصبح للأدب العراقي شخصية مستقلة

ذات طابع ولون خاص .

وعلى هذا فقد اهتمت الأدب العراقي عن مجال الاجترار والتكرار الى حد نبذ اللغة والاقتناس البلاغي ، وأصبح الفكر المسيطر على الحركة الأدبية فظهرت تفسيرات جديدة لمفاهيم الأدب واللغة واصبح النقد الأدبي يعالج الموضوع برمته لا يتسقط الاخطاء ولا يقتصر على عبارة ولا ينتقد الجزء دون الكل بل ينتقد نقداً موضوعياً .

وناصرت الرواية العراقية المرأة وطالبت بحقوقها ومساواتها بالرجل وتأثر هؤلاء الكتاب تأثيراً كبيراً بكتابات قاسم أمين في مصر ، ومنهم من توجه الى المطالبة بحقوقها وتحسين احوالها ، ومنهم من تأثر تأثيراً متطرفاً ، ومنهم من اعتدل وتجمع اهتمامهم جميعاً حول مشكلة السفور والحجاب .

وزادت ظروف المجتمع من تشويه الفكرة التي حملها الجيل الجديد عن المرأة ، فقد كان المنفذ الوحيد الذي أتاحه هذا المجتمع للرجل لكي يتعرف به على المرأة هو البغاء . ولم تكن الصلات التي تقوم بين الرجل والمرأة عن هذا الطريق صلات انسانية ، وانما هي صلات تقوم على الخداع والتجارة . وقد أدى هذا كله الى عدم فهم المرأة فهماً صحيحاً ، يقترب من واقعها أو يستلملي حقيقتها . لذلك لم تبرز لها صورة حقيقية تنبض بالحياة ، وتحملها في مكانها الطبيعي الذي تحتله في الحياة ، الا بعد الحرب العالمية الثانية حيث ارتفعت بلادنا الى مستوى جديد من التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي وتحررت من كثير من القيود التي كانت تعرقل نموها .

وكان على الرواية العراقية ان تنقلب على قدر من الأهواء ، قبل

ان تحرز القبول ، فقد كانت العناصر المحافظة لا تثق في هذه الصور الجديدة النامية من الأدب ولا تقبل ان تكون حوادث الحياة اليومية الثقافية وخاصة حياة الطبقات الفقيرة مادة للأدب ولكنهم استطاعوا بالتدريج ان يثبتوا ان الحياة العادية للمواطن العراقي العادي هي الجديدة بعناية الكاتب الحديث . وكان لا بد للاديب العراقي الذي رأى نفسه يعيش على هامش الحياة ، ان يلتفت الى الحياة . وهكذا ولد الاتجاه نحو (الواقع) بدافع عوامل شتى من سياسية واجتماعية وفكرية .

وفستطيع ان نربط بين التطور نحو هذا الاتجاه ، وبين الآثار السلبية والايجابية التي تركها المد الاستعماري ، والتي احدثت في عشرينات وثلاثينات القرن ذبذبة ، ما نزال نعاني بوعي وبدون وعي من وطأتها الى اليوم ، والتي نقدر ان نعدها الى حد بعيد السنوات الانقلابية في تاريخ الفكر والأدب العراقيين . ففي هذه السنوات عاد المجتمع الى نفسه يعي ذاته وسط تردد في الفكر لم يخلق فيه سوى القلق . وبعد فترة من المرض الرومانسي لم تفده شيئاً ، عاد يتأمل الواقع كرد فعل قوي ضد الخيال ويعالج الحياة بعيداً عن التهويمات ، وعاد يتحدث عن العلم الواقعي ، وقد طال حديثه عن علم الغيب والاهام . وفي اواخر العشرينات كانت المحاولة الأولى الجادة لكتابة الرواية العراقية الواقعية .

وبذلك نشأ الاتجاه الواقعي في العراق ، على دعائم من ايمان بالعام في حقائقه وتجاربه وتطبيقاته ، وتقدير للظواهر الانسانية والاجتماعية التي تراها العيون في مجتمع الناس ، ينادي بتسجيل الملاحظات والمشاهدات من غير سلطان للمؤثرات الداخلية من عواطف الكاتب وأحاسيسه

وفي رعاية للموضوعية وترصد يقظ للتجربة الحية، واستيعاب دقيق لما في الحادثة او المشهد أو الشخصية من معالم خاصة، وتفصيل وافية، وفي التزام لموقف الحياد أمام معتك الحياة والأحياء. ووصف المجتمع الانساني على حقيقته في أمانة وصدق لا زخرف فيه، ولا تطفل من هوى شخصي غلاب يقيم التحليل مقام التخيل، ويحل المنظور محل المتوهم، ويؤثر الواقع الحسي والطبيعة الظاهرة على صيحات العاطفة وهتاف الوجدان.

ويحس المنتبع للادب العراقي الحديث تقدماً ملحوظاً في نتاج الروائيين العراقيين في الثلاثينات، واطلاعاً على النماذج الرفيعة في الادبين الغربي والعربي، وعناية نسبية بالأسلوب، وبناء أدب جديد، يستمد قوته من الحياة نفسها، من الواقع ومن أعماق النفس القلقة والشعور الممزق. وظهر بين أدباء العراق من يدافع عن الالتزام في الأدب والفن، ويدعو له بقوة وحرارة. وظهر من يدافع عن حرية الأديب والفنان فيما يكتب ويبدع. ويرى الفريق الأول ان من الخطأ بل من الجحود ان الأديب هو الضمير الحي لمجتمعه وواقعه أن يتعامى عن الحياة الواقعية الفارقة في البؤس والشقاء، ليتغنى بقطرات الندى تتلألأ كالماس على صفحات وردة زاهية، أو يرسل الدموع في أثر حبيبة غاضبة وكأنه انسان من غير هذا المجتمع لا يعيش واقع الناس المؤلم. ولقد غالى بعضهم في الالتزام والدعوة ليه حتى كادت الدعوة نفسها بما تحمله من سمو مقصد ونبل غايتان تتحطم بين أيديهم، لما كانوا يبدونه من التعصب في الدفاع عن بعض الافكار والمبادئ، كما حدث لروايات ذنون أيوب وشاكر خصيباك.

واهتم هؤلاء الكتاب بأن تكون موضوعاتهم شعبية ، وإن احتل
شخصهم الأكثرية العامة لا الأقلية الخاصة . وقد اتجه هذا الأدب في
نظرهم الى الشعب والحملة على المفاسد الاجتماعية . وترجع أسباب ذلك
الى تأثيرنا بالأدب الغربي ، ومجاراتنا له في حملته على النظام الآلي الذي
احل الآلة مكان الانسان وعلى النظام الاجتماعي المختل الذي جعل
الوفاء من الناس عبيداً لأفراد محدودين ، بسبب الانتقال من نظام اقتصادي
قديم قائم على الزراعة والحرف التي تمارس في البيوت فقط ، الى نظام
اقتصادي يهتم بالصناعة الآلية الى جانب الزراعة ، بل وادخال الآلة
الى الحقل والاعتماد عليها لا على الجهد الانساني فقط ، فتغير نمط الحياة
وأسلوبها . وكان الاحساس بالتغير يسود جو البلاد منذ أواخر القرن
التاسع عشر ، وقد أسىء فهم الحضارة الحديثة على جمالها ومباهجها ،
وطغت وفسدت في أيدي بعض الأغنياء ، وتبعتهم في ذلك الطبقة المتوسطة
التي حققت بعد الحرب العالمية الثانية كثيراً من مطالبها ووصلت الى
الحكم ، وأصبحت تتذبذب بين التجارب للنهوض الشعبي وبين الاتفاق
مع الاستعمار لتصفية الحركة الشعبية . وعمت لهذا موجة الفساد
الاجتماعي والتدهور بما أشاع روح التشاؤم في أدب البعض .



نشأ لكل ذلك الانجاء الواقعي في الرواية العراقية ، وتفادى الأدباء
لمسايرة المجتمع في حقائمه الراهنة وسلوكه العام . وعلى مر الايام ملكت
الواقعية قيادة الاقلام . على ان هذه الواقعية لم تلتزم حدوداً ضيقة
وضوابط حاسمة لأن الكتاب محوون بعوامل فعالة تؤثر في اقلامهم ،
فتجعلهم يصورون واقعهم بحسب ما تمليه تلك العوامل . وليس هذا

الاتجاه حربياً على العاطفة ، وتمرداً على الخيال . فما العواطف والأخيلة
الاجزء من (واقع) النفس البشرية ، ولهذا (الواقع المعنوي) غير
المنظور أكبر السلطان على (الواقع المادي) الذي تراه العيون .

وأول رواية واقعية ظهرت في العراق (مصير الضعفاء) عام ١٩٢٢
لمحمود أحمد السيد ، ثم روايته التالية (جلال خالد) التي ظهرت عام
١٩٢٨ ثم رواية (العفة) لصالح بحر العلوم التي ظهرت عام ١٩٣١ .
ثم ظهرت رواية (مجنونان) لعبد الحق فاضل عام ١٩٣٩ ورواية
(الدكتور ابراهيم) لذنون أيوب في نفس العام أيضاً .

على أن هذه الواقعية الفنية انحرفت عند بعض الروائيين العراقيين
عن الفن الروائي ، لقلّة النماذج التي احتذتها ولتصور مواهبهم . لذلك
نرى في أدبنا الواقعي كثيراً من الأخطاء في تصوير الموضوع من
ناحية ، وفي طريقة عرضه فنياً من ناحية أخرى .

أما من حيث الموضوع فإن كثيراً من الأدباء يفهمون المشكلات ذاتها
فينفذون الى جوهر الحقائق . أما من حيث العرض الفني فإنهم لحرصهم
على الاتجاه الجديد ، يغفلون كثيراً من العناصر الفنية التي لاغنى للعمل
الأدبي عنها حتى ينفذ الى نفس القارىء ، فيخلق عنده وعياً بالمشكلة
واحساساً قوياً بها او اتجاهاً خاصاً الى حلها (٥) .

وقد أخذت الرواية الواقعية العراقية عند بعض القاصص المنحرفين عن
الاتجاه الفني السليم شكل الرواية التسجيلية مثل كاظم مكّي في رواية
(صفوان الأديب) ١٩٣٩ وصالح رشيد في رواية (عدنا الى الخان الكبير)
١٩٤٧ وجعفر الخليلي في رواية (الضائع) عام ١٩٤٨ ومرزّه حمزه شير

(٥) الدكتور عبد القادر القط (في الأدب المصري المعاصر) ص ١٢٠ .

على في رواية (رياض) عام ١٩٤٨ وسامي امين في (حمدي) عام ١٩٥١
وعبد الودود العيسى في (مذكرات مسلول) عام ١٩٥٣ وعبد الواحد
خماس في (طريق الشوك) ١٩٥٤ ومرضى الشيخ حسين في (قصة من
الجنوب) وغالب عبد الرزاق في (قالت الأيام) عام ١٩٦١ وطاهر العميد
في (الله في صدور العذارى) عام ١٩٦٢ .

واختلاف كتاب الاتجاه الواقعي في فهمهم للمواقع الخارجي ، واختلافهم
في فهم طبيعة العمل الروائي ، هو أساس التفريق الذي ميز بين كتاب
الواقعية التسجيلية وكتاب الواقعية الفنية في العراق . من أمثال عبد
الحق فاضل وذنون أيوب وخالد الدرة وهلال ناجي وفؤاد التكريلي
وشاكر جابر وغائب طعمة فرمان ، اذ يصور كاتب الرواية التسجيلية في
العراق المواقع الخارجي تصويراً حرفياً . وبلح على ان ما ينقله وقع فعلاً ،
وأنه يعطينا صورة لهذا الواقع .

يقول كاظم مكّي في مقدمة روايته (صفوان الأديب) « ترددت
كثيراً في اخراج هذه القصة لأن فيها ما يمس حياة بعض الناس ولأن
قسماً من هؤلاء الناس لا يزالون أحياء . ولأن فيها نقداً لطائفة كبيرة
من التقاليد المتبعة المرعية وبعض الأوضاع الاجتماعية . . وهذا الشاب
الذي أريد ان اتحدث عنه وعن تاريخ حياته وحياة أسرته بالتفصيل
وبقدر ما عرفته منه نفسه ، هو صفوان الأديب واذا رجوت شيئاً من
وراء هذه السطور فأنما ارجو ان أرضيه وأنال عفوه » (٦) .

ويقول مرضى الشيخ حسين في مقدمة (قصة من الجنوب) « في
هذه القصة عرض بسيط لوقائع لا يلتمسها الا الذين نزلوا من مقاصيرهم

(٦) كاظم مكّي (صفوان الأديب) المقدمة أ - ح .

البلورية الى حيث تعيش في الأوجال كائنات عظمى كما تعيش الديدان »
ويقول المؤلف في مقدمة (عدنا الى الخزان الكبير) « تقاس أهمية
الحوادث بمقياس أهمية من حدثت لهم وكم من الحوادث التي نجدها
تافهة تركت وراءها رجالاً أحياء ما هم بأحياء » ويقول طاهر العميد
في مقدمة (الله في صدور العذارى) « تقع أحداث هذه القصة على
مسرح حياتنا اليومية » وتمسم هذه الروايات التسجيلية بالموضوعية
الكاملة وتعرض في أرض محايدة خارج نفس الكاتب ، وتختي ذات
الكاتب وراءها ولا تظهر الا اذا اراد أن يقف موقف الواعظ او المعلم ،
حتى أنهم ذهبوا في عنايتهم بالواقع الى التصريح بأنهم ينقلون عنه نقلاً
حرفياً كما ذكرنا سابقاً . وحدا الأمر بهمضهم ان يعدلوا في الحاشية
على واقعية الحدث الذي يسجلونه في روايتهم « انقل اليك ما تحدث
به الى صفوان تماماً فذلك ادعى للاخلاص والامانة في النقل وليس
لصديقي صفوان ولا لي رأي في هذه المزاعم - ولم يجد صفوان بأساً
بأن اخبرك بأن الأستاذ عبد السلام عزت - الرجل العربي الذي عطف
على صاحبنا صفوان ورثى لبيته » (٧) .

وتحت تأثير هذا الاتجاه اتسمت الرواية التسجيلية للوحات الانشاء
والوصف وملئت بتفصيلات الواقع ووقائمه وتناقضاته ومفاجأه (٨) .

(٧) كاظم مكبي (صفوان الاديب) هوامش ص ١٥٠ - ١٧٣ على التوالي
وكذلك هامش ص ١٤٧ .

(٨) انظر على سبيل المثال (الله في صدور العذارى) ص ٧ ، ١١ ، ١٨ -
١٩ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧١ ، ٨٣ ، ٨٦ .

صفوان الأديب ١ - ٦ ، ١٥ ، ١٩ ، ٦٦ - ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٦ - ٩٥ ،
٩٧ - ١٠٥ . الخ .

ويقوم كتاب هذا اللون من الروايات بتسجيل العادات والتقاليد في العراق (٩) حيث ينتقل مؤلف رواية (صفوان الأديب) بين مظاهر الحياة الاجتماعية في العراق ، فيصف لنا مدينة النجف ومدينة البصرة ، ويسجل لنا جميع مظاهر الحياة (١٠) فيها . ويسجل لنا مؤلف رواية (الله في صدور العذارى) وصفاً لمدينة بغداد ، وفرحة الشعب العراقي بقيام ثورة تموز ، وما كان يحدث في الجامعة من صراع حزبي بعد الثورة وانقسام افراد الأسرة الواحدة انقساماً حزبياً واشتداد الصراع بين افراد الأسرة الواحدة (١١) .

وهكذا يسجل هؤلاء الكتاب تحت تأثير ارتباطهم بالواقع المباشر الاخبار وما حول الاخبار ، ويكتفون في الكثير من الأوقات بعرض الاحداث التي تمر بها الشخصيات .

كما يعتمدون الى الوصف المسهب للبيئة الطبيعية . وقد يتعدى هذا الوصف عدة صفحات كما فعل كاظم مكّي في رواية (صفوان الأديب) «أما مدينة البصرة فقد كانت بطبيعة الحال كباقي المدن العراقية التي

(٩) هـ . ت . تشارلتون (فنون الادب) ت زكي نجيب محمود ص ١٤٧ (وان ما نسبوه بالحبكة القصصية ما هو الاعملى اختياراً وتقويم وتأخير ، فالقصصي الذي لا يختار بحيث يعنى السياق والتتابع موفياً بالغرض المقصود وتفقد القصة حيكتها وبالتالي لا تعد قصة فنية) .

(١٠) كاظم مكّي (صفوان الأديب) على التوالي : ١٩١ ، ٦٦ - ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٨ - ٨٠ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٧٨ ، ١١٦ ، ١٢٢ - ١٢٣ ، ١١٤ - ١١٥ ، ١٣١ ، ٩٧ - ١٠٥ ، ١٥ ، ١١٣ - ١١٤ ، ١٤٥ - ١٤٦ ، ١٦٢ ، ١٦٦ .

(١١) طاهر العميد (الله في صدور العذارى) على التوالي : ١٨ - ١٩ ، ٣٢ - ٤٣ ، ٦٢ - ٦٣ ، ٧١ ، ٨٣ - ٨٦ .

منيت بهد الجور والهوان وذات أمر العذاب والبلاء، أو امتازت عن هذه المدن جميعها بشيء آخر جعلها مدينة يخشى المرء فيها على نفسه وماله وهذا الشيء هو عصابات اللصوص التي كانت لاتعد ولا تحصى « (١٢) . ويستغرق وصف مدينة البصرة في هذه الرواية صفحات . بالإضافة الى الصور العديدة التي اعطاها المؤلف في روايته لمظاهر الحياة المختلفة من وصف للمدن كمدينة البصرة والنجف والبحرين ، ووصف لرجال الدين ومراسيم الزواج والجنائز والدفن ، ووصف لزوار المدن المقدسة في العراق ووصف لدور السكن والمدارس والكتاتيب وطرق التعليم ووسائل العلاج وحلقات الذكر الى غير ذلك من مظاهر الحياة المختلفة ويسجل (علي سهيل) أوصاف دار (ابي شاكر) في روايته (والصيف على الابواب) تسجيلاً دقيقاً « وبيت ابي شاكر يتكون من قطعة كبيرة من الارض تبلغ مساحتها زهاء المائتين من الامتار شيدت فوقها أربع غرف صغيرة بنيت كل اثنتين منها قبالة اثنتين أخريتين ويفصل بين الجانبين فناء واسع وحديقة صغيرة وقد شيدت الغرف الاربعة من الطابوق الاصفر (السميحي) وكان ذلك قبل عشرين عاماً مضت وبلطت ارضية الدار بالطابوق - الفرشي - القديم لما يسببه من تبريد البيت اذا رش بالماء عندما تشتد حرارة الصيف فترتفع الشمس في قبة السماء ولكل حجرة نافذة خشبية ذات شبك من الحديد وتطل الشبايبك على ساحة الدار اذا أمعنت النظر اليها الفيتها بدون زجاج وقد عوضت عنه قطع المقوى وسقفت تلك الحجر بالبواري والقصب و (مواديد) الخشب .

(١٢) (صفوان الاديب) ٥ - ٦ .

وقوق ذلك (رشكت) بالطين والتبن . . « (١٣) . ويمضي المؤلف في وصفه للدار بما يقارب الصفحتين .

ويصف آدمون صبري في روايته (الخالة عطية) البيئة التي تعيشها الشخوص وصفاً مسهباً دقيقاً . ويجاريه طاهر العميد في روايته (الله في صدور العذارى) فيصف لنا مدينة بغداد حيث تدور فيها الاحداث . وهذا ما فعله جعفر الخليلي في روايته (الضائع) . وتسجل (قصة من الجنوب) لمرتضى الشيخ حسين عمل جابي الضرائب في العراق الذي يدور على الباعة المتجولين وأصحاب الدكاكين ويعرض لنا المؤلف من خلال سير الجابي العادات المتبعة في العراق ونفرة الطبقات الفقيرة من السلطة وإلحاحها في جمع المال . ويصور مرزة حمزة شير علي في روايته (رياض المشعوذين من الدراويش ، واعتقاد الناس بقدرتهم على السحر وفك الرموز السحرية . والفن في الحقيقة لا يستطيع ان يخلق الشعور بالحياة اذا حرص مبالغاً على التدقيق في وصف الطبيعة كما هي تماماً . لان الفن ليس صورة ملونة للطبيعة (١٤) فالفن هي « الرؤية من الداخل » وقوة الفن تكمن في أن يشمل حداً أعلى من المعنى في حد أدنى من التعبير قوته أن يوحي لا أن يصف كل شيء بدقة وهكذا تتم المشاركة الايقاعية بين البيئة المادية والبيئة الانسانية (١٥) .

(١٣) علي سهيل (الصيف على الابواب) ص ٦ - ٧ .

(١٤) انظر آدمون صبري (الخالة عطية) ص ٨ - ١٠ ، ١١ - ١٢ ، ٢٤ - ٢٥ ، ٦٣ ، (زوجة المرحوم) ١ ، ٤ - ٥ ، ٨ ، ٩ ، ٢٦ ، ٢٧ . طاهر العميد (الله في صدور العذارى) ص ١٨ - ١٩ ، ٤٢ - ٤٣ ، ٦٢ - ٦٣ ، ٧١ ، ٨٣ - ٨٦ . جعفر الخليلي (الضائع) ص ١٥ ، ٣٩ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٦٩ ، ٧٤ . (١٥) نللي كوزمر (فزيولوجية القصة) الآداب العدد الاول عام ١٩٥٤ .

ولا يبني الشكل في هذه الروايات التسجيلية بناءً محكماً بعلاقات سليمة بين أجزائه ، بل يتم الربط بين الأحداث بتدخل المؤلف الذي يربط بعضها ببعض ربطاً تعسفياً مثل « ولم اقدم لك هذا الفصل الا لتعرف هذا الزمن الذي عاش فيه هذا الشاب واضطرب مع المضطربين وتأثر بما تأثروا فيه - وأحب ان احيطك علماً بشيء آخر فعلته آمنة أياماً في عيني صفوان - وهذا ما آل اليه الأفتندي أخيراً فلنقص عليك ما آل رفيقه السيد - ولنذكر لك بعض ما كان يتحدث الينا به صفوان عن هؤلاء وفي حديثه عنهم حديث السيد الذي نحب أن نعرف مسيره بعد تدهور الإفندي » (١٦) . وكذلك « عشرة ايام انقضت حين وقع الحادث التالي : في الساعة الثانية بعد الظهر التقت عطية بجميل » (١٧) بينما الرواية الفنية وحدة عضوية ، يسهم كل عضو فيها بقسط كامل في سبيل الوصول الى النهاية . فالأحداث والموضوع والفكرة والأسلوب اللغوي كل هذه لا توجد لذاتها بل لكي تتفاعل مع غيرها ويرتبط بعضها ببعض بعلاقة تؤدي معنى واحداً وتشكل كلاً متميزاً وتخلق الأثر الكامل » (١٨) .

(١٦) كاظم مكّي (صفوان الانديب) على التوالي : ٩ ، ١١٤ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، وكذلك في ٢٨ - ٢٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٥٩ ، ٩٦ ، ١٧٠ ، ١٩٠ ، ٢٠٧ .

(١٧) آدمون صبري (الخالة عطية) ص ٣٥ .

(١٨) يقول تشارلتون (اننا نطالب كاتب القصة بأن يترك في نفوسنا بقصته أثراً نحس معها واقعية الحياة لكن ذلك لا يعني أن يترك فنياً هذا الأثر على نفس الصورة التي تتركه بها الحياة نفسها بما فيها من اضطراب في تتابع الحوادث وجمال للمصادفة العمياء في سيرها فأنا لا نحس الأشياء الا حساً غامضاً مضطرباً ونشعر به شعوراً ناقصاً ونذكرها ادراكاً ليس فيه

وينعدم العنصر الدرامي في احداث هذه الروايات ، ذلك العنصر الذي يعتمد على الحركة التي تؤدي الى التطور ، لأنها مجرد حشد احداث او اخبار جنباً الى جنب . ولعل سبب ذلك خلو الموقف الذي ينبع من الحدث من عنصر المفارقة . فمن المسلم به ان انعدام المفارقة والاختلاف يؤدي الى انعدام الصراع والتشابك ، وذلك يؤدي بدوره الى ضعف الحركة (١٩) .

فالرواية عندهم حوادث او صور اجتماعية لا مكان فيها لغير ذلك من دراسة او عاطفة ، وليس ثمة لحظة مأزومة تحت المجهر ولا عاطفة تتطور وتسلط عليها أنوار التحليل ، ولا عقدة تدرس ردود الفعل الانسانية معها .

والحقيقة عند كتاب هذا النوع من الروايات تسلسل مخلخل لبعض الأحداث التي يرتبط بعضها ببعض عن طريق تسلسل خارجي صارم هو الزمن كما يدركه العقل الانساني . فصفوان في رواية (صفوان الأديب) يتغير تغيراً كلياً بين حدائته وصباه وشبابه ، فمن حدث وديع هاديء الى صبي متعبد مؤمن يصاحب الدراويش ويحضر حلقات الذكر ولا يفارق المسجد الا لقضاء بعض اعماله ، الا أنه في شبابه يتغير الى انسان آخر يجد في الجلوس في المساجد تقاعساً ، وفي رجال الدين رجالا مشعوذين يسرقون من الناس قوتهم اليومي ، ويجد في حلقات الذكر وسيلة بحتونة

كل الوعي لصفاتها وخصائصها كانت تتلقاها ونحن غافلون ، وواجب القصة ان تقدم لنا هذه الاشياء على صورة تشعرنا بها شعوراً كاملاً ، وواجب القصصي ان يخلق من فوضى الحياة نظاماً متمسماً في قصته (فنون الادب) ت زكي نجيب محمود ص ١٧٢ .

A Treatise on the Novel , R , Liddol , P . 96 : (١٩)

لقتل الوقت . ويختلف بطل قصة (الضايح) في الفترة الزمنية بين حدثه وشبابه ، فهو في صباه مشاكس معاند يتعب معلمه الشيخ ويهرب من والده الى حيث لا يعرف له مكان ، بينما يصبح في شبابه رجلاً هادئاً مؤمناً يجوب الأرض برفقة الشيخ (حبيب) . وينقلب في كهولته الى رب أسرة مستقر يعمل نهاره ، ويجدد ليكسب قوت أهله ، باراً بوالديه يجد في المشيخة هروباً من اعباء الحياة .

أما ابتسام بطلة رواية (الله في صدور العذارى) فتتحول من فتاة مراهقة تجد في الدين سوراً للحفاظ على عفافها ، الى فتاة ناضجة تجد أن على المرأة مشاركة الرجل مشاركة فعلية في خوض غمار الحياة . ويكاد الحدث في هذه الروايات يكون عرضياً والزمن هو المسرح الرئيسي عندهم فان كلا من هذين الجانبين ، منفصل للزمان أحدهما زمان باعتباره عملية امتداد مطلقة والآخر زمان باعتباره حادثاً عرضياً (٢٠) .

فاذا اخذنا رواية (صفوان الأديب) او رواية (الضائع) على سبيل المثال فسنجد ان الزمن فيها ليس واضحاً من خلال الشخصيات على هذا النحو بقدر ما هو عام وعادي ، وسرعته لا تفرضها حدة الحدث ، بل انه على النقيض يجري في انتظام رتيب قاسي ، خارج عن الشخصيات غير متأثر بها ، فنمو الشخصيات ينحصر في نمو أعمارها ، وهي في صفاتها الجوهرية مثل كل شخصية في هذه المراحل المختلفة من العمر . والزمن عرضي في هذه الروايات ، ولن نتضح تحكيمته على أشدها في شيء أكثر من الطريقة التي يتصرف فيها في الحياة الانسانية .

(٢٠) أدوين موير (بناء الرواية) ٩٢ .

(فمحمد) والد صفوان في رواية (صفوان الاديب) يموت بطريقة
هرضية فجائية ، في الوقت الذي يضع فيه الخطط لمستقبله ومستقبل
اولاده وزوجته الثانية . و (حبيب) في رواية (الضائع) يموت فجأة
ليترك البطل وحيداً في خضم الحياة بعد ان لازمه طول حياته . والقدر
في هذه الروايات مجرد وجه آخر للزمن الحسابي ، يحتوي على كل شيء
الحياة والموت والفوز والهزيمة . ويحتويها نظرياً في نسب ثابتة منطقية ،
الا أنها تطلق في لحظة قدرها سلفاً ، حتى تنكشف تكشفاً لا رجعة فيه .
وهذا القدر لا يمكن ادراكه بل يحسه المرء كما انه خفي ، وهو سام
غير دنيوي يقسم كل مشوبة وكل عقاب . أما في الرواية الفنية الواقعية
فالقدر ظاهر قراء ، وهو يتجلى في الحياة التي يسقط عليها لحظة الكشف
ضوءاً باهراً ، ولأننا نراه متكشفاً ظاهراً نفهمه ونذعن له ، على العكس
مما نراه عند هؤلاء الكتاب فعندما يكون العالم الانساني واضحاً ومباشراً
فان القدر يظل غامضاً ، ولا يسمنا الا ان نسلم على أساس من الايمان
بقوانينه التي لا تدرك .

وإذا وصلنا الى الدلالة الاجتماعية لهذه الروايات وجدنا ان
شخصها مرتبطة الينايبع بالطبقة الوسطى والطبقة العاملة ، فمنهم العامل
في روايتي (والصيف على الأبواب) و (الخالة عطية) والدرويش في
روايتي (صفوان الاديب) و (الضائع) والجاوي في (قصة من الجنوب)
والتاجر في (رياض) والتلميذ في (حمدي) و (الله في صدور العذارى)
و (عدنا الى الخان الكبير) والمحامي في (زوجة المرحوم) والموظف في
(رجل محترم) .

ولن ننضح الشخصيات في هذه الروايات ولم تستكمل لمحاتها الانسانية

المفردة ، ولم تخلص من النموذجية الاصطلاحية المسطحة فنجيب الدرويش
في رواية الضائع ، لا يختلف عن (صفوان) في فترة دروسته و (حمدي)
تلميذ يلهو عن دروسه فيرسب في الامتحان تما مأمثل سلمان في (عدنا
الى الخان الكبير) .

والكثير من هذه الشخصيات (بيوجرافية) تناولها الكتاب في اتساع
ورحابة ، كما في شخصية صفوان في (صفوان الأديب) وشخصية
(الضائع) وعطية في (الخالة عطية) والجابى في (قصة من الجنوب) ،
ورياض في الرواية التي تحمل نفس الاسم على سبيل المثال . والشخصيات
في هذه الروايات مسطحة تحتفظ بصفاتنا منذ البداية دون ان تتغير في
الغالب ، بعكس الشخصيات النامية في الرواية الواقعية الفنية التي لا
تكشف للقارئ عن طبيعتها دفعة واحدة .

ولما كان من جوهر الرواية ان تضم اشخاصا ، فان واجبها الأول
ان تجعلهم يتحركون ويضطربون ، والا تتركهم كالدهى الجامدة لا روح
لها ولا حرارة . ولن تكون الرواية رواية ان هي انبسطت تحليلات
بجردة ، وانما ينبغي للتحليلات ان تتمثل في اشخاص محسوسين ، ولهذا
كان من أولى واجباتها ان تخلق مادية الأشخاص ، وأن تكسيها ثقلها
من اللحم والدم بعكس ما سار عليه كتاب هذا الاتجاه .

يصف لنا علي سهيل في روايته (والصيف على الأبواب) شخصياته
مثل (أم جاسم) قائلا « في الخمسين من عمرها مربوعة ذات بشرة
صافية وابنها الوحيد جاسم شاب في مقتبل العمر يبلغ السابعة عشرة
لا يخلو من البساطة كغيره من ابناء المدن ذو صحة موفورة تبدو على
وجهه المبتلي وقد اكسبته تلك الرحلات القصار بين المدينة والقرية

شيئا من سعة التفكير - و (اديبة) ملتفة بعباءتها وقد بدت تقاسيم
وجهاها المنسجمة فأنفها الدقيق ووجنتيها الصافيتين وشعرها الكستنائي وهي
طويلة ذات نيامة وذكاء وفطنة الا انها سريعة الانفعال والانزعاج بما
جمل الآخرين يتصورونها نحسة - و (عبد الجبار) أو ابو ستار نحيف
الجسم معتدله أشعث الشعر يكثر من حركة يديه أثناء الحديث مجامل
الى حد كبير يشعرك برزائته وتستشف منه شخصية جذابة حلوة الحديث
ساحرة « (٢١) .

ويصف كاظم مكّي شخصياته في روايته (صفوان الاديب) « وما اوصاف
أمنة هذه الفتاة التي كتبت لمحمد ان يقترن بها ؟ كانت فتاة قصيرة القامة
او كانت اقرب الى قصر القامة منها الى طولها ذات جسم نحيف ولكن
على شيء من الرشاقة والبياض وهي بصورة جميلة قد رضي بها
محمد وسكن اليها والحق انها اصبحت له خير شريك يعينه على تحمل
أتعاب العمل ويخفف عنه كثيراً من هموم الحياة وأرزائها ، وحسبها بذلك
فخرأ ، فالسيد رجل قصير القامة غائر الرقبة عريض ما بين المنكبين ذو
لحية سوداء كثة يضع على رأسه عمامة سوداء صغيرة ويشد بطنه بحزام
اخضر وهو كثير الضحك واسع المكر والدهاء ، أما الافندي فقد كان
رجلا اقرب الى القصر منه الى الطول عظيم البطن مترهل الأعضاء
وكان يضع على رأسه طربوشا ويلبس قميصا واحداً وسترة صفراء وأظنهما
من بقايا ملابسهم العسكرية وهو لا يترك طربوشه يفارق هامته الا قليلا
ليدل بذلك على انه تركي . . » (٢٢) . فالإقتصار على تحديد الشخص

(٢١) علي سهيل (والصيف على الابواب) ١٦ - ١٧ ، ١٨ ، ٢٣ على التوالي .

(٢٢) كاظم مكّي (صفوان الاديب) ٨٤ - ٨٥ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .

بمظهره الخارجي لا يخلقه خلقاً كاملاً ، فهناك الحركة والنظرة والصيت كلها أثقله بطاقة غنية من المشاعر هي التي تجتذبها وتصل بيننا وبين اشخاص الرواية وهناك الكشف عن الحقيقة الداخلية في خصبيها وتنوعها وكشفها عن نوازع الشخصيات وميولها . كل ذلك لا نجد له أثراً في رسم شخصيات هذا الاتجاه بل يكتفي المؤلف بالقشرة الخارجية فقط من الشخصية . ويتوارى الاستبطان فلا يكاد يظهر ، ويتوارى مد الحياة وجزرها في نفوس الشخصيات ، فهي صورة حلوة على الورق ذات بعدين ، اما البعد الثالث الذي يعطي الحجم والرابع الذي يمزج فيه الزمن بالحياة فهم لا يهتمون به . حسبهم ان القلم استطاع ان يصور ، اما مهمة الخلق فلا تتخطر لهم على بال . وأن الفن القصصي مع اختلافه مع عالم الحياة يتغذى منه ويتزوج واياه في الشخصيات ، ويستمد منه مطلع الطريق لينتهي بعد ذلك الى خلق الأثر الذي هو في الظاهر يماثل الواقع ، ولكنه في الخفاء ينفصل عنه انفصالاً تاماً اي ان الفن القصصي ينتهي الى قوانين عامة للانسانية ، تعني (احتمال الواقع) لاماواقع فعلاً . لذا نجد ان واقعية هؤلاء الكتاب لا صلة بينها وبين الفن الا بمقدار ما تكون الصلة بين احاديث الناس في الشوارع والطرقات وبين الفن . والتصوير الفوتوغرافي غير التصوير الفني والاديب الحق ليس اداة من هذه الادوات التي نسجها الفوتوغراف والتي تسجل الاصوات مهما تكن (٢٣) . ولناخذ على سبيل المثال الحور الدائر (بينام جاسم

(٢٣) انت لا تكتب عن الحياة كما هي ولكن عن افكارك انت بصدد الحياة ورأيك انت في الحياة . أي نفع للناس ان يعرفوا كيف ارى انا هذا البرج .

غوركي (صور أدبية) ص ٦٥ .

وابى شاکر في رواية (والصيف على الابواب) .

أبو شاکر : ضمن أبو جاسم هل سنه .

أم جاسم : ای داد بس شحالها .

أبو شاکر ! والحاصل شلونه ؟

أم جاسم : مو هلكد زين . . . تعرف التمر رخبيص وقسم منه

يتلف ويروح حرامات .

أبو شاکر : بلمکت فد يوم نضمن أني وياه فد بستان متعرفين

شکد احب الزراعة والضمان .

أم جاسم : ای داد اعرف اشلون انسى ذبيح البستان والمزرعة چانت

اشتراها المرحوم وخلينا عليها حالنا ومالنا لو باقية

چان شلون صارت غير استعجل المرحوم وقشمه

وباعها .

أبو حسيبه : (اخوها الصغير) موصوجه المكيه خسرته قشمه بيها .

أبو شاکر : كولي لأبو جاسم . . . (٢٤) .

ولكي يصل الفنان الى غايته احياء الممكن او احتمال الوقوع ،

لا بد ان يخضع العمل الادبي لعملية الاختيار والانتقاء والحذف

والاسقاط والتحوير والتركين يقوم بها فنان مدرب يتسم بنشاط الملاحظة

والتأمل ونشاط التحليل والتمييز بحيث يشكل لنا في النهاية كلا

محدوداً يتجه وجهة معينة .

أما اسلوبهم في الكتابه فهو اشبه (بالريپورتاج) الصحفي ، جمل

قصيرة حارة متدافعة ، وايماءات وغمز ولمز « كأنه لا يدري ان المرأة

(٢٤) علي سهيل (والصيف على الابواب) ص ٤١ - ٤٢ .

العراقية سلعة تباع علناً وليس لها سعر محدود، فهي موضوعة كما توضع الحاجات في المزاد العلني ، وينسى ان العراق لا يزال مقيداً باغلال التقاليد التي حرمت على المرأة المحترمة المحتشمة ان تتزوج مجدداً اذا مات زوجها او طلقها ونسى ان الرجل العراقي المحترم يأنف ان يتزوج امرأة ثيب مات زوجها او طلقت ، تلك المرأة عاهر فهو يأبى ان يلوث شرفه بها . ولكنه لا يأنف ان يرتكب الموبقات لقد نسي رياض كل هذا » (٢٥)

ويكون الحوار على شكل الحديث العادي بين صديقين يسرأحدهما بالخبر في اذن الآخر ويسرف البعض منهم في هذه اللهجة حتى يقترب من الركاكة في بعض الأحيان ، وتغلب عليه التراكيب العامية .

« - دخيل الله انت ما تتأذ من عضه الزنبور ؟

- شويه يعني مثل عضه الذبابة مو أني شارب طريقة .

- داد منو شربك طريقة ؟

- شيخ سبيع

- واشكلك لما شربك الطريقة .

- مكلي كلشي بس قره على راسي ونفخ بوجهي وتغل بحلمكي .

- وكمت تلزم زنابير .

- وعكارب هم اقدر الزم اليوم راح الزم عشرين زنبور واضمها

وباچر أحلها بدرس التاريخ « (٢٦)

والذي نشاهده ونحققه بالتجربة والاستقراء ان الناس ما تكلموا

(٢٥) حمزة شير علي (رياض) ص ٦٥ - ٦٦ .

(٢٦) (عدنا الى الخان الكبير) ص ٧١ .

ولا يتكلمون الآن جميعاً بأسلوب واحد وبلهجة واحدة وسبب ذلك انهم لا يفكرون ولا يحسون على نمط واحد ولا مناص من الاختلاف في التعبير اذا اختلف الناس في الفكر والاحساس بل ولا مناص من اختلاف الرجل الواحد في النطق بالعبارة اذا اختلف موقعها من فكره واحساسه بين ساعة وساعة وبين موضوع وموضوع « (٢٧) .
وخير مثال لهذا الاتجاه في الرواية العراقية جعفر الخليلي الذي سندرسه كمثل لهذا الاتجاه .

كتب جعفر الخليلي في الرواية والقصة القصيرة ، واتخذ حوادث البلد ورجاله مضموناً لقصصه ، واهتم بمعتقدات العامة ، القائمة على الجهل او الخرافة او -وهو الفهم لشرائع الدين . وكان هذا الموضوع مدار الكثير من قصصه القصيرة في مجموعاته القصصية العديدة (حديث القوة بمجموع المتناقضات من فوق الرابية اولاد الخليلي هؤلاء الناس) (٢٨) . الاضافة الى غيره من الموضوعات المنتزعة من البيئة العراقية . وكما كان هذا الموضوع مدار روايته (في قرى الجن) - وقد مرت دراستها في الفصل السابق - و (الضائع) ونحن بسبيل دراستها هنا ، وقد حدثنا القاص فيها عن فتى كثير الشر ، يعتدي على اقرانه ولداته الذين يشاركونه اللعب بسبب وبغير سبب ، حتى ضج من تصرفاته الآباء والأمهات ، ولم تجد معه قسوة ابيه ، والعقوبات الرادعة التي كان ينزلها به شيئاً ، وحينما ضاق به ذرعاً ، أسلمه الى شيخ عرف بشدته وصرامته ،

(٢٧) شكري غالي (ازمة الجنس) ص ٢٦٤ .

(٢٨) راجع رسالتنا في الما جستير (القصة القصيرة في العراق بعد الحرب العالمية الثانية) .

ليقوم على تأديبه وتعليمه القرآن والكتابة ، الا ان الفتي لم يقلع عن الشر
أبدأ . ويدفعه سوء الطالع الى ضرب غلام ، ابن رجل من الاثرياء
وسرعان ما يحس فظاعة ما ارتكب ويطلب التفكير في عاقبة عمله هذا ،
متصوراً مبلغ العقاب الجسيم الذي سينزله به ابوه ، فيعزم على الهرب
وينفذ عزمه في الحال . وتسوقه المصادفات الى الالتقاء بدرويش يدعى
(حبيب) من اصحاب الطرق - يعجب به الفتي ويلزمه كظلمه ويعيش
الاثنان عيش زهد وتنسك ، يكتبان بقليل من الطعام ويرتديان اللباس
الخشن ويطويان المسافات بين القرى والمدن في العراق وايران سعياً
على الاقدام .

وكان الدرويش يلقين الصبي قصائد من الشعر الصوفي في الادبين
الفارسي والعربي ، وكثيراً من علوم الدين والشرع الاسلامي .
أمضى الفتي في صحبة الدرويش سبع عشرة سنة ، صار فيها رجلاً
ذا علم وفضل ، وعندما مات الدريش ترك حياة التشرد ، وقلع عن
الدروشة واستطاع الاتصال بأبيه وأمه واستقر في النجف بعد ان
تزوج وأنجب .

وقد كرس القاص الكثير من الفصول للبحث فيما يتعلق بتلك
الأوهام والضلالات التي علقت بقلوب الناس عن طريق بعض من
تصدى لتدريس الدين بصورة مشوهة ، مثل الفصول التي وضع لها
في الرواية هذه العناوين (الارشاد عن طريق الخداع) و (ماهية
الأرواح) و (كيفية الزوغان عن أداء الصلاة) ، وغيرها من
الموضوعات الجافة التي تسيطر عليها لهجة تعليمية عملة . ولا يستغرب
ذلك من المؤلف فقد قال في المقدمة « انه لا حاجة الى القول بأن

الغرض الاول والأخير من القصة انما هو انماء المدارك واذكاء الاحاسيس ولفت الانظار الى كيفية استخدام القابليات فيما يعود على الانسان بالنفع سواء من الناحية النظرية او العملية (٢٩) والى هذا الرأي ذهب عبد القادر حسن امين (٣٠) .

والموضوع الذي دارت حوله الرواية موضوع اجتماعي ، قصد به الكاتب السخرية من التقاليد الشائعة في العراق ، والاستخفاف بها ومحاوله صد الناس عنها . وقد صور الكاتب الواقع الخارجي تصويراً حرفياً ، وانتفت عنده العقدة وجمات الاحداث فيها اخباراً كالاخبار التي تمتلىء بها الحياة ، لها بعدها الزماني والمكاني ، ولكنها خالية من البعد النفسي ، ولها صدق في الوقائع او الحداث ، ولكنها لا تحتمل الدلالة ولا تصل الى درجة الحداث ، وانما يقف كاتبها في الحياة وفي الرواية عند حدود المادة الختام ، وكل ما يهيمه ان يصل فيها الى غايته الاصلاحية ، بابعاد الناس عن العادات المستهجنة المتحكمة في نفوس الناس .

والخليلي ما ينفك يرقب الشد والجذب الداخيلين لدى أولئك السذج الذين تكيف المحرمات المقدسة حياتهم ، والذين يوجه تعبيدهم الخوف لا الحب . ويكمن حجر الشرة الوحيد في اهتمامه البالغ بأوصاف الشعب وعاداته ، في جميع قصصه على حساب الحركة . وهكذا ضحى المؤلف في سبيل غايته تلك بالشكل (٣١) .

(٢٩) (الضائع) ص ٣ .

(٣٠) عبد القادر حسن امين (القصص في الأدب العراقي الحديث)

ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٣١) انظر عبد القادر حسن امين (المصدر السابق) ص ٢٨١ .

ويمكننا ان نحذف من الرواية فصولا مثل فصل (ماهية الأرواح)
وفصل (بين الشك واليقين) وفصل (الطب والتدجيل) وفصل
(العدل المفقود) دون ان يؤثر ذلك على سير الاحداث . كما يمكننا
ان نلخص فيها اونطيل ما شئنا ، اذ كانت هذه الامور تخدم الهدف
الوعظي بالاضافة الى رصد العادات والتقاليد الشائعة في العراق وتسجيلها
ليستطيع نقدها والسخرية منها .

وقد عرض المؤلف روايته بأسلوب سردي فاتر ، يعوزه التأجج
وخاصة في الفصول الاولى منها ، مع ان الفتي - بطل الرواية - كان
يمر بأزمة نفسية حادة تتقاذفه مخاوف عديدة كخوفه من الجوع
وفزعه من شبح العصى التي اعددها والده ليلسخها جلده ، واحساسه
المؤلم بالمستقبل المجهول . كل تلك الظروف مر بها الكاتب مرور
الكرام ، دون ان يستغلها في رسم عواطف الصبي وابرار انفعالاته ،
كما لم يجر ذكر أبيه وأمه على لسانه الا مرة واحدة ، حين اثارت
زيارة الدرويش لدار ابيه وأمه في خراسان ذكريات طفولته معهما ،
فأبكنته طويلا واقسم على اثرها ان يعيد الفتي الى اهله « (٣٢) .

والصور التي يرسمها الكاتب ليست مقصودة لذاتها ، وانما تستهدف
شيئاً آخر هو النقد الاجتماعي . ويعني ذلك ان المؤلف لم يكتب
قصصه لمجرد انها تجارب شخصية من حياته ، وانما يكتبها ليتخذ منها
موقفاً معيناً من الحياة ويوجهها الى المجتمع تنقده ، وتكشف مواضعه
الاخلاقية الكاذبة ورياءه البشع ، أو تمرض الى عادات المجتمع
بأسلوب فكاهي وينتقدها بروح ساخرة . وهو انما يعبر عن البيئة والعصر

(٣٢) عبد القادر حسن امين (القصص) ص ١٨٦ - ١٨٧ .

اللذين يعيش فيهما ، حيث يتبلور وعي كامل بالواقع وما يحيط به .
ويتخذ الكاتب من الفكاهة وسيلة للسخرية من الواقع المر الذي كان
عليه المجتمع ، ويتناول بعض الامراض بالنقد اللاذع كما فعل في
وصف (تحضير الارواح) و (الزواج بأكثر من واحدة) و (أساليب
العلاج عن طريق المشايخ) (٣٣) الى غير ذلك من الفصول التي
تزخر بها الرواية .

وقد يبالغ في وصفه الساخر شأن الرسامين (الكاريكاتوريين) في
تضخيم الاشكال (وفي ذات ليلة من الليالي تناقل الجمع الحاضر في
مجلس الملا وندوته خبراً فحواه ان امرأة - وسميت وسمي
زوجها - وكانت توفيت ولم يعلم احد بنخب حليها ونخبها حتى رآها
زوجها في الحلم الليلة البارحة وسألها عن حليها فأخبرته بأنها قد
دفنتها في مخزن الفحم ولقد قضى الرجل نهاره اليوم وهو يبحث في
الموضع المعين حتى عثر عليها - حيث اخبرته زوجته « (٣٤) ولكنه
مع ذلك يحتفظ بالذرة الاولى المستمدة من الواقع - واقع البيئة وواقع
العصر التي تصدق مثل هذه الخرافات .

وأيقظ الضمير الاجتماعي في عصر شوهه الخداع والكذب ولم يكن
الخليبي لينخدع بها . ومع ذلك لم يكن متشائماً بل كان يؤمن بالعلاقة
الطيبة بين الله ومخلوقاته وبقوة الحب التي تمتص في النهاية . ولا يؤمن

(٣٣) (الضائع) ص ٥٤ - ٦٠ ، ٣٦ ، ٦٥ على التوالي بالاضافة الى

الصفحات ١٥ ، ٥١ ، ٦١ ، ٦٩ ، ٧٤ .

(٣٤) الضائع ص ٥٤ .

الخليلي في قصصه بفاعلية القوانين والشريعات في اصلاح المفاسد ، بل يؤمن بمسؤولية الفرد وأن الخير سيأتي عن طريق الفرد وحده وخاصة الفرد المحسن .

ونلمس عدم قدرة الخليلي على خلق حبكة لروايته التي كانت الاحداث فيها مبعثرة يحتال في جمعها وربطها عن طريق تقسيم الاحداث العديدة الى فصول ، وما هذه الفصول الاصور مأخوذة من الواقع الحرفي . ففي الفصل الاول (تمرد) يصف لنا لعب الاطفال وعيشتهم وتعلمهم في الكتاتيب وفي الفصل الثاني (قلق) يصف لنا الريف العراقي ، وفي الفصل الرابع (المرشد) يصف لنا حياة (الدراويش) وفي الفصل السادس (الارشاد عن طريق الخداع) يصور لنا استغلال رجال الدين للناس البسطاء ، وهكذا حتى ينهي روايته ورغم عدم اهتمامه بالأسلوب وتركيب معنى الجمل وعدم قدرته على خلق الشخصوص ، فاننا نعجب به ونقدره لحيويته الدافقة التي تحييط بمواقفه . وشخصه وتنقل عالماً واقعياً منعكساً عن الواقع يلفت نظرنا اليه وقد لا نعبأ به في حياتنا اليومية .

ولا يعنى الخليلي ببنية الرواية العناية اللازمة كما لم يعن ببنية قصصه القصيرة - فكان نتاجه خالياً في الغالب الأعم من شروطهما تغلب عليهما البساطة والسهولة الصحفية . وقد يعثر القارىء بين حين وآخر على الضعف في الاسلوب والتواء في التعبير ، مردهما الى السرعة التي يقتضيها عمل الصحيفة واخراجها في مواعيدها . وقد قال الخليلي في مقدمة روايته (الضائع) انه كتبها اجزاء ونشرها في جريدة الهاتف فصلا بعد فصل ، أجابة لداعي الفراغ ولسد حاجة صحفية ،

ثم كون منها رواية عام ١٩٤٨ (٣٥) .

لذا لم تتوفر الوحدة بين فصولها ، ولم تتضح الصلة بين هذه
الفصول .

وبدراسة صور الخليلي نجدتها موضوعية دقيقة في موضوعيتها ولا أثر
للذاتية فيها ، حيث يصور الكاتب عالم يمر به ومالا علاقة له به
اطلاقاً ، ونحس انه ينقل أشياء خارجة عن ذاته ، فمناظره وشخصه
والعالم الذي يصوره يمرضه في ارض محايدة تماماً ، لذا يحرص على
تصوير ما هو موجود فعلاً بكل حذافيره « وعالم هذه القرية يدعى الشيخ
محمد حسين وهو رجل لم يكتب بزعامته الدينية وحدها بل انه كان
كثير التدخل في الشئون شأن كثير من زملائه الذين اذا أنسوا في
المحيط ضعفاً استغلوه حتى حالوا بين المرء وزوجه والأب وأولاده
فلا يتكون القصة الا وهي خاضعة لهم في امر خطيراً كان ام حقيراً
وهي صفة الذين لم يعرفوا من الدين الا ان يتخذوه وسيلة لهذه الزعامة
أما تثقيف الناس وتمهذيبهم وتقويم اخلاقهم فتلك امور لا يعرفون
منها شيئاً لانفسهم فكيف ان يعرفوه لغيرهم ، فكان هذا الشيخ يسيطر على
القرويين سيطرة الحكومة المستبدة القوية فيخشى الجميع جانبه
ويحذر سطوته » (٣٦) .

ونلاحظ مع هذا ان له في ثنايا الرواية تعليقات وأحكاماً خاصة ،
لكن وجود هذه التعليقات لا يعنى بالضرورة ان الصور ذاتية ، وأن الكاتب
يصور تجربته الشخصية فقط ، بل يعنى انه يحاول بطريقة سافرة تفسير

(٣٥) الضائع ص ٢ .

(٣٦) الضائع ص ٥٤ .

وضع من الاوضاع او التعليقات على سلوك معين . ويتحول هذه التعليقات وهذا التدخل المباشر وأحكامه الجانبية أحياناً دون النمو الداخلي للرواية (٣٧) .

« وقد كانت يديوت يومذاك كالقاهرة اليوم في كثرة ما تطبع من الكتب العربية وصديقة الاخبار هذه اول جريدة عربية صدرت في سورية وعاشت اكثر من خمسين سنة على ما اظن والخلاصة ان الملا نال حظاً وافراً من العلوم الحديثة » (٣٨) ويجعل الخليلي للوصف المكانى أهمية قصوى في روايته ويقدم تصويراً للبيئة والمكان مدفوعاً بلذة التصوير دون سواها اذ يشعر القارىء ان هذا الوصف مقصوداً لذاته « خرجت من النجف وتوجهت الى باب المدينة وهناك اقتفيت أثر القوافل ماشياً على رجلى متجهاً الى الكوفة حتى ادركت قافلة رأيت ان أسير الى جانبها لا قطع الطريق برفقتها . . . وكانت له صبية اركبها منفردة على حمار لنفسها فأركبني ومعها بعد ساعة ونصف بلغنا مسجد الكوفة وكانت الشمس قد توسطت السماء فيممت وجهي نحو النهر احاول عبوره والوصول الى ابي شورة قبل غياب الشمس وما كدت اخطو بضع خطوات حتى تناول الرجل من زوجته رغيفاً من الخبز ومقداراً من التمر وقدمه لى » (٣٩) .

وشخصياته في هذه الرواية بسيطة منتزعة من البيئة المحلية - العراقية ، قد نعرف اسماء اصحابها وقد لا نعرفها كاسم البطل في الرواية . ويعلق الكاتب الأحداث على هذه

(٣٧) انظر الضائع ص ٦٣-٦٤، ٧٠-٧١، ٨٠، ٨١، ٨٣، ٩٢-٩٣، ٩٦، ٩٧، ١١٥، ١١٧

(٣٨) الضائع ص ٥٤ . (٣٩) الضائع ص ١٩ .

الشخصيات وكأنها مشجب فحسب ، وليست مقصودة لذاتها وانما تستهدف النقد الاجتماعي . وشخصياته سلبية قدرية مؤمنة بمسيرها ، لا تحاول ان تصارع القدر لتتغلب عليه ، بل هي مستسلمة بكليتها . فالبطل بعد ان يتعرف على الدرويش (حبيب) ينتقل معه في المدن والقرى في ايران والعراق دون ان يعرف هدفاً لذلك . وبعد ان يموت (حبيب) تضيق الحياة به فيعود الى العراق والى والديه ، وحينما يطلب اليه اصداقاه أن يتزوج يفعل ذلك صاغراً « وقال لي اصحابي لا تهتم بشيء فاننا سنهيء لك المهر ونخطب لك الفتاة الصالحة وليس عليك الا ان تهناً وتعيش سعيداً ... » (٤٠) وهي طبيعة قدرية لاتعقيد فيها ، ولا نوازغ حادة تتلجج في انحائها ، ونأتي على مستوى القضايا البسيطة العادية التي تعرض لها ، وحوادثها لا مبرر لها سوى تاتشير الى ان الحياة نفسها تحفل بأمثالها ، وتزدحم بالعديد من المخلوقات (الطافية) التي لا تزيدنا معرفة بطبيعتها ولا بخصائصها الانسانية العميقة الأغوار لسبب بسيط هو ان الكاتب لم يكن يلفقه فيها غير سماتها العادية الثابتة . (فالبطل) مثلاً كان في صفه مشاكساً يرمي الجيران بالحجارة ، ويضرب زملاءه الصبيان أثناء اللعب وفي الكتاب ثم ينقلب في صباه وشبابه الى درويش لايعرف عن الحياة شيئاً سوى مصاحبة الدرويش حبيب والانتقال معه من مكان الى آخر . ولم يعط الكاتب الصفات الخارجية الطبيعية لشخصياته - ولم يحاول استبطانها وكشف نزعاتها وعواطفها . ان تصوير الشخصيات تصويراً صادقاً هو الذي يكسبها عنصر الحياة ،

(٤٠) الضائع ص ١٠٢

ومن ثم فإن لها هذا العالم الخاص الذي يقوم الفن القصصي كله على خلقه . والرواية الفنية هي التي لا يقتصر فيها على الجانب الواعي من حياتنا واللون البادي في مجتمعنا الظاهر ، بل يتغلغل فيما وراء الوعى وينفذ الى باطن الحياة والمجتمع ، حتى تتجلى له اهواؤه التي هي مرجع التوجيه .

ويلاحظ ان شخصية الدرويش (حبيب) قد طفت في هذه الرواية حتى لم تعد شخصية الفتى الضائع الاطلا باهتا ، فالدرويش هو الذي يتكلم ويعظ وينشد ويبكي ويفرح ، في حين ان الفتى يظل صامتاً يصفي السمع الى استاذة ومرشده ، مع انه الشخصية الرئيسية في الرواية . وربما كان الاقرب الى الفن ان يتحدث الكاتب عن الدرويش من خلال عواطف الفتى وانفعاله به .

ويفسر الدرويش حبيب رجال الدين واستغلاهم بسطاء الناس ، ويتحدث عن الشعوذة والدجل والسحر وايمان الناس بها ، لذلك طغى الاسلوب التعليمي على الرواية ، ولا يمر فصل واحد دون وقفة وعظ وارشاد (٤١) « هل انت شاعر لماذا تصلي اذا صليت ؟ ولماذا تصلي اذا تركت الصلاة ؟ اني اربأ بك يا ولدي أن تكون كهؤلاء الصبيان فتصلي دون ان تفهم صر الصلاة . . . فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر حقاً واريد منك ان تسبر غور هذه العبارة وتعرف معنى نهيك عن الفحشاء . . . » (٤٢)

(٤١) - الضائع ص ٤٣ - ٦٤ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ - ٨٠ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٩٢ -

٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١١٥ ، ١١٧ .

(٤٢) الضائع ص ٥١ .

والكاتب متسامح يبشر بالمحبة ، لذا كان في روايته واسع الرحمة ، شديد الميل الى اخفاء الشر . والذين يعطف عليهم من ابطاله اناس ذوو نفوس خيرة بطبيعتهم ، لا يشذون ولا يسيئون الامدفعين او الحاجة ، فالبطل عندما كان يؤذي زملاءه كان مدفوعاً بقصور عقله وصغره ، بل أنه ما يكاد يصور الشر حتى يندم على الذنب الذي اجترمه فيرجع عنه اذا استطاع ، فنجدته يغير سلوك البطل في بفاعته ، فيحيله انساناً وادعاً خيراً ، يمد يد المساعدة الى جميع الناس . وهو عندما يكتب يطنب ويطنب في كثير من الأحيان ، وقد يسفر ما يكتبه عن قنامة احيانا . وهو يستمتع بالحياة ويشارك الناس متعة العيش . وفكاهته دافئة شاملة وعميقة الغور كما رأينا عند دراستنا روايته (في قرى الجن) فهو يربط جميع بنى الانسان في قصصه برباط رحيم وكريم وفكاهته تحرمه من النظرة النسبية الى الاشياء ، الا ان ما يفتقر اليه من مراعاة التناسب هو اساس فكاهته ، والخطوط التي يميز فيها بين الخير والشر خطوط حادة شديدة الوضوح . فالرجل القاسى الشرير في نظره مثل محمد حسين رجل الدين في القرية هو رجل قاس وشرير لا غير وليس رجلاً لم يهذب التهذيب السوى ، والشر شيء عريق فيه تشربته طباعه . وهو صاحب اسلوب خاص ينزع فيه الى محاكاة القدامى في تنقيح بسيط . وعلى الرغم من عدم وجود التجديد المتطلب بالنسبة الى النهضة الفكرية والثورة الاسلوبية ، وقد يصقط احياناً الى الاسلوب الصحفي - كما لاحظنا في رواية الضائع - أو اسلوب الريبورتاج . وقد يلتوي أحياناً ويبتعد عن السلاسة والتدفق والرشاقة ، ويماني من التعتز والركاكة وهو يرصع ما يكتب بما يحفظه

من الشعر « (٤٣) . يستشهد به حيننا ويجريه على لسان ابطاله حيننا
آخر ، وهو يميل الى الاسلوب الخطابى عندما يريد ان يرشد اوبعض
اويدافع عن فكرة يؤمن بها (٤٤) . ويميل الى اسلوب السرد في رواية
الحادثة ونقل الخبر بالتتابع مع الزمان ، دون استخدام لطريقة المذكرات
او الرسائل او المونولوج الداخلى .

ويؤخذ على الكتاب فى روايته (الضائع) عجز خياله عن التحليق
بعيداً فى خلق جو عطر مضمخ بشذى الطبيعة وخرير الجداول وصمت
الجبال . وقد كانت حياة الدرويش خطوات بين مظاهر الطبيعة السافرة
بين العراق وايران مساعدة على مثل هذا الخلق .

ونحن نتساءل بعد كل ذلك عن قيمة رواية الخليلى التى تقتصر
على تسجيل العادات والتقاليد ؟ لقد قلنا سابقا بأن الرواية كعمل
ادبى ليس من مهمتها أن تزودنا بمعلومات غير متينة وليس لها ان تعظ
فتحث على الخير وتنهى عن المنكر بصورة تقريرية ، وليس من مهمتها
ان تقدم دراسات جغرافية او تاريخية او غير ذلك من شتى انواع
العلوم . فالرواية التى تقتصر غايتها او تكون مهمتها هذا التسجيل تصلح
عادة لغير الفن ، فهى قد تنفع علم الاجتماع والدراسات (الفولكلورية)
ولكنها لا تحمل اية قيمة فنية ، لأن الفن القصصى ليس سوى خلق
عالم خاص تتحرك فيه شخص حية ترتبط بهذا العالم أوثق ارتباط
شخصيات يستطيع القارىء أن يشاركها حياتها وعواطفها وأهواءها وينتظر
الحوادث معها ، والهدف الرئيسى الذى يجب ان يستهدفه الروائى احداث
حركة سحرية فى ذهن القارىء ، بحيث تستحوذ على خياله ويرتسم

(٤٣) الضائع ٦٩ . (٤٤) الضائع ٧٠ .

بواسطتها هذا العالم أمام عينيهِ .



وبعد فأنني أرى في الرواية التسجيلية العراقية ان المطابقة الفوتوغرافية بين الفن الواقع تشويبه لجوهر العملية الخالقة في الابداع الفني الذي يستلهم الواقع حقاً ، ولكنه لا يصوره بل يفسره ولا يغيره ايضاً وانما يتفاعل معه تفاعلاً غاية في التعقد . وربما فسرت لنا الفلسفة هذا التفاعل وربما انتقلت بوظيفتها من مجال التفسير الى التغيير ولكن الفن يبقى كما هو عنصراً متميزاً بين عناصر الواقع يكتسب اصالته كلما اشتد هذا التمايز ويفقد نوعيته كلما زاب هذا التمايز ، لذلك اتصور الصدق الفني في العمل الأدبي على ضوء التماسك الداخلي بين عناصره ومن ناحية التماسك الخارجي بينه وبين المرحلة الحضارية التي يعيشها الانسان في مكان ما في العالم من ناحية أخرى . ولذا يحتمل الصدق الفني مكان العامل الحاسم في تقييم الفن ، وهو شيء بعيد عن الصدق الاخلاقي أو الصدق الفوتوغرافي لأنه يكتشف زيف الشخصية او افتعال الحدث على ضوء ارتباط هذه اوتلك ببقية العناصر المكونة للعمل الفني من جهة ، وارتباط هذا العمل بالمرحلة الحضارية التي نعيشها من جهة أخرى .



وظهر روائيون عراقيون مزجوا بين الواقع والفن وقدموا للقراء نتاجاً ادبياً جيداً ، وهم عبد الحق فاضل في روايته (بجنونان) التي ظهرت

عام ١٩٣٩ وخالد الدرة في روايته (افول وشروق) التي ظهرت عام ١٩٥٣ وهلال ناجي في روايته (ابغير قلوب) التي ظهرت عام ١٩٥١ وشاكر جابر في روايته (الايام السيئة) التي ظهرت عام ١٩٦١ (والهارب) التي كتبها عام ١٩٦٢ وفؤاد التكرلي في روايته (الوجه الآخر) التي ظهرت عام ١٩٦٠ وغائب طعمة فرمان في روايته (النخلة والجيران) التي ظهرت عام ١٩٦٥ . وذنون ايوب في روايته (الدكتور ابراهيم) ١٩٣٨ (واليد والارض والماء) ١٩٤٨ .

وقد تأثر هؤلاء الكتاب بالاتجاهات الواقعية الغربية ولكن تأثرهم كان في الشكل دون المضمون . وقد احس هذا الفريق بعوامل الضياع في البيئة كما احس بها في نفسه ، فلم يفصل بين الامة وجروح المجتمع ، ورأى في الوقت نفسه الوانا من الآداب الأجنبية التي ترتبط بيئاتها وتلتصق بانسانها العادي ، فتصور وتعبّر على أرض الواقع الطاموس ويأتى تعبيرها نابضا بما في صميم الحياة من انتقاض او ثورة على الركود . وعندما اخذ ادباؤنا الواقعية من الغرب كانوا متحمسين للنهوض بالمجتمع وثائرين على ما يعوق تقدمه فتوجهوا بها الى الغايات الاجتماعية والتوجيه .

غير ان الروايات الواقعية التي ظهرت قبل الحرب العالمية الثانية لم تحرز تقدماً فنياً كبيراً ، لذا نعد ابرز حدث في تاريخ الرواية الواقعية في العراق الحرب العالمية الثانية .

وكانت الرواية الواقعية في العراق في بدء نشوئها لا تبشر بشيء ، ولا تدعو الى سلوك الخير ، وقد ينتج عنه الشر . فالخير يأتي من التبشير بالواقع حتى لا يقع الاخيار فريسة الاشرار ، والتغيير من قبح

هذا الواقع والسعى الى اصلاحه ، وأما الشر فقد يأتي من التشكيك في القيم المثالية والاخلاقية ، وهي قيم ان لم تكن حقائق واقعية فهي ضرورات خيرة لا بد منها لكي تستقيم حياة الفرد وحياة المجموع ، ولكي لا تترد الانسانية الى الهجسية الاولى . تعرض رواية (العفة) التي ظهرت عام ١٩٣١ لمحمد صالح بحر العلوم الحياة القديمة المثلى التي ورثناها عن القرون الوسطى فما ان يبلغ الابن الحلم حتى يتزوج ليسعد به ابواه . ولكن هذه الحياة لم ترق لفريد بطل الرواية لانه لا يريد ان يحيا جاهلا وان يكون عائلة على والده . وأن يتزوج من فتاة لم يراها من قبل ولم تستطع ان تفهمه او ان يفهمها ، فيكسر قيده ويتم دراسته ويطلق زوجته الاولى التي تزوجها رغماً عنه ليتزوج من (صفية) الفتاة المتعلمة التي أحبها وأحبته .

وتظهر لنا المقدمة مفهوم الرواية عند جيل ما قبل الحرب العالمية الثانية « الرواية جسم محنط روحه الحادثة وثوب رقيق يشف عن القضية وهي اظهار الحقيقة ويشترط في الرواية ان تصرح عن شرف المقصد ونزاهة الغاية وبلاغه التعبير فتبعث في جسم من يشاهدها روحاً وثابة وترسل الى فكر من يطلع عليها شعوراً نبيلاً » (٤٥)

وقد ركزت الرواية الواقعية على ابراز الشخصية العراقية ، وتصوير البيئة العراقية ، والتعبير عن الانسان العراقي بمشكلاته ونطاقاته . كما عنيت بتصوير آثار الاستعمار في فساد الحكم واستغلال النفوذ وسوء التوزيع ، اكثر ما اهتمت بماجد بعد الحرب الثانية من انجازات قومية واجتماعية ، ومن تأثير هذه الانجازات في الحياة الاجتماعية

(٤٥) محمد صالح بحر العلوم (العفة) ص ٩ .

الاقتصادية وصراعاتها وتطوراتها .

ويتجنب هؤلاء الكتاب الاغراب في وصف المشاهد وسرد المواقف ما استطاعوا الى ذلك سبيلا . وهم يبررون طريقتهم هذا بأن الحياة الانسانية العادية تقل فيها مغامرات الناس وتمضي ايامها رتيبة متشابهة واذا حدث ذات يوم حادث ماله خطره وطرافته فانه يمضي هادئا في غمرة هذا الصخب ، دون ان يلتفت اليه انسان ، ودون أن يخلف وراءه من الاثار ما يطبع حياة الانسان بعامة ، أو يعيق مجرى التيار المتدفق او يغير وجه التاريخ .

وسندرس فيما يلي أفضل كتاب الرواية الواقعية في العراق الذين ظهر نتاجهم قبل الحرب العالمية الثانية كذنون ايوب وعبد الحق فاضل والذين ظهر نتاجهم بعد الحرب الثانية كخالد الدرة . ثم ندرس أشهر كتاب الرواية الواقعية في العراق بعد ثورة تموز كفؤاد التكرلي وشاكر جابرو غائب طعمة فرمان .

بعد عبد الحق فاضل ابرز من وضع الرواية في العراق على الصراط الفني من المخضرمين ، واول من اعطاها شكلها الذي يجب ان تأخذه ، كنوع ادبي راق ، تمثل بعمق روح التجربة القصصية فاستطاع بتمكنه من الخلق الفني ان يفرغ كل التجربة في القالب الفني .

ويعد اسما سهما بين كتاب القصة في العراق لقدرته الكبيرة على التصوير والتركيز والتوضيح للصور الحسية التي يرسمها . ويحسن سبك القصة في قالبها الفني كما يجيد تصوير الشخصية ومنحها جميع ابعادها .

وتعد روايته (مجنونان) التي ظهرت عام ١٩٣٩ اول رواية فنية

كتبت في العراق قبيل الحرب العالمية الثانية ، رغم ان المؤلف كتبها قبل ذلك بثلاث سنوات عام ١٩٣٦ . وقد ظهرت له مجموعة قصصية باسم (مزاح وما اشبه) عام ١٩٣٦ . ثم ظهرت له بعد ثورة تموز مجموعتان قصصيتان (حائرون) و (طواغيت) . وبذلك يواصل الكاتب نتاجه ممثلاً شخصية مستقلة مبتكرة تعني موهبتها ومقومات عصرها الذي تحيا فيه ، ومقوماتها القومية التي اتسع افقها بالدراسة الانسانية . والكاتب من اصحاب الرسائل في القصص العراقي الحديث ، ومن موجي القصة الفنية في مراحلها الاولى ، نحو المشل العليا الغربية التحليلية ، وهو يعبر عن رسالة تتصل بالحياة المحيطة به في اصالة .

وتدور الرواية حول (صادق شكري) و (صفية سعدي) ، كلاهما يمتاز بالذكاء وسرعة البديهة ، ويميل الى الادب ، ويكتب القصص ويخوض في مشاكل المجتمع المهمة ، وعلى رأس هذه المشاكل مشكلة المرأة ، وهما من انصارها ، يريدان لها الحرية والكرامة ، وقد تم تعارف الاثنتين عن طريق الكتابة ، في الصحف ، اذ ارسل صادق رسالة الى صفية مظهراً اعجابيه بها ، وارادها بثانية وثالثة ، فتلقى منها جواباً خشناً استنكرت فيه وقاحتته وسخافته . وتشاء الاقدار والمصادفات المحضنة ، ان يلتقي صادق بها فلا يصرح لها بحقيقته اسمه وينتحل له اسم (صدقي) . وتقع الفتاة في حب صدقي ، وتبوح له بذلك ويعن له ان يسألها رأيها في صادق شكوي الذي كتبت عنه مقالا تشيد بأدبه وتثني على ذكائه وعبقريته . فيخيل اليها انه يشعر بالغيرة منه لذا تنطلق في ذمه وانتقاصه ، الا ان ذلك يفضبه اشد الغضب ، فيترك

فردوس الحب هارباً منه دون ان يتعلم سبباً لغضبه . وتتدخل المصادفة للمرة الثانية ، فيلتقى بها في بيت اخيها فوزى صديق صادق الحميم وهو يجهل انها اخته ، ويجري عتاب طويل يكشف عن مدى حب الاثنين احدهما للاخر ، وهي ما زالت على جهلها السابق بأنه هو صادق شكرى ، وتعلمه انها جاءت الى بيت اخيها لتتعرف عليه (اى على صادق) كما وعدما فوزى بذلك ، وقد ذهب للبحث عنه واحضاره ، ولكي ترضى (صدقى) وتبرهنه على اخلاصها له ، تظهر عدم اهتمامها (بصديق شكرى) . ولكن هذا يسوءه ايضا ويشير غضبه ، ويضطره للخروج ، وعند الباب يلتقى بفوزى عائداً يطلب اليه ان يمكث قليلا ولكنه يأبى عليه ذلك ، ويسأل فوزى اخته عن سبب سوء التفاهم ويخبرها انه هو صادق شكرى ذاته ، فتصمم على الذهاب اليه واسترضائه .

وقد حقق الكاتب انسجاما جيداً بين الشكل والمضمون . ويبدو انه قد ادرك خلافاً لغيره من الروائيين الذين كتبوا القصة في العراق خلال الفترة - قبل الحرب العالمية الثانية - ان للرواية شكلاً يجب ان ينسجم مع مضمونها وان الكاتب غير حرفي ان يسوق ما يريد على النحو الذي يريد ، وان الرواية تخضع لاصول خاصة ، فيها المعاناة والمكابدة والبناء المحكم ، الذي يقوم على اساس فنية متينة ، وليست عملاً سهلاً هيناً يسهل على اى انسان القيام به .

والشكل القصصي الذي اختاره لمضمونه ليس رداءً فضفاضاً يمكن ان يدرج الكاتب تحتته كل ما يريد ان يقول ، بل جاءت روايته على نحو يتلشى فيها السرد والحوار والحبكة والتحليل مما قاده ان

يكتب الرواية التي تخضع للمصنفة الفنية اكثر من خضوعها للطابع
والعنفوية والارتجال . فالتدفق والنظام يمتزجان فيها امتزاجاً تاماً ،
ويسبقان عليها الجمال ، ولا تقتصر على عرض حكاية او حادث ولكنها
اذ تروي القصة تمنحها كثيراً من الضوء والوضوح .

ويحسن الكاتب استخدام الاطار العام للرواية ، ولا يترك الجزئيات
التي لها علاقة بالحدث الا ويسلط عليها ضوءاً ضئيلاً او قوياً ، يتناسب
وأهميته كما فعل في تصوير علاقة (سميرة بصادق) ، وعلاقة (صفية
بأخيها فوزي) ، والحياة البيئية التي يحيها صادق مع امه وربيبتها
الصغيرة نديمة .

والحبكة القصصة عند الكاتب حكمة ، وهو يرسم حدثه بمهارة
لا لغو فيه ولا فضول ، حتى عادت لكل عبارة قيمتها في تطوير
الحدث على نحو يبرز فيه الحس القصصي بأجلى صورته . كما ان الكاتب
يتيح للحدث فرصة نموه وتطوره ، دون تدخل منه او شرح او تقرير
لذا كان مسار سرده طبيعياً متدفقاً لا وقفة فيه ولا اضطراب . غير
ان الحركة تبدو بطيئة في بداية الرواية مما يثير السأم ، ولكن المؤلف
سرعان ما يعود الى طبيعته ويشد تدفقه الاسلوبى القارىء بعد صفحات
قليلة من بدء الرواية لكي يتابع مضمونه حتى يصل به الى ذروته .
ولم يوجد الحادث لذاته كما في غيرها من روايات تلك الفترة ، بل
نتج عن الدوافع المتضاربة للشخصيات .

وتمتاز حيكته بأنها مجمعة الحوادث ، تدير بالقارىء من فكرة الى
فكرة في ذوق ادبى ، ويمتاز بوجود روح الدعابة الجذابة ، كما يوصل الفكاهة
بمعاني الحياة العميقة ، وتشيع السخرية الناقدة في كتاباته ، السخرية

من التقاليد والمثل التي تعم المجتمع العراقي ، وهو في نقده الساخر يشبه جعفر الخليلي ولكنه يختلف عنه بالتزامه فنية الرواية ، ومعالجته المشكلة بصورة اكثر عمقاً وتأثيراً في النفس فيقول الوزير على سبيل المثال لصادق شكوي الذي رشحه للنيابة دون علم منه :

(اقول له اخدم امتك فيقول لي سلاح مسروق فليكن . لقد كان مسروقاً منك فسرقته وانا مرتاح الضمير واعدته اليك . . . وقد قبلت الوزارة لا لان كل ما فيها تطيق عليه المبادئ السامية الشمرية والمثل العليا ، ولكن لأنني أقوى ان اكون فيها نزيهاً . . . لا تقل ان انتخابك مخالف للقانون ، ان القانون وسيلة لخدمة المجتمع لا غاية لنفسه وانت تعلم اساليب الانتخابات من قبل . لقد اهمل القانون فيها للاضرار بالمجتمع وقد اهملته انا لمنفعته . . .) (٤٦) .

وتفسد حيكته احياناً بعض الاضافات والى يادات والاستطرادات ، مما يبعث السأم في النفس ، كالاستطراد في الحوار حول فلسفة الحب وموقف الرجل من المرأة وموقف المرأة من الرجل وايهما اكثر اثراً في الاخر (٤٧) .

واصبحت الرواية بين يديه تعبيراً عن موقف واحساساً معيناً للكاتب ازاء الواقع الذي يعيش فيه . وكان لتحديد موقف (فاضل) من الواقع ان روايته اصبحت اكثر تماسكاً من الناحية الفنية ، ووجدت محوراً الذي تدور عليه احداثها والرابطة التي تربط بين اجزائها .

ويكتشف الكاتب عن احساسه بياس المثقفين من ابناء الطبقة

(٤٦) عبد الحق فاضل (مجنونان) ص ٩٠ .

(٤٧) المصدر السابق ص ١٠٨ - ١٣٢ .

الوسطى الذين يحاولون شق طريقهم بكفاحهم وعرقهم ، وهم في صراعهم
ممزقون بين رغبتهم في التخلص من العادات والتقاليد التي تشدهم الى
بيئتهم الاولى ، ورغبتهم في تحقيق طموحهم والانتقال الى حياة ارحب
وهو فيما نعرف اول من عبر عن هذه المشكلة بمثل هذا العمق القصصى
في الادب العراقي الحديث .

وقد انعكس احساس فاضل العميق على مفهومه لمعنى الارتباط
بالواقع في العمل الفني ، فلم يعد معناه تسجيل المظاهر الخارجية
للمواقع والتشبهت بالاسماء ذات الطابع الشعبى اوسرد الاماكن كما
كان يفعل محمود السيد وجعفر الخليلي ، ولكنه تطور ليصبح محاولة
للتعمق في الاحساس به وادراكه ، فانعكس على فنه ، واصبح اكثر تماسكاً
وقرباً مع العناية بالتعبير واختيار اللفظ والمعنى ، مع عناية بتطور الموضوع
على عكس ما وجدناه عند روائى تلك الفترة ، فتبسط الحركة وتطور نحو وسادها
وفهايتها وتقوم الشخصيات على التحليل الواقعى . وقد اتجهت روايته
نحو التحليل ونحو التصوير الاجتماعى الذي تغلب عليه حرارة الدعوة
الى التجديد وتحليل المؤثرات النفسية .

وهكذا افلح (فاضل) في تقديم روايته متماسكة البناء مترابطة
تتطور احداثها ومواقفها لتكشف عن انفصال محدد . ولم تعد الشخصية
عنده معلقة في الفراغ كما كانت عند محمود السيد وكما هي عند
ذنون ايوب الذي اصدر روايته (الدكتور ابراهيم) عام ١٩٣٩ ايضاً
بل اصبح لها ثقلها الواقعى والارض التى تتركز عليها . ولكنه افسد
البناء ببعض المفاجآت ، فلا يعقل اطلاقاً ان يفاجأ صادق شكري

تعميئنه نائباً في البرلمان من غير ان يطرق سمعه أمر جليل كهذا الامر ،
بالاضافة الى ان موضوع النياية جاء غاية في التكلف ، وقد سبق ليكون
درساً في الوطنية ، اذ كيف يصح ان يمدح كاتب وزيراً يزور الانتخابات
ثم يرد الوزير جميل الكاتب بمنحه النياية وكأنه يعطيها من جيبه . ويبدو
التكلف في اجلي مظاهره في تلك الثورة الصاخبة التي يقوم بها (صادق
شكري) ثاراً لكرامته المهذورة ، طالباً الاجتماع بالوزير ليسمعه خطاباً
وطنياً طناناً . كما لا يصدق ان يلتقي صادق بصفية في بيت فوزي ، وقد
خفي عليه انها اخته وقد مضى على تعرفه بفوزي سنتان . وهذه المدة
كافية جداً ان يلم الانسان بأحوال معارفه كلها مع العلم ان محيط العراق
معروف بولعه في البحث والتنقيب عن الانساب والاحساب (٤٨) .

وفي تصويره لشخصيتي (صفية وسميرة) ضرب من الخيال ، فلا يعقل
ان تتصرف فتاة تصرف صفية وسميرة ، مثل دعوة صفية لصادق في
بيتها ، وعندما يتردد تقول له (اطرق الباب ، مالك تتردد . . لماذا تأخرت
الى الآن) (٤٩) واعترافها له بأنها تحبه ولم يمض على تعارفهما عن
طريق المصادفة عندما استقلا العربية معاً غير يوم واحد .

ويضطر الكاتب للتدخل احياناً لدره صدع مثل هذه الفجوات ،
وليربط بين الاحداث ، ويميد بجرى الحديث طبيعياً كما كان « ولكنه
خسر الحب او رفضه على زعمه ، وكانت له قصة غرام وهي كما
يلي » (٥٠) بهذه الطريقة يربط الكاتب بين نهاية الفصل الثالث الذي

(٤٨) عبد القادر حسن امين (القصص) ص ١٩٥ .

(٤٩) مجنونان ص ٥٨ .

(٥٠) المصدر السابق ص ٣٠ .

يتحدث عن حب (سميرة توفيق لصادق شكري) ، والفصل الرابع الذي يبدأ فيه الحدث الرئيسي في الرواية علاقة الحب بين (صادق وصفية) ، ولم يعد الجو عند المؤلف مجرد تلوين عاطفي للمنظر كما كان عند معاصريه في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية ، بل أصبح الجو إحدى الصور التي يتأني بها للمنظر الكلي النغمية المتسعة كنتيجة للانسجام الخفي للاتجاه نحو الموضوع . واصبحت البيئة الخارجية بظروفها عنصراً رئيسياً يتفاعل مع الشخصية ويؤثر عليها ، ولم تعد مظاهر البيئة جامدة وحيادية كما كانت عند غيره . ولكنه اضطر لاستمارة جو غربي احياناً ليكمل هذا الجو منسجماً مع انطلاق شخصياته المتحررة من قيود المجتمع ، فجعل (صادق وصفية) يستقلان عربية واحدة رغم ان احدهما لم يتعرف على الآخر من قبل ، وذلك عندما اوقفا العربية معا فينسحب صادق ويتركها لها ، ولكنها تقترح عليه ان يستقلاها معا ، وهكذا يتم التعارف بينهما . وعندما جعل (صفية) تعيش في دار مفردة رغم ان اهلها يعيشون في بغداد ايضاً - وقد حاول الكاتب ان يبرر ذلك بحصول سوء تفاهم سابق بينها وبين اخيها فوزي - وعندما جعل صادق يزورها في بيتها الذي تسكنه بمفردها ، دون ان يثير ذلك دهشة اهل الحي وتساؤلهم . وعندما جعل (سميرة توفيق) تدفع نفسها بين ذراعي صادق تريده ان يقبلها وان يبادلها الحب ، وفي دار غير داريهما بل في دار صديقهما (فوزي) . كل ذلك يحدث في العراق البلد المحافظ وفي فترة ما قبل الحرب حيث كان تأثير التقاليد الاقطاعية والقبلية مازال سائداً فيه . ولكن هذه الهنات البسيطة لا تغير من الحقيقة شيئاً في ان هذه الرواية تعد من افضل الروايات العراقية التي ظهرت في فترة ما قبل الحرب

العالمية الثانية .

ويجد الباحث نفسه في حيرة حين يلمس الفارق في درجة الوعي بين عبد الحق فاضل وبين قصصي ما قبل الحرب الثانية ، من أمثال محمود السيد ، والخليبي ، وذنون ايوب ، وما نشأ عنه من نضج في ملموس في روايته (مجنونان) اذا قيست (بجلال خالد) لمحمود السيد او (الضائع) للمخيلي او (الدكتور ابراهيم) لذنون ايوب .

وقد يكون لثقافة عبد الحق اثر في عمق وعيه ونضجه الفني . وقد سبق ان اشرنا (٥١) الى انه تأثر تأثراً كبيراً بالكتاب الغربيين ، وكان يقرأ لهم بلغتهم الاصلية ، فقد كان يجيد القراءة باللغتين الانكليزية والفرنسية بالاضافة الى الفارسية .

ومن مظاهر هذا النضج ان عبد الحق فاضل حين يقدم لنا شخصية (صفية) لا يقدمها كشخصية شاذة او غريبة او طريقة كشخصية (الضائع) التي قدمها الخليبي ، وشخصية (الدكتور ابراهيم) التي قدمها ايوب ، وانما يقدمها كشخصية سوية تناضل لتشق طريقها في الحياة ، تتغلب على الصعوبات التي تلاقها في كفاحها من اجل اثبات وجودها وحريتها ، ولم تنشأ عن عيب فردي يميزها عن الآخرين ، بل كان حبها نتيجة حتمية للظروف الاجتماعية المحيطة بها ، والأحداث التي وقعت لها وانعكس هذه الظروف والاحداث على نفسيتهما ، ولا يقدم لنا الكاتب شخصية (صفية) لذاتها ، ولكنه يحاول ان يكشف عن مشكلة مثقفي الطبقة الوسطى من خلالها ، يحتفظ لها المؤلف بملاحظتها الفردية الخاصة ،

(٥١) انظر رسالتنا في الما جستير (القصة القصيرة في العراق بعد الحرب

العالمية الثانية) .

ويجعل حياتها تعبيراً عن احساسه بالمشكلة العامة للطبقة التي تنتمي اليها، الطبقة التي تعلمت وثقفت وارادت ان تنطلق من العادات والتقاليد السقيمة السائدة في العراق، والمرأة التي عاشت سنوات طوال في الحریم وارادت ان تأخذ مكانها الى جانب الرجل لتطویر هذا المجتمع، المرأة التي ارادت ان تعبر عن حريتها وحبها دون قيد او زيف.

وينمي الكاتب شخصياته مع نمو الحدث. (صفية وصادق) ويأخذ من صفاتها الخارجية والداخلية الملامح التي تساعد على تكثيف الازمة، مع تركيزه على «حياتها النفسية» (صفية وسميرة) فسميرة مثلاً «فتاة جميلة انيقة الثياب يبدو عليها انها تعرف هذا القادم - صادق - من قبل، فهي لم تلمحه حتى اشاحت بوجهها عنه في صلف بين . . ولكنها تخاف نظراته وتخشى ان يراها تنظر اليه فيكشف ما تنطوي عليه نظراتها من الوجد العظيم المحرق لانها لا تريد ان تظهر له في غير الانفة والكبرياء ولو انها تنسى احياناً اذ تلتقي عينها بعينه ان تكسب ووجهها حياة العبوس والترفع وتملاً نظراتها ما وسعها من المقت والازدراء . . ولقد عاودتها الآن ذكرى الذبذة لا تثير فيها غير الالم» (٥٢). اما صادق «معروف لدى اصدقائه القليلين ببغضه للسيدات وبتهكمه عليهن وهي - سميرة - مفرمة بنوع خاص، بخصلة من شعره عنيدة تستعصي ابدأ على المشط وتظل ملتوية على جانب جبينه المشرق» (٥٣)، والسيد (حمدي) شيخ بدين لا تفارق الرزانة ووجهه، يشرب لفافات التبغ بكثرة، ومحمد

(٥٢) المصدر السابق ص ٤، ٧.

(٥٣) المصدر السابق ص ٧.

رأفت اخرق كثير الضحك مرائي . وفي هذا القدر الضئيل من الصفات المادية يستخدم اللمحات التي تساعد على فهم طبيعة الشخصية وتبرير سلوكها . ولا يلجأ الكاتب الى حديث النفس المباشر . ولا الى المونولوج الداخلي يسوقه تهار شعور أو لا شعور ، بل يؤثر ان يصور الشخصيات من خلال حركاتها وحوارها ، او من خلال اللقطات الجانبية التي يرصدها لها ، فبعد ان يذهب زوار فوزي ويخرج لتوديعهم تنفرد سميرة بصادق في الغرفة ويتحدثان في المجال الفني عن صورة معلقة على الحائط ، نجد صادق يدير الحديث للتعريض بها :

« يجدر بالمرأة في مثل هذه الاحيان ان لا تطيل النظر في المرأة . فأخذ صدرها يرتفع وينخفض كالمنفاخ وقالت في حدة : لو كان لبعض الناس مرأة تربهم أنفسهم لكانوا اكثر تأدباً . . لا ادري ما عداؤك للمرأة ؟ انك لا تحترم المرأة كما ينبغي للرجال . فأجابها وهو يسوي ربطة عنقه ويزور سترته : أفتعتقدين عدم تأنقي في ثيابي امتهاناً للمرأة ؟ انك مخطئة يا سيدتي . اخرجها جوابه الاخير فرفعت يدها في وجهه وصاحت انك لا تستحي يا وقح اني احتقرك من كل جوارحي . تقدم منها بهدونه وبروده وبكل جرأة اخذ وجهها بين يديه . . ثم ألوى عليها وطبع على ثغرها قبلة طويلة ملتزمة » (٥٤) .

وشخصياته كلها من الطبقة البرجوازية الصغيرة وهو يعطف عليها ويصورها نبيلة طيبة طاهرة . وقد ركز اهتمامه على الشخصيتين الاساسيتين في الرواية (صادق وصفية) وقد مهد للمحدث الاصيل فيها بوصف علاقات صادق وبيتمته ، ولم يبدأ روايته بداية حقيقة الا في الفصل الرابع ويوحى

(٥٤) المصدر السابق ٨ - ٩ .

لنا المؤلف في نهاية الفصل الثالث انه لم يفعل شيئاً في الفصول الثلاثة الاولى غير التمهيد للقصة الاصلية « كانت له قصة غرام وهي كما يلي » (٥٥) ولكنه لم يعتمد مطلقاً على التقرير في رسم الشخصيات ، بل يستعين بالحركات والحوار والتقاط الزوايا المناسبة لظهارها وكشفها .

ولا يتسم موقف المؤلف في تقديمه للشخصيات الثانوية بنفس عنايته بالشخصيات الرئيسية ، فهو لتركيزه على الشخصيتين الرئيسيتين يقدم الشخصيات الثانوية دفعة واحدة ، وبأسلوب مباشر « اما الضيوف فكانوا ثلاثة جاؤا يهنئون فوزي بزيادة راتبه . . احدهم فتاة جميلة . . اما الآخران . . السيد حلمى وهو شيخ بدين . . والسيد محمد رأفت . . الا ان يرسلها ضحكة خرقاء . . » (٥٦) .

وقد عمد الى المبالغة والتضخيم في تصوير بعضها ، كما في شخصية (سميرة) صاحبة الحظ السيء ، التي كانت تحب صادقاً الا انها لم تجد منه غير الاعراض والقبيل المفاجئة في دار صديق ، ولكن من تكون سميرة ؟ ومن أين جاءت ؟ وما شأنها في دار فوزي ؟ وكيف يتسنى له ان يختلي بها مرة واحدة يختلس منها قبلة ثم تختفي نهائياً من الرواية ، لقد أخفق المؤلف في رسم هذه الشخصية حتى بدت كصورة (كاريكاتورية) رسمت بريشة رسام فوضوي . وأسلوب المؤلف وثيق الصلة بالادب ، ففيه قوة التركيب العربي الجزل ، وقد امتزجت بأصالته التي لم يتخل عنها قط ، وبهذا تكون له أسلوب شخصي متميز متقن لم نجد عند قصصي تلك الفترة من يشابهه في الجزالة والقوة ، كما انه مدرك لمهمة الادب

(٥٥) المصدر السابق ص ٣٠ .

(٥٦) المصدر السابق ص ٣ - ٥ .

ادراكاً تاماً ، لانه عندما يعرض مشكلة اجتماعية لا يصيغها باون قائم من الاسى والدموع ، بل يعزجها بروح فكهة تبعث على الامل . ولكن اسلوبه لا يخلو من المواقف الخطايبية « اني امثل الشبان الذين لا يعرفون لانفسهم مصلحة غير مصلحة الوطن ولا يعترفون بالمجد الزائف والوجامة المزورة اللذين هما بجوهرهما على الامة خزي ووبال . اني امثل من الامة اولئك الذين يرون انفسهم مسؤولين عن اصلاح اخطاء الماضي ويجاهدون لدرء مفاسد الحاضر واخطاء المستقبل . . » (٥٧) . والاستشهاد بالشعر احياناً ولغته القصصية اصيلة فيها سهولة العبارة ومرونتها ذات نغمات شعرية تشد القارئ اليها وتنقله الى اجواء الرواية ، اذ هو متحرر بما يقيد الاساليب القديمة ، وفي الوقت نفسه مكتسب من قراءة النصوص الادبية العربية بالنسبة لكثير من كتاب القصة في تلك الفترة .

يعاضد ذلك كله عنده حوار يدار بمهارة ، وهو على الضد من حوار (ذنون ايوب) . يسوقه بطريقة تكشف عن الشخصية وتنمي الحدث ، كالحوار الدائر بين صفية وصادق في العربية عند لقاءهما لأول مرة ، ذلك الحوار الذي طور الرواية ونمى الحدث حتى وصل به الى نهايته (٥٨) ، وقد يسرف احياناً في الحوار فيأتي مطولاً مملاً لا حياة فيه (٥٩) . ولم يتخلص عبد الحق فاضل من عيوب مرحلته تماماً ، فان عمله كان

(٥٧) المصدر السابق ١١٠ - ١١١ .

(٥٨) المصدر السابق ٣٥ - ٣٧ .

(٥٩) المصدر السابق ص ١١٠ - ١٢٦ ، ٣٣ - ٥١ .

خطوة قوية في تطوير القصة العراقية بالقياس الى تلك الفترة . ويكشف
عن موهبة عظيمة كان الامل فيها كبيراً اذا تابعت كفاحها في الطريق
الشاق . ولكنه استسلم لليأس وانقطع عن انتاجه فكانت روايته اليتيمة ،
رغم استمراره في كتابة القصة القصيرة .

ذنون ايوب

كان ذنون ايوب ١٩٠٨ . . من الكتاب الذين وضعوا الرواية الواقعية في العراق على الصراط الفني الصحيح ، وقد اعطاها شكلها الذي يجب ان تتخذه كنوع ادبي ، وكان قد تمثل بعمق روح التجربة ، فاستطاع بتمكّنه من عناصر الخلق الفني ان يفرغ التجربة في القالب الفني فجاءت الرواية لديه متحررة من جميع ماضيها القديم في العراق . وقد اصدر ذنون ايوب ست مجموعات قصصية قبل ان يصدر روايته الاولى (الدكتور ابراهيم) عام ١٩٣٩ ثم روايته الثانية (اليد والارض والماء) عام ١٩٤٨ فرأيته الثالثة (الرسائل المنسية) عام ١٩٥٧ بالاضافة الى اثنتي عشرة مجموعة قصصية .

وقصص ايوب تعكس ذلك القلق الفني الذي انتشى منه المثقفون بين سنتي ١٩٣٠ - ١٩٤٠ وهو لا يقدم فلسفة معينة في قصصه ، ولكنه شعر بأن الحقيقة لا توجد الا في الواقعية وان الواقعية هي التعبير عن الديمقراطية ، وكان يحاول دوماً أن يعطي الحدث القصصي قوامه الارضي الانساني . ومن هذا الموقف ينبع مبدأ الالتزام في ادبه ، وبه يدخل ميدان المعركة وميدان النضال الاجتماعي والانساني ، يعمل لا للمكتابة نفسها وانما يجعل من الكتابة وسيلة لغاية اخرى صريحة ينحاز تجاهها في هذا العالم الذي يقسمه الى طبقتين (ايدولوجيتين) متناقضتين (الايدولوجية الرأسمالية والايدولوجية البلوريتارية) وهو ينحاز

الى جانب الاكثرية مقابل الاقلية ، فيدلف اكواخ التاعسين وينطلق الى الحقول حيث يجهد العاماون من غير ملل ، ولناخذ على سبيل المثال ما يقوله (ماجد) احد ابطال روايته (اليد والارض والماء) « ان الربح قد اصبح في نظري امرأ ثانوياً لقد وجدت الآن معنى من معاني السعادة التي ينشدها الانسان في كثير من الاحيان فلا يجدها ، لقد وجدتھا في بریق عيون الفلاحين ، افنا قد انشأنا عملاً مفيداً لمئات من الناس ووفرنا قوتاً للآلوف واحيينا ارضاً ميتة . . » (١) .

كل ذلك ليكون الادب سلاحاً ، يدود به عن حق الضعفاء ويستمد منه ايماناً بانسانيته وعزيمته في كفاحه الدائب في سبيل حياة حرة ، لا يستعبد فيها القوي الضعيف ولا يأكل الانسان لحم اخيه الانسان ، لان الواقعية حين ترى في الادب فناً له رسالته الاجتماعية ، ترى ليه دوراً خطيراً في تنظيم المجتمع ، يؤثر في تطوره الانساني . وذلك يعني ان على الكتاب مسؤولية اجتماعية وطنية انسانية تفترض الاخلاص والصدق في العمل الادبي « فاذا كانت الدولة لا تحمي رعاياها فعلى الرعايا ان يحموا انفسهم بأنفسهم » (٢) . هذا ما يردده ماجد بطل (اليد والارض والماء) .

وشعر انه سيكون على جيل القصاصين ان يبدأوا من جديد بنظرة متحررة الى العالم حولهم وتستمد هذه الواقعية عناصرها من انه يصدر فيما يكتب عن تجاربه الشخصية وعن الصور والاحداث التي يراها ، ولا يلعب الخيال عنده الا الدور المحدود . وهو يدين بجمال قصصه

(١) ذنون ايوب (اليد والارض والماء) ص ٤٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٠ .

الى عينه اللاقطة لال وثبة خياله ، فسيرة (الدكتور ابراهيم) سيرة شخصية معروفة في العراق في تلك الفترة حيث يقول الدكتور ابراهيم للمؤلف الذي يروي القصة « وبرهنت للناس على ان الدكتور ابراهيم هو الدكتور الجمالي وليس انا » (٣) ويقول في مقدمة اليد والارض والماء « ان شككت في صحة ما ورد في هذه الرواية . . اقول عليك باضبارات الدولة واوراقها وستجد اذا ما سمحت لك الدولة بالكشف عن عوارتها ان الحقيقة اغرب من الخيال » (٤) ويعترف في بداية (الرسائل المنسية) انه سرق رسائل صديقه (عارف) « بل صممت على ان اسرقها ايضاً فلا ابذل من الجهد اكثر من ان اصفها ثم ارتبها دون زيادة او نقصان » (٥) ، وكان الاجدر بالكاتب الا يضم في رواياته صوراً منقولة عن المجتمع العراقي ، بل صوراً انسانية تعين القارئ على فهم هذه الحقائق التي تشتمل عليها هذه الروايات ، ولكنها امتازت بالصدق وفقدت شيئاً كثيراً من الحياة والتأثير ، وعلى الاخص روايته الاولى (الدكتور ابراهيم) فقد رأى المؤلف الوصولين المهرة يشقون طريقهم الى السلطات بواسطة الخداع والمكر والمال ، وذلك يسحق من هم اقل منهم مهارة في الخداع والقضاء عليهم لقد رأى طبقات جديدة محدثة النعمة تنشأ على اساس الاستحواذ على الاملاك وبالاختصار لقد رأى جميع العوامل الدنيئة والتي تعافها النفس صادرة عن هذا المحك السحري الجديد للنجاح أعني النقود ، ومن هذا الواقع استمد المؤلف شخصية الدكتور ابراهيم .

(٣) ذنون ايوب (الدكتور ابراهيم) ص ٢٥ ، (اليد والارض والماء الاهداء) .

(٤ - ٥) ايوب الرسائل ص ٩ .

يؤمن أيوب بالادب الهادف، وبأن الرواية لا تكتب ولا تقرأ لذاتها ولكن لاصلاح المجتمع - كما سبق أن بينا - ولذلك يرى ضرورة اتصالها به . وهذه الألوان المحلية التي تظهر في رواياته هي الجسر الذي يضعه بين الواقع الذي يكره والمستقبل الاشتراكي الذي يرجو . يقول في مقدمه روايته (اليد والارض والماء) (منذ بضع سنين يوم كانت الحرية الفكرية مقلولة بألف قيد . . . وجدت نفسي في تلك الفترة في حالة حرج شديد قريب من اليأس فقد ضقت بقيود السياسة البلهاء وقبود المجتمع البليد المتزمت وقبود المتعصبين في السياسة ذلك التعصب الذي دونه التعصب الديني الأعمى فوطنت نفسي على الهرب من هذا البلد والتعرد في ارجاء العالم » (٦) .

ويعتقد أيوب في قرارته أن النضال لا بد ان يثمر، وأن الانسانية لا بد أن تنتصر . وهو ما يفتأ يردد على لسان ابطاله في رواياته ما يردده (عارف) « لست جاهل مبالغ تمردى على المجتمع الجاهل وقوانينه الوضعية الحمقاء على عرفه الجامد البليد على فضائله التي يتقدسها والتي لا أرى فيها الا أرذل الرذائل ، فلو اردت ان تهجي احد الناس أقذع الهجاء فما عليك ان تصفه بأنه رجل يحترمه الناس لأنه فاضل في نظرهم يراعي العرف والتقاليد ولا يشذ عنها قيد شعرة » (٧) ، ومما نقوله سنوية : « ولو تقدمت الزراعة العصرية لارتقى الفلاح حتماً ودخل دوراً جديداً لا أثر فيه لتلكم العادات والتقاليد البالية » (٨) . وقد دأب على تقديمه للمجاهير البدائية المتراسة ودفعها

(٦) ايوب (الرسائل المنسية) ص ٥٥ .

(٧ ، ٨) (اليد والارض والماء) الاهداء ص ١٠٦ .

الى مكافحة الفردية . والفردية عنده معناها الانفصال عن الجماعات المتراصة والعزلة والتنازع لا بين الأفراد والجماعة فحسب بل بين الأفراد انفسهم ويصبو كل منهم الى القوة والى الامتلاك والى اثبات وجوده بالوسائل العدوانية ، كما فعل كل من (الدكتور ابراهيم) ووالده الشيخ اسماعيل في رواية (الدكتور ابراهيم) والاقطاعيين ورؤساء الهيئات الادارية في (اليد والارض والماء) وعارف في (الرسائل المنسية) . ونستطيع القول ان ايوب رائد الواقعية الجديدة في العراق التي تطورت بعد الحرب الثانية واكتسحت الاتجاهات الأخرى في القصة العراقية ، وعلى الاخص القصة القصيرة ، لأنه يتلمس شخصياته من الطبقات التي تقف وجهاً لوجه امام الحياة في كفاحها اليومي المرير في سبيل البقاء ، وتميز بطابع محلي يتمثل في عرض الصور الواقعية الشعبية مما يكسب بعضها صفة انسانية عميقة الدلالة لامتيازها بالصدق والاخلاص للمواقع وربطه بين الادب والوطن وابرار الخصائص الجوهرية لهذا الوطن وللمناس الذين يعيشون فيه . وترتبط قصصه بالارض العراقية ارتباطاً وثيقاً وتعالج الواقع وتتحدث عن العراقيين البسطاء في حدود العراق وفي العصر الحاضر وتؤمن قصصه بأن الانسان كائن كريم ينزع دائماً الى حياة حرة سعيدة يعمل من اجلها وله القدرة على بلوغ ما يريد رغم العقبات التي يضمنها المستغلون والحكام من ورائهم لعرقلة مسيرة الانسان نحو هدفه عن طريق قوانين تسنها الحكومة لخدمة الطبقة المستغلة المرتبطة بالاستعمار كل الارتباط .

واذا قلنا بأن ايوب بدأ يكتب بروح انسانية فلا نقصد بهذا العمق الانساني الذي يرفع الادب الى مستوى كبير ، وانما نقصد

التعاطف الاجتماعي او الديمقراطية الاجتماعية المتغلغلة في نفسه منذ نشأته . فانه يشعر بأعنف الحب نحو الطبقة الدنيا من الشعب العراقي ، يعجب ببساطتها الصافية وطويتها الساذجة الكريمة ويرثى لجهلها وقناعتها بالذل وانحطاط عيشها الذي تحياه ، ويشعر في ذاته وخز الألم الذي يرضه صمتها الأبدي .

وهو يعتمد على التحليل والتعليل يمزجها بالفن القصصي مع انفصال أسلوبه الدراسي العلمي والأدبي أحدهما عن الآخر . ودرست رواياته موضوعات خلقية حساسة دراسة حرة ، وقد انتفع بدراسة علم النفس وعلم الاجتماع والسياسة وما يتصل بالانسان ومشاكله الاجتماعية . وتكشف شخصية عارف في (الرسائل المنسية) رغم تعقدها وقلقها وتهريبها ، خلال اضطرابها وتوترها عن مسارها النفسى بصورة واضحة . فعارف مصاب بالترجسية فهو يستسيغ في رسالته الأولى الى حبيبته منطق حب عدة نساء في زمن واحد ، ويعترف بذلك في رسالته الثالثة أيضاً (٩) . ويقول لها في رسالته الخامسة « انى لا أحبك ولا اشعر بميل اليك بل ولا أعجب بك » ولكنه يقول بعد ذلك « انى احبها أجل ولكن على طريقي الخاصة لا على طريقتهما هي) والعملة التى تكمن وراء هذا التناقض احساساته (بالترجسية) . وطريقته في الحب تنبى ان تحبه كما يحب هو ذاته ، وان تغنى فيه وأن تمتليء اعجاباً بعظمته وقدراته ، كما يمتليء هو بها وأن تفتت وجردها في وجوده ثم يظهر جوعه النرجسي الغريزي بقوله « انى لا اشعر احياناً برغبة شديدة فى قضم بعض اجزاء

(٩) انظر محمد كامل عارف (دراسة نقدية للرسائل المنسية) ، مجلة الفنون (٢٤) ١٩٥٨ .

وجهمك بل في إتهام كل جسمك اني اتصور لو استطيع أن أكل وأمضم
جسمك الصغير واتمثلته حتى يصبح قسماً من كياني . والرواية لمحات
نفسية في مجموعة من الرسائل لا يربطها سوى وحدة شخصية عارف
التي تفضح أبعادها بسلسلة متصلة من الاعترافات (١٠) وقد أفاد أيوب
من المنهج العلمي في التعرف على الواقع تعرفاً صحيحاً ، وانعكست ازمنة
كمتتم على استخدامه لهذا المنهج ، وقد أفاد منه في المستوى الفكري اضعاف
أفادته منه في المستوى الفني . فلم يكن الترابط قوياً بين الأحداث ، والظواهر
والافكار والشخصيات بل كان الانفصام واضحاً بين الشكل والمضمون . فقد
تحدث أيوب بأسلوب تقرير بري سردي في رواية (الدكتور ابراهيم) ، وأفاض
في عرض صور فاسدة لبعض الموظفين الكبار صفرت نفوسهم وانحط
خلقتهم وغدوا لا يؤمنون بمثل سام ولا بفضيلة ، واعتقدوا ان تسخير
كل ما في العالم . واجب في سبيل الوصول الى ما يريدون من اطماع .
وقد رضع (ابراهيم) الانانية والاستغلال مع حليب أمه ، فقد
وجد أباه يحسن النفاق والتظاهر بالتدين ليخدع عقول السذج ، وقد
جمع من ذلك ثروة طائلة ونهياً له نفوذ عريض « وقد أحسن المؤلف
حين جعل أباه (فتاح فال) من ايران ، فقد ارتبط الفرس في ذهن
العراقيين بالمكروالخدعة وهي صورة بطل الرواية التي عرضها الكاتب » (١١) .
وكان (ابراهيم) في المدرسة مثال الطالب الذي لا يهمه شيء في
الدنيا قدر ما تهمة مصلحته ونجاحه . وقد استغل نفوذ أبيه في الذهاب
الى انكلترا وهناك تعرف بفتاة انكليزية ابنة قسيس كبير - له نفوذ واسع

(١٠) انظر محمد كامل عارف (المصدر السابق) .

(١١) جميل سعيد (التيارات الادبية الحديثة في العراق) ص ٦ .

في دائرة الدولة والاستخبارات ، وتزوجها . وحينما عاد الى العراق ساله كل الطرق غير الشريفة للحصول على الجاه والثروة ، حتى انكشفت أساليبه امام الناس جميعا . وعندما فصلته الحكومة من دوائرها بعد ان قام بأعمال تعتمد فيها مخالفة الأنظمة واللوائح من اجل الظفر (بالاكرامية) التي ينص عليها القانون في تعويض المنفصلين من وظائفهم ، شد الرحال الى أميركا ليقتضي حياته هناك .

وهذه الصورة مثال سيء لضرب من موظفي الدولة الكبار يسخرون المصالح العامة في سبيل مصالحهم الخاصة .

وهو يبدأ رواية (الدكتور ابراهيم) فيما سماه بالتهديد على شكل تعليقات لا تدخل في صلب الرواية اطلاقاً ، تحدث فيه عما جرى له من شغب حصل من جرأته على عقوبتين هما : النقل والتوبيخ . وقد بدأ غير معقول حديث الزوجة (جني) وهي تنقد زوجها وتنقد قومه امام المؤلف ، وكأنها غير راضية عن تصرفاته في حين اننا لم نر في سياق الرواية كلها شيئاً يدل على ذلك .

« وقد أورد آراء غير ناضجة تتمثل في تلك المحاوره بينه وبين الدكتور ابراهيم عن أسلوبيهما في الحياة اشترك فيها الانكليزي الضيف ، وذهب كل منهما يبرهن أن قرمه يقدرسون الحرية بأسلوب لا يعاين على أسلوب طلبية المدارس . وكانت صراحة الدكتور ابراهيم في رسائله للمؤلف صراحة من غير المعقول أن تصدر من شخص له مثل اخلاقه » (١٢) .
وقد حفلت كثير من الفصول بسرد عام لأوضاع السياسة والمجتمع تضائل فيها نصيب الدكتور ابراهيم وبرزت شخصية القاص بأهدافها

(١٢) عبد القادر حسن أمين (القصص) ص ١٧٩ .

وآرائها تنعى على المسؤولين مفاهيمهم المغلوطة فيما يتعلق بالشيوعية وغيرها من المبادئ التي جعلت ذريعة لكم لسد الافواه واسكات الاحرار . وقد وقف المؤلف يعظ رجال الحكم وينصحهم بأن يلزموا جانب الصواب . وكذلك في حديثه عن النزاعات المذهبية والسياسية وفي حديثه عن القوانين وتلاعب الحكام بها ووضعهم القوانين لا من اجل تنظيم الرعاية بل من اجل الحاق الضرر بأعدائهم مثل تشريع (قانون الذيل) الذي تم بواسطته فصل عدد من الموظفين غير المرغوب فيهم والذي اسهب المؤلف في الحديث عنه ، وفي حديثه عن الصحافة المأجورة وعن الطريقة المغلوطة في اختيار طلاب البعثات الى الخارج ، وفي الحديث عن رجال الدين وشعوذتهم .

ويرمي ايوب الى غاية ما برح يعميط اللثام عنها في كل مقدمة وفي كل اهداء شأن المرابي الحريص على مستقبل طلابه وتابعيه يريد لهم النور يكافحون من اجله ، ويريد أن يعشقوا الحرية ويسعوا اليها ويريد ابطالاً مسلحين بالعقل والمنطق والجرأة في حربهم على الباطل . اما روايته الثانية (اليد والارض والماء) فهي لكثير اضاءة واشراقاً وقوة في البناء (١٣) .

يتمائل سليم للشفاء من جروحه التي يصاب بها على اثر نزاع قبلي من اجل قطعة صغيرة من الارض ، بفضل عناية الدكتور (حسام) ، فيدعوه وخطيبته الدكتورة (هيفاء) وصديقهما المحامي (ماجد) الى

(١٣) يقول عنها سهيل ادريس (واما موضوع رواية ايوب الثانية اليد والارض والماء فهي اجمل موضوعات الادب الروائي الحديث ومن اكثرها اهمية في هذا العهد من تاريخ البلاد العربية) القصة العراقية الحديثة العدد ٤ - ١٩٥٣ .

مضارب العشيرة فيلبون الدعة ويكرمون اكراماً كبيراً . ويعرض
احدهم على الضيوف فكرة المشاركة في عمل زراعي فتلاقي الفكرة
ترحيباً ويستأجرون ارضاً اميرية في منطقة (النهروان) ، لتحقيق
الفكرة . وتتضافر الجهود على شراء الآلات والبذور واصلاح الارض
واعدادها للزراعة ، ويقام احتفال كبير بهذه المناسبة . ويقدم الشركاء
القروض للفلاحين لشراء القوت حتى ينضج الزرع . وتدخل (سنية)
في هذا المشروع بما تملك من مال اثر لقائها لماجد في دار الدكتور
حسام واعجابها به . ويلاقي الشركاء صعوبات جمّة في تسيير المشروع
وتتجلى المشاكل عن فساد رجال الادارة وانتشار الرشوة ، والآفات
الزراعية والعواصف الرملية وجشع الملاك ومحاولتهم السيطرة على
الأرض بمساعدة رجال الادارة .

وأمام هذه المشاكل المتكالبّة على اسقاط المشروع يفشل المشروع
ويخسر ماجد كل ثروته ولكنه يعرض خسارته بزواجه من سنية ،
التي احبها ووجد فيها المرأة المثلى .

وتشارك سنية في المظاهرات الشعبية التي تكتسح العراق ضد معاداة
(بورتسمارت) ، وينقذها ماجد من بطش رجال الامن ، ولكنه
لا يتمكن من انقاذ (سليم) الذي يؤخذ الى المستشفى لمعالجة جرحه
البليغ ، ويشرف عليه اصدقاءه حسام وهيفاء حتى يتمائل للشفاء .

وهذا الصراع بين الفلاحين والاقطاعيين على تملك الارض يحدث
دائماً لأنه وسيلتهم الأولى والوحيدة للانتاج وباستطاعته أي مؤرخ
ان يقلب أوراق الصحف العراقية ليجد مثل هذا الصراع . ولكن
الجديد في الرواية استخدام ايوب الناجع للعناصر النفسية التي عمات

على تحريك المسألة ، ثم اظهار ايجابية الشعب الناتجة عن الوعي الجديد . وبفضل استخدام المؤلف لهذه العناصر النفسية على اساس الخيال الواقعي السليم استطاع ان يعطي روايته قيمة انسانية خالدة ولم يبعد حين قال في مقدمتها (رؤيا بناها الخيال من لبنات الواقع وملاحظه وزخرفها الفن بألوان المحيط واصباغه فهي خيال محض ان اردت واقعاً محضاً وهي حقائق صادقة ان اردت حقائق عامة غير مربوطة بقيود أو حدود) .

واستطاع المؤلف ان يعطيها قيمة انسانية تأت من ان الناس قد تتحكم فيها الاوهام اكثر مما تتحكم فيها الحقائق ، كما عند فلاحي المنطقة التي زرعها ماجد . فهم يملون ليل نهار لتحقيق الانتصار على الاقطاعيين الذين امتصوا دماءهم (وطلب ماجد من سليم ان يريح الفلاحين فضحك سليم وقال اطلب انت ذلك منهم اذا استطعت وسترى كيف يجيبونك واستمر العمل طيلة ذلك اليوم تحت اشعة القمر ولما اسيقظ في صباح اليوم الثاني وجد ان الخيل قد ابتعدت في الافق حتى كادت تغيب فيه وما كان العمل يتوقف الا لملء اكياس البذور أو لراحة الدواب في فترات قصيرة) (١٤) وكذلك في صراع الشعب كله ضد الحكومة التي قيده بمعااهدة مع الانجليز تستغله سنوات عديدة ، وتربطه بعجلة الاستعمار حتى رخص دم هذا الشعب المسكين المستغل .

وقد اعطانا المؤلف قيمة درامية تتأتى من تلك المفاجآت المحكمة التي استطاع ايوب بخيال موفق ان ينفث فيها الحركة والتشويق عندما كشف لنا سوء الفهم الذي تسرب للفلاحين بعد فشل المشروع والانقلاب

(١٤) ايوب (اليد والارض والماء) ص ٦٠ .

الذي طرأ على شخصية (سليم) بعد ان لمس خيانة عشيرته لأصدقائه
وشركائه (ماجد وزمرته) والتغير في مفهوم أيوب لا يقتزن في أذهاننا
بالصور الجميلة المتفائلة فأن نهايات السقوط والانهار تكتسب لونها
الاسود والحصيلة الخنافية التي تفوز بها أن جميع الطرق مسدودة
أمام الوسائل الفردية للتمرد ، ولم يعد هناك سوى الثورة الشاملة .
هذا ما اكدته الرواية في الآخر . ان موضوع ايوب في رواياته كان
على الدوام التعبير عن أمل الانسان في أن تتخطى ارادته كل العقبات
وأن ينتصر ، ولكنه عرض هذه الارادة بصور مختلفة وجميعها منتزعة
من البيئة العراقية ، فهو لا يكتب عن الماضي ولا يهتم به لانه متعلق
بالواقع بقوة . وتوزعت روايات ايوب بين قضية الاقطاع الديني
والاقطاع الزمني ، وقضية المرأة التي نادى بها كما نادى بالحرية
الكاملة للانسان ، وتمرد فيها على جملة التقاليد والشرائع والمواضعات
الاجتماعية . وقد تطور فن الكاتب بعد الحرب العالمية الثانية ، غير
ان هذا التطور تم ببطء في حدود فن الكاتب ، ولكنه اذا قيس بالتطور
العام الذي سار في شكل الرواية العراقية لا يعد تطوراً ، فقد ازدادت
الحبكة احكاماً وبدت الوحدة العضوية بين بداية الرواية ونهايتها اشد
تماسكاً . هذا التطور نحو الاحسن كان يتم في فن ايوب ولكن
الرواية العراقية لم تقف عند الشكل الكلاسيكي لها او الاصولي الذي
اثر أيوب اتباعه وانما تطور تطوراً أوسع واستخدم كتاب الرواية
تفنيات جديدة واشكالا اكثر تنوعاً عند فؤاد التكرلي وانيس زكي
حسن وغائب طعمه فرمان (١٥) .

(١٥) انظر رسالتنا في الماجستير .

يقول ايوب : « في يقيني ان اعظم مهمة يجب على الادباء والقصاصين منهم على الاخص ان يضطلعوا بها هي اعطاء صور صادقة لما يقع تحت ابصارهم من حوادث عجيبة وشخصيات غريبة وانظمة وقوانين حكومية وشعبية ويدخل ضمن ذلك تلك القوافين غير المكتوبة التي يقع تحت تأثيرها المجتمع ، تلك الانظمة المتعارفة والتقاليد المرعية التي تشرب احترامها في دمه والتي يتعصب لها فيعمى عما فيها من حسن وقبح وترداد هذه الصور قيمة كلما اختلطت بشيء من التحليل يجمع بين فواحيها المتباعدة ومظاهرها المترابكة فيسفر ما غمض من اسبابها وعللها » (١٦) .

وقد اخذ الكاتب نفسه في رواياته بما قال ، على انه كان يعمى كثيراً في التحليل والوعظ امعاناً يجعل القارىء يسرع في تجاوز الصفحات والسطور احياناً هرباً من ذلك التحليل والوعظ ، وهو من اكبر ما يؤخذ على الكاتب من عيوب لأنه ينقل القارىء من قراءة رواية الى قراءة كتاب اجتماعي كما شحنت رواياته هنا وهناك بتدخلاته واطلالات رأسه ليبين رأياً او يسوق دليلاً او يرضي نفسه المتمردة ضد التقاليد البالية او ليوحى لنا بما يجب ان نؤمر به « الحرية . الحرية . تلك الكلمة المقدسة التي حارب البشر في مختلف الامم اجيالاً طوالاً لكني يتمتعوا بها ولا زالوا يحاربون من اجل تصفيتها وتجريدها من سوء الاغراض والمفاسد الفاسدة ليحصلوا عليها بأكمل شكل وأبهى صورة . بهذه الحرية سيبين الخبيث من الطيب والحسن من الرديء والمخلص من الخائن . اني أرى ان يوماً سيأتي على هذه البلاد تطلق فيه الاقلام عقالها فتجول

(١٦) أيوب (رسل الثقافة) ص ٢ .

في كل جهة وفي مختلف المقاصد . . . ولو احترمت الحرية في هذه البلاد لما قدر لتلك الصحف الهزيلة المذبذبة الخبيثة ان تبقى كالحشرات تعبت في خرائب قصر شامخ هدمته العاصفة ولم تبق على ساكنيه . . . ومع ان تدخله كان يجعله أحياناً وسيطاً مسلياً وباعثاً على التشويق والحماسة لما حوى من تمرد وانسانية ، فان تقريراته الحدية وتدخلاته المستمرة تعوق سير الحادثة ، وتقطع خيوط الرواية وتشكل فيها نقيصة فنية (١٧) .

وكتابات ايوب تستهدف الفكرة السياسية والاجتماعية ، وقد حصر أمانيه في مستقبل افضل للطبقات العاملة ، وللشعب العراقي قبل كل شيء . ان اهداف ايوب سهلة يسيرة ، كأن يقص كأن يسجل حقيقة كان يكشف لنا عن عيب او نقص ، او كأن في معظم الاحيان يؤدي هذه الاغراض الثلاثة في وقت معا ، وقلما كان ايوب قصصياً بكل ماتحمل هذه العبارة من معنى . ذلك لأن القصصى يضع نصب عينيه ان

(١٧) نيللي كورمو (فيزيولوجية القصة) الاداب العدد (١) ١٩٥٤ . وهذه الخصائص تظهر في الرواية الاجتماعية التي تقدم فيها الدعوات الانسانية الى البطولة او الثورة او اي شكل من اشكال العمل الجماعي . ولعل الادب الذي يبتعد اليوم عن الطريق الذي نشقّه امام الجميع هذه الجهرية التاريخية التي تلتخص في تغيير مجتمع ما . لعل مثل هذه الادب يوشك ان يسقط في التفاهة والخلو من المعنى ولكن ينبغي للاثر الفني مع ذلك الا يوضع لغاية منفعة فهو حتى اذا حمل رسالة اخلاقية فينبغي ان يتفادى الخطب الداعية الى الاخلاق وان قصة الفكرة هي دائماً قصة رديئة اذالم تقم فيها الفكرة بصورة ضمنية واذا بسطت بشكل نظريات بدلا من ان تنبثق انبثاقاً من الحكمة او من نفسية الابطال .

يعرض امام انظارنا رجالا ونساء ، ويجري وراء البحث عن عاطفة او اساس من اساس الفهم ، ومن ناحية اخرى نرى ان الهجاء يتتبع سقطة من سقطات الشخصية او زله من زلاتها ثم يحاول ان يشار منها وكانت الشخصيات التي يصورها شديدة الواقع والاثر عندما تكون انماطاً تمثل اسباب فشلها وسقوطها والكاتب لا يقوم بعملية اختيار. فلا تصميم ولا تخطيط دائما بل انسياب في عفوية وذهاب وراء مسارب جانبية وحوادث هامشية قد يكون لها مساس بهيكل الرواية كما يمكن نحو بعض الفصول وتظل الرواية كما هي دون ان يؤثر فيها هذا الحذف شيئا مثال ذلك الفصل الرابع الذي جعل عنوانه (عاهرة) (١٨) والقسم الذي اطلق عليه اسم (تمهيد) والذي يتحدث فيه المؤلف عن نفسه وعن نقله من بغداد ويشمل خمسة واربعين صفحة ، في رواية (الدكتور ابراهيم) بالاضافة الى افاضة المؤلف في التحليل والتفسير حتى درجة الاملال .

ويصر ايوب في روايته الثانية (اليد والارض والماء) على الايضحي بشيء من آرائه وأهدافه في الحياة من اجل فنية الرواية ، وقد اهتم فيها بالجزئيات دون التركيب على الاثر الاساسي لأن الاثر في نظره لا يتعلق كثيراً بتطور هذا الاثر بقدر ما يتعلق بتصوير الجزئيات وتجسيماها حتى لتطغى على الشخصية او الشخصيات الكبيرة في كيان الرواية كلها . كذلك ان الغرض الاول ، ارساء الثقل كله على تلك الامراض الاجتماعية ، والقاء اكبر قسط من الضوء عليها ليفضحها امام القارئ . « كما ان الجزء الاخير منها قد اقحم اقحاما عليها لأن الكاتب

(١٨) انظر جميل سعيد (المصدر السابق) ص ٦ .

أراد أن يربط الزرع والزراع بالمظاهرة التي أقامها العراقيون احتجاجاً على معاهدت (بورتسمأوت) والتي ذهب ضحيتها عدد غير قليل من الناس . وكل ما أراد الكاتب أن يتحدث عن هذه الانتفاضة ، فألحقها بالرواية وربطها بها ، واتخذ من سليم بطلاً في المظاهرة كما اتخذ منه بطلاً في المزرعة » (١٩)

وامتلات رواياته يساهم النقد الحادة لمظاهر الحياة الاجتماعية في العراق الى درجة الحشو والاملال (٢٠)

كما زخرف هذه الروايات بالمواقف المصطنعة التي ما أوردها المؤلف لاثبات وجهة نظره او لعرض فكرة من افكاره او رأي من آرائه . فهو يريدان يجمع ما بين (ماجد) المحامي و (سليم) الفلاح الثائر الجريح في المستشفى ، فيجعل صديق ماجد الدكتور حسام وخطيبته الدكتورة (هيفاء) يقيمان حفلة لماجد في المستشفى يدار فيها الخمر ، ويجالسهم فيها (سليم) المريض في المستشفى (٢١) أو يضع كلاماً غير مناسب على لسان بعض شخصياته فيقول (زباله) على سبيل المثال وهو فلاح متعصب لسنية المتحررة « لقد كسرت ام حسن (يعني زوجته) يد المسحاة على رأسى » .

وما يستنفذ النظر في بنائه الروائي قلة الحركة ، وغلبة السرد ،

(١٩) انظر جميل سعيد (المصدر السابق) ص ٣٥ .

(٢٠) المصدر السابق : ١٠ - ١١ ، ٣٨ ، ٤٠ - ٤١ ، ٤٣ - ٤٤ ، ٢١١ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٠ ، ٦٨ ، ٧٤ - ٧٦ ، ٧٧ ، ٦٥ - ٦٦ ، ١٥٢ ، ١٦٠ - ١٦١ ، ١٦٨ .
١٧٠ ، ١٩٥ على التوالي .

(٢١) اليد والارض والماء ١٦ - ١٧ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ١٠٦ ، ١٢٩ ، ١٤٤ .

وعجز المؤلف من نقل قارئه الى جو الاجتماعات والاحاديث الدائرة بكثرة حتى يشعر أنه بين الابطال يعايشهم ويشعر بشعورهم ، ويشاركهم في مسراتهم وآلامهم ، فرواية الدكتور ابراهيم ليست الا دراسة لشخصية ابراهيم تتحرك رويداً رويداً وتفص بالتفاهات التي تبدو لا أهمية لها كتصوير علاقة (ابراهيم) الطفل بزوجة ابيه (سكينه) وابرار الاحساسات الجنسية لابراهيم عندما تضمه زوجة ابيه اليها « واخذتني بين ذراعيها وشعرت بجسمها وتهيها ملتصقين بي - ودفعني الخوف الى الالتصاق بزوجة أبي واخفاء رأسي بين ثديها الصغيرين - ورقدت الى جانبي فالتصقت بجسمها اللين ابتغى الدفء واحسست بذراعيها تضمان جسمي الى صدرها الدافئ فانتشيت » (٢٢) .

وربطها بالعاورة التي ضاجعها في دمشق « ما أعجب ما خامرني من الاعتقاد بوجود تشابه غريب بين عاطفتها وعاطفة سكينه زوجة ابي الصفري » (٢٣) . كما ان الارتباط بين فصول رواياته ضعيف ، وتنقله من فصل الى فصل أشبه بتنقل كتاب السير الذين يعنون بأضاعة جوانب مختلفة ، ولا تترتب عليهم ان اهملوا الحبكة ، او انقطعت الصلة بين جانب وآخر . وقد حاول المؤلف ان يغطي ذلك العيب عن طريق تقسيم روايته الى اقسام وفصول يضم كل قسم منها مرحلة من حياة الشخصية . فقد ربط المؤلف بين القسم الاول الذي يتحدث فيها الكاتب عن نفسه والقسم الثاني الذي يتحدث فيه (الدكتور ابراهيم) عن طفولته ، عن طريق هذا التقسيم رغم اختلاف طريق الترقية فيهما .

(٢٢) اليد والارض والماء ص ١١٠ .

(٢٣ ، ٢٤) اليد والارض والماء ص ٢٤ .

فالقسم الاول استخدم فيه المؤلف طريقة السرد عن طريق ضمير المتكلم ، بينما اتبع في القسم الثانى طريقة الرسائل التى كان يرسلها ابراهيم الى المؤلف . وسلك ايوب نفس الطريق في (الرسائل المنسية) اما في (اليد والارض والماء) فقد استخدم ضمير الغائب ولم يضطر الى تقسيمها الى اقسام كما فعل في روايته السابقتين ، بل اكثر من الفصول الصغيرة التى بلغت خمسة واربعين فصلا . وكان من الافضل ان يضم بعضها الى بعض ويختصر لتكون الفصول ادل على مراحل الرواية ونموها .

ويضاف الى ما سبق انه وقع في اخطاء متعلقة بالحدث فهو على سبيل المثال في (اليد والارض والماء) يذكر ان (المفوض) اخذ قطع الغيار اللتين بواسطتهما تشتغل مكائن السقي واخبرنا المؤلف في الفصل نفسه ان الادانين قد اعيدتا (٢٤) فكيف اذن ذوى الزرع لانقطاع الماء مدة شهر كامل وليس هناك ما يحمل على الظن بفوات هذه المدة الزمنية ، ام ان ضغطه للاحداث احيانا اوقعه في هذا الخطأ فهو يقول على لسان الدكتور ابراهيم غير مهتم بالزمن « وقبل اتم دراستى في انكلترا بسنة واحدة اختليت بجنى . . » (٢٥) . في نفس الفصل الذي تحدث فيه عن وصوله الى انكلترا والدخول في جامعتها . مع العلم ان دراسته فيها استمرت ثمانى سنوات لأنه حصل على شهادة الدكتوراه في الزراعة من جامعاتها . وكان زهابه اليها بعد انتهاء دراسته الثانوية مباشرة .

(٢٤) اليد والارض والماء ص ٨٦ .

(٢٥) تشيخوف (قال نمرر كي) ان شخصيات القصة ينبغي الا يكونوا

متسترين منعزلين عن الجماهير ص ١٢٨ .

والمادة الخام عند ايوب نماذج من الطبقة الوسطى بتقاليدها
ومشاكل اجيالها الناشئة هذه الطبقة التي اخذت تتطور بسرعة في العراق
فيما بين الحربين وما بعد الحرب الثانية وترمى عنها القشور التي تحجرت
قروناً حولها فكانت تملذذ باجترار عيوبها والتلمظ بنقائصها . وقصص
أيوب كقصص عبد الحق فاضل كانت نوعاً من عقاب الذات جلدت
به البرجوازية العراقية نفسها ، ليتكشف فيها الانسان المتطور المتألم
وراء القواقع التقليدية المتحجرة ، وكانت خطوة متمردة في سبيل
مجتمع جديد . وهو ككل فنان يستغل هذه النماذج فيشرح لنا فلسفته
التي تدور حول الحياة وباعتبارها ظاهرة اجتماعية . وتدفعه نزوعه الى
نحو نقد تقاليد المجتمع الى العناية بالسرد اكثر من عنايته بالحوار .
بل ان الحوار يبهت في روايتي (الدكتور ابراهيم) و (الرسائل المنسية)
وتقوم مقامه حركة استطرادية ويبرز في هذه الحركة اهتمام خاص
بالشخصية ، شخصية الكاتب نفسه وشخصيات أبطاله . وكثيراً ما يحس
ذاته بل انه ليجعلها بؤرة التجربة . ولم يكتف بذلك بل يذهب الى
تقمص الكثير من شخصياته . وفي هذه الحقيقة تكمن ميزات مخلوقاته
انه يخلق نفسه فيها ويصورها كما تراه عيناه ، كما فعل في شخصية
(ماجد) في اليد والأرض والماء وشخصية (عارف) في الرسائل المنسية .
فما أحب الشخصيات الى نفسية المؤلف ، الرجال والنساء العاديين وكل
فرد منهم ليس مجرد شخص بذاته بل هو قطاع من الحياة بأجوانها
وأساليبها المختلفة ، مثل شخصية الفلاح سليم والفلاح زبالة والقطاعي
صالح جبر والمحامي (ماجد) والمدرسة سنينة والدكتور حسام والدكتورة
هيفاء في اليد والأرض وعارف المهندس وصها الارستقراطية في الرسائل

المنسية وسامي المهندس وعسان الضابط وجنى الانكليزية زوجة الدكتور ابراهيم ، و ابراهيم نفسه ووالده شيخ اسماعيل وزوجته حسنية في (الدكتور ابراهيم) .

ولا يمكن ان ينفصل ابطال ايوب هؤلاء عن بيئاتهم التي يعيشون فيها . فالبطل عند ايوب هو الواقع نفسه ، وهو الحياة في وطنه تلك الحياة التي كان ابطاله جزءاً لا يتجزأ منها . وهو يمثل ابطاله في كفاحهم ضد حياتهم الاجتماعية الضيقة . لذا يعد هؤلاء الابطال ممثلين للتيارات التقدمية والنزعات الاصلاحية في المجتمع العراقي .

وقد جاء رسم شخصية الدكتور ابراهيم مضطرباً حيث أورد على لسانه اقوالاً لا يؤتها غيره « و ذكر مثاليه بجرأة ومن دون حياء . وهذا امر مخالف لطبيعة الأشياء واذا كان الشخص لثيماً خسيماً كالدكتور ابراهيم . وقد عجز المؤلف عن اظهاره بمظهر الشرير الذي يسعى الى الشر اشباعاً لهوية الخسة والانانية في نفسه لأن المؤلف يرمي اللوم في تصرفات الدكتور ابراهيم على ظروف المجتمع كله الذي جعل منه ضحية له ، بالاضافة الى أن الدكتور ابراهيم نفسه كان يشتمز من بعض الاوضاع السيئة ، مما يلطف كثيراً من الأثر السيء الذي كان ينبغي ان تعكسه تلك السيرة المعوجة في نفس القارئ » (٢٦) .

ولا تتناسب نهاية الدكتور ابراهيم مع فظاعة الاعمال التي اقترفها فقد أثار الطائفية وأسهم في الشغب واحداث الفوضى وخان مسؤولياته ، وبعد هذا كله يغادر العراق الى الولايات المتحدة الاميريكية آمناً مطمئناً ليعيش هناك هنيئاً بما جمع من مال حرام . وهذا يناقض

(٢٦) عبد القادر حسن امين (القصص) ص ١٧٩ .

النهج التعليمي الذي أراد إبرازه في هذه الرواية بالذات، ويتنافى مع
المواعظ والنصائح التي زخرت بها روايته، ولكن رواياته لا تقدم لنا
هذه الشخصيات المتميزة فقط بل تقدم شخصيات عراقية صريحة لا
يمكن أن تنقلها إلى أي قطر آخر، وتتصورها هناك مثل شخصيتي
(سليم وزباله) الفلاحين و (صالح جبر) الاقطاعي في اليد والارض
والماء والشيخ اسماعيل في رواية (الدكتور ابراهيم) وغيرها من
الشخصيات، وهي فوق ذلك كله عراقية في صفات المشاكل الاجتماعية
التي تتحرك في داخلها ان مشكلة الأرض التي سلبها الاقطاعيون، والماء
الذي سلب والطريق الزراعي الذي اعطى للاقطاعيين والمظاهرات التي
حدثت ضد معاهدة (بورتسماوت) هي صفات واضحة للعراق ولا يخطيء
القارئ في ادراك ان العراق هو مسرح الحوادث وليست أي بلد
آخر. ولن يخطيء القارئ في معرفة زمن الرواية وهو المرحلة التي
اُعقبت الحرب العالمية الثانية وهو يضيف إلى ذلك تصويره الحسن
للريف العراقي بحيث نكاد نلمس سنابل القمح المزروعة في الأرض
الخصبة، ونشم رائحة ارضه وغباره، وينبض قلبنا فرحاً للأعراس
والاحتفالات الشعبية التي يقيمها الفلاحون في المواسم والأعياد ولكنه
يشوه هذه الصورة البديعة ببعض شخصياته الاصلاحية التي لا تنفك
عن التبشير والوعظ، والجدل والمناقشة.

وأغلب تلك الجدليات والارشادات كتبت بلغة مدرسية. « والتصقت
هذه المبادئ بالجرائد والمجلات وحقى بالكتب سواء كانت علمية أم
أدبية أم قصصية واستترت الاغراض الشخصية وراء هذه الكلمات وغدت
افعال تلك العبارات أسلحة ماضية بيد الأقوياء يقاثلون بها، يهاجمون

ويدافعون فيفوزون ويندحرون أما القضاء والعدل والكفاءة والمحاكمة المنطقية والعلم والنزاهة فلم يعد لها أثر لقد ضاع صوت العقل في هذه الزوبعة الهوجاء ولم يعد هنالك من يفتح أذنيه لسمع أو عقلاه ليفهم ورفع كل عقيرته ينادي على بضاعته ويشير لنفسه (٢٧) .

وبدت لذلك شخصيات المؤلف شخصيات تتسم بالطابع المسرحي في الحركة والحوار ، فأبطاله جميعاً باستثناء (سها) بطلة الرسائل للنسبية يصيرون دائماً في لهجة خطابية ورنانة ويتحركون دائماً بأسلوب دراماتيكي مصطنع ، وعلى سبيل المثال شخصية (سنية) التي أقمحها المؤلف في (اليد والأرض والماء) لتقوم بدور المرأة المتحررة ، فجعلها الخبيرة الاقتصادية التي تستطيع ان تكشف حجب الغيب ، وتنقد الوضع القائم على اسس علمية ، استمدتها من دراساتها المتصلة وجعل ماجد بطل الرواية المحامي وحامي الحريات والحقوق تلميذا المخلص يتلقى منها الوحي ، ويعمل بإشارتها وتنفخ في روحه الخزم والمثابرة .

أما هوية الكاتب الرئيسية فهي الاشتراك في المظاهرات ونقد الوزراء والانحاء باللائمة على من يتهم كل مصلح مطالب بحقوقه بالشيوعية الهدامة . فقد جند لها شخصية من شخصياته (سنية) المتفلسفة التي وقفت تخطب المتظاهرين خطاباً حماسياً ألهب الشعور واستدر التصفيق ، والفلاح المعجيب (سليم) الذي ترك الخقل وجاء الى بغداد في شأن من شؤونه ، فأسهم في المظاهرة ووقع جريحاً والى هذا الرأي ذهب عبد القادر حسن امين (٢٨) .

(٢٧) ايوب (الدكتور ابراهيم) ص ٢١١ .

(٢٨) المصدر السابق ص ١٨٣ .

وتبدو شخصيات أيوب الروائية في بعض الأحيان وقد فقدت فرصها، وارتكبت أخطاء شنيعة بالرغم من تكريسها لجهودها في سبيل تحقيق هدفها . وهذا ناتج عن تمسك الكاتب بالواقع ورسمه قدر المستطاع . فقد كان من الأفضل مثلاً لو نجح (ماجد) بطل (اليد والأرض والماء) ورهطه متخبطاً أشواك المجتمع صارعاً عوامل الجشع والانانية كما نجح عارف في (الرسائل المنسية) فذلك أجدد بخدمة اغراض الكاتب في الاصلاح .

والكاتب يصف شخصياته ويحدد بعض لمحات قشرتها الخارجية ، فهو يصف الدكتور ابراهيم على سبيل المثال بقوله « شديد السمرة ، مدبب الانف نحيف البنية في ميل الى الطول ويسير بخفة وحذر وبراقب بزوايتي عينيه دون ان يظهر عليه انه يراهم ترى ظل ابتسامة خفيفة على وجهه » (٢٩) . ويصف زوجة ابراهيم (جنى) بقوله « بنظراتها الرقيقة المنبثة من حدقتين زرقاوين ذواتي لون فاتح وكان وجهها رقيقاً وشفثاتها رفيعتين في طول لا يتناسب مع رقة الوجه والانف الاصغر وكانت رشيقة القامة لا تزيد في الوزن عن الدكتور ابراهيم ولكنها اطول منه قامه وكانت تتكلم بقوة وتظر في عين الانسان رأساً وتسوق الحديث بصراحة دون تستر » (٣٠) وسار في نفس الطريق في وصف والد الدكتور ابراهيم ووالدته ، وهذا ما فعله في وصف ماجد وسنية في اليد والأرض والماء ، وهو يعتمد احياً الى تعمق شخصياتهم واستيطان ما يدور في داخلها او تحليل نفسياتها وعواطفها ، فالدكتور ابراهيم يحدثنا عن احساسه بعد عودته من انكلترا قائلاً « وقد سلمت

(٢٩ - ٣٠) أيوب (الدكتور ابراهيم) ٢١ ، ٣٤ .

على اخوتي بشيء من الاحتقار ومع أن أبي كان يسكن في هذه المرة بيتاً كبيراً في الموصل فقد عفت ذلك البيت ولم احتمل البقاء فيه اكثر من يومين . اما أمي فقد علمت انها ماتت فلم اشعر بشيء من الاسف اذا لم اقل بأني سررت ولقد رأيت كثيراً من رفاقي وصحبي يوم كنت تلميذاً معهم فتجاهلتهم جميعاً » (٣١) .

ويصف عارف عواطفه نحو زوجته في رسالة بعثها اليها في الرسائل المنسية قائلا « اي سها انني لا أحبك ولا اشعر بميل اليك ولا اعجب بك . ولكنني اشعر بعطف عليك يقيدني الى حد الموت وكل ما اخشى هو ان أنور يوماً على القيد الذي كبلني فيتلاشى هذا العطف » (٣٢) . ولم يصور المؤلف قلق شخصياته وصراعاها العميق ، وانما يعرضها لمواقف متضاربة ، ولجملة من المفارقات المتكاملة ، يرجع فيها تغليب احد المواقف التي تقفها الشخصية ، كما فعل في رسم شخصية (الدكتور ابراهيم) او يجعلها تنهزم من الحياة عموماً . وتبدو هذه الخاصية التي تتسم بطابع المأساة في شخصية (ماجد) بطل اليد والارض والماء ، وشخصية (سها) بطلة الرسائل المنسية .

وتوجد في روايات المؤلف محاولة واضحة لرسم شخصيات منسقة يمنحها المؤلف خطأ لا بأس به من التماسك ، ويضفي عليها قدرأ من التطور كما فعل في شخصية (سليم) في اليد والارض والماء الذي نمت شخصيته من فلاح جاهل الى رجل مناضل نتيجة الأحداث التي مر بها . فقد بدأ من نقطة معينة هي تفتحه وتطلعه الى هدف يريد

(٣١) المصدر السابق ١٣١ (وكذلك) ص ١٧٨، ٦، ٨، ١٨٨، ١٩٩، ٢٠٠ .

(٣٢) أيوب (الرسائل المنسية) ص ٢٠ .

بلوغه ويعاني عذاباً كبيراً في سبيل ذلك ثم ينتهي الى الفشل ولم يبلغ
غرضه . وكذلك شخصية (عارف) الشاب المريض بالنرجسية وتقديس
الذات .

وتميل بعض هذه الشخصيات الى العزلة والانزواء مثل شخصية نزار
وسها ، وآخرين يعيشون في بؤرة الحياة ، يكافحون من اجل وجودهم ،
مثل الدكتور ابراهيم وماجد وسنية والشيخ اسماعيل وسليم وزباله ،
وهم محبوبون لأنهم صريحون لا يخافون في الحق لومة لائم (٢٣) . ولكن
هذه الشخصيات تفتقر الى الصيغة الانسانية فهم قسمان شخصيات خيرة
مثل ماجد وسنية وسليم او شريفة مثل الدكتور ابراهيم ووالده الشيخ
اسماعيل والاقطاعي صالح جبر . وتبدو هذه الشخصيات نماذج جامدة
لا تحركها العواطف الانسانية بل يد المؤلف . فهي تتحول على يديه
الى مجرد ادوات ورموز لتنتقل لنا افكاره وآراءه في الحياة والمجتمع
وربما نستطيع ان نفهمها فهما اوضح اذا قارناها به نفسه أو بموقفه
من الحياة ، والقسم الاخر من عالم أبوب ينحصر في الشخصيات الشريرة
وهم فريق رجال السياسة يحرص عليهم تصرفاتهم ويسجل مشالبهم
ويتعمق احياناً في سير نفوسهم لكشف عنصر الشر فيها وما انطبعت
به اعمالهم من اناية وخداع ، واغفال المصلحة العامة التي فرض عليهم
ان يسهروا عليها ، كما فعل مع الشخصيات التالية الدكتور ابراهيم
ووالده الشيخ اسماعيل والاقطاعي صالح جبر . وينجح الكاتب في
اثارة القارئ وملء صدورهم حقداً عليهم ، كما ينجح في اثارة الرثاء
المشوب بالازدراء تجري في اعقاب اولئك الساسة الذين تنكروا على

(٢٣) انظر عبد القادر حسن امين (القصص) ص ١٨٥ .

ما اصابوا من مفاهيم بعد الدرس والتحصيل العالى وتجاهلوا المثل
الاخلاقية العليا ، بينما يخلع على الابطال الذين يحبهم مثل ماجد
وسنية وسليم وحسام وعارف صفات تقربهم من القلوب وتحيطهم بهالة
من الاعجاب والاحترام ، وإن بدوا احياناً غربي الاطوار لا يستطيعون
التلاؤم مع الحياة .

ولفة الكاتب معبرة بصورة عامة ، ون كانت لا ترتفع الا قليلا
عن الاسلوب الصحفي البسيط . ولا يخلو اسلوبه من اخطاء لغوية ومرد
ذلك الى سرعته في النشر ، فقد استعمل كلمة (المؤجر) يريد بها
(المستأجر) لأن المؤجر الحكومة التي اجرت الارض والمستأجر هو
ماجد وليس مؤجراً (٣٤) . واللفظة يجب ان تحرص على الا تطفى
الكلمات الشوهاء على كتاباتنا تلك الكلمات التي توجد في الأرض
القاحلة للاستعمال الرسمي والتي تحملق نحونافي صفحات الجرائد
واعمدتها (٣٥) .

وليس من السهل ان نقول ان لأيوب أسلوباً خاصاً به لانه ان اديب
كثير القراءة تمتزج مطالعته بعضها ببعض فتتال في كل فترة من
حياته نصيبها في خلق لون من الادب . فقد اصطنع لنفسه اول الامر
أي في فترة ما بين الحربين أسلوباً سهلاً لا يابه باناقته ، وما ل اخيراً أي
بعد الحرب العالمية الثانية الى اسلوب رصين يحرص أشد الحرص على
سلامته واناقته واصالة جرسه .

ونمت دعائته ورقته وغلب طابعها على كتاباته كلها ولكنها لاتجود

(٣٤) انظر عبد القادر حسن امين (المصدر السابق) .

(٣٥) فيرا انبرا (انا ومهنة الادب) مجلة الشرق العدد (٦) ١٩٥٧ .

الا عند رسم اللوحات المستمدة من وصف الاشخاص لا من تركيب
الحوادث فهو يسخر من الدكتور ابراهيم بقوله « وكان اكثر الجميع
اهتماماً بالدور الذي اسند اليه فقد شرع بتنفيذ مهمته فور خروج
زائريه فحبر مقالة ضافية ينتقد فيها شؤون الزراعة ولم يعتمد على احصاء
او تقرير او بحث او تحر ذاتي فهو اكبر من ان يعتمد على مثل هذه
الامور والا فما فائدة الشهادة العالية» (٣٦) .

ويستعين بمثل هذه السخرية للنيل عن يضعه هدفاً لنقده ، وقد
يسف احياناً في نقده بذكر نعوت مختلفة مثل قوله وهو يصف خصام
مراجع مع الدكتور ابراهيم في دائرته « ورفعه عن كرسيه كما يرفع
جرؤا ورمى به الى الارض » (٣٧) .

ولم يكن ثمة مناص من ان يصبح ايوب مالكا لزام السخرية
اللاذعة وأن يسود فيها لانه استهجن كثيراً من التقاليد والاتجاهات التي
كانت سائدة في مجتمعه ، على انه مع استهجانه للكثير من هذه التقاليد
والاوضاع لم يكف عن ابداء مظاهر الاعجاب ببعضها الآخر ، ومن
اجتماع هذا الاعجاب والاستهجان ولدت السخرية في نفسه ، ولكن
اشد السخرية واكثرها ايلاما تلك الصور الفارقة التي يوفق الكاتب
الى رسمها أحياناً « . . . وشكت امرأة زوجها الى الفتاة وأدعت بأنه
لا يحبها لانه شيوعي وشتتم ضابط الشرطة احد المتهمين بهذه التهمة
بقوله : أدبسية ليننكراد كاعد بيموسكو يشرب عرق وانتم تبشون الدعاية
هنا . وانتهى لواط من اللواط بفلام وخرج توأ فاجتمع برقيق كان

(٣٦) ايوب (الدكتور ابراهيم) ص ١١ .

(٣٧) المصدر السابق ص ١٦ .

يقرأ مقالاً في السفور وتحييده فصاح بوجهه : اما تستحون من مطالعة هذه الوريقات التي تنشر المبادئ الشيوعية والاباحية « (٣٨) .
وفي هذه الروح الساخرة تكمن المأساة فسخرته نابعة من الالم الذي يعيشه الشعب العراقي مقيداً بقيود اجتماعية وسياسية ثقيلة . أما حوارهِ فيشف عن تمكن المؤلف من استخدام الحوار وقدرته على ادارته رغم ما يلوح بأنه يعبر عن افكار محدودة ، يوزعها بالتناوب على ابطاله ، لكى يصل من خلال الحوار الى ما ينبغي عرضه من آراء وافكار اصلاحية وإن عد ذلك ضعفاً في البناء لانه لا يساعد على رسم الشخصيات وتطور الحدث .

وقد استخدم المؤلف حواراً بلغة سليمة سهلة ، تجمع بين رصانة الفصحى ومرونة العامية ، التي يسمونها (باللغة الوسط) وهذا حوار حسن ولا سيما وان ادبنا العربي ينتشر في جميع الدول العربية التي تربطنا بها اساساً اللغة العربية . والكاتب الماهر هو من يستطيع ان يطعم اللغة بخصائص لغة الافراد او المقاطعات ، على ان يدخلها في روح اللغة العامة ، ومعنى هذا هو ان روح اللغة - أعني خصائصها المميزة - يجب ان تحترم حتى في الحوار الواقعي نفسه « والواقعية الحقيقية ليست في الالفاظ وانما هي الآراء . فالكاتب القصصى الذي يقتصر في تصوير شخصياته على الآراء الواضحة التي تبدي عادة ، لا يؤدي رسالته ، اذ من واجبه ان يمد يد جريئة تفتح الابواب وتشق الحجب » (٣٩)
وقد جعل ايوب شخصياته تتكلم بمستوى لغوي واحد في بعض

(٣٨) المصدر السابق ص ١٦ .

(٣٩) جورج ديهامل (دفاع عن الادب) ص ٢٢١ ، ٢٢٣ .

المواقف وخاصة اذا كانت اللغة المستعملة غير العامية التي نتكلم ونفكر بها في الحياة ، فيهدم اسمها الواقعية التي هي السبب في كيانه لأن الحدث انما يقوم على الاشخاص وتفاعل بعضهم مع بعض فان جاءت محاكاة الاشخاص ناقصة جاء الحدث ناقصاً وبالتالي انعدمت الواقعية . ولعل السبب في ذلك ان كتابنا ومنهم المؤلف لم يتخلصوا بعد من المفهوم القديم للادب الذي يقوم على الصياغة اللفظية ، وهو يختلف تماماً عن المفهوم الذي قامت عليه الرواية في الادب الغربية ، وهي الرواية التي يحاول كتابنا تقليدها . يصف الكاتب مادار في اول لقاء للدكتور ابراهيم مع اهل صديقه (تومي) في انكلترا « وخاطبت اخاها قائلة : لست اغتفر لك ان يكون لديك صديق عربي جنتلمان فلا تعرفني به الا بعد هذا الوقت الطويل . فأجاب ضاحكاً : لم ار منه ما يشجعني فقد كنت الاحظ نفوره من الاختلاط بالفتيات وكنت ارى وجهه يحمر حتى الاذن عندما يتكلم مع احدي التلميذات فلم ارد ان ازعجه ولكن لم اكن اعلم انه فارس موفق الى هذا الحد في ميدان اجتذاب القلوب فحذار يا (جني) انه فارس عربي من اسرة عريقة ، فأجابت (جني) تالله ما اخيبك . وأجبت على الفور : ان الأنسة لتجذب القلوب النافرة وتطلق اللسان المتلعثمة انها لا تتكلف ولا تتمجرف وان رقتها لتفيض فتعدي . وصاحت الفتاة بأمرها : ماما او تسمعين بأي لغة يتكلم هذا الفارس العربي الغزل ؟ . ونظرت الأم الى الاب وقالت : ما اسرع مانألقا تالله من كان يظن ان عند العرب مثل هذه اللباقة . كم من الزمن قضيت في لندن يا بني ؟ . فأجبتها متباهياً : سنة واحدة ياسيديتي فصاح الاب : آه ان من يراك يظنك قد ولدت وترعرعت في هذه

البلاد ولولا لونك الاسمر لما استطعت ان اعلم انك عربي .
وقالت الفتاة : كم اتمنى ان يكون لي لونه اذن لأصبحت فتنة
في هذه البلاد ... » (٤٠)

ويشبه ايوب محمود احمد السيد في انهما لا يكتبان الا ما يريانه
ويلمسانه . وتعد كتابات ايوب امتدادا لكتابات محمود السيد لأنهما
سلكا طريقاً واحداً في كتابة الرواية بهدف الاصلاح الاجتماعي ونقد
الايضاح السياسية في العراق ، قبل اهتمامهما بما يستلزمه الفن وهما
يتشابهان في كتاباتهما بما فيها من صدق وتجارب شخصية وتشعرك
اللغة او الكلمة ان مشاهداتهما قطع من نفسيهما ويجاريهما في ذلك
جعفر الخليلي ، الا أنه يختلف عنهما ، لأنه قصر اهتمامه على الظواهر
الاجتماعية دون ان يسلك دروب السياسة في كتاباته كما فعلا .

ولذنون ايوب فضل كبير على القصة العراقية فقد ضرب للمقصيين
العراقيين مثلاً رائعاً للكاتب كي يخلص لغته ويوقف عليه همه ، وقد
استرعى المؤلف منذ ان نشر مجموعاته القصصية وروايته الدكتور
ابراهيم في الثلاثينات انتباه مواطنيه لبساطة موضوعاته وانجاهاته الثقافية
والتعليمية ، كما لفت نظر النقاد للسبيين السابقين . وحمل المستشرقون
اسمه ومؤلفاته الى بلاد اوربا وخاصة روسيا فعرفت بفضلها شيئاً من
الادب العربي في العراق .

وظهرت رواية خالد الدرة (افول وشروق) عام ١٩٥٣ . وقد اختار
الكاتب لها هذا الاسم لانه يتسق مع فكرة الرواية كما يقول بأن ثمة
فتاتين حسناوين اولاهما ثرية من عائلة عريقة وثانيتها خادمة ربيبة

(٤٠) الدكتور ابراهيم ص ١١٦ - ١١٧ .

في نفس هذا البيت الثري العريق . تطورت بهما الأحوال ، فاذا بالاولى تسير بها المزالق حتى تؤدي بها الى وهدة ننته ، ويأفل فيها نجمها ، واذا بالثانية تنتشلها الاقدار رويداً رويداً حتى تسمو ويشرق سعدها (٤١) .

ورقعة الرواية واسعة جداً ، يبدأها الكاتب في اواخر العهد العثماني ويتجاوز بها مرحلة الحرب العظمى الاولى . ويستعرض الكاتب التطور الذي طرأ على الأسرة الكبيرة الثرية ، اذ ينقلب حلمها من هدوء وعيش مطمئن ، الى صخب الحننلات فيباح فيها ما هو محرم كعاقرة الخمر ولعب الميسر وانفصام الرابطة الزوجية ، مع تحول مفهومها الى ما يشبه مفهوم الشؤون التجارية ، القائمة على المصلحة المشتركة .

وقد ربط المؤلف كل ذلك بخيط واحد ، هو الحب الذي الهب غرائز (شامل) تجاه خادمتهم (فاطمة) التي مالبت ان تركت الدار بعد ان غرر بها ابن سيدها ومضت بها الايام حتى اصبحت مغنية مشهورة ردت عنها حبيبها القديم (شامل) وابقتة تعيساً في جحيم غرائزه الملتهية . وقد تجنب الكاتب العنف في اثاره العواطف فالحب بين شامل وفاطمة حب جسدي آلى . وقد تعرض الكاتب في روايته لمشكلة البغاء في العراق وهي مشكلة تعرض لها اغلب القصصيين العراقيين وعلى الاخص في مجال القصة القصيرة (٤٢) وهي مشكلة خطيرة تجابه البلد الناشئ ، ولكنه اسرف في وصف (الشروق) الذي احيطت به

(٤١) خالد الدرة (أفول وشروق) ص ٤ .

(٤٢) انظر رسالتنا في الما جستير (القصة القصيرة في العراق بعد الحرب العالمية الثانية) .

فاطمة بعد سقوطها باكتساب المكانة الكبيرة ، والمنزلة المحترمة في عالم الفن والشهرة ، وهو بهذا يخالف تقاليد المجتمع الراهن واعرافه (٤٣) وقد حاول المؤلف ادخال القارىء في عالم مرئى من الاشكال والالوان التي تعكس الروح العراقية ، كما عمقت الاوصاف البيئية الجغرافية الحقيقية الانسانية ووضعها في موضعها وخلقت الصدق والدقة فقد تضمنت الرواية صوراً مستمدة من محيط بغداد والبصرة ، تشابكت فيها العادات واختلطت الصفات ، وساح بنا الكاتب بين الطبقات الغنية السائدة والطبقات الفقيرة المسودة ، وصف افراح ابنائها وميولهم ورسم عاداتهم وأهوائهم « وفي بداية الزقاق المؤدي الى دار الوجيه برهان الدين يوجد دكان ممانع الكباب - علي ازغر - الايراني وكثيراً ما يرى هذا الرجل الاحدب منهمكاً بمروحة لاعداد الكباب للمغرباء من النازحين الى بغداد من نواحي العراق المختلفة فما كانت بغداد تعرف المطاعم الأنيقة كما هي عليه الآن وكان الدخان يتكاثر حول الأجراس المختلفة الحجم (. . .) يعلن بواسطة هذه الاجرس عن بضاعته . . . » (٤٤) . وتنبهياً للكاتب ان يرسم لوحات زاهية الالوان ناطقة بالصدق . عندما صور انحلال الطبقة الغنية في العراق وبشر بزوالها الناتج عن تفسخها واضمحلالها ، فلم يجد شامل بطل الرواية ما ينفقه على موائد القمار غير سرقة مدخرات امه ، أما اخته المدللة فلم تجد غير الفسق والفجور وسيلة لقتل سأمها وضجرها . ورسم الكاتب كذلك لوحات تمثل الواقع اقوى تمثيل ، فحدثنا عن دقائق العادات في البيئة العراقية « لهذا السبب كانت البغدادية تفتنم

(٤٤) لافول والشروق ص ١١. (٤٣) انظر عبدالقادر حسن امين (القصص) ص ٢٠٥.

الفرصة حين يخلو الطريق من الرجال لا كل المارة ، ولا تعيد الحجاب الى وجهها الا اذا مر رجل محترم تقنع انه في عداد الرجال . . . اما الرجال العاديون فما كان النسوة المحترمات ليأبهن منهم وما كانت ايديهن ترتفع لاعادة الحجاب من اجلهم» (٤٥) .

ولانصور واقعية الكاتب الحياة بخيرها وشرها تصويراً تسجيلياً ، وانما تفهم الحياة وتفسرها من وجهة نظر خاصة ترى منها مطامح الطريق لتنتهي الى خلق الاثر الذي هو في الظاهر يماثل الواقع ، ولكنه في الخفاء يفصل عنه انفصالاً تاماً .

وجوهر واقعية الكاتب في روايته (افول وشروق) ليس ما يحدث بالفعل بل الكشف عن الدلالة الكبرى لما يحدث ، فهو ينظر الى الانسان لا على انه صورة ترسم للمتعة والتسلية ، بل باعتباره كائناً اجتماعياً متطوراً وان تطوره يكون بتحسين واقعه وتبنيه الفرص لكي يستكمل سيادته في الحياة .

ويعيب رواية خالد الدرة ، التعليل والاستطراد ، فاذا تحدث عن شأن من الشؤون ، وأحس بأن القارئ قد لا يكون في جانبه . أو قد لا يؤمن بما يقول ، مضى بحماسة يسرد العلل والاسباب ويبسط الامر بسطاً ، دون أن يدرك أنه بعمله هذا ، قد ابتعد عن فنية الرواية واقترب من روح البحث العلمي ، مثال ذلك براهينه التي اوردتها ليؤيد رأيه بأن جمال المرأة العراقية فريد في بابه لا يدانيه اى جمال على وجه البسيطة (٤٦) .

(٤٥) المصدر السابق ص ١٣ - ١٤ .

(٤٦) المصدر السابق ص ١٢٧ .

اما الاستطراد فيتجلى في ميله الى اشباع الموضوع والاحاطة بأطرافه
 كلها ، حتى ينسى في كثير من الاحيان ، ما كان قد بدأ به اول مرة (٤٧).
 فقد تحدث عن المنافسة التي قامت بين عباس السوري والدكتور زيدان
 في خطبة (قصيرة) وكيف انتهت بانتصار عباس ، يؤيده ثراؤه وجاهه
 المزيف ، وانخذل الدكتور زيدان الذي نشأ فقيراً من الجاه والمال ،
 فلا يكتفى الكاتب بأن يجمال الامر اجمالاً ، بل يستطرد الى بحث
 طويل يتعلق بحياة عباس السومري ، ثم يتركه ليعود بعد حين الى
 الدكتور زيدان فيسهب في الحديث عنه ، مع ان القارىء سبق واحس
 بانتقال الكاتب الى مرحلة اخرى من تطور هذه العائلة ، فلم تكن
 هذه العودة المفاجئة الا فضولاً وحشواً . وقد يدفع هذا الحشو الكاتب
 الى مستوى هابط يعتمد فيه التكرار والافاضة بغية الاثارة السطحية
 ولا ريب ان الصورة النمطية المصممة للحدث تتطلب مهارة فنية بينما
 الصورة الهامشية السريعة المكررة لانستوجب قدرة فنية . فمأساة الأم
 (زنوبة) تتكرر على ابنتها (فاطمة) في شخصية اخيها غير الشرعى
 (شامل) . ومن خلال عرض الكاتب للحوادث المكثفة المتتابعة
 المتكررة يفقد عنصر التشويق الفنى وكأنه يسرد تاريخاً لأسرة عراقية
 غنية ، وعندئذ يتدخل الكاتب نفسه ليخبرنا عن وجهة نظره ، أوليربط
 بين الاحداث المبعثرة « وللقارىء ان يتساءل كيف تم لعلى ازغر ان
 يرى شفيقة هانم وان حجاب المرأة المسلمة كان على اشده في ذلك
 العهد المظلم ؟ وللاجابة على هذا السؤال علينا ان نتطرق الى عادة

(٤٧) المصدر السابق ص ٩ ، ١٥ ، ٢٢ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٣١ ،

١٢٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٧ ، ١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٦٠ .

عربية وها نحن نستمع الى حوار جرى في دار شفيقة هانم وابنتها
وابنتها لتعرف الى ما انحدروا اليه من هوان ولبعد مرة ثانية الى نفس
المقصورة حيث كانت نصيرة واخوها « (٤٨) . والى هذا الرأي ذهب
عبد القادر حسن امين (٤٩) .

وهذا ما يدعو الى اعادة النظر في بعض الفصول لتجمع الشتات في
مكان واحد ، تتقارب فيه وجوه الشبه وتتلاحم الصلات .

وقد وهب الكاتب شخصياته الحياة عن طريق رسم الخطوط الخارجية
والداخلية لها ، حتى تظهر وتبرز ملامحها . وهذا الرسم يحتاج الى
دقة ملاحظة وبراعة في الوصف حتى تتجسم الشخصية في خيلة القارئ .
(فبرهان بك) « رافع الرأس معتدل القامة مهيب الطلعة مفتول
الشاربين الاشقرين اللذين يزينان وجهه الوردى ويتسلط عليهما أنفه
القفقاسي المستقيم وتطل من فوقه عينان عاديتان تنطقان بمعاني الدهاء
وكثيراً ما ينطبق عليهما حاجباه الاشقران الكثبان تنطقان بالمرء ،
وكان يلقت النظر بملابسه الافرنجية التي لم تكن مأوفة في ذلك
الوقت الابين الموظفين ورجال الجيش والبوليس » (٥٠) اما زنوبة « فقد
علا نهداها وتورد خذاها وافرع جسمها المشوق وتسربت الحمرة على
شفتيها المترعتين . وحسن هندامها مما كانت تغدقه عليها سببت لها من
ملايسها الحريرية الانيقة » (٥١) ويستمر المؤلف في وصف شخصيات

(٤٨) المصدر السابق ص ١١٨ ، وكذلك ص ١٣ ، ١٢٥

(٤٩) عبد القادر حسن امين (القصص) ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٥٠-٥١) المصدر السابق ص ٩ ، ١٦ .

الرواية وصفاً خارجياً وثيقاً ، ويجيد في وصف التطور النفسى (فاطمة) وتساميها ، حيث تشمئز من التدهور الخلقي الذي انحدرت الاسرة اليه تلك الأسرة التي ولدت فاطمة في بيتها خادماً . كما وفق الكاتب التوفيق ذاته في رسم مراحل الانحدار الذي انساقت نصيرة اليه حتى امست اقرب الى المومس منها الى المرأة الشريفة ذات الصون والعفاف .

ومن ناحية اخرى نجد ان الشخصية عنده لم تعد مجرد شبيهة نستمتع به ، بل غدت الشخصيات فعالة تؤثر في الاحداث وتخلق المشاكل ثم تحلها فيما بعد في ظروف مغايرة . فعندما يغتصب شامل خادمتهم فاطمة ، تهرب من دار سيدها وتتلفقها دور البغاء وتبدل اسمها باسم (سهام) ، وتتحدد على الفور معالم لقائها التالى مع شامل . ويبدأ الحدث تطوره من خلال التوتر المتغير بينهما ومن خلال بعض الوقائع القليلة من جانب الشخصيات الاخرى . وهكذا يخلق التوازن بين كل عناصر الحكمة ويشكلها . فليس هناك اطار خارجي ولا مجرد حبكة آية ، بل كل ما هنالك شخصية وحدث في الوقت نفسه .

وتنكتشف الشخصية عند الكاتب في صميم مفهوم الزمن ، ويتحدد به مصيرها آخر الامر فنجد ان (فاطمة) خادمة كامها تمنح جسدها لسيدها (شامل) كما فعلت امها (زنوبة) مع ابيها (برهان بك) ولكن الزمن تغير بين جيلين فهي لانقبر نفسها كما فعلت أمها باستمرارها على الخدمة في دار سيدها ، بل تترك الدار لتشق طريقها في الحياة . ولم يتح لها الزمن غير العهر . ولكن ما ان تلمع في عالم الغناء حتى تنغير تماماً وتنقلب الى امرأة اكثر نبلا من سيدها القديمة (نصيرة) التي دفعت بحكم الزمن والاحداث الى قتل فراغها بالفجور والتهتك

فكانت اشد عهداً من العاهرات أنفسهن .

وجميع شخصيات المؤلف تعاني الالم وتعارض تجارب قاسية مريرة على الاغلب ، ولكنها مع ذلك لا تكاد تعرف اليأس او الانهيار . وأغلب هذه الشخصيات تعرف كيف تصمد وتقاوم وتستقبل حياتها بصدر منشرح وآمال كبار . فقد كان المؤلف مشبعاً بالحياة والتفاؤل الذي يمثل الروح العراقية ، ولم يكن نقده للحياة الطبقة الفنية الانقد الرجل الواثق من مثله الاعلى .

أما اسلوب الكاتب فلم يبرأ من الاسلوب الصحفي البسيط والمعجالة الصحفية مثل قوله « ولا حاجة بنا ان نصف حفلة المهر وما اعقبها من حفلات ساهرة ، ودعوات عامرة ، مادمننا قد ذكرنا مبلغ ثراء ووجاهة الطرفين ، وما اشتهروا به من اسراف وتبذير » (١) . وبدا غير مفهوم ان يصف الكاتب - على ازغر - بائع الكباب صاحب الخلقة الدميعة ، بندي العيون السود والانامل الرشيقة ، كما انه من الصعب ان ينفس انسان عن قلقه النفسى بالنظر الى امرأة ، نظرات شهوانية تائهة .

وقد يرجع تأثر الكاتب بأساليب الصحافة الى اشتغاله بالعمل الصحفي ، فقد كان يصدر مجلة (الوادي البغدادية) وصرح بذلك في مقدمة الرواية حيث قال : « ولما كانت الاسباب التي نوهت عنها لم تسعني باتمامها في فرصة واحدة ، لان امد تعطيل المجلة ينتهي فأعود للانصراف الى عملي الصحفي فأنسى هذه القصة وتتبعثر اوراقها وتضيع

(٥٢) المصدر السابق ص ٥٩ .

او يضيع قسم منها ولا اعود فيها الى التفكير الابدع ان تغلق الحكومة
بجلتي واعدود الى الاعتكاف في داري فابدأ بجمع ما تبعث من اصول
هذه القصة ، وابدأ بكتابة فصل منها حين تتوق نفسى للمكتابة ، وكثيراً
ما يكون الفصل الذي اكتبه بعيداً عن تسلسل هذه القصة «(٥٣) . وقد
جعلته ذلك ينسى انه اخبرنا ان شفيقة هانم بنت قصرها لها جديداً
وانتقلت اليه في حين ان حديثه في اواخر القصة ، يشعر القارىء بأن
الاسرة مازالت في الزقاق الضيق من الحى القديم (٥٤) . كما يفهم من
بعض العبارات التي ساقها (٥٥) الكاتب ان شامل قد اعتدى على عفاف
(فاطمة) قبل ذهابه الى بيروت مع انه ذكر(٥٦) ان الامر قد حدث
بعد عودته من بيروت وقد كتب خالد الدرّة سيرة ذاتية باسم (المشعوذ)
تحدث فيها عن ذكرياته عند ما كان طالباً في كلية الحقوق العراقية
وبعيب هذا الكتاب ان المؤلف لم يعرف فيه الاقتصاد في الكتابة ، ولم
يفرق بين التفاصيل الهامة التي تعين على خالق العمل الفنى السليم
وبين التفاصيل الثانوية التي ينوء بها العمل الفنى . فهو يصف لنا
دقائق حياة شخصياته ، فيحدثنا عن استاذة في الكلية حديثاً مسهباً عن
ميواله واتجاهاته وملبسه ومطالعاته وانفعالاته ولحظات سروره وحزنه مما
يبعث الملل في نفس القارىء ويدفعه الى العزوف عن اتمام قراءة
الكتاب .

(٥٣) المصدر السابق ص ٤ .

(٥٤-٥٦) المصدر السابق الصفحات على التوالي ٣٤ ، ٥٢ ، ٤٠ ، وانظر

رسالتنا في الماجستير .

وصدرت للدرة كذلك مجموعة قصص قصيرة باسم (طبيعة الاشياء)
اما كتابه (في قفص الاتهام) الذي ظهر عام ١٩٤٧ فهو مقالات
ومحاضر محاكمات ، اجراها الكاتب بأسلوب قصصي لبعض الشخصيات
الكبيرة في العراق ليتخذ منها وسيلة للتشجيع .

ويعد فؤاد التكرلي (١٩٢٢) من افضل كتاب القصة العراقية في
قصته الطويلة (الوجه الاخر) عام ١٩٦٠ (٧٥) . وقد درس التكرلي القانون
وشغل مناصب عدة في وزارة العدل العراقية . وقد دفعه شغفه بالادب
الى كتابة القصة وبدأ فيها بداية حسنة ، اعجب بعبد الملك نوري
وقلده في اقصيصه مستمداً مادته من اللاوعي يرددها على شكل ذكريات
يؤلف بين اجزائها بخيوط من واقع البطل .

تعرض القصة هذه في قسمها الاول ملامح شخصية - محمد جعفر -
خلال مسيرته الصباحية - في شارع الرشيد - متجها الى محل عمله وخلال
عمله في دائرة حكومية واحاديثه مع الموظفين . وزوجته حامل مشرفة على
الولادة ، ولكنه لا يملك دراهم لنقلها الى المستشفى . وهي تطالب
اليه ان يعود بها الى اهلها تضح عندهم ولدها البكر ، ولكنه يرفض
طلبها لان اسرتها فقيرة . ويعيش محمد جعفر في دوامة من المشاكل
تنتهي بولادتها طفلاً ميتاً ، واصابتها بالحمى بعد حمى نفاس قوية .
وما يلبث محمد جعفر ان يسأماها ويهجرها بعد ان يحب - سليمة - ابنة
صاحبة الدار التي ينزل فيها ، ويحس في جسدها الدفء الذي افتقده
في جسد زوجته . ويمثل محمد جعفر الشباب الضائع في العراق جيل
ما بعد النكسة ، فقد حدث له يوماً ان ادرك انه لا يكتب الا لانه

(٥٧) درسنا قصة (الوجه الاخر) على انها قصة لارواية .

يكتب ، ولم يكن يدري بالضبط لماذا يكتب او لماذا يجب ان تكتب
على الاطلاق ! .

وكانت هذه الفكرة هي مبدأ التلاشي عنده بقييم لم يكن يملك
سواها يوماً من الايام ، وبقى جاهلاً بعد ذلك أكان انقطاعه عن
الكتابة ارادياً ام انه المعجز الابدى الذي يتسلسل بجفاء ويقضي على
كل شيء (٥٨) أليس عبثاً ان يفكر الكاتب بهذا الشكل ، ثم أليس
غريباً على الكاتب الملتزم ان يتهاوى ويهرب من محاولة انقاذ شخص
يحتضر في الشارع ؟ ثم يتساءل وهو يجلس في عربة عامة : ماذا يعني
كل هذا ؟ هو ببساطة نقصان في تكوينه الخلفي اما ماذا يعني (٥٩) فهو
يبرر بهذا تصرفاته الخاطئة (٦٠) .

وحينما كان ينتظر ان تسترد زوجته وعيها بعد موت الوليد احس
بنداء الجنس بشكل مسهور يود ان يلتهم كل فتاة ، من سليمة الصغيرة
الى فتيات العربة العامة . كان يسير في الشارع ويفكر بأن الآخرين
ممزولون عن محنته . « الشك المستديم في الا تكون بشراً ومن يدري
فقد لا نستطيع كلنا على الدوام ان نثبت حقيقة اخرى تنقض هذا
الشك انه الوجه الاخر الهارب منها على الدوام » ويسخر من الشرف
قائلاً « ان الشرف لا يوقف آلام البشر ، ولاحتى آلام فرد ، ولكنك
تستطيع ان ترفض هذا الالم بضمير مطمئن وأنت في فراش وثير دافئ
وبين احضانك امرأة نضرة ستكون انذاك رغم أنف الاخلاقيين انساناً
شريعاً . يا للسخف » من الذي يدفع محمد جعفر الى الحديث مع نفسه بهذا الشكل

(٥٨ - ٥٩) فؤاد التكرلى (الوجه الاخر) ص ٩٣ ، ٩٠ ، ١٢٣ .

(٦٠) انظر باسم عبد الحميد حمودى (في القصة العراقية) ص ٣٦ - ٣٧

أهو عمى زوجته الذي جاء اثر ولادتها المجهضة ؟ انه يفكر قبل ان
ينام ان يعيش عمى زوجته ولكنه لا يتمكن من معاينة هذه الفكرة
بسبب خط سيره الاناني الملتزم للفردية ولرفض اشياء مجتمعة كثيرة .
ان المؤلف يرسم صورته بصبر ودقة ، وبطله يفكر بصبر وهو يلقي
عليه الاضواء اكثر من اي شخصية اخرى في الرواية ، ويدفع له دائماً
بمقويات فكرية في الرفض وعدم الرفض في الماضي والحاضر . فالعالم
كله مربوط بزوجه العمياء و (بكومبيالات) سيد موسى الذي تزوج
سليمة (٦١) .

وقد جاءت صورته واضحة المعالم غير متشابكة الخطوط ، مشرقة
صادقة تفيض بالحياة والحركة تحمل القارئ على الاندماج بها كل
الاندماج لانها تذكره بعالم ماقتى يعايشه ويعمهده . فهو يجيد تصوير
الزوجة العمياء وهي تبكي وتصرخ متألمة لانها سمعت ان سليمة قد
ارتدت حليها . حركة اصابعها المتشنجة هذه تدفع الالم فوراً الى نفس
القارئ . وزوجها المفكر يرهقه دائماً نداء الجنس فيحاول ربطه
بمسألة اقناع سليمة بأن تدفع زوجها المرابي العجوز الى تأجيل عملية
دفع ثمن الكومبيالات . وهو يحاول ان يشعر نفسه بأنه يؤدي خدمة
لسليمة اذا اتصل بها جنسياً ، ولكنه يفشل فكريباً وعملياً ، ويروح مع
افكاره التي يدخلها المؤلف بصورة واضحة حتى في فراش البطل .
ويحاول البطل في النهاية ان يكون منطقياً مع نفسه ومع المجتمع
ومع تفكيره . ان الذي يهيمه تحقيق فكرة لا تمس احداً غيره ، وهو
يريد ان يعمل شيئاً لا يمس احداً غيره . وهو في هذا لا يصغي لنداء

(٦١) انظر باسم عبد الحميد حمودي (المصدر السابق) ص ٣٩ .

أحد سواء ، طلق زوجته وأوصلها الى بيتها دون ان تعلم انه فعل ذلك . حاول ان لا يحتك بسليمة اول الامر ولكنه نجح بعد ان اعطته موعداً في منتصف الليل ، لم يستمع الى كلمات اسماعيل عامل المقهى فسار في الشوارع « كان يمشي بتناقل ويحاول ان يعرف سر فرحته بمنتصف الليل » . منتصف الليل يعني سليمة ، يعني النهاية المنطقية التي ارادها البطل لنفسه ، لقد برز وجهه الآخر مدلى بأفانية . ونحن لا نكتشف معنى للمجنس في قصة التكرلى ، ولا تفسيراً لأزمة الجنس فيها ، ولا علاجاً لقضية الجنس عند الاجيال المعاصرة . أننا نكشف تحليلاً واعياً للطبيعة الانسانية في الفرد ، واحاطة شاملة بالعناصر المكونة لهذه الطبيعة ، ثم ابراز الجنس كعامل ايجابي يدفع الانسان . غير ان هذه القوة الدافعة تصطدم دائماً بالنماذج التي تعيش حياتها في غيبوبة انحطاط العيش والوعي ، تصطدم بجذر سميكة تدين صاحبها وتخطط لحياته بلون المأساة . مأساة التناقض المرير بين العناصر الأضياء في طبيعة الفرد ، وهي تستمد القليل من مأساة الوجود الانساني والكثير من مأساتنا الاجتماعية ثم تنفرد في النهاية بخصائص ذاتية مستقلة نابعة من ضراوة الصراع الذي لا يحل بين الانسان ونفسه وبين الانسان والمجتمع وبين الانسان والطبيعة . ولا يصبح الجنس على هذا النحو وحشاً ضارياً ، لانه لم يشكل في ذاته جوهر المأساة وان كان احد معالمها الرئيسية . ولقد استوحى المؤلف أحداثه وشخصه وافكاره من زاوية واحدة من جانب واحد . فهو يجز شخصياته الى فلسفة وجودية يتكى عليها ، ويجري الحذف والزيادة بمقتضى هذا المفهوم . واكثر ما تبدو هذه الاضافات في الجانب النفسي في القلق والتردد والارتعاش والخوف والاحجام والكتابة (ان حياة الانسان امام الموت شخص لا معنى له

ومي بدونه مأساة مريعة لا يطاق التفكير فيها - ماذا يمكننا ان نعمل امام الانسان الذي ستكونه ؟ انه مخلوقنا وهو الآله الذي لا يرد - وكذلك الماضي وما يهم حقاً هو - الان - واكتننا لانتجرد وتنفض الماضي او تلك العملية الآلية الحيوانية - انه محكوم ان يعيش وان يشابههم . ويتميز المؤلف بأن صورة الفئمة سواء كانت لشخصياته ام لاحدائه ، تحمل في رحمتها معنى الشمول وسمته الواقع ، فهو يتوخى دائماً ان يكون التركيب العام للمصور منتزعاً من صميم الواقع بحيث يمكننا ان نجد صنواً لشخصياته في الشارع اذا ما نزلنا اليه ، فنحن نألف شخصيات مثل محمد جعفر واسماعيل خادم المقهى وأبو خليل الموظف القديم وعبيد الفراش وسيد هاشم المرابي وام سليم صاحبة الدار التي تؤجر غرفها للزلاء البسطاء وايتهما الرقيقة سليمة .

ومعظم شخصيات التكرلى مستديرة بمعنى انه يستطيع ان يعطينا كل جوانب هذه الشخصيات ، وكل ما تحمل من آراء وافكار تلزمها على الدخول في صراع مع الوجدان والمجتمع . فقد رفض - محمد جعفر - مثلاً ان يموت كالبله مع زوجته العمياء رغم ان عماما كان بسببه ، ورفض ان ينقذ الرجل الذي يحتضر، ورفض ان يستمتع الى نساء اسماعيل ، ورفض كل شيء الا نفسه .

وشخصيات الكاتب مهذبة في حياتها لا تلقى الا ما يؤذي ، وما يعاكس الرغبات والآراء ، ولا تلتفت اليها الحياة بعين ولا تكاد تشعر بوجودها ولا تشعر بأن لها حقاً في العناية والرعاية ، ان اصحاب هذه الشخصيات ضائعون شاعرون بهذا الضياع ، ويبدو عليهم انهم يبحثون

عن سر ما يلقون وكثيراً ما سألوا انفسهم ولجوا في السؤال ، ولا يريدون
السؤال الا جهلاً وقلقاً ، ولكنهم مع ذلك مواظبون مواصون ما هم
عليه من خلق وما هم عليه من ضياع وقلق (٦٢) .

وتصوير الشخصيات السلبية امر صعب ، ويقضي بالقصة ان تكون
باعثة للسخط على الحياة مشبهة لهم قارئها فضلاً عن ان مثل هذه
الشخصيات لا يمكن ان تكون محور عمل فني ناجح اذ انها لضعفها
لا تخلق صراعاً قوياً بين ارادات مختلفة فتجىء الرواية فافتره لا حياة
فيها خالية من ذلك العنصر الذي يشير القارئ ويهز عواطفه عاجزة
عن ان تخلق فيه من التعاطف مع بعض شخصيات الرواية ما يفتح
وعيه الباطن لما يريد ان يلقيه القاص اليه من ايماءات وهكذا تفشل
مثل هذه الروايات من الناحيتين الاجتماعية والفنية معا (٦٣) .

الا ان المؤلف نجح في ان يبعث فينا امتعاضاً من شخصية (محمد
جعفر) وتبرما بها . ثم اوضح لنا الجانب الثاني غير السلبي في شخصيته
بعد ان هجر زوجته ، وعاد ليعاشر سليمة زوجة سيد هاشم نزيله في
الدار . وليس هذا الموقف ايجابياً في الحقيقة بل سلبيته من نوع آخر
الا ان الضياع الواقع فيه محمد جعفر وعمى زوجته يدفعنا الى
التعاطف معه .

وقد رسم المؤلف شخصياته بطريقة عملية موضوعية ، توازن تماماً
بين النمو الداخلي والخارجي للشخصية وخاصة شخصية محمد جعفر فقد
اخذ بعض الملامح الخارجية ليتكئ عليها في رسم الملامح الداخلية

(٦٢) انظر على جواد الطاهر (في القصص العراقية المعاصرة) في ٢٧ ، ٣٠

(٦٣) الدكتور عبد القادر القط (في الادب العصري المعاصر) المقدمة .

وتحليل العواطف والاحساسات الخفية الكامنة في العقل الباطن ، الذي استغرق مساحات كبيرة من الرواية .

وهناك عنصر في هام في القصة ساهم في كشف الشخصيات وتصويرها بطريقة ناجحة ، وهذا العنصر هو استخدام الكاتب لما يسمى بوجهة النظر الشخصية . فالكاتب ينظر بعيون اشخاصه . ويفكر برؤوسهم ويحس بحواسهم في الرصف والصورة واللغة . فمحمد جعفر يذهب الى سيد هاشم لاقتراض مال منه يعينه على مصروفات ولادة زوجته . ولكن « ماذا يبقى لهذا الانسان لو انتزعت عنه كل امواله كل آلاف الدنانير وحجج الدور والكومبيالات التي يملكها ؟ سيبقى له غذاؤه الذي لا يدفع له ثمناً قط وستبقى له ملابسه التي يأخذها من اقربائه واصدقائه ولكنه لا بد ان يموت . لا يمكنه ان يحيا دون امواله رغم انها لا تدخل في حياته لقد فضل ان يفقد بصره على ان يصرف فائض سنة على مداواة عينيه ولكن في هذا معنى ما ؟ » (٦٤) .

وهو يجيد خلقه لشخصه للتناسب في الانفعال والتوازن في المشاعر والاحساسات . ان الشخصية في الادب قوامها شروط الامكان لاشروط الوجود ، ومن هنا كان مطلب قاعدة الفن الشخصوي الحية الممتازة لا النماذج العادية ، ومن هنا الجمال الفني في الرواية . وفن الكاتب في عرض شخصه ان يعرفنا بالنماذج التي يخلقها من طرق تفكيرها ومناهج عملها وبذوات روحها ، ويخلق شخصه ويتخيلها دون شرحها او تحليلها وهو يترك لذهن القارئ الشرح او التحليل من مجموع الاعمال التي يقوم بها الاشخاص والافكار التي يديرها على السنتهم والحوار الذي

(٦٤) الوجه الاخر ص ١١٠ .

يجريه على افواههم .

وقد بنى المؤلف القصة بطريقة هندسية ووظيفية محضة . فكل ما يذكر فيها من افكار وآراء وعادات وملامح الشخصيات يؤدي وظيفة معينة خاصة به . وهذه الوظائف الصغيرة مهندسة كلياً بحيث تخدم الهدف العام للرواية في نفس الوقت الذي تؤدي فيه وظيفتها العادية بالنسبة للحادثه او المناسبة التي ذكرت لها مع الانسجام التام بين شكل الرواية وموضوعها ، وبراعة الكاتب في انتقاء الازمات الفنية والخلقية لخدمة اهدافه .

ولا يطغى نسيج القصة عند التكرار على بنائها ، فالحوار والوصف والتراكيب والتعبير كل ذلك يأتي بنسبة معينة متوازنة . وتعتمد طريقته على تقبل حبكة بسيطة الخطوط ولكنها يستعملها بطريقة انطباعية تجعله يمسك بأهداب كل الدقائق التي تسيّر الرواية لا في ترتيب منطقي ، ولكن في الطريقة التي تتدفق بها على عقلية شخص الرواية والرواية على هذا النحو تكاد تصحح حديثاً يدور في خاطر الشخص ، واذا كانت قد احتفظت بتماسك كيانها فذلك لأن المؤلف قد احتفظ بالموضوع الرئيسي بها ، وسار به في نظام بديع . ولقد ساعدت دقة ملاحظته على ملاحظة كل هذه الحالات النفسية التي تلمع وتختفي مراعاة في اثاره هذه العلاقات الانسانية التي لم تدرك من قبل .

وقد اعجب المؤلف بأسلوب التداعي وتبناه في منهجه ، حتى لتبدو روايته سلسلة من الخواطر وسيما من المونولوج الداخلي . انه ليحكم الرعي في اللاوعي فلا يدع الزمام يفلت من يده (٦٥) . وان افلت

(٦٥) الوجه الاخر ص ١٥ .

مرة وابتعد عن البداية واضاع على القاريء معالم الطريق فانه لا يفلت اكثر من المرة والمرتين (٦٦) وهو يجيد المنولوج من حيث هو فن مطلق (٦٧) كما يضمن لروايته التهويق اللازم ليحدها بالنشاط والحيوية فيلجأ الى الجنس كعنصر مهم ، الا ان الكاتب يستخدمه بنزاهة وشرف فهو لا يعرى جساد النساء امامنا .

وشيء آخر جدير بالاهتمام في هذه الرواية ، ذلك ان تحديده الواضح للظروف والشخصيات والجو النفسى يخاق بالضرورة احداثاً خاصة لا يمكن تواجدها الا في عمل ادبي بعينه ، فاذا اعتبرنا العلاقات الجنسية احدى العلاقات الاجتماعية مثل العلاقة بين محمد جعفر وسليمة ، نجد انها تولدت تلقائياً وبطريقة ذاتية في صميم البناء الروائى حيث اصبحت هذه الاحداث في خدمة المضمون الأشمل لهذا البناء ، ولكننا نشعر بفراغ وتباطؤ في السير الدرامى لو ان هذه الحادثة اوتلك نزعتم من مكانها .

فأسلوب الرواية يستمد اكثر صفاته من مزاج المؤلف وطباعه ، فلا هو جاف قاس ولا هو لين ضعيف ولا هو مزخرف منمق متكلف . انه اسلوب مركز خفيف النبط والكنه يفرى بالمتابعة ، يوازن فيه الكاتب بين الثقل والحرارة العاطفية ، وبين الشاعرية والتجريد وهو اسلوب واقعي عميق .

وقد كان المؤلف معنياً بالكلمات ودلالاتها البعيدة وحركة الاسلوب وسعه اللوحة ، وتناسب الخطوط والالوان ، وهو في عنايته بدلالات الكلمات يبذل قصارى الجهد في اختيار الكلمة والاسلوب ودقة الاحساس تمكنه ان يمس اعماق الاشياء ، فتجده يصفها في صور بما يناسبها في

(٦٦) الوجه الآخر ص ٥٣ .

(٦٧) على الجواد الطاهر ، في القصص المراقية المعاصرة ص ٣٣ .

هدوء اوصخب وفي تناسب واحكام ففي دقيق ولغة المؤلف في مجموعها
 سليمة ، وجداه سليمة بل انها تكاد تستحيل شعر آفي بعض الاحيان وانا لنحس
 بالايقاع الموسيقى والقصد الى هذا الايقاع هنا وهناك (٦٨) (ثم تركها بغتة -
 افزعت كل هذه الاعمال ، شعر بتخاذل وارتجاف ، ترامت على الحائظ وراها .
 واخفضت رأسها الى الارض فانسدل شعرها على وجهها واخفاها . لبث
 يراقبها خلال الظلام الشفاف لم يصدر منها صوت ما ، وبقيت تحت
 السماء السوداء ، كحيوانين جريحين يخشيان الحركة . كان ذهواه اقوى
 من الاعياء الذي يهد جسده ، رآها تعتدل في وقفتها ثم تنساب جنبه
 كالشبح الخائف لم يلمح وجهها الا في لحظة خاطفة على الضوء الباهت
 بدت له تقاسيمها يجملمها انطباع مرير بالالم والذل كالطفل البرىء
 يعذب دون ان يعلم السبب في ذلك وشم نفخة خفيفة من عطرها الساذج
 قبل ان تختفي في الظلام سمعها تفتح باب غرفتهم وتغلقها دون ضجة
 وكانت الدار ساكنة والنجوم تنفق بصمت في سمائها النارية) (٦٩) .
 والمؤلف يمى بلغته وتقويمها تغيب عنه اشياء سببها خارج عن
 نطاق تكوينه الادبي ، وذلك انه لم يدرس اللغة العربية دراسة
 المتخصص ولهذا تفوته بين الحين والحين كلمة هنا واعراب واملاء
 هناك (٧٠) .

(٦٨) الوجه الاخر ص ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ .

(٦٩) الوجه الاخر ص ١٥٤ .

(٧٠) الوجه الاخر ص ٨٨ تمتلا ٩٢ سئل الملاحظة ، ٩٥ ضئالة .
 ١٠١ يختبأ ١١٣ ورائها ١٢١ ودائها ١٦٨ اتكأتها ١٦٩ اشمز ١٥٣ فاجئته
 والصحيح تمتلىة ، سأل ، ضأله . يختبي ، وراهما ، اتكأتها ، اشماز ،

اما حوار الكاتب فيتلاءم والموتف في الرواية - وان غلبت عليه
العامية ، وكان الافضل الاقلال منها قدر الامكان . وهو يمينه في ذبذبة
نفسية وايحائية ومرونة طيبة ، ويفصله في جمل معبرة على قدر الشخصيات ،
ويلجأ اليه في الوقت المناسب ، ويقربه في الفاظه من الاستعمال السهل .
فالحوار بسيط يأتي في مكانه ليتقدم بالحدث وبالشخصية الى امام ،
ويقترّب فيه من الاستعمال العادي وبجملة سهلة . وقد نجح التكرلي
في تصويره الدقيق للاحاساس العميقة لدى شخوصه من خلال
المونولوج الداخلي ، وفي رسم حس انساني منتفض ، وهو في الغالب
حس شاك متألم معذب . وحوار التكرلي اغلبه عامي مرتبط بطبيعة
اللهجة الشائعة في بغداد حيث تدور احداث الرواية . ويعمد الكاتب
احياءاً الى وضع كلمات عامية في نسيج الرواية ، وهذا يخالف للقواعد
الفنية المتعارف عليها (٧١).

ظهرت قصة غائب طعمه فرمان (النخلة والجيران) عام ١٩٦٥ بعد ان
صدرت له مجموعتان قصصيتان (حصيد الوحى) ١٩٥٣ ، و(مولود آخر) ١٩٦١ .
ويدل تطور المؤلف من كتابة القصة القصيرة الى كتابة الرواية
على وضوح الفكرة لديه ، واتصال الموضوع بالحياة القومية حيث يعبر
عن مقومات مجتمعه ومقومات الحياة المعاصرة تعبيراً يدفعه الى الابتكار

فاجأته ، ص ١٠٥ ازادها ، ٦٠ ، ٨٨ ، ٩٨ ، ١٢٢ كانت بطنها ١٧٢ مستنفذ
١٩٤ احد سيارات ١٢٧ احدى مظاهر ١٤١ التعميس ١٥١ ، ١٥٤ اخفض
والصحيح زادها ، كان بطنها ، مستنفذ ، احدى ، احد ، التمس ، خفض ، وانظر
علي جواد الظاهر (المصدر السابق) ص ٣٤ .
(٧١) الوجه الآخر ص ٨٨ .

والإصالة والانطلاق .

وتأثرت روايته بالنزعة الانسانية رغم اتجاه المؤلف نحو البيئة المحلية، واتخاذها منبعاً يستمد منه مادة روايته ، فكان صادق التعبير عن مجتمعه وعن القيم الانسانية صريحاً بينه وبين نفسه في نقل ما يجري في البيئة المحلية من وقائع واحداث وشخوص وحوار، منتقياً شخوصه من عالم لا يبعد عن محيط المدينة العراقية، وقد ذهب البعض الى القول بأنها ليست رواية في الواقع، بل هي سجل اجتماعي اتخذ شكل السرد القصصي لبلوغ اهدافه، والا فأي البطل فيها، وأين الحادثة الكبرى التي يندفع اليها تيار السرد، والتي تتأزم عندها الامور ثم تسير الى انفراج تعقبه النهاية، ويرى هذا الفريق انها ليست رواية بالمعنى المفهوم، لانها عدة قصص وهذا يسلبها الشكل الفني المنسق، ويضعف من تأثيرها الفكري والفني على القراء (٧٢).

والحقيقة أن بطل الرواية الطبقة المنسحقة في العراق في سنوات الحرب العالمية الثانية، والحادثة الرئيسية فيها هي الحرب وما تركت من اثر مادي وفكري واجتماعي على هذه الطبقة .

تسجل (النخلة والجيران) احداث هذه الحقبة تسجيلاً فنياً، قبل ان يكون اجتماعياً. انها تتأمل هذا الذي يحدث، وتناول به وتتخذ منه موقفاً، ولا تكتفي بأن تسرده وتقرره ووسيلة هذا التسجيل شخصيات انسانية نجدها فعلاً في مجتمعا ولكنها دخات لا واعية الفنان وواعيته على السواء، فأصابها من التغيير والتبديل والحذف والاضافة ما جعل منها نماذج انسانية وفنية في ووقت واحد، اي اشخاصاً حقيقيين

(٧٢) دار نقاش كثير حول هذه الرواية في الصحف العراقية .

يمتون للواقع بعيد من الروابط .

ولا تكفي الرواية بتسجيل الحوادث ولا حتى بمجرد تصويرها
تصويراً فنياً لأنها ليست مجرد عرض لآثر الحرب على الطبقة المسحقة
من الشعب العراقي ، ولكنها تبيان لما في هذه الحياة من متناقضات وازمات
وتطورات ، ويشوب هذا التصوير المتأثر بالأفكار الحديثة المطالبة بالإصلاح
الاجتماعي شيء من التمرد يظهر في اظهار عيوبها وأصولها الكامنة ،
على ان العرض الفني يقوم على اساس التصوير الحي للمجال والحوادث
والشخصيات وحدة فنية منسجمة ، وفي تطور محكم الحلقات يجبي فيه
كل شيء من جهة التطور الرئيسي للموضوع وتنحو هذه الرواية منحي
الواقعية النقدية التي تضع الموقف الى حوار الصورة الفنية ، وترى
المستقبل الواحد وراء نماذج الحاضر المتغير والماضي المسرع الى المغيب .
والواقعية النقدية بصميم طبيعتها اقرب الى التشاؤم ، ولكن من
الخطأ النظر الى هذه الرواية على انها ادب حزين ، إنها مشحونة
بسخرية اصيلة فمن يؤمن بتفأؤل الانسان وضموده وبسالته في قهر
الصعاب التي تواجهه وبقدرته على التطور وعلى تحسين احواله المعيشية ،
يلجأ الى السخرية ليخفف من حدة المأساة بابتسامة حكيمة مشرقة
طبيعية وبطريقة غير مباشرة . مثل هذا الحوار الذي يدور بين بعض
شخصيات الرواية عن السوق السوداء ، « فسألت اسومة العرجة ،
فقال رديفة زوجة حمادي العربي مظهرة معرفتها بالاسواق :

كل الاسواق سودة يعني العويبة اللي مليون سيمان اسود خايس هم

يسموه سوك ابيض مين يجيله البياض ؟ .

قال صاحب ؛ السوق السوداء التي يتاجرون بيها بالخفية .

فعدت رديفة تعترض : وليس واحد يتاجر بالخفية ؟ يعني عندك
بضاعة هسه وماحد يشتريها منك . . عيني الناس من الماكو تشتري
الكحل من العين « (٧٣) .

وقد شملت هذه الرواية وجوهاً من الحياة ، حسنة وسيئة وواجهتها
تحت اضواء مختلفة ومن زوايا مختلفة . وقد عالجت شؤون حي قديم من
احياء بغداد بعطف ، وحورت غرائز سكانه الخلقية والاجتماعية ببيئة
جمالية ، دون ان تظهر وجهة نظرها في الحياة والمجتمع بطريقة الوعظ
المباشر والدعاية المكشوفة . ولكنها تستنتج بوجه عام في اتجاهها لاختيار
الحوادث والاحداث وتنسيقها وتطويرها وفي خلق الشخصيات وتفسيرها ،
والقاء الاضواء الكاشفة التي توضح الجانب الخفي منها .

وهي رواية جماعية تتكون من احداث عديدة يجزئها المؤلف الى
اقسام وفصول ، ولكنه يجيد تحريك تلك المجموعات من البشر التي
تتقدم كلها نحو غاية واحدة ، فتلتقي وتعارض ثم تتقابل ثانية في
اللحظة المناسبة . وهي رشيقة لا يترث فيها السرد الا ليلقي ضوءاً
على شخصية من الشخصيات أو موقف من المواقف . وقد تدبر المؤلف
كل شاردة وواردة واحكم عرضها وافاد منها . ويجعلها الوصف الدقيق
المتواضع وبساطة الالوان والفة الامكنة والمهجات ، شبيهة بالموحاحات
الفنية ، فما ان يلقي المؤلف نظرة فاحصة على المكان حتى يصفه وهو
يريد ابراز هذه المشاهد بوضوح تام تترك في نفوس القراء ذكريات
رقيقة ترتبط بها سلسلة احداث قصصية ، كما ساعدنا على استحضار
مختلف المظاهر التي تملخص فيها منطقة الرؤية من بغداد . . ولناخذ

(٧٣) غائب طعمة فرمان (النخلة والجيران) ص ١٥٦ - ١٦٦ .

نموزجاً له يصف فيه مقهى من مقاهي بغداد :

« كانت عيناه تدمعان من الدخان وكأنه يجاس في المقهى لأول مرة . . . وكانت كل الوجوه حوله مسمرة على قطع الدومينو الحديدية (مغناطيس) قال لنفسه عبالك (مغناطيس) ما عدهم بالدنيا الا الدومنة . وتذكر كيف كان صاحب له حين كان يقضي الساعات الطوال منكباً مثلهم على الطاولة الصغيرة السوداء هذا مرض هذا ابتلاء هذا ادمان مثل شرب الترياك » (٧٤) .

وهو لا يكتفي بوصف السكان كما يراه هو بل كما تراه الشخصية ايضاً (٧٥) .

وقبل ان نعرض لدراسة البناء الفني في - النخلة والجيران - لا بد من استعراض الاحداث في الرواية وشخصياتها ، على الرغم من أن احداثها تستعصي على التلخيص لتشعبها وكثرة زواياها .

(سليمة الخبازة أو أم حسين) تقطن هي وحسين في الدار التي تركها لهما (علاوي) بعد وفاته وتشترك مع هذه الدار في جدار واحد طولة (الحاج احمد اغا) الذي اصبح من اثرياء الحرب . الى جانب الطولة خان كبير تقطنه مجموعة من البشر (حمادي) العربي وزوجه رديفة ، ورزوقي الفراش وزوجته (خيرية) وفي الغرفة الثالثة تقطن (فتحية) بانعة الباقلاء . وتحتل الغرفة الرابعة ثلاث اخوات أنسات . اما (مرهون) السائس فيشارك الخيول مسكنها في الطولة . ويضع

(٧٤) النخلة والجيران ص ٢١٢ .

(٧٥) انظر شجاع مسلم العاني (النخلة والجيران) جريدة الجمهورية العراقية لعام ١٩٦٥ .

(حسين) يده في جيوب بنطلونه ويذرع الشوارع والارصفة ويغزو
السينمات بعد ان يتزود كل يوم بربع دينار من (صاحب ابيو
البايسكلات) من الثروة القليلة التي تركها والده المرحوم الى جانب
درهم تدفعه له سليمة (زوجة ابيه) يومياً . وقد تحضى (تماضر)
صديقتة بشيء من هذه الدراهم واضطرت (تماضر) للهروب من
اهلها بسبب محاولتهم ارغامها على الزواج من تاجر بعمر ابيها ، وسكنها
حسن عند (الخالة نشمية) التي تشابه مآساتها مآسة تماضر وسقطت
مثلها لتحترف السمسرة وتتخذ من نزيلتها (تماضر) سلعة تؤجرها
لمن يملك مالا اكثر من (عمران) البستاني .

اما (مصطفى الدلال) فهو شخصية تسليقية يحاول ان يصبح من
اثرياء الحرب فيغوي (سليمة الخبازة) بالاشتراك في فرن للخبز فتدفع
له ما ادخرته بيددها في السكاير الاجنبية والخمر . ويعود من جديد
ليغامر محاولا ارتقاء السلم الى طبقة اجتماعية ارفع من طبقته . فسليمة (كنز
بيدها صنعة والله يعلم چم دينار جوه راسها) بالاضافة الى انها تملك
داراً . وتوافق سليمة ، الا ان حسين يبيع الدار فينتهي مصطفى الا اننا
لا نحس طابعاً مادياً ، يتميز به هذه الشخصية لانه لا ينتمي الى الطبقة
البرجوازية ولا الى الطبقة العاملة حتى نفهم من استهتاره انهياراً
لطبقة ولعدم محاولة الكاتب تطوير شخصيته بحيث يجعلنا نبصر حداً
لمآسة الواقع المنفجع من خلال وعي الشخصية نفسها .

وعلى العكس من مصطفى شخصية (خيرية) ، وهي ترمز الى هؤلاء الذين
لا يمتلكون وعياً ناضجاً يفتح عبونهم على واقعهم الاجتماعي ، ويجعلهم
يقفون على حقيقة الصراع الطبقي الدائر في المجتمع . وتنحاز اخيراً

الى الشعب بعد ان ينقل زوجها مرزوق من فراش المدير الى فراش
الاوراق (٧٦).

ويقوم العمل الروائي فيها على الرصد القطاعي الحي لفئة من
الطبقة الكادحة ، وقد تساوى السرد والتحليل في هذا الرصد القطاعي
في فصول القصة حتى النهاية .

ويصمد المؤلف الى استعمال الالوان ذات الدلالات الواضحة البعيدة
عن الغموض والقتامة ، وهو يعني من وراء ذلك نقل حدث بحسب
ومن ثم الدلالة على الشخصية التي تعيش في ثنايا الحدث .

ويتم التفاؤل الفني في الصورة عند لقاء اللون الواضح المشرق على
الحدث المثقل بأخلاق الافراد والمجتمع ، وبمفاهيم اجتماعية وجماعية .
وتبرز الصورة من ثم مكتملة الابعاد تامة النمو الفني وقد ادت
الدلالات الأخلاقية التي اراد ان ينقلها المؤلف بأمانة واخلاص وبساطة
ما اريد منها .

(فمصطفى الدلال) ذو شخصية مزدوجة ، يؤدي الفرائض الدينية
ويحفظ القرآن عن ظهر قلب حين يجلس ليشرب الخمر ، ويسرق ما
ادخرته امرأة فقيرة مثل (سليمة الخبازة) طول حياتها ليصرفها على
ملاذه ، ثم يتزوجها لانها تملك بيتاً وراثته عن زوجها (علوان)
صديقه . ثم يباع البيت وينهار مصطفى كما انهارت طبقة المتسلفين
بعد انتهاء الحرب .

و (حمادي العربي) شخصية متفائلة ، يحب لعمله متفان فيه
يحب خيوله ويتعاطف معها اكثر مما يحب ويتعاطف مع اي انسان

(٧٦) انظر شجاع مسلم العاني (المصدر السابق) .

آخر . يناغي حصانه وكأنه يناغي حبيبته ، بل يحبه ويخاف عليه اكثر
من زوجته نفسها . فحين يرتفع صياح زوجه (رديفة) تنذره بالطوفان
الذي ستحدثه (خيرية) من جراء رميها لماء الغسيل في الدار ليخاطبها .
دون ان يلتفت اليها (تفركين بالجهنم لتخوفين الخيل) . وحين يشفى من
مرضه يقول لزوجته « - رديفة تعرفين شمشتهي ؟

- شمشتهي ؟

- حصان .

- يا حصان اكثر ؟

- رديفة انت تعرفين اشلون مزيقـة تطلع جريق جراق جرقوق ،
جريق جراق جرقوق ، وانت راكبة وراء ويديج الرشمة وين متجريه
يجي بيديج ، هاي يامر به هيجي » (٧٧) .

ونلاحظ في هذا الحشد الكبير للشخصيات والاحداث ان الاحداث
والموضوعات عادية وليست واقعية فحسب انها موضوعات الناس العاديين
من الطبقات الكادحة والمحرومة يعالجها ببساطة متناهية وجرأة كبيرة .
ويظهر فيها التمرد ، تمرد (صاحب) على الانكليز وعلى الحكومة الموالية
للانكليز (حكومة جايفة مثل طولة حاج احمد اغا تريد لها شمع من
الاساس) ، وتمرد حسين على حياته الضائعة التافهة . والى جانب التمرد
قلقى السخرية والنقد الصريح نقد لمظاهر المجتمع العراقي كتمقـاليد
الزواج والجلوس في المقاهي ووسائل العلاج الرديئة في المستشفيات (٧٨)

(٧٧) انظر شجاع مسلم العاني (المصدر السابق) .

(٧٨) غائب طعمة فرمان (النخلة والجيران) ١٢٢ - ١٢٣ ، ٢١٢ ، ١٦١ -

١٦ على التوالي .

وعندما يلامس المؤلف الاطار الاجتماعي له والحالة الانسانية التي فيه تشييع الروح الفكهة الساخرة او الناقدة احياناً في لقطاته او تحليلاته ، ومن حيث ان نطاق تأليفه لا يعدو واقعاً اجتماعياً للناس العاديين ، يتفاعل معه بانسانية متفائلة .

وهو يستلهم من واقع الانسان العادي في المجتمع رسم الجوانب المظلمة في الحياة وتعريفها ، والهزم من التناقض فيها ، الا انها مع ذلك تشع بالتفاؤل والامل وحب الحياة . والهدف الفني الكبير الذي رمى اليه المؤلف من وراء ذلك ، اعادة احياء دنيا كاملة من الناس بأفكارها وآرائها واحساساتها وتميزاتها ومغامراتها ومزاياها ونواقصها .

وقد بنى الرواية بطريقة هندسية ووظيفية محضة . فكل ما يذكر فيها من افكار وآراء وعادات وملامح للشخصيات يؤدي وظيفة معينة خاصة به ، وهذه الوظائف الصغيرة مهندسة كلها بحيث تخدم الهدف العام لها ، في نفس الوقت الذي تؤدي فيه وظيفتها العادية ، بالنسبة للحادثة او المناسبة التي ذكرت لها مع الانسجام التام بين شكل الرواية وموضوعها ، وبراعة الكاتب في انتقاء الازمات الفنية والخلقية لخدمة اهدافه .

ويلجأ الكاتب الى وسائل فنية يضمن بها التشويق اللازم ويكسب بها روايته النشاط والحيوية ، فهو يلجأ الى الجنس مثلاً كعنصر تشويق مهم ، الا ان الكاتب يستخدمه بنزاهة ، فهو لا يعري اجساد النساء امامنا

بل يكفي بإحاديث تمس الجنس من السطح كأحاديث (الحالة نشمية) والى جانب الجنس يستخدم الكاتب السياسة والسخرية ، ويدل استخدامه للسياسة على ذكاء خالص ، وعلى معرفة لجمهوره القارئ ، ولا سيما الجمهور العراقي معرفة تامة .

ويلجأ الكاتب كذلك الى سرعة التنقل بين حوادث الرواية وأشخاصها ، تجنباً لاملال القارئ ، فيبدأ الفصل الواحد بطريقة غامضة لا نعرف منها مباشرة اي شخصية يتحدث عنها الكاتب . او يختم الفصل بحادثة لم تستوف تطويراً وحكاية ليظل اهتمامنا بها مشبوحاً . وهو يلجأ ايضاً الى عنصر تشويق آخر ، فالنصل الثامن عشر هو الفصل الوحيد الذي يستخدم فيه الكاتب اسلوب الانتقال السريع من مكان الى مكان في فصل واحد ، فهو ينقلنا من جسر بغداد حيث صور لنا زبائن بائع (الفشافيش) ، الى شارع الرشيد ، والى الحى القديم الذي يسكنه حسين ، ثم الى دار سليمة الخبازة (٨٠) .

وتتنوع الشخصيات تنوعاً طريفاً كمرهون الساييس وحمادي العربي وزوجته رديفة وزوجة مرزوق (الحكومة الله يسلمها) ومصطفى ومحمود ابن الحولة الشقي وصاحب مؤجر الدراجات المناضل وسليمة الخبازة . الى آخر حشد كبير من الشخصيات .

ويشيع في الرواية الوصف التفصيلي لكثير من العادات التي اندثرت أو كادت ، والتي تربطنا بها روابط عاطفية وفكرية كثيرة ، كالافراح والتزاور والجلوس في الزقاق الضيق للحديث ، ومقهى (الطرف) واشقياء المحلة الى آخره ، ولناخذ هذا الحديث بين سليمة الخبازة ومصطفى على

(٨٠) شجاع مسلم (المصدر السابق) .

سبيل المثال (- وشوفي قبل ما جان يكدر يطلع بالليل ، حتى يطلع له
جني من طولة الحاج احمد اغا جان انت الناس تشيل بجيوبها مخايط
للطنطل والحراية اكثر من الملائكة في بيت مسكون ، ومسة ما شاء الله
طفل ما يخاف ويجي نص الليل اشكد عمره محصن بالله ؟
- نزول عليه شمدريني يمكن عشرين .

- يعني بعده صغير سليمة خاتون الدنيا وتتغير تركض ركض ولازم
واحد يلحك بيها . فأبوه لم ير بغداد جان يروح لسلمان بك على
دابة «(٨١)» .

وشيء آخر جدير بالاهتمام في هذه الرواية ذلك ان تحديده الواضح
للظروف والشخصيات والجو النفسي يخلق بالضرورة احداثاً خاصة
لا يمكن وجودها الا في عمل ادبي بعينه ، فاذا اعتبرنا العلاقة الجنسية
احدى العلاقات الاجتماعية مثل العلاقة بين حسين وتماضر ، رأيناها
قد تولدت تلقائياً وبطريقة ذاتية في صحيح البناء القصصي ، بحيث
اصبحت هذه الاحداث في خدمة المضمون الاشمل لهذا البناء ولحكنا
نשמع بفراغ وتباطؤ في السير الدرامي لو ان هذه الحادثة أو تلك نزع
من مكانها .

وقد نجح الكاتب في خلق الجو القصصي الذي لا يلبث ان يحتوي
القارئ ، يخلقه بفن وقصد وكأنه لا يتفطن ولا يقصد يخلقه ويلقي
بك في مساربه وفي وقائمه فتبصر سليمة الحيازة التي اتعبتها الحياة ،
ومحمود بن الحولة الذي اتعب الحياة ، ومصطفى الوصولي التسلقي ،
وحسين الذي يمش على هامش الحياة ، وغيرهم من الشخصيات .

(١٨) النخلة والجيران ص ١٥ .

ويتمتع المؤلف بمواهب عدة من بينها قدرته على خلق حوادث
حية ، واتصافه بالصبر والانابة عندما يعرض لشخصياته وهي تندرج في
التفاعل بعضها مع بعض ، ومعرفة بالمجتمع العراقي تلك المعرفة التي
جعلت تفاصيل أحداثه تنبض بالحياة فهي تفاصيل جميلة جذابة .
على ذلك كله لم ينمذ الرواية من الفضول والقارىء يحس بالافتعال والجفاف
في سخرية حسين من الفلاح - الشروكي - الذي يذهب الى معسكرات
الانكليز ليجد له عملاً . والفصل الخاص بحفلة الويسكي التي تقيمها
سليمة الخبازة بعيد عن الصدق الفني القائم على الاقناع السايكولوجي
كما لم يمهّد الكاتب جيداً لذلك الانقلاب الخطير في موقف خيرية من
الحكومة (٨٢).

وتحتشد في روايته نماذج عديدة من الطبقة العاملة ومن هم ادنى
منهم من المطحونين والضائعين ، مثل (محمود بن الحولة) و (حسين
علوان) و (تمّاضر) صديقة حسين و (نشمية) السمسارة .
ويبدو ان المؤلف يعني بعمق واقع مجتمعه وما فيه من تناقضات ،
تؤدي - بالبداية الى الصراع الطبقي ، المتمثل في صراع (مرهون)
السايس (وحمادي) العربي من محمد اغا صاحب الطاولة التي هدمها
ليحصل على مبلغ كبير من المال ، وليحولها الى مصنع للسكاير ، وبعد
ان فتحت عليه الحرب باب الثروة ، ونضال (صاحب) ضد الاستعمار
و ضد مشردي الاستعمار من الاشقياء امثال محمود بن الحولة الذي
يعيش طقراً على مجتمعه .

وقد ذهب المؤلف الى ما وراء الصراع الطبقي بما يسمى بالتطلعات

(٨٢) انظر شجاع مسلم (المصدر السابق).

الطبقية التي نجدها عند مصطفى الذي يخطط للزواج من سليمة الخبازة لانها تملك داراً ورثتها عن زوجها وبعدها مصطفى (كثر بيدها صنعه الله ليعلم جم دينار جو راسها) ، وكذلك تستجيب سليمة الخبازة لطلب مصطفى فتتسلى فرناً كهربائياً لصنع الخبز بالاشتراك مع (الارمنى) وتتزوج من مصطفى ظناً منها انه غني .

ويتميز الكاتب بأن صورته الفنية سواء كانت لشخصياته ام لاحداثه تحمل في ثناياها معنى الشمول ، فهو يتوخى دائماً ان يكون التركيب العام للصور منتزعاً من صميم الواقع ، بحيث يمكننا ان نجد صنوا لابطاله في الشارع اذا ما نزلنا اليه ونألف نحن حمادى المريجي ومرمون السائس وحسن بن علاوي وصاحب (ابو البايסקلات) ومحمود بن الحولة وسليمة الخبازة وغيرهم .

ومعظم شخصياته شخصيات مستديرة ، بمعنى انه يستطيع ان يعطينا كل جوانب هذه الشخصيات وكل ما تحمل من آراء وافكار تلزمها على الدخول في صراع الوجدان والمجتمع .

وشخصية (حسين) شخصية سلبية (وتصوير الشخصيات السلبية امر صعب ، ويفضى بالرواية الى ان تكون باعثة للسخط على الحياة مشبهة لهمم قارئها ، فضلاً عن ان تلك الشخصيات لا يمكن ان تكون محور عمل فني ناجح اذ انها لضعفها لا تخلق صراعاً قوياً بين ارادات مختلفة فتجىء القصة فاترة لا حياة فيها خالية من ذلك العنصر القوي الذي يشير القارئ ويهز عواطفه عاجزة عن ان تخلق فيه من التعاطف مع بعض شخصيات القصة ما يفتح وعيه الباطن لما يريد ان يلقيه القاص اليه من ايحاءات ، وهكذا تفشل مثل هذه القصص من الناحيتين

الاجتماعية والفنية معاً (٨٣) .

الا ان المؤلف نجح في ان يبعث فينا امتعاضاً من شخصية حسين وتبرماً منها ثم اوضح لنا الجانب الثاني ، غير السلبي في هذه الشخصية بعد مقتل صديقه (صاحب) . فشعوره بالضياح الذي سببه موت صاحبه واضطراره لبيع داره تلبية لرغبات تماضر المتزايدة ، بسبب من الحالة نשמية ، وفقده اخيراً لتماضر - كل ذلك يدفعه لقتل محمود بن الحولة (ظل شيء بالدنيا غير اني وسجيننة وتماضر وراح صاحب وراح الحوش وراح اني هم ارواح في لا على بختك) وليس هذا الموقف الحقيقية ايجابياً ، بل انه سلبي من نوع آخر (٨٤) . الا ان الضياح الذي يقع حسين فيه ، وموت (صاحب) يدفعنا للتعاطف معه ، فلم تكن السكن التي غرزها في رقبة الشقي محمود سوى ايدان بتحواله هو الى شقي . وفي الوقت الذي نرى فيه حسين يستغل زوجة ابيه ، ويأخذ منها المال الذي تكسبه بهرقها ، يصرف هذا المال على تماضر الفتاة التي ضيعها اهلها ، وتحولت الى بائعة للجسد . ويبعد المؤلف في كشف منابع الطيبة في نفس حسين عند ذهابه الى زوجة ابيه بعد بيعه للدار ، متوسلاً اليها ان ترجع اليه ثانية (ارجعي من اجل خاطر ابويه هالايام هوايه دا احلم بيه . وانفجرت باكية هذا البكاء المر الذي يغسل كل ضغينة من قلبه . قال وهو يتقدم نحوها : - لا تبجين والناس تستمع اسكتي - وطوقها بذراعها وشم فوطتها - ما عندي بالدنيا غيرج) (٨٥) .

(٨٣) الدكتور عبد القادر القط (في الادب المصري المعاصر) المقدمة .

(٨٤) انظر شجاع مسلم (المصدر السابق) .

(٨٥) النخلة والجيران ص ٢٧٠ .

وقد رسم المؤلف الشخصيات بطريقة عملية موضوعية ، توازن تماماً بين النمو الداخلي والخارجي للشخصية الواحدة . فمحمود بن الحولة « فقى مديد القامة هزيلها طويل الوجه والذراعين والساقين لا ينم مظهره عن قوة خاصة لولا عيناه الواسعتان الودحتان وفكاه العنودان المتصلبان وحدث ابن الحولة بصاحب تحديقة طويلة هو جاء . . . واخيراً قطع ابن الحولة تحديقته الطويلة قائلاً وهو ينزل عتبة الدكان : زين أنى الك والتفت ابن الحولة الى صاحب ونظر في وجهه صامتاً ثم استدار بعدها وسار في الشارع المظلم يهز رأسه بوعيد » (٨٦) .

وتتميز هذه الشخصيات في حياتها الداخلية والخارجية وتعدد انواعها بتفرد كل منها بميزات واضحة محددة عن باقي الشخصيات كما تحمل الشخصيات دلالتها الفكرية والاجتماعية ، وتقرب من الفردية الانسانية والفردية الرامزة ، لانها بدت في ابعادها الثلاثة وتفاعلت مع الحدث كشخصية صاحب (ابو البايكولات) على سبيل المثال . فان موته على يدي الشقى ابن الحولة يرمز الى انتصار الفردية المتمردة على الروح الشورى ، وانتصار قوى الشر على قوى الخير ، ويرمز الى الضياع الاجتماعي لطبقة بأسرها .

وقد اهتم المؤلف بالملامح الداخلية لشخصياته ، واتكأ عليها في تحليل عواطف الشخصية واحساساتها الخفية الكامنة في العقل الباطن نفس اهتمامه بالملامح الخارجية ، فهو يصف (مصطفى) وصفاً خارجياً بقوله « افندي نحيل فوق رأسه الصغير سدارة وفي يده مسبحة . . عينيه الصغيرتين . . اخرج عليه سيجاير قصديرية صدئة وراح يلف له

(٨٦) النخلة والجيران ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ .

سيكارة مدلياً سيبحثه في معصمه وبدالها رجلاً رزيناً علمواً حكمة ورواه
بمسيبته الطويلة وباطراقة المتهمدين « (٧٨) ثم يكشف لنا المؤلف نواياه
السيئة عن طريق الاستبطان ، بعد ان اعطانا مظهره الخارجي الدال
على النفاق والرياء « هالدورة هم تفلت ؟ هالدوره اعضها بسنوني اريد
اطلع حك الرفسه والتسليه وكل سنين القمر ، بس عاد ديزي قهر
صارلى عشرين سنه ادك وكل شىء ممحصل ، لابيت ولا مريه ولا فلس
جوه المنخده والدينيا مال فلوس . . صدك الى ما عنده فلس مايسوه فلس
ومحد ينفع بالدينيا مثل متنفع الفلوس ومنو اغنى من الانكليز ، نص
الدينيا الهم ويميشون ناس من الملك ورئيس الوزاره وانت نازل الى
سايق السيارة ، ظلت على ، اني المنكوب بنطروني ، ييزي قهر ، خل
ادخل وياهم وجم واحد اغتني منهم ، يا ماسوا بيوت « (٨٨)

وهناك عنصر في هام في الرواية ساهم في كشف الشخصيات ،
وتصويرها بطريقة ناجحة ، وهذا العنصر هو استخدام الكاتب لما
يسمى (بوجهة النظر الشخصية) فالكاتب ينظر بعيون اشخاصه ويفكر
برؤوسهم ويحس بحواسهم ، في الوصف والصورة واللغة السردية . فهو
يتحدث عن سليمة الخبازة على سبيل المثال قائلاً « كان ذلك النهار
طويلاً امري مرارتها . . والناس في ذلك اليوم أكلوا قلوبها » ويقول
ايضاً « شافت الجسر الحديدي الذي لم يهتز ولم يتأرجح بها مثل جسر
الكاظم وكانت السيارات رايعه جايه وشافت الصالحية وابو حصان
فيصل وركبت سيارة ام العانة » وحين الذي تحتل السينما جزءاً
كبيراً من حياته الفارغة ، « يرى وجهه في المرآة شاحباً مظلملاً مثل

لقطة قيلم جهنمي » .

وتبدو شخصيات (فرمان) معذبة قلقة لأنه يراها كذلك في الحياة وغالباً ما تتسم حالة الادراك الانساني لشخصياته بالتوازي بين الافراد في السلبية (مرهون السائس) والايجابية (صاحب ابو الهايسكلات) والهدوء التام (سليمة الخبازة) والعنف (محمود ابن الحولة) وبين اقصى افاق البساطة البدائية (رديفه زوجة حمادي الخوذي) والتعقيد المعني (مصطفى) .

وهو لا يعرض هذه الحالات الذهنية دون هدف او قصد ، بل يدرك تمام الادراك مالها من تأثير على اسلوب الكتابة وايقاعها ومستواها . والاسلوب جزء لا يتجزأ مما يحاول المؤلف عرضه ، وبذلك تندرج التشبيهات والاستعارات لانه يوضح حالة نفسية ما ، دون ان يعتمد الى اثارها بالتمثيل والصور الكثيرة كما لاحظنا في تصوير انغمالات (مصطفى) . ويكثر من استعمال النعوت وافعال الصيرورة والتحول فتكاد اذا غابت عنك الشخصية فترة من الزمن لاتنفيك عن الشعور بأنها مازالت تحيا في هذه الفترة وان لم تتصل بها (دس يده في جيبه واخرج عليه سكاير قصديرية صدئة وراح يلف له سيكارة مدلياً سبخته من معصمه ونقرات آلية صامتة ، سليمة الخبازة . . . واخرج مصطفى ساعته من جيبه وفتح غطاءها ونظر فيها عميلاً بقرصها نحو التنور ، ساعة تسعة الا عشرة . . . نعمانة ؟ قالت بصوت ناعم - لا هيفي نوم الدجاج ؟ صمت وكأنه لم يسمعها ثم بدأ بداية اخرى - شو حسين ماكو ، نايم أهت له : هو يطالع من المغرب وما يعي الانصف الليل » (٨٩) ونرى

(٨٩) النخلة والجيران ١٤ - ١٥ .

بمد ذلك ان اسلوبه يشبه مجرى الحياة العادي .

اما الحوار فواقعي ينبع من الشخصية ذاتها ويكشف عنها ويحمل خصائصها، فقد التزم الكاتب في حوار حواره حدود الشخصية المرسومة فلم ينطقها الا بما يتلائم معها . وقد ابانت الشخصيات عن ذوات نفوسها عن طريق الحوار، سواء كان حديثاً مع شخصية اخرى او حديثاً داخلياً ولكن دون ان تملو تغمتها على مستوى الكلام العادي المألوف، ويمتاز الكاتب ببراعته في خلق الجو من خلال الحوار، ويظهر ذلك جلياً حينما يعرض المجموعات وهي تتحاور فيما بينهما، فتجده يخلق جواً هاماً يغمر المجموعة كلها ولكنه في الوقت نفسه يحتفظ لكل فرد منها بوجهه النفسي الخاص (٩٠) . فاذا ما قارنا بين الكلام الذي يصدر عن حسين او صاحب او مصطفى ار محمود بن الحولة لأحسننا بالفرق الكبير في تفكير شخص وشخص من خلال لمحات شعبية عراقية، ورأينا ان كلام الذي يقوله مصطفى مثلاً لا تقوله سليمة الخبازة :

- هايزه ، اشتغل بالحرام .

- عجيب القرن بيه اجازة

- ويطلع الف صمونته في اليوم

- يطلع اكثر ، راح تشوفين بعينج

- واروح لذاك الصوب ؟ .

- منطقة الانكليز من الاول

(٩٠) يقول امرسون : ان الافصاح الواعي عن الفكر لفظاً او فعلاً لغاية ما هو فن ، بيدوان هذا قول صائب وهو يعادل ما قلناه آنفاً من ان الفن هو التعبير الواعي الموجه الذي يفرض عليه المرء ضبطاً وسداة . جبراً ابراهيم جبراً (الحرية والطوفان) ١٥٢ .

- خوش ، تشتغل للانكليز هالمرة
- وانت اش يجيب عليهم ، الفلوس تجي ليج حاضرة .
- ويكون حظي جبير ، وانخلص من التنور» (٩١) .
ولكن المؤلف اسرف في الحوار ولم يستطع ان يوازن بين
الحوار والوصف والحركة كما ينبغي (٩٢) . وكأنه نسي قول غوركوي بأن
على القصصي ان يجعل ابطالة يعملون اكثر بما يتحدثون (٩٣) .
وقد استعمل الكاتب العامية في الحوار ، وتد اجد في ذلك لان
اللغة عنصر مهم في حياة الشخصيات ووجودهم الواقعي ، الى جانب
خدمتها للإشارة والحركة ، كما استخدم العامية في السرد ايضاً عندما
يصور الموقف من وجهة نظر الشخصية (٩٤) .

(٩١) النخلة والجيران ص ١٨ .

(٩٢) انظر شجاع مسلم (المصدر السابق) .

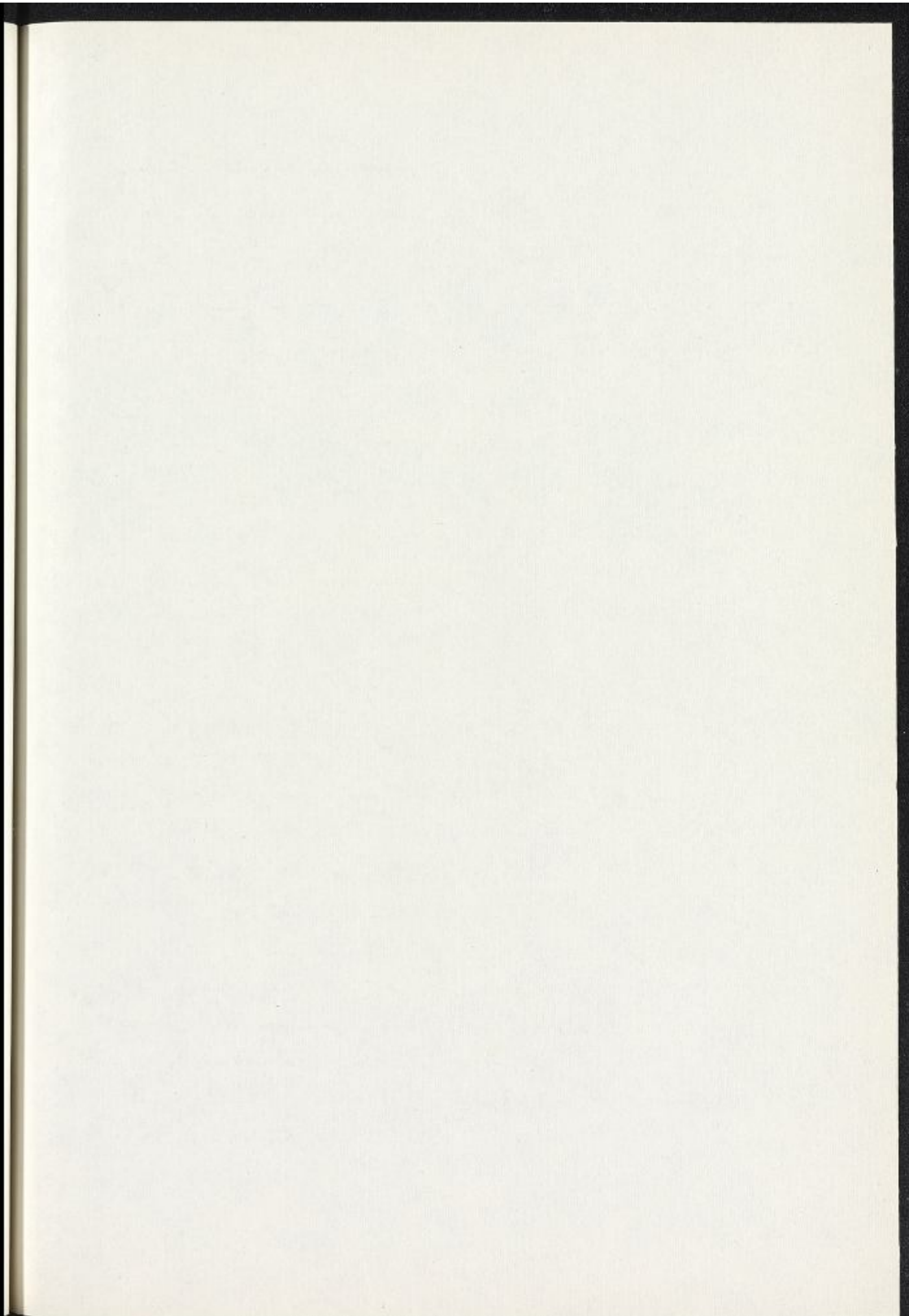
(٩٣) النخلة والجيران ٦ - ٨ - ١١ - ١٢ - ١٥ - ٢٢ - ٢٤ - ٢٦ - ٢٧ -

٤١ - ٤٦ - ٦٣ - ٧٧ - ٨٤ - ٨٨ - ٩٥ - ٩٧ - ١٠٥ - ١١٤ - ١٢٦ - ١٥٠ - ١٦١

١٦٨ - ١٦٩ - ١٧١ - ١٩٢ - ١٩٤ - ٢٠٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٩٤) وضعنا دراسات مستفيضة لكل من : شاكر جابر ، هلال ناجي ،
حازم مراد ، آدمون صبري ، انيس زكي حسن ، موفق خضر ، ياسين حسين ،
بالإضافة الى دراسة مسهبة عن الرواية الواقعية في العراق ولكن الاستاذ
المشرف ارتأى حذفها لطول البحث .

كما حذف فصلا عن الرواية العراقية النفسية وفصلا آخر عن كتاب
الرواية الاكراذ . وستنشر قريباً .



خاتمة الجزء الاول

خاتمة الجزء الاول

هذه الدراسة اول جهد مستكمل الجوانب احاط بجميع من كتب في فن الرواية العراقية او حاول الكتابة فيها . والرواية العراقية نامية ككل حياة لا يستطيع الباحث في حدود طاقته البشرية وامكانياته القاصرة ان يوفيهما حقها من الاستيعاب والعمق . ويمكننا تلخيص اهم نتائج هذا البحث في ظاهرتين بارزتين اولاهما : ان تطور الرواية العربية في العراق تأثر الى حد كبير بمحاولات اكتشاف العراقيين لشخصياتهم ومقومات حياتهم الفكرية والادبية وترددتهم في هذه المحاولات بين التأثر بتراثهم العربي القديم كما في مقامات محمود شكري الألوسي وبين التأثر بالحضارة الغربية المنقولة كما في قصص محمود السيد .

وقد بدأت المحاولات الاولى في الرواية العراقية في اوائل القرن العشرين تلك المحاولات التي بدأها سليمان فيضي في محاولته الروائية الاولى (الرواية الايقاظية) والمتأثرة بالتراث العربي القديم من جهة وبالقصص العربي من جهة اخرى .

وكان للترجمة اثر كبير في ظهور الرواية العراقية وكان للقصص العربي في مصر ولبنان نفس الاثر كما ظهر رد الفعل في مجتمعاتنا ضد الحضارة الغربية وطابعها الاستعماري العدواني قبل الاحتلال الانجليزي وبعده فأثر في عودة مجتمعاتنا بعنف الى محاولة بعث التراث القديم لمواجهة تيار الحضارة الغربية الجارف وقد تركت محاولة بعث التراث القديم اثرها الواضح على الشعر باعتباره اكثر الفنون الادبية اصالة

ولكنها لم تسترك اثرها في الادب الشعبي الذي كان ينظر اليه نظرة
ازدراء .

وتجاوبت الرواية تجاوباً عميقاً مع المجتمع وحاجات الناس والظروف
القومية وتطورت تطوراً فنياً كبيراً قائماً على الدراسة الواعية لهذا الفن
عند الامم الشرقية في القديم والحديث . واكثر كتاب الرواية عندنا
من الادباء الهادفين ذوى الرسالة الذين يأبون بفنهم ان يكون وسيلة
للتسلية العابرة وازجاء الوقت .

وتزايد عدد القصص مع الزمن واصبحت الرواية من اهم صور تعبير الفن
الادبي بعد الشعر من حيث كثرة الانتاج ولكن عددها يقل اذا قيس
بالقصة القصيرة .

اما الظاهرة الثانية التي نلخص نتائج بحثنا فتتمثل في ان تغير
اتجاه القصة في العراق لم يكن مجرد تغير سطحي ظاهري ولكنه انعكس
على خصائصها ومقوماتها الفنية فكانت القصة التعليمية اقرب الى المقالة
التي تتناول موضوعاً علمياً وهي لا تعبر عن احساس الاديب بل تنقل انا
افكاره وآراءه .

وقد درست الروايات التعليمية في العراق وهي روايات لم يهتم
أحد بدراستها من قبل وبينت اثر الروايات التعليمية في الاقطار
العربية الاخرى على هذه الروايات .

ولم تحاول رواية التسلية ان تجابه الواقع بل حاولت ان تهرب
منه اما الى الماضى البعيد او القريب كالرواية التاريخية .

وقد وجدنا ان الرواية التاريخية في العراق تنقسم الى ثلاثة اقسام: الرواية
التاريخية الفنية المتمثلة في روايات داود سلوم وبهنام وديع ، الرواية التاريخية

التسجيلية التي سجل كتابها احداث التاريخ كما وردت في الكتب
واكدوا هذا الاهتمام بذكر ارقام المصادر التي استمدوا منها المعلومات
في حواشي رواياتهم ، اما القسم الثالث من الرواية التاريخية فقد
جمع فيه الكتاب بين التسجيل والفن القصصي فخلقوا شخصيات لا وجود
لها في كتب التاريخ الى جانب شخصيات تاريخية وعنوا بالفن الروائي
عنايتهم بالحدث التاريخي مثل روايات سليمان صائغ وشعبان رجب
الشهاب . ولم يسبق احد الى دراسة هذا النوع من الروايات وغاب عن
الدارسين للرواية العراقية - وهم قلة قليلة - سبق الاشارة اليها .

وحاولت الرواية الرومانسية أن تهرب الى الاحلام والامال والقصور
المعلقة في الهواء . وقد وجدنا ان هذه الروايات تتشابه في البناء
والشخصيات والاحداث والموضوعات الدائرة حول العواطف الجامحة
والحب العنيف الجارف ووجدنا ان اكثر هذه الروايات خالية من
الفنية الروائية . وقد درسنا عدداً غير قليل من هذه الروايات بعضها
لم يشر اليه احد من الباحثين .

ثم تناولت بالبحث لونا اعتمد على الاساطير والحرفات المتأثرة
بالادب الشعبي يمكن ان نسميه بالرواية الشعبية ، ونعتقد ان هذه الدراسة
عن الرواية الشعبية هي الاولى من نوعها وقد وجدنا في بعض هذه
الروايات شبيهاً واضحاً بينها وبين الادب الشعبي العربي القديم . وهذه
الروايات لا تؤمن بالعلاقة السببية بين اجزائها وانما ينصب همها في
تسليية القارئ وابعاده عن واقعه والشخصية الانسانية فيها قد تكون
منتزعة من التاريخ ينقلها المؤلف كما هي او ينتزعها من خياله ويضفي
عليها مسحة من الغرابة والبحث عن الواقع او ينتزعها من القصص

الشعبى والخرافات ويحيطها بأجواء غريبة من الجن والاولياء وأهل الكرامات .

اما الرواية الواقعية فقد كان منها لوان لون يكتفى بتسجيل الواقع كما رأينا في بعض ألوان الرواية التاريخية حيث جابهت هذه الروايات الواقع وعبرت عن احساس الاديب بها وقد حالت عوامل كثيرة دون تطورها فجعلتها تسجيلاً للواقع كما هو .

ولون فني سعى الى خلق واقع فني عميق قد يكون اكثر عمقاً واحساساً من الحياة نفسها او محاولة للتعبير عما يعانيه المواطن العراقي من انسحاق وتفقت دون استسلام للواقع بل اندفاع نحو مستقبل افضل وحياة اكثر بهجة وسعادة وذلك لتأثير عوامل ادبية واقتصادية وسياسية دفعت الرواية الواقعية الفنية الى واقعية جديدة اكثر تطوراً ولكنها اكثر بعداً عن الواقع ، حتى انها تطبع احياناً بطابع خيالي يقر بها من الحساسية والعاطفية .

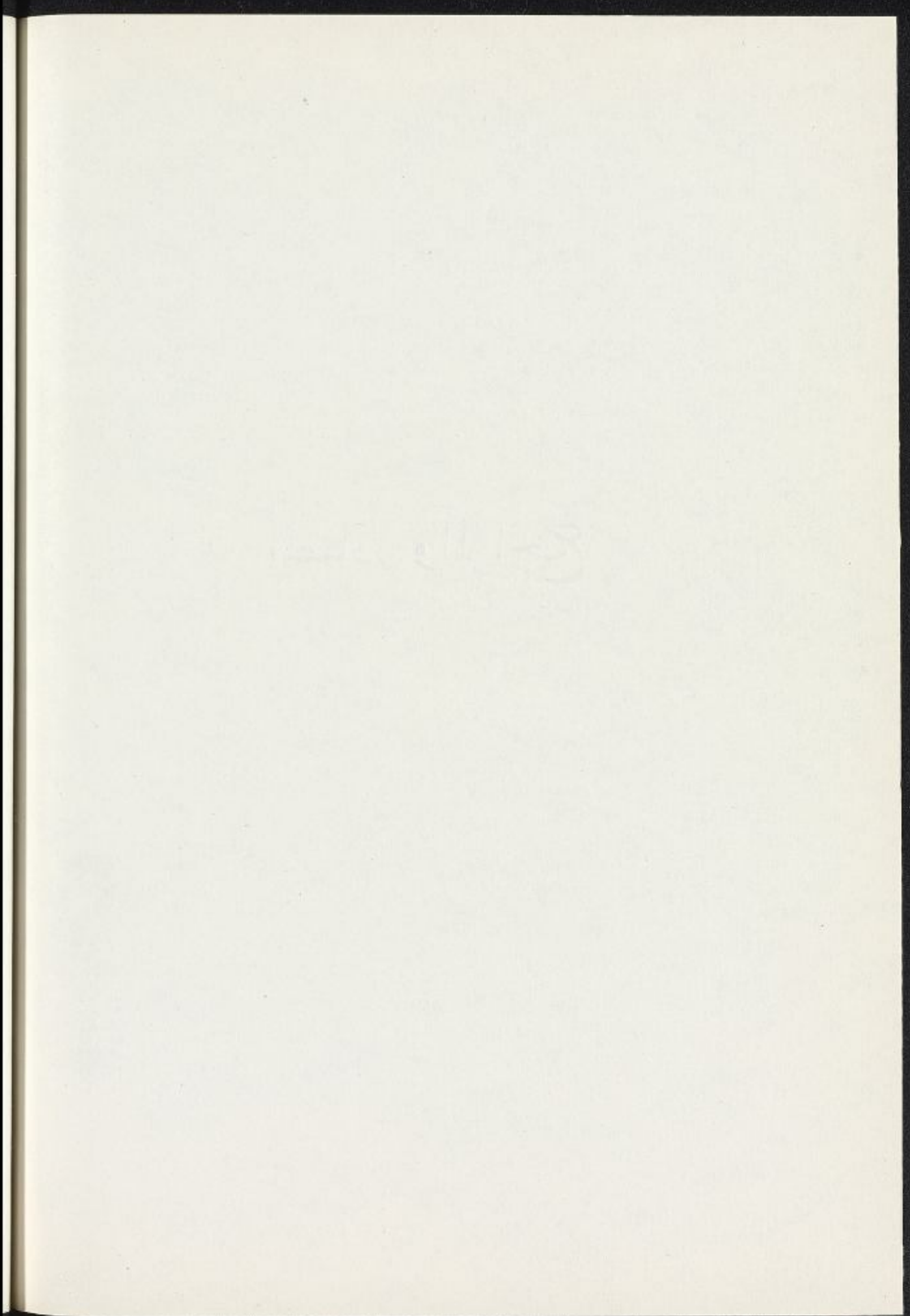
وقد وجدنا ان الرواية الفنية في العراق لم تكتمل جوانبها قبل الحرب العالمية الثانية عند محمود السيد وذنون ايوب وان بدت اكثر فنية عند عبد الحق فاضل وكذلك لم تتضح معالمها بعد الحرب عند خالد الدرة ولكنها استوت رواية فنية بعد ثورة الرابع عشر من تموز بسبب المؤثرات السياسية والاجتماعية الاقتصادية كما بدت في روايات فؤاد التكرلى وشاكر جابر وغائب طعمة فرمان .

اما الرواية الوجودية فلم يتبلور مفهومها بعد عند النفر القليل الذين حاولوا الكتابة فيها مثل انيس زكى في رواية السجين .
ان الكتاب في الثلاثينات واولئل الاربعينات هم الذين اعطوا الرواية

العراقية قيمتها وبهر انتاجهم بالخير . وعندما حلت نهاية الاربعمينات
واشرقت شمس الخمسينات كل جيل جديد يأخذ طريقه الى النور ،
ومع الظلام الذي يكتنف اعماله فانه يحاول جاهدا ان يبيلورها .
وقد شهدت الرواية العراقية تجارب جديدة في فنيتهما وسواء كان
الامر بالنسبة للجيل الجديد او بالنسبة للاجيال التي سبقته فانا نعد
النتائج التي توصلنا اليها والآراء التي بسطناها غير قاطعة ولاهي بدورها
الاخيرة وان كانت خطوات اولى على الطريق .

وكل ما اردنا من هذا البحث ومن دراستنا له ان نعيش فترة من
الوقت في تجربة او محاولة جادة ونحن نتساءل هل استطاعت القصة العراقية
ان تقدم فناً تتلامح فيه خصائص البيئته تمكنا ان ننسب اليها كلمة
عراقية ؟ فنجيب ان نعم لان القصة العراقية قصة محلية قبل كل شيء .

المصادر والمراجع



المصادر

الروايات العراقية

السنة	محل الطبع	اسم الرواية	اسم المؤلف
١٩٦٤	مطبعة الاديب - بغداد	مأساة اللطيفية	١ ابن الفرات
١٩٣٨	مطبعة الجزيرة - بغداد	العذاب	٢ ابوانيس زكي حسن
١٩٦٥	مطبعة الشمال - كركوك	التأثون	٣ احمد صبحي
١٩٦٢	مطبعة الوفاء - بغداد	زوجة المرحوم	٤ ادمون صبري
١٩٥٨	شركة التجارة والطباعة	لخاله عطية	«
١٩٢٨	مطبعة الكاظمية - بغداد	اعجائب الزمان في صروح عروس البلدان	٥ آكوب كبرائيل
١٩٦١	دار مكتبة الحياة - بيروت	السجين	٦ ابوانيس زكي حسن
١٩٥٩	«	الاخطبوط	«
١٩٩٥	مطبعة التمدن - بغداد	الايام العمياء والناس الحمقى	٧ بهنام وديع
	مطبعة الشباب - بغداد	صفحة في زوايا النسيان	٨ تاج الدين العمري
١٩٤٤	مطبعة الراعي - النجف	في قرى الجن	٩ جعفر الخليلي
١٩٤٨	مطبعة الراعي - النجف	الضايح	«
١٩٦٥	شركة نصر الله - بغداد	القلوب المتوجعة	١٠ جميل حمزة جميل

السنة	محل الطبع	اسم الرواية	اسم المؤلف	مسلل
١٩٥٥	مطبعة سفيان الاعظمى - بغداد	التائهة التافهة	حازم مراد	١١
١٩٦١	مطبعة الوفاء - بغداد	أين تذهبين	«	«
١٩٦٧	دار البصري - بغداد	الحب اقوى	«	«
١٩٦٢	بغداد	الولادة وابن زيدون	حسين ورة الكافلي	١٢
١٩٥٢	مطبعة دار الحديث - بغداد	شيخ القبيلة	حمدي علي	١٣
١٩٥٤	مطبعة النجاح - بغداد	باهرة	«	«
١٩٥٣	مطبعة الوادي - بغداد	افول وشروق	خالد الدرة	١٤
١٩٦٤	دار الجاحظ	الزوجان المنتهران	خضر الشابندر	١٥
١٩٣٨	شركة الطباعة والتجارة - بغداد	الدكتور ابراهيم	ذنون ايوب	١٦
١٩٤٨	«	اليد والارض والماء	«	«
١٩٥٥	دار اللواء - بغداد	الرسائل المنسية	«	«
١٩٤٨	مطبعة المعارف - بغداد	الخطيئة	رضاء الدين العيدري	١٧
١٩٥٣	مطبعة النجم - بغداد	يزدان دوخت	سليمان الصايغ	١٨
١٩١٩	- البصرة	الرواية الايقاظية	سليمان فيضي	١٩
١٩٦١	مطبعة الجمهورية - بغداد	الايام المضيئة	شاكر جابر	٢٠
١٩٦٧	دار الجمهورية - بغداد	الهارب	«	«
١٩٦٦	مطبعة الخال - بيروت	الحقد الاسود	شاكر خصبان	٢١
١٩٤٩	مطبعة المعارف - بغداد	سلمى التغلبية	شعبان رجب شهاب	٢٢
١٩٥٦	مطبعة المثقبي بغداد	نبي العذريين في القرن العشرين	شهاب احمد المشاهدي	٢٣

السنة	محل الطبع	اسم الرواية	اسم المؤلف	مسلّم
١٩٤٦	مطبعة الزمان - بغداد	في سبيل الخلود	صاحب الصباغ	٢٤
١٩٥٤	مطبعة الجامعة - بغداد	غياوة نبيه	«	«
١٩٤٧	مطبعة المعارف - بغداد	عدنا الى الخان الكبير مكتبة المعارف	صالح رشيد	٢٥
١٩٢٩	مطبعة الاهالي - بغداد	البنادق المسروقة	صبري عبد الله	٢٦
١٩٦٢	مطبعة الوفاء - بغداد	الله في صدور العذارى	طاهر العميد	٢٧
١٩٥٦	الشركة الاسلامية - بغداد	المسلم الثائر	طاهر مظفر الرشيد	٢٨
١٩٣٨	مطبعة الرابطة - بغداد	مجنونان	عبد الحق فاضل	٢٩
١٩٦٧	دار الجمهورية - بغداد	الظالمون	عبد الرزاق المطلي	٣٠
١٩٥٧	مطبعة النجاح - بغداد	فتاة الريف	عبد الله حلمي ابراهيم	٣١
١٩٥٥	مطبعة الزهراء - النجف	ارينب	عبد الله حسون العلي	٣٢
١٩٤٩	مطبعة الراعي - بغداد	نهاية حب	عبد الله نيازي	٣٣
١٩٥٣	مطبعة دار المعرفة - بغداد	اناheid	«	«
١٩٤٤	بغداد	رجل الاسرار	عبد الكريم عباس	٣٤
١٩٦٣	مطبعة الامة - بغداد	نسرين	عبد اللطيف العبادي	٣٥
١٩٥٥	مطبعة الخير - سشار	سبي بابل	عبد المسيح بلايا	٣٦
١٩٥١	مطبعة المعارف - بغداد	حمدي	عبد الواحد خماس	٣٧
١٩٥٤	مطبعة دار المعرفة - بغداد	طريق الشوك	«	«
١٩٦٧	مطبعة الجمهورية - بغداد	دموع الوداع	عبد الروهاب النعيمي	٣٨
١٩٣٩	المطبعة المصرية - دمشق	من بنات الناس	عربي عراقي	٣٩

السنة	محل الطبع	اسم الرواية	اسم المؤلف
	مطبعة العربي - النجف	رنة الكأس	٤٠ علي الشبيبي
١٩٦١	بغداد	والصيف على الابواب مطبعة الزعيم	٤١ علي سهيل
١٩٦١	بغداد	مطبعة المعارف - بغداد	٤٢ غالب آل يحيى
		والاكواخ	
١٩٦٥	بغداد	مطبعة الارشاد - بغداد	٤٣ غالب عبد الرزاق
١٩٥٦	بغداد	يا ظالماني	٤٥ غالب علي الدودي
١٩٦٦	بيروت	المكتبة المصرية - بيروت	٤ غائب طعمة فرمان
١٩٦٧	بغداد	مطبعة دار الساعة - بغداد	٤٦ فلك الدين الكاكاكي
١٩٦٠	بغداد	مطبعة الرفاء - بغداد	٤٧ فؤاد التكرلي
١٩٣٠	مطبعة ام الربيعين	ابن الناطور	٤٨٤ فهمي ع . مصطفى
	الموصل		
١٩٥٢	بغداد	المطبعة العربية - بغداد	٤٩٠ فيصل الياصري
١٩٦٥	المطبعة الحيدرية	مات النهار	٥ لطيف عبد الحسيني
	النجف		
١٩٥٧	بغداد	مطبعة المثني - بغداد	٥١ ليلى عبد القادر
١٩٣١	بغداد	مطبعة النجاشي - بغداد	٥٢ محمد حسن النمري
١٩٣١	البصرة	مطبعة الكاظمين - البصرة	٥٣ محمد صالح بحر العلوم
١٩٥٥	بغداد	مطبعة المعارف - بغداد	٥٤ محمد طاهر توفيق
	مطبعة الآداب - النجف	ابراهيم	٥٥ محمد المهدي الحسين
			الشعرازي
١٩٢١	بغداد	مطبعة نعمان الاعظمي - بغداد	٥٦ محمود احمد السيد

السنة	محل الطبع	اسم الرواية	اسم المؤلف	مسلسل
١٩٢٢	مطبعة الاعتماد - بغداد	مصير الضعفاء	محمود احمد السيد	
١٩٢٨	مطبعة دار السلام - بغداد	جلال خالد	«	
١٣٧٤ هـ	المطبعة الحجرية كربلاء	مقامات الآلوسى	محمود شكري الآلوسى	٥٧
١٩٤٨	المطبعة العربية - بغداد	قصة من الجنوب	مرتضى الشيخ حسين	٥٨
١٩٤٨	مطبعة الراعى - بغداد	رياض	مرزه حمزة شير علي	٥٩
١٩٦٠	مكتبة النهضة - بغداد	المدينة تحتضن الرجال	موفق خضر	٦٠
	مطبعة المعارف - بغداد	اربع نساء	ناجية حمدى	٦١
١٩٦١	منشورات البصري بغداد	مأساة طفلة	نجم سليمان	٦٢
١٩٤٩	مكتبة الحبيب - البصرة	ضحية المكائد	نور الدين داود	٦٣
	مطبعة الشمال - كركوك	الشمعة الاخيرة	وهي حسين كوزه جي	٦٤
١٩٥١	دار العلم للملايين بيروت	بغير قلوب	هلال ناجى	٦٥
١٩٦٦	مكتبة النهضة - بغداد	الزقاق المسدود	ياسين حسين	٦٦
١٩٦٦	مكتبة النهضة - بغداد	كما يموت الآخرون	«	
١٩٥٣	مطبعة الجامعة - بغداد	الثالوث	يحيى عباس	٦٧
١٩٢٢	مجلة الزنبقة - بغداد	فتاة بغداد	٦٨

المراجع

(أ)

السنة	محل الطبع	الكتاب	اسم الكاتب	مسلل
١٩٦٠	دار الكرنك - القاهرة	اركان القصة	أ. أ. فورستر	١
		ت كمال عياد جاد		
١٩٥٨	- القاهرة	ابراهيم احمد العدوي حركات التسلل ضد القومية العربية		٢
١٩٦١	مطبعة العاني - بغداد	الشعر السياسي في العراق	ابراهيم الوائلي	٣
١٩٥٢	مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة	تيارات ادبية بين الشرق والغرب	ابراهيم سلامة	٤
١٩٥٩	دار المعارف - بيروت	الشعر والشعراء	احمد ابو سعيد	٥
١٩٥٩	دار الشرق الجديد بيروت	فن القصة	«»	
١٩٦٢	مكتبة النهضة المصرية - القاهرة	اصول النقد الادبي	احمد الشايب	٦
١٩٦٦	الدار القومية القاهرة	مكسيم جوركي	احمد محمد عطية	٧
١٩٦٥	دار الجيل للطباعة - القاهرة	بناء الرواية	ادوين موير	٨
١٩٤٥	دار سعد للطباعة والنشر بالقاهرة	ت ابراهيم الصيرفي توفيق الحكيم	اسماعيل ادهم	٩

السنة	محل الطبع	اسم الكتاب	اسم الكاتب	مسلسل
١٩١٩	مطبعة الحكومة البصرة	تاريخ العراق	الاب انستاس الكرملي	١٠ خلاصة تاريخ العراق
١٩٦٠	مطبعة الفجر - الرباط	تاريخ القصة والمسرحية		١١ الحسن السائح
		في الادب المغربي .		
١٩٥٦	مكتبة الانجلو المصرية	تاريخ القصة والنقد في		١٢ السباعي البيومي
	القاهرة -	الادب العربي .		
١٩٤٩	دار الكشاف - بيروت	فصول من تاريخ العراق		١٣ المس بيل
		القريب . ترجمة جعفر خياط		
١٩٦١	مكتبة المعارف بيروت	دراسات في النقد ترجمة		١٤ الن تيت
		عبد الرحمن ياغي		
	رسالة ماجستير جامعة	الشعر الشعبي في الفرات		١٥ اميرة نور الدين
	القاهرة	الاوسط		
١٩٥٦	دار بيروت	اميل زولا ترمضان لاوند		١٦ اميل زولا
١٩٤٠	دار الكشاف - بيروت	الرمزية في الادب العربي		١٧ انطون غطاس فرح
		الحديث .		
١٩٦٤	دار النشر للمجاميعين	معالم الادب العربي المعاصر		١٨ انور الجندي
	بيروت -			
١٩٥١	لجنة النشر للمجاميعين	نماذج فنية		١٩ انور المعداوي
	القاهرة -			
١٩٣٩	الجامعة الاميريكية	العوامل الفعالة في الادب		٢٠ انيس المقدسي
	بيروت -	العربي الحديث .		
١٩٦٢	مطبعة اتحاد الادباء بغداد	في القصة العراقية		٢١ باسم عبد الحميد حمودي

السنة	محل الطبع	اسم الكتاب	اسم الكاتب	مسلسل
١٩٦٢	دار النهضة العربية القاهرة	تعريف بالرواية الروسية	بانكو لافرين	٢٢ بانكو لافرين
		ترجمة مجد الدين حقيقي ناصف		
١٩٦٣	مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة	التيارات المعاصرة في النقد الادبي .	بدوي طبانة	٢٣ بدوي طبانة
١٩٦١	مؤسسة روز اليوسف - القاهرة	عمالقة الادب ت/ دريني خشبة .	برتون راسكو	٢٤ برتون راسكو
١٩٤٨	دار الفكر العربي القاهرة	الادب الانجليزي	بول دوتان	٢٥ بول دوتان
١٩٦١	مكتبة المعارف بيروت	عالم شتاينبك الرحيب	بيتر ليسكان	٢٦ بيتر ليسكان
		ترجمة عبداللطيف شرارة		
١٩٥٩	لجنة التأليف والترجمة	فنون الادب ترجمة زكي نجيب محمود .	تشارلتون	٢٧ تشارلتون
	مكتبة الآداب - القاهرة	فن الادب	توفيق الحكيم	٢٨ توفيق الحكيم
١٩٤٣	دار الهلال - القاهرة	زهرة العمر	«	«
١٩٥٦	دار بيروت	الادب الاسباني ترجمة بهيج شعبان .	جان كامب	٢٩ جان كامب
١٩٦٢	مطبعة الانصاف بيروت	القصة العراقية قديما وحديثا	جعفر الخليلي	٣٠ جعفر الخليلي
١٩٤١	مطابع دار الكشاف بيروت	حوادث العراق	جعفر خياط	٣١ جعفر خياط
١٩٤٩	مطابع دار الكشاف - بيروت	العراق دراسة في تطوره السياسي .	«	«
١٩٥٣	دار اليقظة العربية دمشق	مراسلات بين غوركي وتشينخوف	جلال فاروق	٣٢ جلال فاروق
١٩٦١	دار الثقافة - بيروت	الادب الامريكي	جميل جبر	٣٣ جميل جبر

السنة	محل الطبع	اسم الكاتب	اسم الكتاب	مسلسل
١٩٥٤	معهد الدراسات العربية بالقاهرة	جمال سميد	نظرات في التيارات الادبية الحديثة في العراق .	٣٤ جميل سميد
١٩٥٣	دمشق	جمال سلطان	فن المقامة والقصة	٣٥ جميل سلطان
١٩٥٨	معهد الدراسات العربية بالقاهرة	جمال صليبيا	الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام .	٣٦ جميل صليبيا
١٩٦١	الفكر الجديد - بيروت	ج . بندونشين	علاقة الفن بالواقع ترجمة فؤاد ايوب	٣٧ ج . بندونشين
	مكتبة مصر - القاهرة	ج . جومبية	ثلاثية نجيب محفوظ ترجمة نظمي لوقا	٣٨ ج . جومبية
١٩٤٣	لجنة التأليف والترجمة - القاهرة	جورج ديهاميل	دفاع عن الاب	٣٩ جورج ديهاميل
١٩٦٥	دار الآداب - بيروت	جون بول سارتر	ادباء معاصرون ترجمة جورج طربيشي .	٤٠ جون بول سارتر
١٩٦٥	الدار القومية - القاهرة	٤١ حسين قباني	فن كتابة القصة	
١٩٥٦	دار الفكر - القاهرة	٤٢ حسين مروه	قضايا ادبية	
١٩٥٧	مطبعة دار المعرفة بغداد	٤٣ خضر العباسي	شعراء الثورة العراقية	
١٩٥٨	مطبعة الادارة المحلية - العمارة	٤٤ خليل رشيد	الادب الشعبي	
١٩٦٠	دار المعارف - بغداد	٤٥ داود سلوم	تطور الفكرة والاسلوب في القرن العشرين .	
١٩٦٢	مطبعة المعارف بغداد		الادب المعاصر في العراق	©

مسلسل	اسم الكاتب	اسم الكتاب	محل الطبع	السنة
٤٦	ذنون ايوب	مختارات ذنون ايوب	مطبعة اللواء - بغداد	١٩٥٧
٤٧	راى وست	القصة القصيرة ترجمة سمير عزام	دار صادر - بيروت	١٩٦١
٤٨	رشاد رشدي	فن القصة القصيرة	مكتبة الانجلو المصرية	١٩٥٩
			القاهرة .	
	«	مختارات في النقد الادبي المعاصر .	«	١٩٦١
	«	مقالات في النقد الادبي	«	١٩٦٢
٤٩	روفائيل بابو اسحق	تاريخ نصارى العراق	مطبعة المنصورة بغداد	١٩٤٨
٥٠	روفائيل بطى	الادب العصري في العراق	دار المعارف - بغداد	١٩٤٣
	«	الصحافة في العراق	معهد الدراسات العربية	١٩٥٥
			بالقاهرة .	
٥١	رشدي صالح	الفنون الشعبية	المكتبة الثقافية القاهرة	١٩٦١
٥٢	روبرت اسپيلر	تطور الادب الامريكى ترجمة توفيق ثائع .	المؤسسة الاهلية	
	«	الادب الامريكى ترجمة محمود محمود .	مكتبة النهضة المصرية	
			القاهرة .	
٥٣	روجر كوفلان	عالم فوكنر الرحيب ترجمة سامي حنا	مكتبة الحياة - بيروت	
٥٤	روي كارون	الاديب وصناعته ترجمة جبرة ابراهيم جبرة	مكتبة منبمنة - بيروت	١٩٦٢

محل الطبع السنة	اسم الكاتب	اسم الكتاب	مسلسل
مطبعة الرابطة - بغداد ١٩٥٣	مقدمة في دراسة العراق المعاصر .	مقدمة في دراسة العراق المعاصر .	٥٥ زكي صالح
القاهرة ١٩٤٢	ملاحم المجتمع العراقي	ملاحم المجتمع العراقي	٥٦ زكي مبارك
دار المعارف القاهرة ١٩٥٩	الادب العربي المعاصر في سوريا .	الادب العربي المعاصر في سوريا .	٥٧ سامي الكيالي
دار ابن المقفع ١٩٥٥ - دمشق	دستوفسكي ترجمة فريد انطونينوس .	دستوفسكي ترجمة فريد انطونينوس .	٥٨ ستيفن سفايج
الموصل ١٩٥٦	منية الابداء	منية الابداء	٥٩ سعيد الجليلي
مطبعة المجمع العلمي ١٩٦٥ العراقي ببغداد	ارجوزة السيد خليل البصير	ارجوزة السيد خليل البصير	٦٠ سعيد الديوجي
شركة الطباعة والتجارة ١٩٥٣ ببغداد	في غمرة النضال	في غمرة النضال	٦١ سليمان فيضي
الدار القومية - القاهرة	دروس من الحياة ترجمة حسين القباني	دروس من الحياة ترجمة حسين القباني	٦٢ سومرست موم
رسالة ماجستير جامعة ١٩٦٥ القاهرة	تطور القصة القصيرة في مصر	تطور القصة القصيرة في مصر	٦٣ سيد حامد
دار الفكر العربي القاهرة ١٩٦٠	النقد الادبي	النقد الادبي	٦٤ سيد قطب
معهد الدراسات العربية ١٩٥٥ بالقاهرة .	النقد الادبي	النقد الادبي	٦٥ سهير القلماوي
معهد الدراسات العربية ١٩٥٧ القاهرة	محاضرات عن القصة في لبنان	محاضرات عن القصة في لبنان	٦٦ سهيل ادريس

السنة	محل الطبع	اسم الكتاب	اسم الكاتب	مسلسل
١٩٦٣	دار الفكر العربي القاهرة	تشيكوف والقصة القصيرة	شاكر النابلسي	٦٧ شاكر النابلسي
٥٨/٥٧	معهد الدراسات العربية	القصة في سوريا	شاكر مصطفى	٦٨ شاكر مصطفى
١٩٥٦	مكتبة القاهرة الحديثة	سنكلر لويس ترجمة عبد الفتاح المنياوي	شeldon فورمان	٦٩ شلدون فورمان
١٩٥٨	الدار المصرية للمكتب القاهرة .	موجز تاريخ الادب الانجيزي ترجمة عبد الله عبد الحافظ	شوقي السكري	٧٠ شوقي السكري
١٩٦٤	دار المعارف - القاهرة	الادب العربي المعاصر	شوقي ضيف	٧١ شوقي ضيف
١٩٥٤	دار المعارف - القاهرة	المقامة	«	«
١٩٦٢	القاهرة	في النقد الادبي	«	«
١٩٥٨	مطبعة الرابطة - بغداد	دراسات في الادب المقارن	صفاء خلوصي	٧٢ صفاء خلوصي
	الشركة العربية للنصر القاهرة	من ادبنا المعاصر	طه حسين	٧٣ طه حسين
	مطبعة المعارف - القاهرة	فصول في الادب والنقد	«	«
١٩٥٢	دار المعارف - القاهرة	الوان	«	«
١٩٦٦	الدار القومية القاهرة	القصة في الادب الانجيزي	طه محمود طه	٧٤ طه محمود طه
١٩٦٦	عالم الكتب - القاهرة	دراسات لاعلام القصة	«	«
١٩٦٦	الدار القومية القاهرة	القصة القصيرة في مصر	عباس خضر	٧٥ عباس خضر
١٩٦٧	دار الجمهورية - بغداد	الواقعية في الادب	«	«
١٩٥٨	دار المعارف - بغداد	تاريخ الادب العربي في العراق .	عباس العزاوي	٧٦ عباس العزاوي
١٩٦٦	شركة الطباعة والنشر بغداد	تاريخ العراق بين الاحتلالين	«	«

السنة	محل الطبع	اسم الكتاب	مسلسل اسم الكاتب
١٩٥٦	المطبعة المصرية - القاهرة	مراجعات في الآداب والفنون	٧٧ عباس محمود العقاد
	دار اخبار اليوم القاهرة	القصة الامريكية	«١»
١٩٦٠	مكتبة مصر - القاهرة	همزات الشياطين	٧٨ عبد الحميد جودة السحار
	معهد الدراسات العربية	القصة من خلال تجاربي	«٢»
	القاهرة		
١٩٥٦	مطبعة جامعة القاهرة - القاهرة	الهلاية في التاريخ والادب الشعبي	٧٩ عبد الحميد يونس
		الاسس الفنية للنقد الادبي	«٣»
١٩٥٨	دار المعرفة القاهرة	فن القصة القصيرة في ادبنا الحديث .	«٤»
١٩٦٢	الثقافة الشعبية	الظاهر بيبرس	«٥»
	رسالة دكتوراه - جامعة القاهرة	الحياة الادبية في فلسطين حتى النكبة .	٨٠ عبد الرحمن ياغي
١٩٥٧	مطبعة الزهراء بغداد	تاريخ الصحافة في العراق	٨١ عبد الرزاق الحسيني
١٩٥٧	شركة الطبع والنشر الاهلية ببغداد .	تاريخ التعليم في العراق	٨٢ عبد الرزاق الهلالي
	مطبعة الرجاء - بغداد	اعلام من الشرق	٨٣ عبد القادر البراك
١٩٥٦	مطبعة المعارف ببغداد	القصص في الادب العراقي الحديث .	٨٤ عبد القادر حسن امين
١٩٥٥	دار مصر للطباعة القاهرة	في الادب المصري	٨٥ عبد القادر القط
١٩٦٠	مطبعة المعارف ببغداد	بغداد القديمة	٨٦ عبد الكريم العلاف
١٩٥٣	دار الكشاف - بيروت	هذا هو العراق	٨٧ عبد الكريم ابو التمن

- | السنة | محل الطبع | اسم الكتاب | مسلسل اسم الكاتب |
|-------|--------------------------------|---------------------------------------------------------|------------------|
| ١٩٦٣ | مطبعة جامعة دمشق | عبدالكريم اليافي دراسات فنية في الادب العربي . | ٨٨ |
| ١٩٥٥ | مطبعة القاهرة - القاهرة | عبدالرحمن الجليلي محاضرات في الاقتصاد العراقي . | ٨٩ |
| ١٩٥٩ | معهد الدراسات العربية بالقاهرة | عبد الله عبد الجبار التيارات الادبية الحديثة | ٩٠ |
| ١٩٦٤ | معهد الدراسات العربية | عبد الله كنون احاديث عن الادب المغربي الحديث . | ٩١ |
| | مطبعة الصباح - بغداد | عبد المجيد لطفي نظرات في الادب الكردي | ٩٢ |
| | رسالة ماجستير جامعة القاهرة | عبدالمحسن طه بدر التطور والتجديد في الشعر المشرق الحديث | ٩٣ |
| ١٩٦٣ | دار المعارف - القاهرة | تطور الرواية العربية الحديثة «» | |
| ١٩٦١ | دار المصرية - القاهرة | عبدالمنعم الحفني تيارات ومذاهب فنية وادبية جديدة | ٩٤ |
| ١٩٦٤ | مؤسسة سجل العرب - القاهرة | عبدالوهاب محمد المسيري الرومانتيكية في الادب الانجليزي | ٩٥ |
| ١٩٣٧ | مطبعة ام الربيعين - الموصل | عثمان الجليلي الحججة على من زاد على ابن حجة | ٩٦ |
| ١٩٦٦ | دار الفن الحديث دمشق | عدنان بن ذريل ادب القصة في سورية | ٩٧ |
| ١٩٦٦ | دار الفن الحديث دمشق | القصة السورية «» | |
| ١٩٥٥ | مطبعة الاعتماد بالقاهرة | عزالدين اسماعيل الادب وفتونه | ٩٨ |

السنة	محل الطبع	اسم الكتاب	اسم الكاتب	مسلسل
١٩٦٢	دارالمعارف - القاهرة	التفسير النفسي للادب	عز الدين اسماعيل	٩٩
١٩٦٢	اتحاد الادباء بغداد	مقالات	علي جواد الطاهر	
١٩٦٧	المكتبة العصرية بيروت	في القصص العراقي المعاصر	(١)	
١٩٦٤	مطبعة مصر - القاهرة	دراسات في الرواية المصرية	علي الراعي	١٠٠
١٩٦٣	دارالمعارف - القاهرة	من الادب الافريقي	علي شلش	١٠١
	الدار القومية - القاهرة	ارنست همنجواي	علي محمد علي	١٠٢
١٩٦٥	مطبعة العاني - بغداد	دراسة في طبيعة المجتمع العراقي	علي الورد	١٠٣
١٩٦٤	رسالة ماجستير	عمر محمد الطالب القصة القصيرة في العراق بعد الحرب العالمية الثانية		١٠٤
١٩٦٥	منشورات دار البصري - بغداد	نزعات في الفكر الاوربي	عواد مجيد الاعظمي	١٠٥
١٩٥٩	بغداد	دراسات ادبية	غالب الناهي	١٠٦
١٩٦٢	بيروت (دار الآداب)	ازمة الجنس في القصة العربية	غالي شكري	١٠٧
١٩٦٤	مكتبة الزناري القاهرة	المنتهمي	(٢)	
١٩٦٤	المطبعة العصرية لبنان	كلمات من الجزيرة المجهولة	(٣)	
١٩٦٣	منشورات عويدات - لبنان	الادب الفرنسي الجديد	غائيان بيكون	١٠٨
	الدار المصرية للطباعة	ترجمة نبيه صقر .		
	بالاسكندرية	فاروق خورشيد في الرواية العربية		١٠٩

السنة	محل الطبع	اسم الكتاب	اسم الكاتب	مسلسل
١٩٦٤	دار الهلال - القاهرة	مغامرات سيف بن ذي يزن	فارو خورشيد	
١٩٦٤	المكتبة الثقافية القاهرة	اضواء على السير الشعبية	«	
١٩٦٧	دار الهلال - القاهرة	على الزئبق	«	
١٩٥٦	مكتبة الانجلو المصرية القاهرة	بين ادبين	١١٠ فاطمة موسى	
١٩٥٦	دار بيروت - بيروت	الرومانطيقية ترجمة بهيج شعبان	١١١ فان تيغم	
١٩٦١	مطبعة دار البلاد بغداد	الصحافة العراقية	١١٢ فائق بطى	
١٩٦٥	مطبعة اسعد - بغداد	ملاحمة الموصل	١١٣ فتح الله القادري الموصل	
١٩٦٦	الدار القومية - القاهرة	محمود تيمور والاقصوصة العربية	١١٤ فتحي الأبياري الجنس والواقعية	
١٩٦١	مطبعة الاستقامة القاهرة	القصة الحديثة ترجمة بكر عباس	«	
١٩٦٠	دار النشر للجامعات القاهرة	وليم فولكنر ترجمة احمد شناوي	١١٥ فردريك هوفمن	
١٩٦١	دار الثقافة - بيروت	القصة الحديثة ترجمة بكر عباس	«	
	مطبوعات الشرق - القاهرة	تشيكوف ترجمة الدكتور عبد القادر القبط .	١١٦ فلادمير برميلوف	
١٩٦٠	منشورات عويدات بيروت	الرومانطيقية في الادب الفرنسي ترجمة احمد دمشقية	١١٧ ف . ل . سوليه	
١٩٦٦	مركز الشرق الاوسط القاهرة	في القصة القصيرة	١١٨ فؤاد دواره	

السنة	محل الطبع	اسم الكاتب	اسم الكتاب
١٩٦٥	الدار المصرية القاهرة	ج. بوشى	الملمهة في المسرحية والقصة
			ترجمة ادوار حلیم
١٩٦١	مطبعة رويال - القاهرة	١٢٠ لای بن فينست	نظرية الانواع الادبية
			ترجمة حسن عون
١٩٥٥	دار بيروت - بيروت	١٢١ لويس رينو	الادب الهندي ترجمة فريد شعبان
١٩٢٦	مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت	١٢٢ لويس شيخو	الآداب العربية في القرن التاسع عشر .
١٩٦٠	دار المعرفة - القاهرة	١٢٣ لويس عوض	دراسات في ادبنا الحديث
١٩٦٢	دار الآداب - بيروت	«	الاشتراكية والادب
١٩٦٥	وزارة الثقافة والارشاد - دمشق	١٢٤ ليوس هورتيك	الفن والآداب ترجمة بدر الدين قاسم الرفاعي
١٩٦١	مطبعة شفيق - بغداد	١٢٥ ليتدي درور	في بلاد الرافدين ترجمة فؤاد جميل .
١٩٥٩	المكتبة الاهلية بيروت	١٢٦ ليون ايدل	القصة السايكولوجية ترجمة محمود السمرة
١٩٥٩	دار المعارف - القاهرة	١٢٧ ماهر نسيم	الادب الشيوعي
١٩٥٦	دار الفكر - القاهرة	١٢٨ ماوتسي تونج	مشاكل الادب والفن ترجمة كمال عبد الحلیم
	المطبعة السلفية - بغداد	١٢٩ محمد بهجت الاثري	اعلام العراق
١٩٣٣	مطبعة السياسة القاهرة	١٣٠ محمد حسين هيكل	ثورة الادب

السنة	محل الطبع	اسم الكتاب	اسم الكاتب
	رسالة ماجستير جامعة القاهرة .	محمد رشاد حسن المقامة في نشأة القصة القصيرة .	١٣١
١٩٦١	مكتبة الوحدة - الدار البيضاء .	محمد صادق العفيفي القصة المغربية	١٣٢
	مطبعة دار السلام - بغداد	محمد طاهر العمري تاريخ مقدرات العراق السياسية	١٣٣
	مكتبة الانجلو المصرية القاهرة	محمد عبد المنعم صور من الادب الحديث	١٣٤
	مكتبة النهضة - القاهرة	محمد غنيم هلال الرومانتيكية	
١٩٦٢	الانجلو المصرية القاهرة	المدخل الى النقد الادبي	(١)
١٩٦٣	معهد الدراسات العربية القاهرة	المواقف الادبية	(٢)
١٩٦٤	دار النهضة العربية القاهرة	النقد الادبي الحديث	(٣)
١٩٦٤	المكتبة الثقافية القاهرة	محمد فهمي عبد اللطيف الوان في الفن الشعبي	١٣٦
١٩٦٢	الدار القومية القاهرة	محمد جمال الدين الادب والمجتمع	١٣٧
١٣٨٢ هـ	المطبعة النموذجية الاسكندرية	محمد محمد حسين الاتجاهات الوطنية في الادب	١٣٨
١٩٦٥	دار القلم - القاهرة	محمد مصطفى هداره مقالات في النقد الادبي	١٣٩
١٩٦٤	المكتبة الثقافية القاهرة	محمد مفيد الشوباشي القصة العربية القديمة	١٤٩
	دار الفكر العربي - القاهرة	الادب والفن في ضوء الواقعية	(٤)
١٩٤٦	دار العلم للملايين بيروت	منهج البحث في الادب واللغة .	١٤١

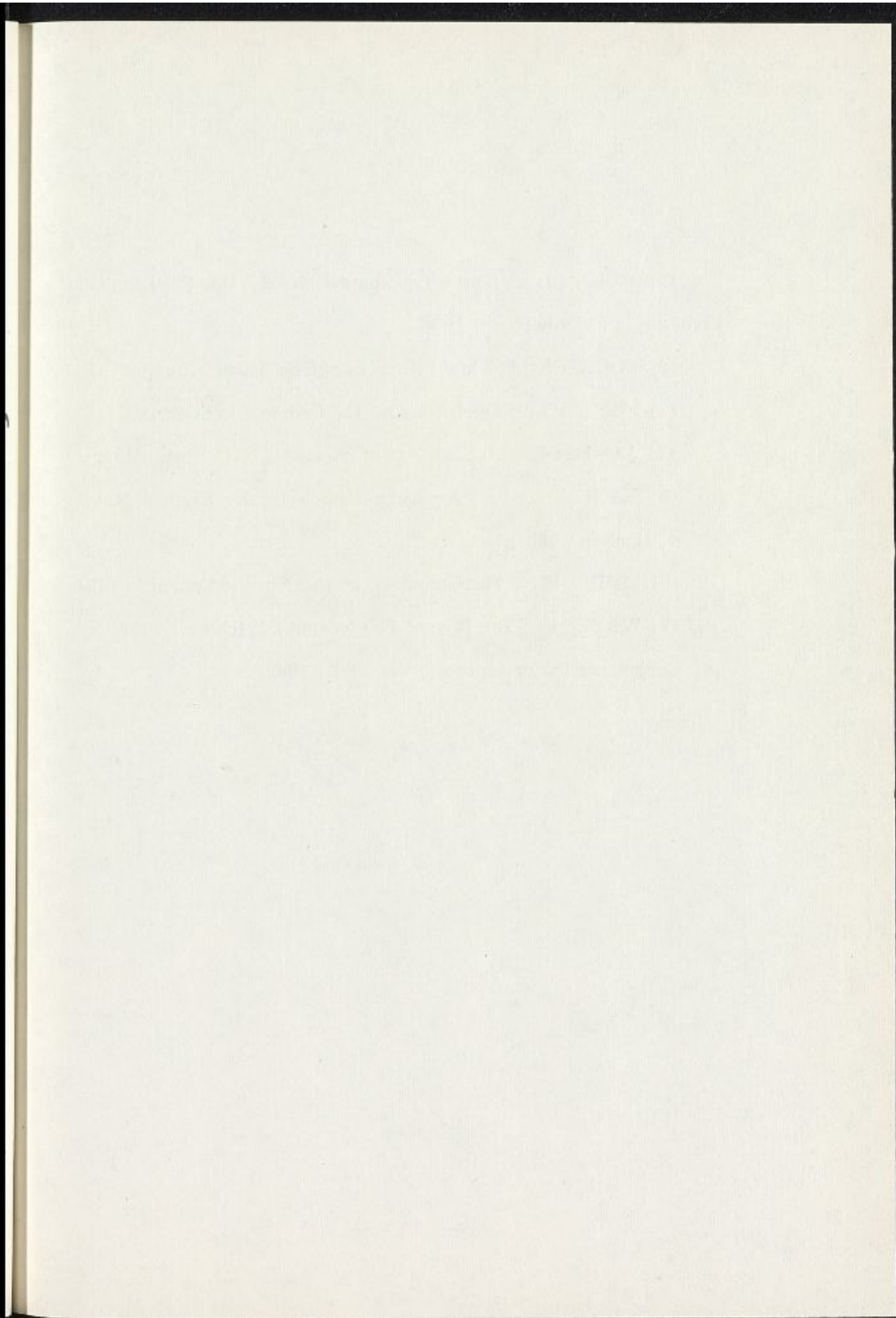
السنة	محل الطبع	اسم الكتاب	اسم الكاتب	مسلسل
١٩٥٢	لجنة التأليف والنشر القاهرة	في الادب والنقد	محمد مندور	
١٩٥٥	معهد الدراسات العربية	الادب وهذاهبه	«»	
١٩٥٨	دار الآداب - بيروت	قضايا جديدة في ادبنا الحديث .	«»	
١٩٦١	دار المعرفة - القاهرة	نماذج بشرية	«»	
١٩٤٦	مطبعة المعارف بغداد	نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر .	محمد مهدي البصير	١٤٢
١٩٥٥	دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت	محمد يوسف نجم فن القصة	«»	١٤٣
١٩٦٥	بيروت	القصة في الادب العربي الحديث .	«»	
	رسالة ماجستير من جامعة القاهرة	القصص اللبناني في النهضة الحديثة .	«»	
١٩٥٥	دار الفكر الجديد بيروت	محمد امين العالم في الثقافة المصرية	«»	١٤٤
١٩٥٦	دار النديم - القاهرة	قصص واقعية من العالم العربي	«»	
١٩٤٨	دار الهلال - القاهرة	فن القصص الادب الهادف	«»	١٤٥
	المطبعة النموذجية - القاهرة	دراسات في القصة والمسرح ظلال مضيئة	«»	
	القاهرة	نشوء القصة وتطورها	«»	

السنة	محل الطبع	اسم الكتاب	اسم الكاتب	مسلسل
١٩٢٢	المطبعة الشرقية - القاهرة دار الشمال للطباعة بيروت	مقالات في النقد الادبي	محمد تيمور	١٤٦ محمود تيمور
١٩٢٢	مطبعة الرحمانية القاهرة	السهام المتقابلة		١٤٧ محمود السيد
١٩٢٩	بغداد	الطلائع		«
١٩٦١	مطبعة الامة - بغداد	العنقود احمد السيد		١٤٨ محمود العبطة
١٩٦٣	دار الفكر العربي القاهرة	الفن القصصي في الادب العربي الحديث .		١٤٩ محمود حامد
١٩٥٧	الانجلو المصرية القاهرة	من فنون الادب العربي		١٥٠ مصطفى الشكعة
١٩٥٤	معهد الدراسات القاهرة	محاضرات عن معروف الصافي		١٥١ مصطفى علي
١٩٤٧	مطبعة الغري النجف	يوسف رجيب		١٥٢ معن العجيلي
	الدار المصرية القاهرة	صور ادبية ترجمة الفريد فرج .		١٥٣ مكسيم جوركي
١٩٦٠	دار الكتاب اللبناني بيروت	الادب القصصي عند العرب		١٥٤ موسى سليمان
١٩٦٤	دار العلم للملايين بيروت	الفن والادب		١٥٥ ميشال عاصي
١٩٥٧	معهد الدراسات العربية القاهرة	الاتجاهات الادبية الحديثة في فلسطين والاردن		١٥٦ ناصر الدين الاسد
١٩٦٣	معهد الدراسات العربية القاهرة	خليل بيدس رائد القصة العربية الحديثة .		«

السنة	محل الطبع	اسم الكتاب	اسم الكاتب	مسلسل
١٩٤٨	بغداد	مذاهب الادب الغربي	١٥٧ نجدة صفوة	
	المكتبة اللبنانية - بيروت	تراثنا الادبي المعاصر	١٥٨ نجيب سعد	
١٩٤٤	مطبعة النيل - القاهرة	محمود تيمور رائد القصة العربية	١٥٩ نزار الحكيم	
١٩٦١	مؤسسة الخانجي القاهرة		١٦٠ نعمات احمد فؤاد ادب المازني	
	رسالة ماجستير جامعة القاهرة	القصة القصيرة في بلاد الشام	١٦١ نعيم الياني	
١٩٦٤	دار الفكر العربي القاهرة	جون شتاينهيك ترجمة نور شريف .	١٦٢ وارين فرنش	
١٩٥٩	المكتب الفني للنشر القاهرة	قضايا الفكر في الادب المعاصر	١٦٣ وديع فلسطين	
١٩٦٠	دار بيروت - بيروت	النقد الادبي ترجمة صلاح احمد ابراهيم	١٦٤ وليم اوكرنو	
١٩٥٥	مطبعة الهدف - الموصل	ياسين بن خير الله الخطيب منية الادباء	١٦٥	
	دار القلم - القاهرة	فجر القصة المصرية	١٦٦ يحيى حقي	
	مكتبة دار العروبة - القاهرة	خطوات في النقد	«	
١٩٣٨	مطبعة المعارف بغداد	الجمرة الاولى - المقدمة -	١٦٧ يعقوب بلبول	
١٩٥٥	شركة التجارة والطباعة - بغداد	مباحث عراقية	١٦٨ يعقوب سر كيمس	
	دار الكاتب العربي - بيروت		١٦٩ يوسف عبد المسيح ثروة فن الادب	
١٩٥٣	مطبعة دار السلام بغداد		١٧٠ يوسف عجاج اطوار الفن القصصي	
١٩٥٤	بغداد		١٧١ يوسف عز الدين الشعر العراقي أهدافه	

السنة	محل الطبع	اسم الكتاب وخصائصه	اسم الكاتب	مستلسل
١٩٦٢	منشورات مكتبة النهضة - بغداد	آراء في الادب العربي	يوسف عز الدين	
١٩٥٥	دار بيروت - بيروت	دستوفسكي بهيج شعبان	هنري تروبان	١٧٢
١٩٦٢	مطبعة اتحاد الادباء بغداد	المؤتمر الثاني لاتحاد الادباء العراقيين		١٧٣

- (1) EDEL , L . ; The Physiological Novel ; J . P . Lippincott Company , Philadelphia , 1955 .
- (2) FORSTER , E . M . ; Aspects of The Novel , London , 1947 .
- (3) FOX , R . ; The Novel And the People ; London 1937 .
- (4) JAMES , H . ; . ; The Art of Fiction ; New York , 1948 .
- (5) KSTTLE , A . ; An Introduction to the English Novel , 2 V . ; London , 1953 .
- (6) MUIR , E . ; The Structure of the Novel , London , 1954 .
- (7) WATT , I . ; The Rise of The Novel , California , 1957 .
- (8) Encyclopaedia Britannica , Vol . 20 ; 1962 .



المراجع

(ب)

السنة	العدد	اسم المقال	مصلح اسم المجلة اسم الكاتب
١٩٦٢	٢	الاتجاهات الفلسفية في الادب العربي المعاصر .	١ الاداب اللبنانية احسان عباس
١٩٥٤		لغة الاداء في القصة والمسرحية	«» انور المعداوي
١٩٦٣	٢	الغثيان وتجربة اكتشاف الاشياء	«» ايريس مردوخ
١٩٥٤	١٠	الادب التقدمي	«» بدر شاكر السياب
١٩٥٤	١	الاقصوصة الروسية الحديثة	«» تاراستكوف
١٩٥٤	١	الصحب والعنف	«» جبرا ابراهيم جبرا
١٩٦٣	٣	الاستلاب في الرواية النسائية العربية .	«» جورج طرايبيشي
١٩٥٤		اتجاهات النقد المعاصر للقصة العربية	«» «»
١٩٥٥	١	جديد في القصة العربية	«» حسين مروه
١٩٦٣	٣	الرواية الوجودية بين الفلسفة والادب .	«» زكريا ابراهيم
١٩٦٣	٣	الرمز في رواية السأم	«» سعد الله غواني
١٩٥٣	٥	وجهة الادب في العراق	«» سليم طه التكريتي

السنة	العدد	اسم المقال	اسم المجلة	اسم الكاتب
١٩٥٣	٤، ٣، ٢	القصة العراقية الحديثة	١	الأدب اللبنانية سهيل ادريس
١٩٦٧	٢	القصة القصيرة	«	سومرست موم
١٩٥٤	٧	ادب القصص عند العرب	«	عبد العزيز عبد المجيد
١٩٦٦	١٠	ثروة فوق النيل	«	عبد القادر القط
١٩٥٥	٥	غاية الادب	«	«
١٩٦٣	٣	مصطلح الرواية وتطور مفهومها العربي	«	عدنان بن ذريل
١٩٦٢	٣	فلسفة الواقعية الجديدة في الادب العربي .	«	غالب هلسه
١٩٦٥	٣	المؤثرات الغربية في الرواية العربية .	«	محمد غنيمي هلال
١٩٥٤	١	فيزيولوجية القصة	«	نيلي كورمو
١٩٤٣	٥	القصة القصيرة لسومرست موم	٢	الاديب اللبنانية احسان عباس
١٩٥٤	١	الرواية والانسانية	«	جبرا ابراهيم جبرا
١٩٦٧	١	الادب العراقي الحديث	«	خالص عزمي
١٩٤٨	١١	الاقصوصة المصرية	«	ديفز
١٩٤٩	٩	صور ادبية	«	سعد جمعه
١٩٥٤	٨	فن القصة	«	«
١٩٥٤	٤	خلاصة تاريخ الفكر	«	سومرست موم
السنة السادسة	٩	القصة في سوريا	«	شاكر مصطفى
١٩٥٤	١	فن القصة في العراق	«	صفاء خلوصي

العدد السنة	اسم المقال	اسم المجلة اسم الكاتب
١٩٥٥ ٩	اليقظة والمصادفة	٢ الاديب اللبنانية عبدالمجيد لطفي
١٩٥٤ ٥	البير كامو ومصير الانسان	« « نهاد التكرلي
١٩٥٤ ١	النحرد في الادب الفرنسي المعاصر .	« « «
١٩٥٣ ٤	التطور الفني للقصة الحديثة	« « «
١٩٦٧ ١	نظرات في نجيب محفوظ	« « يوسف نوفل
١٩٢٧ ١٠٩٥	نزعة من نزعات الادب القصصي التركي هدم المتقاليد البالية	٣ الاستقلال محمود السيد العراقية
١٩٤٧ ٩	كتابة القصة	٤ الاهتدال محمد علي الاطرقي العراقية
١٩٦٦ ٩	الشعر القصصي والادب العربي	٥ الاقلام العراقية حسين نصار
١٩٣٧ ١٢٤	القصة العراقية	٦ الانقلاب وديع جويده
١٩٥٦ ٥٩	فن القصة	٧ اهل النفط جبرا ابراهيم جبرا العراقية
١٩٥٦ ٦٠	آراء القصة العراقية	« « «
١٩٣٠ ٨	الدين والسياسة والاميه واثرها في سير نهضة العراق الادبية .	٨ البلاد العراقية سلمان الصفواني
١٩٢٩ ٢	محمود السيد	« « محمد امين حسونة
١٩٣٠ ١٧٠	فجر القصة العراقية	« « محمود السيد
١٩٣٦ ٨٢٤	خواطر عن القصة	« « وداد سكاكيني
١٩٥٠ ٧٣	خطوط القصة	٩ البيان العراقي طه حسين

العدد السنة	اسم المقال	اسم الكاتب	مسلسل اسم المجلة
١٩٥٠ ٧٣	القصة العربية	علي الخافاني	٩
١٩٦١ ١	مأساة الاديب في العراق	عبدالله نيازي	١٠ التضامن العراقي
١٩٦١ ٤	محمود تيمور رائد القصة المصرية .	مزاحم الطائي	»
١٩٦١ ١	المدينة تحتضن الرجال	»
١٩١٠ ٢	رؤيا عربية	١١ تنوير الافكار
١٩٥٩ ٢	اثر ثورة ١٤ تموز	١٢ الثقافة الجديدة صلاح خالص
			العراقية
١٩٥٩ ٩	ادبنا والثورة	»	»
١٩٥٣ ١	المدرسة الواقعية الحديثة	»	»
١٩٥٩ ٧، ٦	هدف اتحاد الادباء	»	»
١٩٥٣ ٢	مفاهيم في الفن القصصي	نهاد التكرلي	»
١٩٥٢ ٧٢٥	مناهج نقد القصة	عز الدين اسماعيل	١٣ الثقافة المصرية
			العراقية
١٩٥٧ ١	قضايا الفن السوفيتي	شيبيلوف	١٤ الثقافة الوطنية
١٩٦٧ ٧٢	الجنس وكيف تتناوله في الرواية	حافظ السعيد	١٥ الجمهورية حسن حافظ السعيد
			العراقية
١٩٦٦ ٦٧	حكاية الادب العربي المعاصر في الادب التركي	خالص عزمي	»
٦٧/٦٦ ٧٠، ٦٧	التيارات المعاصرة في الادب التركي	عزيز سامي	»
١٩٦٥ ٦٢	المؤامرة على حركة التأليف	فيصل حسونه	»

السنة	العدد	اسم المقال	اسم المجلة	اسم الكاتب
		والنشر في العراق .		
١٩٦٥	١١	قصة انقلاب وقصص ٦٧٤ ملحق	١٥	الجمهورية العراقية محمود العبيطة
		محمود احمد السيد		
١٩٦٦	٦٤	ازمة الكتاب العراقي من المسؤول	«
		عنها الكاتب ام الناشر ؟		
١٩٣٢	١٧	ادب القصة واثره	١٦	الحاصد العراقية جرجس يوسف
١٩٣٦	٨	متى يزدهر التأليف العراقي	«
١٩٣١	١٣	نهضة ادبية كاذبة	«
١٩٣٥	١	من فضلكم وسوسات ابليس	«
١٩٤٩	٤ ، ٣	نحو ادب جديد	١٧	الحديث شحادة الخوري
١٩١٩	٧	كيف يرتقى العراق	١٨	دار السلام عطا امين
١٩٢٠	٩ ، ٨	عاقبة الحياة	«	«
١٩٢٠	١	لوحة من الواح الدهر	«	«
١٩٣٧	١١٥	الذاتي والموضوعي في الادب العربي والانكليزي	١٩	الرسالة فخري ابوالسعود
١٩٥٦	٢٥	واقعيون	٢٠	الرسالة الجديدة طه حسين
١٩٥٦	٢٨	الادب الجديد ماذا سيكون بعد عشرين سنة	«	محمد امين العالم
١٩٥٧	٤١	فن نجيب محمود القصصي	«
١٩٥٧	٣٦	نقد بين القصرين	«
١٩٠٩	١٧٢ ، ١٧١	الاصبحي	٢١	الرقيب الاب انستاس الكرملي

السنة	العدد	اسم المقال	اسم الكاتب	اسم المجلة	مستل
				العراقية	
١٩٠٩	١٧٣	ذات القناع الاحمر	الربيع الاب انستاس الكرملي		٢١
١٩١٣	١٦٥	المرصد		«
١٩٦٦		مسروايه الحكيم	عبدالقادر القط		٢٢
١٩٦٦	١٩٨٧	انحسار الموجة الواقعية في القصة .	«	«	«
١٩٣٧	١٥٨	نقص في ادبنا	عبدالمجيد لطفي		٢٣
١٩٥٩	٢٥	الكاتب وعصره	المصرية انلام را شكوفوسكايا		٢٤
١٩٥٧	٢	في الادب العربي الحديث	الادرا توفوسكا		«
١٩٥٩	٢٢	حرية الكاتب	السكندر كاراجانوف		«
١٩٥٨	١١	كيف اكتب القصة	اليكسي تولستوي		«
١٩٥٨	٩	الادب والحياة الاجتماعية	جورج بليخانوف		«
١٩٥٨	١٢	الادب والفن	«	«	«
١٩٥٨	١	عناصر القومية في الادب الواقعي	فيساريون بلنسكي		«
١٩٥٧	٦	انا ومهنة الادب	فيرا انبره		«
١٩٥٩	٣١	الادب وايماننا الحاضرة	ليونيدا دبراستسوف		«
١٩٥٧	٤	بين الناثر الحر بلنسكي والكاتب الكبير جوجول .	«	«	«
١٩٠٩	٥٩	لا تقرأوا الروايات		٢٥
١٩٤٩	٢	الواقعية الاشتراكية	السكندر فادييف		٢٥

السنة	العدد	اسم المقال	اسم الكاتب	اسم المجلة	سلسل اللبنانية
١٩٢٢	٢٣ آذار	يوم زلزلت الارض زلزالها	روفائيل بطى	العراق	٢٧
١٩٢٣	٩٧١	الثورة الادبية	«»	
١٩٣٠	٣٢٤٩	الركود الادبى في العراق عوامله واسبابه	«»	
١٩٣٢	٣٧٥٥	جنود الحركة الادبية في العراق	«»	
١٩٣٤	٢٨٣٧	القصة والمرأة	«»	«»	
١٩٢٠	٤٩٠ - ٤٨٣	وقفه على ديالى	عطا امين	«»	
١٩٢٠	١٩٢	سياحة الفكر	«»	«»	
١٩٢٢	٧٦٩	حاجتنا الى النهضة الفكرية	«»	«»	
١٩١٠	٥ - ٢	الاقوام	يوسف رزق الله غنيمة	العلوم العراقية	٢٨
١٩١٠	٣ - ١	فتاة بغداد	رزوق عيسى	«»	
١٩٢٧	٧٥	مقام الروايه في الادب	عبد الغني شوقي	العراقية	٢٩ الفضيلة
١٩٦٧	٢٥	سارتر والرواية الوجودية	امين العيوطى	المصرية	٣٠ الفكر المعاصر
١٩٦٦	٢٢	قضية الرواية الجديدة	الن يوسكى	«»	
١٩٦٦	٢١	وليم جولدنج والرواية الرمزية	رمسيس عوض	«»	
١٩٦٧	٢٣	تيارات الفكر والادب في مصر	زكى نجيب محمود	«»	

السنة	العدد	اسم المقال	اسم المجلة	اسم الكاتب
		المعاصرة .		
١٩٦٦	٢١	الفنان في ادب توماس مان	٣٠	الفكر المعاصر فاروق مزيد
١٩٦٧	٢٧	ظاهرة العنف في الادب	«	محمد عبد الله الشفقي
		المعاصر .		
١٩٥٧		الكاتب والمجتمع	٢١	الفنون العراقية تيد وبليريس
١٩٥٧		في الرواية التاريخية	«	زهير احمد
١٩٥٨	٢٤	جلال خالد	«	«
١٩٥٨	٢٤	مشكلة التعبير عن المفاهيم الحديثة	«	صلاح خالص
		في النقد الادبي		
١٩٦٤	١٢	الوجودية في القصة القصيرة	٢٢	القصة المصرية احمد عصام الدين
١٩٦٥	٧٧	ازمة القصة القصيرة بين تصوير الواقع والاغراق في الخيال .	«	خيرى حماد
١٩٦٤	١٠	اتجاهات حديثة في القصة السوفيتية .	«	«
١٩٦٤	٢	اتجاهات جديدة في الرواية الاوربية .	«	سهير القلماوى
١٩٦٤	٢	القصة في الادب الانجليزي	«	طه محمود طه
١٩٦٤	٦	تطور الرواية العربية الحديثة في مصر .	«	عبد المحسن طه بدر
١٩٦٥	١٥	معنى المأساة	«	غالي شكري
١٩٦٤	٧	ما القصة ؟	«	قصي سالم علوان

السنة	العدد	اسم المقال	اسم المجلة	اسم الكاتب
١٩٦٤	٧	الوظيفة الفنية للقصة القرآنية	٣٢	القصة المصرية محمد احمد خلف
١٩٦٤	١١	الشخصيات الروائية	«	محمد عبد الحليم عبد الله
١٩٦٥		التطور الفني لشكل القصة السورية .	«	نعيم حسن اليافي
١٩٦٦		المشكلة المينافيزيقية	٣٣	الكاتب المصرية احمد عباس صالح
١٩٦٧	٧٢	الرواية الجديدة	«	شكري محمد عياد
١٩٤٨	٣٢	فن الكتابة	«	هيلين زالوش
١٩٥٤	٤	البر تومورافيا	٣٤	الكاتب العربي عبد المنعم رؤوف الدورى
١٩٥٤	٣	وجوه الادب المعاصر	«	نهاد التكرلي
١٩٦٧	١	حول القصة العراقية	٣٥	الكلمة العراقية
١٩١٤	٢	المرأة العراقية	٣٦	لغة العرب محمد فاتق الكيلانى العراقية
١٩١٣	٤	رؤية ادبية	«	«
١٩١٣	٧	قراءة الروايات	«	«
السنة السادسة	ج ٢ ص ١٤٥	جلال خالد	«	«
١٩١٤	ج ١٨	المال حاكم	«	«
١٩١٣	ج ٥	سياحة النوم	«	«
١٩٥٩	٥ ، ٤	مفهوم الفن في العصر الحديث	٣٧	المثقف العراقية صلاح خالص
١٩٦٠	١٨	القصة الواقعية وتطور القصة العراقية .	«	عبد المجيد لطفى

العدد السنة	اسم المقال	اسم المجلة اسم الكاتب
١٩٥٩ ٢٥	الفن والاخلاق	٣٨ المجلة المصرية السيد محمد بدوي
١٩٥٩ ٢١	الرومانتيكية والاخلاق	« «
١٩٦٦ ١١٩	الفكر الاشتراكي في الروايات اليوثوبية .	« انجيل بطرس سمعان
١٩٦٦	من زعماء القصة الطويلة في فرنسا (الان روب جوييه)	« انور عبد العزيز
١٩٥٨ ٢٢	الاتجاه الفكري وكتابة القصة	« رشاد محمد خليل
١٩٦٦ ١١٧، ١١٦، ١١٨	مستقبل الاقصوصة المصرية	« صبري حافظ
١٩٦٦ ١٣	تأثر القصص العربي في الادب الاوربي الحديث .	« عيد الرحمن بدوي
١٩٦٥ ٩٩	ظاهرة التعبير الادبي	« عبدالفتاح الديدي
١٩٥٧ ١٠	الالتزام في الادب المعاصر	« هدى خشبته
١٩٦١ ٥٦	نهاية مدرسة ادبية	« كارل شاييرو
١٩٥٧ ١١	جيمس جويس	« محمد خليل فهمي
١٩٣٩ ١٩	الحركة الثقافية في العراق	٣٩ المجلة الموصلية يوسف الحاج لياس
١٩٢٦ ٢ ج	الريالزم	٤٠ المعرض محمود السيد
١٩٦٠ ٦	القصة النفسية الجديدة	٤١ المعلم الجديد خليل ابراهيم الخماش
١٩٥٠ ٣	المذاهب الادبية الحديثة	« سلوم النعيمي
١٩٥٢ ٤	المشكلة الادبية في العراق	« عبدالرزاق عبي الدين

السنة	العدد	اسم المقال	اسم المجلة	اسم الكاتب
١٩٥٨	٢٤	القصة النفسية	٤١	المعلم الجديد عبد الوهاب الوكيل
١٩٥٧	٢٠	كلمة في القصة القصيرة	»	علي جواد الطاهر
١٩٣٤	٤ ج	اناثول فرانس	٤٢	المقتطف المصرية علي كامل
١٩٣٧	٤٩٧	القصة والوسط العراقي	٤٣	النهضة العراقية بمتاز العمري

رسائل

- ١ - رسالة من آدمون صبري للدكتور داؤد سلوم في ٧ / ١٠ / ١٩٦١ .
١٥ / ١١ / ٦١ .
- ٢ - رسالة من جعفر الخليلي للدكتور داؤد سلوم في ٣٠ / ٩ / ١٩٥٤ .
- ٣ - رسالة من ذنون ايوب للدكتور « » في ١٤ / ١٠ / ١٩٥٤ .
- ٤ - ثلاث رسائل من ذنون ايوب لي في عام ١٩٦٤ .
- ٥ - رسالة من شاكر خصباك للدكتور داؤد سلوم في ١٢ / ١١ / ١٩٥٤ .
- ٦ - رسالة من عبد المجيد لطفي للدكتور « » في ٢٨ / ٩ / ١٩٥٤ .
- ٧ - رسالة من عبد الله نيازي للدكتور « » في ٢ / ٣ / ١٩٥٤ .

المقابلات

- ١ - مقابلي لأدمون صبري بصورة مستمرة .
- ٢ - « » لبهنام وديع « »
- ٣ - « » لجعفر الخليلي في ١٧ / ٢ / ١٩٦١ .
- ٤ - « » لحازم مراد في ١٠ / ٧ / ١٩٦٣ .
- ٥ - « » لداؤد سلوم بصورة مستمرة .
- ٦ - « » لشاكر جابر « »
- ٧ - « » لعبد الله نيازي في ٥ / ٣ / ١٩٦٤ ، ٤ / ١٠ / ١٩٦٦ .
- ٨ - « » لعبد الوهاب النعيمي في ١٢ / ٣ / ١٩٦٧ .
- ٩ - « » لفرؤاد التكرلي في ١٤ / ٨ / ١٩٦٥ .
- ١٠ - « » لليلي عبد القادر في ٩ / ٦ / ١٩٦٦ .
- ١١ - « » لموفق خضر في ١ / ٦ / ١٩٦٦ .

فهرست الجزء الاول

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
	الفصل الاول
١٣	التمهيد
٢٣	المؤثرات العربية
٢٧	المؤثرات الخارجية
٥٥	اثر الصحافة في الرواية العراقية
٦٤	الرواية الايقاظية لسليمان فيض الموصلية
٧٧	محمود احمد السيد
	الفصل الثاني
٩٩	الرواية التعليمية
١١٤	الرواية التاريخية
١٦٣	الرواية الشعبية
١٧٨	الرواية الرومانسية
٢١٥	عبد الله نيازي
	الفصل الثالث
٢٢٧	الرواية التسجيلية
٢٥٢	جعفر الخليلي

الصفحة	الموضوع
٢٦٤	الرواية الفنية
٢٦٧	عبد الحق فاضل
٢٨١	ذنون ايوب
٣١٠	خالد الدرّة
٣١٩	فؤاد التكرلي
٣٢٩	غائب طعمة فرمان
٣٤٩	خاتمة الجزء الاول
٣٥٧	المصادر
٣٦٢	المراجع من الكتب والمجلات
٣٩٢	الرسائل والمقابلات

جدول الخطأ والصواب

الصفحة السطر	الخطأ الصواب	الصفحة السطر	الخطأ الصواب
٤	٦ الادب ادب	١٩	١ وتطبيقها وتطويعها
٤	٧ وينحى وينهى	١٩	١٨ المبتكرة المبتسرة
٤	٨ لا يتيحها لا يتيحهما	٢٠	٢ قريب قريباً
٧	٢ نسب وثيق نسباً وثيقاً	٢٣	١٨ بالحديث بالحدث
٨	١ الظاهر الظاهرة	٢٥	٢٠ وظهرت في مصر وظهرت
٩	١٠ نرجع نرجع ذلك	٢٦	٩ ونكت « ونكت
١٤	٨ ١٨٢٠ هـ ١٨٢٠ م	٢٦	١١ « فيا أيها المتقفر فيا أيها
١٤	حاشية ب نقص عبد القادر	٢٧	٩ وتجد نجد
	حسن امين المصدر		هامش حكى ما (٩) حكى ما
	السابق سهيل ادريس	٢٩	٧ شائعا من شائعا في
	القصة العراقية	٢٩	١٢ حوادثه حوادثها
	الحديثة الآداب الاعداد	٢٩	١٥ وهواه ولم وهو أمر لم
	١ - ٣ عام ١٩٥٣	٣٢	١٢ ويتلام أو يتلام
١٤	حاشية ٨ ص ١١٩ ص ٦٨، ١١٩	٣٤	١٤ كالا اجتماعي والاجتماعي
١٧	٥ على نفقته على نفقته الخاصة	٣٦	١٣ العراقي في العراق
	نفقات	٣٨	١٦ الحديث الحديث
١٨	٨ في القصص في القصص	٣٨	٤ مياشراً تقليداً مباشراً
١٨	٩ في الرواية فن الرواية		

الصفحة السطر الخطأ الصواب	الصفحة السطر الخطأ الصواب
هامش (٢٣) العباد الصياد	٣٨ ١٥ وقد احتمل وقد احتل
هامش (٣٥) الموصل في الموصل	هامش (١٨) مله بدر طه بدر
هامش (٣٧) ١٩٢١ ١٩٣١	٤٠ ١١ متصلاني مشعلاني
هامش (٣٨) متلسلسلة مسلسلة	٤٢ ٣ سيطر سيطرا
هامش (٣٩) الداع الخداع	٤٢ ٩ ١٨٩٢ ١٨٩٧
٥٠ ٦ يظل يضل	٢٠ قلفاط قلفاط
٥٠ ١٤ تلاها تلاهما	٤٢ ١٦ فيشغلونهم فيشغلونهم
٥٣ ٨ الى الى	٤٦ ٧ ماركامان ماركاسان
١٦٥٥ التشويق للقارىء تشويق القارىء	٨ شانتين شانتبي
٥٦ ١٨ خيتعمورا وخنوساً خيتعمورا	١٥ في جريدة في العراق في جريدة
وخنوصا	١٧ في العدد في نفس العدد
١٩ الخنوس الخنوص	٤٧ ٢ بقلم الاديب بقلم الاب
٢٠ الخيتعمور الخيتعمور	٣ الاصبحي (٢٧) الاصبحي
٥٧ ١ الخنوس الخنوص	١٤ قد عزمنا فقد عزمنا
٣ وانعمت وامعنت	١٧ خلال من خلال
٥٨ ٣ باصالة غربية باصالة عربية	١٨ ١٩٠٩ ١٩٠٩ (٢٧)
٥٩ ١١ التروودا للازورد	٤٨ ٤ (الاحدوثة) اسم الاحدوثة
٥٩ حاشيه (٥٥) ١٨١٠ ١٩١٠	٤٩ ٤ معنا فريو حنا قريو
٥٩ حاشية (٥٦) نجد اننا غير اننا	٤٩ هامش (٣١) هنديان هذيان
٥٩ ١٢ عربة نقل عربة نقل	٤٩ هامش (٣٢) ميدان الحب ميراث
٦٢ ١٣ تشمل تمثل	موبسان الحب لموبسان

الصفحة السطر الخطأ الصواب	الصفحة السطر الخطأ الصواب
٧٨ ١٢ ثانية واقعية	٦٣ ٦ الموجية الموحية
٧٩ ١٦ الجبل الجبل	٦٤ ٤ مبترة مبتسرة
٨٠ ١ الجبل الجبل	١٧ (٢) (٦٥)
٢ بالفخار بالفار	حاشية (١) (٦٤)
حاشية (٨٧) (الطائع) الطلائع	حاشية (٢) (٦٥)
٨١ ٦ المومية الموحية	٦٧ ١٣ مع غلبه مع غلبة السرد
٨٢ ٧ الجبل الجبل	السرد عليها الروائي عليها
٧ وكثور كستور	٦٨ ١٦ والمادة السجعية والعبارة
٨ الجبل الجبل	٢٠ تعني احيان تعني احياناً
٨٣ ٤ العثمانيون العثمانين	حاشية ٧٣ نرسي موسى
١٠ الاقدام فيها الاقدام	حاشية ٧٣ العدد ٢٨ العدد ٣٨
٨٥ ١٤ بالعلوم الا بالعلوم	٦٩ ٨ لم يتحلل لم يتخل
٨٦ ٧ - بس انا بي انا	٧٠ ١٤ صورة صورة
٩٢ ١٢ انباء نامة انباء تايسة	٢١ الحديث الحدث
٩٣ ١٤ ذلك تلك	٧٣ ١٤ انعام امان
١٩ حتى بدأ حتى بدأ	٨٤ ١٨ مسرية سرية
٩٥ حاشية (١١٤) من الرق من الشرق	٢٠ يوقر يوغر
٩٦ ٤ وتطعيمها وتطعيمها	٧٥ ٢١ المستمد المستمد
٩٩ ٩ محمود شكري محمود ابي الثناء	٧٧ ١٧ وحرص وحرص
١٠٩ ٥ واستخدام واستخدام	٧٨ ٤ ييبث ييبث
١١١ ٥ والعشق والفسق	٥ ووعوا ووعوا

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١٣	٣	بهذه	نهب
١٢		العروسة	العروبة
١١٦	٩	مستمدان	مستمدتان
١٠		مستمدان	مستمدتان
١١٧	٤	(فتح عمر)	(فتح مصر)
١٤		(أبي نصير)	(أبي بصير)
١١٩	١٤	الشاعر	الشاعرة
١١٩	١٥	مظاهر	عن مظاهر
١٢٠	٤	نوجل	نرجل
١٢٢	٢	وتنطاق	وتتطابق
٨		وأبي نصير	وأبي بصير
١٢٢	١٣	غير معنى	غير معنى
١٩		أبي نصير	أبي بصير
١٢٥	١٩	حسين دوره	حسين وره
١٢٧	٨	بعلية	بعملية
١٢٩	١٣	الصدور	الصدور وعادت
		ثانية الى	الصدور في
		الخمسينات	
١٣٠	١٤	تهجى	تهجيا
١٣١	٩	يسوع	ليسوع
١٨		المؤبدة	المؤبدة (٣٠)
		الصفحة	السطر
		الخطأ	الصواب
١٣٢	١٢	وقادته	وقاده
١٣٢	٦	ويساعده	مساعده
١٣٤	٣	الغطرسة	الغطرسمة
١٣٥	١٨	الخبيسة	الخبيبة
١٣٦	٦	فهو يفي	فهو وفي
٦		تنشر	تنتشر
١٣٧	١٥	المتوحش	الموحش
١٣٨	١	روايتها	روايتها
٣		(شوزرق)	شوزق
		حاشية (٤٦)	ص ٦٩ ٢٩
١٤٠	١	وكذلك تعرف	ولا تعرف
١١		من واهية	داهية
١٤٢	١٥	يقصدان	يتعمدان
١٤٢	١٥	تفخيمها	تنقيحها
١٤٣	٧	سيدة	سيده
١٠		عرفنا	عرضنا
١٤٤	٢	اراع	انتزاع
١٢		أحيي	أحيا
١٦		عن سير	عن مصير
١٤٦	٥	صورته	صوته
٧		يهبها	ويهبها

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٤٦	٩	يرى	كان يرى	١٤٧	١٩	الكهان	له الكهان
١٥٠		حاشية (٦٢)	الباب الجزء	١٥١	١	قيصيح	فيصيح
١٥٢	٧	وحديشه	كحديشه	١٤		المنصور	منصور
١٥٣	١٣	مسرح	مسوح	١٥٤	٢	الفار	القار
١٥٥	٦	منصور	منصورا	١٥٦	١٩	معين	معينين
١٥٧	٥	باقامة	اقامه	١٥٨	١٧	اولادهما	اولادهم
١٥٩	١٤	الرقصات	الرفسات	١٦٢	٣	السرد (٨٧)	السرد
٨		والاجساد	وبالاجساد	٩		(٨٨)	(٨٧)
١١		(٨٩)	(٨٨)	١٢		(٩٠)	(٨٩)
١٣		(٩١)	(٩٠)	١٦٣	١	الادب	اثر الادب
١٦٣	٦	من اكثر	اكث	١٦٥	١١	لتزويجه	لتتزوجه
١٦٦	٢	صلبا	في صلب	١٦٨	٤	الثلاث	الثلاثة
١٦٧	٢١	ينغد	ينفد	١٦٩	١٣	عواطفها	عواطفهما
١٦٨	٤	الثلاث	الثلاثة	١٧٠	٧	وكأنه	وكأنما
١٦٩	١٣	عواطفها	عواطفهما	١٧١	١٧	وتنعقد	وتعقد
١٧٠	٧	وكأنه	وكأنما	١٧٢	٤	جنه	في جنه
١٧١	١٧	وتنعقد	وتعقد	٨		فيأتي	فبأتي
١٧٢	٤	جنه	في جنه	١٧		التي	الفائقة التي
١٧٣	٨	المعاد	المادة	٢٠		ويعمل	وتعمليل
١٧٥	٣	راكما	راكضا	١٧٣	٨	المعاد	المادة
١٧٨	٣	الباب	الفصل	٢٠		تلخص	تلخص
١٩٤٦		الاسرار	١٩٤٨	٢		الاسوار	١٩٤٨

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٧٩	١٥	النشأة	نشأة	١٩٦	٤	الاسوار	الاسرار
		هامش (١) وثورة	كثورة		٥	لما	ولما
١٨٠		هامش حكماها	حكاه	١٣	١٣	تأثيراً	تأثراً
١٨١	١٧	وقيمتها	وقيمها	١٩٨	١٠	جدياً	جسدياً
١٨٢	١١	ادخل	قد أدخل	١٩	١٩	الام	الامة
١٨٥	٣	بالقياس	هو بالقياس	٢١	٢١	واللجوء	أو اللجوء
	١٣	الاول	الثاني	١٩٩	١٤	خطوة	خطوة خطوة
١٨٦	١٥	الممل	الممض			حاشية ٢٤-٢٥	الشهور التهور
	٢٠	كوزمي	كوزة جي	٢٠١	٢	لماذا	احد لماذا
١٨٧	١٠	يوسع	بوسع	٢٠٢	١٥	بالمحكمة	بالمحكمة
	١٣	لم تعد	لم تتعد	٢٠٣	٧	مضني	مضض
١٨٨	١٤	اقرب	اغرب	٢٠٤	١١	عن	أن يكتب عن
١٨٩	٣	لا يتحسبها	لا يحتسبها	٢٠٥	١٠	مشرق	يشرق
	٦	احدى	من احدى	٢٠٦	٢	بطلة	بطلته
	٩	التقاليد	لأن التقاليد	٢٠٧	٦	تصوير	تصور
١٩٢	٧	شوقية	شرقية	٢١٦	١٢	زملاءه	زملاؤه
١٩٣	٣	ويشتهي	أو يشتهي	٢٢٠	١	الروايتان	الروايتين
	١٦	واقطع	واقطع	٨	٨	العمياء	الدودة العمياء
١٩٥	١٤	بصراحة	هذا الهدف بصراحة	١٢	١٢	تزكمت	تزكمتك
	١٩	الحديث	الحديث	٢٢١	١١	اسس	اسى
	٢١	يكشف	يكشف	٢٢٢	٢	طلق	مطلق

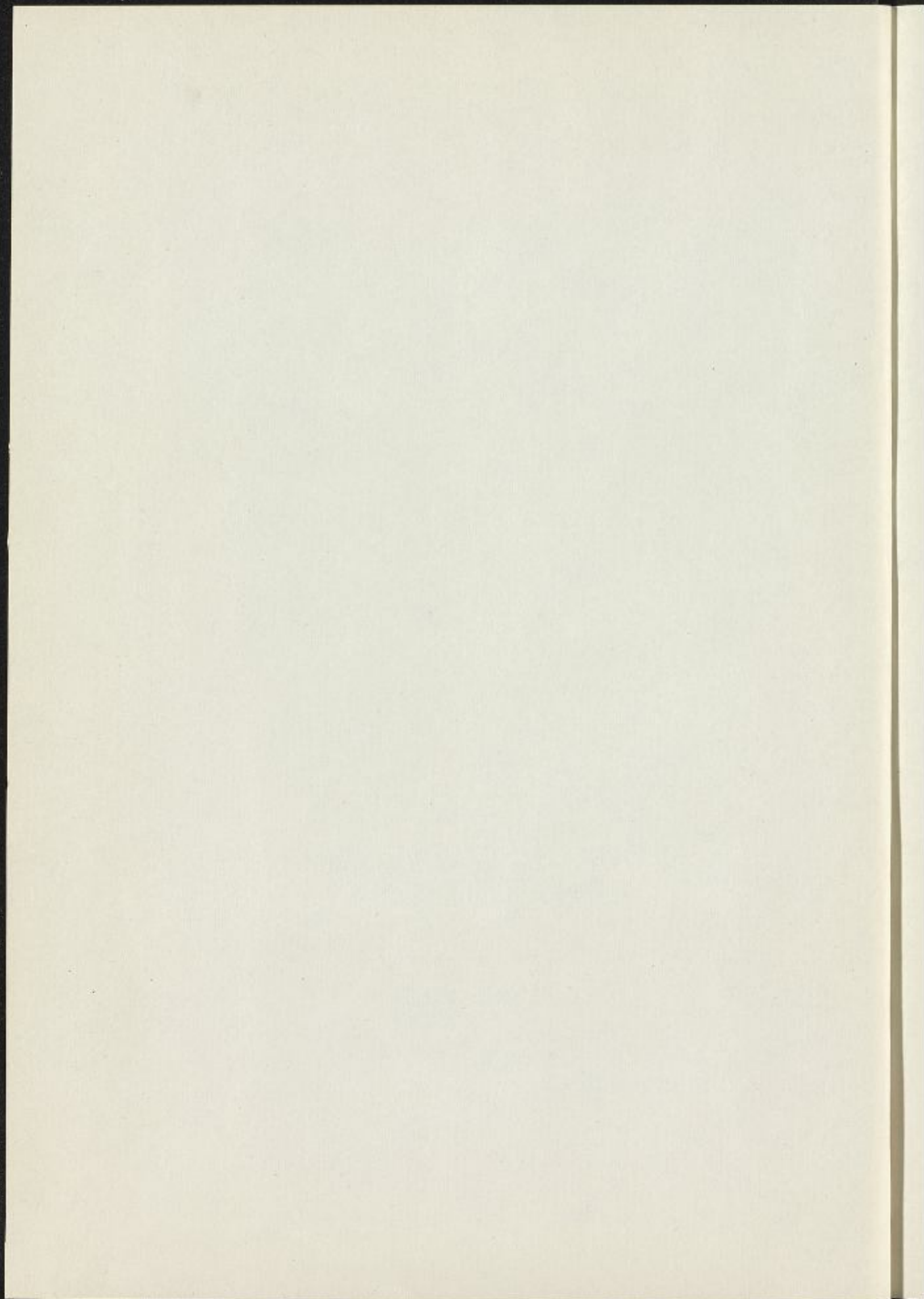
الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٢٢٣	٢	الثانية عشر الثانية عشرة	
٢٢٢٤	٨	من نعم من نعم	
	١٢	الحال	عليه الحال
٢٢٢٧	١	وبعد	وبدء
٢٢٢٩	٩	الانقلابات الثورات	
٢٢٣٠	١٨	ميماء	دماء
	٢٠	سليم	حر سليم
٢٢٣٣	٣	على	الاول على
	٦	لا ينتقد ،	لا ينتقد .
٢٢٣٤	٣	ولكنهم	الحق ولكنهم
٢٢٣٥	٢٠	غايتهان	غاية أن
	٢٢	خصباك	خصباك وغائب
		طعمة	فرمان
٢٢٣٦	١	وان تحتل وان تمثل	
	١٦	عما اشاع	الاخلاقي عما اشاع
٢٢٣٧	١٢	فنيا	عرضا فنيا
		حاشية (٥)	العصري المصري
٢٢٤٠		هامش (٩)	نسبوه نسميه
٢٢٤١	١٨	شيك	مشبك
		هامش (١٢)	٥ - ٦ - ١ - ٦
٢٢٤٢	١٤	على	فيه على

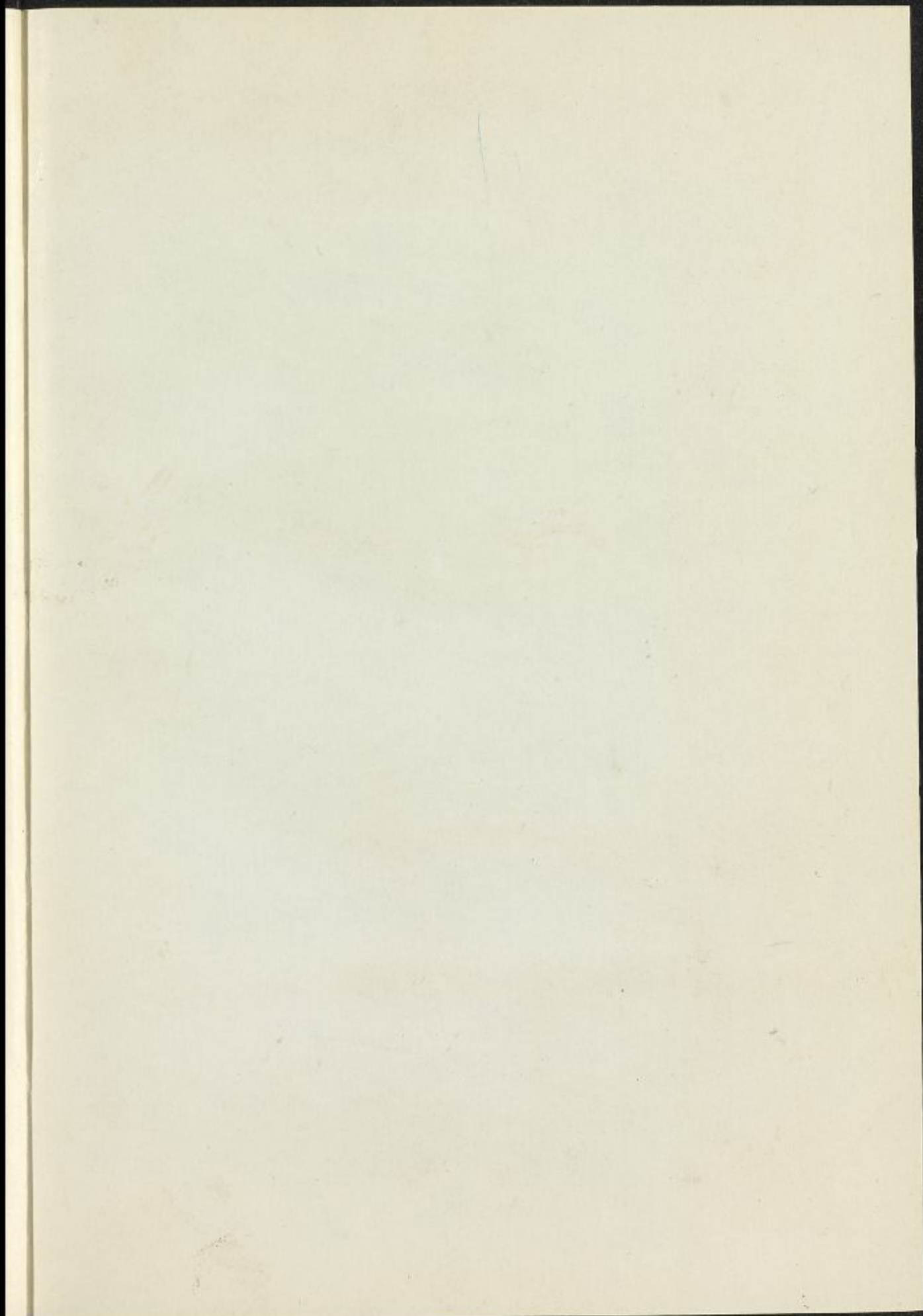
الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٥٩	٥	صديقة	صحيفة	٢٦٠	٢	بمسيرها	بمصيرها
	٩	مقصوداً	مقصود	٢٦١	٩	يصغي	يصيخ
	٢	٢٦٠		١٢	١٢	يفسر	ينتقد
	١٥	العادية	المادية	١٣	١٣	بها	بهما
	٩	٢٦١		١٥	١٥	تصلي	لا تصلي
	١٢	٢٦١		١٦	١٦	الصبيان	العميان
	١٠	٢٦٢		٢٦٥	٢	٢٦٥	
	١٠	شاملة	متأملة	٣	٣	السيئة	المضيئة
	٢	٢٦٥		٤	٤	روايته	قصته الطويلة
	٣	٢٦٥		٦	٦	روايته	روايته
	٤	٢٦٥		١٣	١٣	المطموس	الملموس
	٦	٢٦٥		٢٢	٢٢	التبشير	التبصير
	٢	٢٦٦		٢٦٦	٢	واقعية	واقعة
	٩	٢٦٦		٩	٩	لم يراها	لم يرها
	١٨	٢٦٧		١٨	١٨	سهما	مهما
	٥	٢٦٨		٥	٥	تعني	تعني
	١٢	٢٦٨		١٢	١٢	البدئية	البدئية
٢٦٩	١	٢٦٩		١٢	١٢	البدئية	البدئية
	٧	٢٦٩		١٢	١٢	البدئية	البدئية
	٢٢	٢٦٩		١٢	١٢	البدئية	البدئية
	٧	٢٦٩		١٢	١٢	البدئية	البدئية
	١٢	٢٦٩		١٢	١٢	البدئية	البدئية
	٢١	٢٦٩		١٢	١٢	البدئية	البدئية
	١٦	٢٧٢		١٦	١٦	روايته	رواية
	٢	٢٧٣		٢	٢	سبق	سبق
	١٧	٢٧٣		١٧	١٧	الحديث	الحديث
	٢٧٥	٢٧٥		٢٧٥	٢٧٥	عنه	عنده
٢٨١	٣	٢٨١		٢٨١	٣	روح التجربة	التجربة الروائية
	١٥	٢٨٣		١٥	١٥	يسحق	يسحق
	١٨	٢٨٣		١٨	١٨	الغنس	انقس
	٤	٢٨٣		٤	٤	حاشية (٣)	ص ٢٥ ص ٤
	١٦	٢٨٤		١٦	١٦	عليك أن عليك	الا
	٦	٢٨٤		٦	٦	حاشية (٦)	اليد والارض والماء
	٥	٢٨٧		٥	٥	الاهداء	
	١	٢٨٨		١	١	دائرة	دوائر
	٢	٢٨٩		٢	٢	لسد الافواه	لكم الافواه
	٦	٢٨٩		٦	٦	الرعية	شؤون الرعية

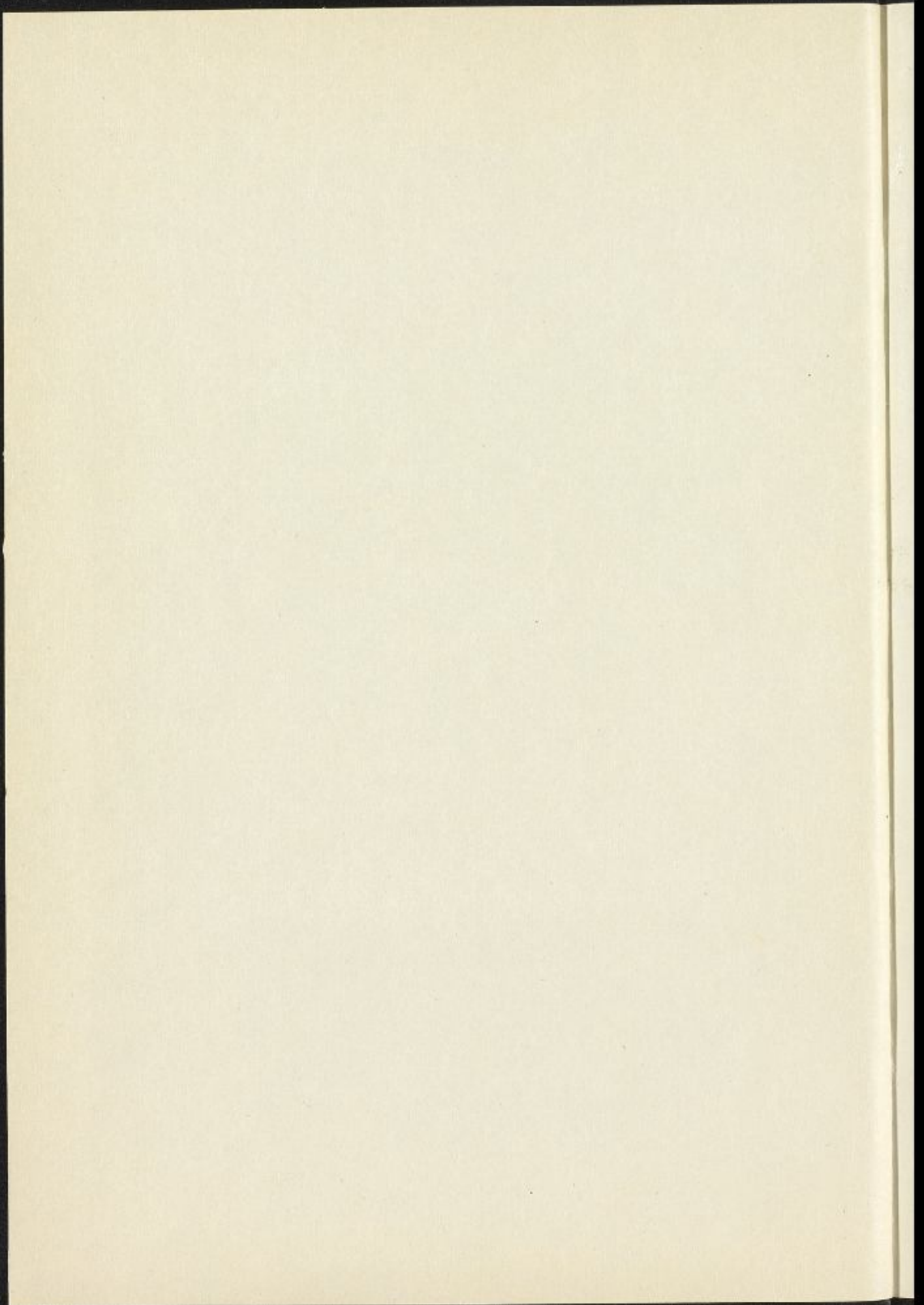
الصفحة السطر الخطأ الصواب	الصفحة السطر الخطأ الصواب
حاشية ٢٥ نموركي غوركي ٢٠٢	٢٨٩ ١٥ لكث اكثر ٢٢٢
نقص (٢٦) الدكتور ابراهيم ص ١٢٨	حاشية (١٣) فهي فهو ٢٢٢
٢٩٩ ٩ وباعتبارها باعتبارها	حاشية (١٣) ١٩٥٣ ١٩٥٣ الاداب
٩ نزوعه الى نزوعه	٢٩٠ ٢٠ باستطاعته باستطاعة
١٦ تراه تراها	٢٩٣ ١٨ المفاصد المقاصد
١٨ فما ومن	٢٩٥ ٤ الواقع الوقع
١٠ غيره مثله	١١ خمسة خمسيا
١٠ مثاليه مثاليه	٢٩٦ ٩ لاثبات الا الاثبات
٦ ٣٠١ والشيخ والدكتور ابراهيم ووالده والشيخ	هامش (٢٠) المصدر السابق ايوب (الدكتور ابراهيم)
١٤ ٣٠٣ والانف الاصغر وصغر الانف	٢٩٧ ١٨ فيها فيه
٢٠ واستيطان واستيطان	« ٢٠ التنقية التنقية
١١ ٣٠٤ يرجع يرجع	حاشية ٢٢ اليد و . . الدكتور ابراهيم
١٧ خطأ خطأ	حاشية ٢٣ « «
١٦ ٣٠٥ سير سير	٢٩٨ ١٣ الزمنية الزمنية (٢٤)
١٤ ٣٠٦ ان اديب اديب	١٤ الخطأ الخطأ (٢٥)
٢٠ دعايته دعايته	١٦ (٢٥) (٢٦)
٧ ٣٠٧ ويستعين أو يستعين	حاشية نقص (٢٤) انظر عبد عبد القادر حسن امين (القصص) ص ١٨٤
١٧ الفتاة القضاة	

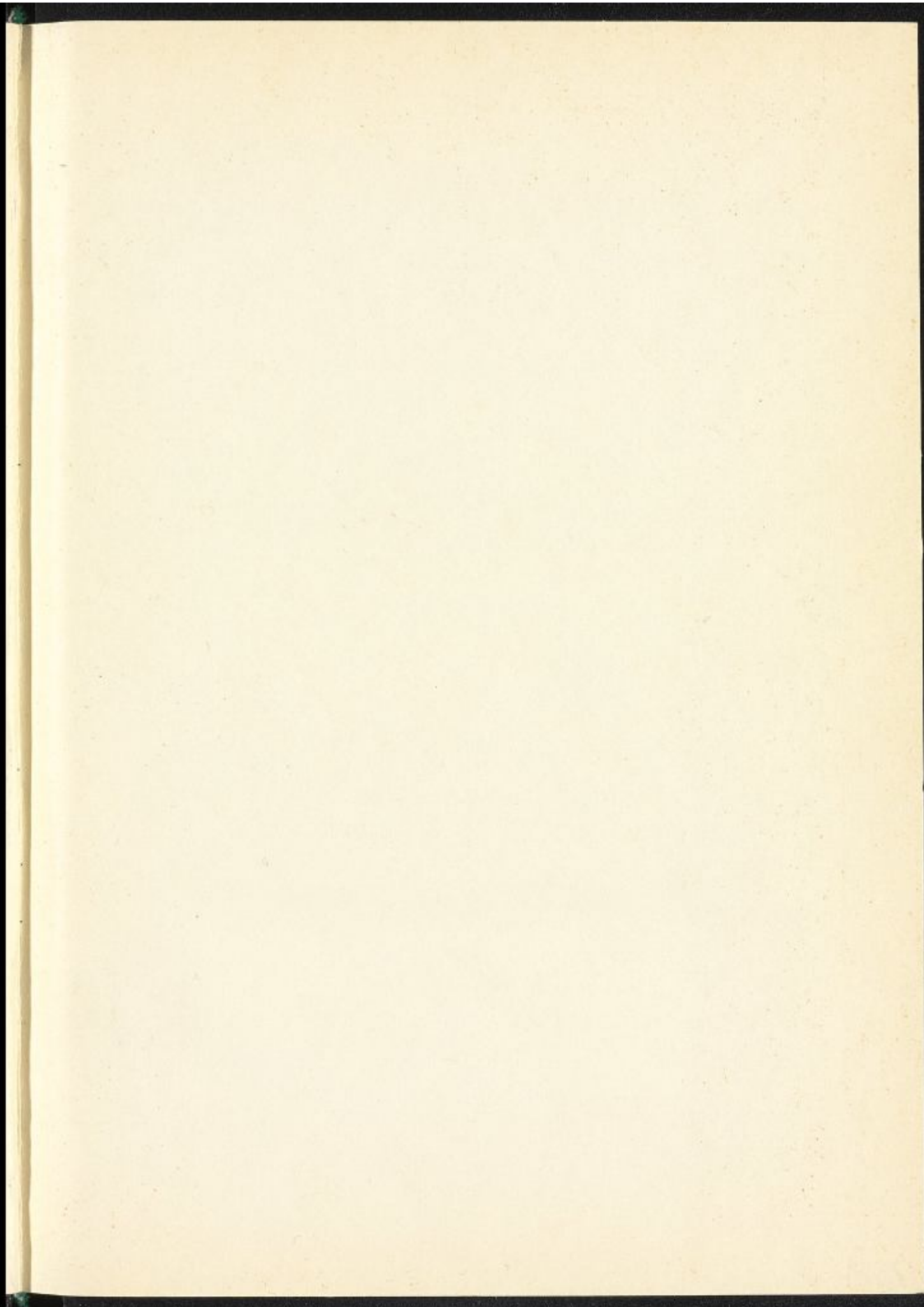
الصفحة السطر الخطأ الضواب	الصفحة السطر الخطأ الضواب
١٧ ٣٢٣ يستمتع يستمتع	١٢ ٣٠٨ ولا سيما لا سيما
٥ ٣٢٤ لهم لهم	١٨ تبدي تبدي
٦٣ العصري المصري	١٣ ٣١٠ لفته لفته
١٥ شروط شرط	٧ ٣١١ حلمها حالها
١٩ وبدوات وبدوات	١٩ ٣١٢ فلم (نصيرة) فلم
٢٠ اوالتحليل والتحليل	٨ ٣١٣ يفصل يفصل
١١ ٣٢٦ ولكنها ولكنه	١٣ سيادته سعادته
١٨ مراعا سراعا	٢ ٣١٥ لتعرف لتعرف
٢٠ وسيما وسيبا	٧ شخصياته لشخصياته
٥ ٣٢٧ اجساد اجساد	١٢ عاديتان رماديتان
٦ الرواية القصة	٦ ٣١٧ الفنية الفنية
١٠ ٣٢٨ يجعلها يجعلها	١٥ تائفة تائفة ملتبهة (٥٣)
٦ ٣٢٩ وبجمله وبجمل	حاشية نقص (٥٣) المصدر
١٢ ناقص (يلاحظ الاشارة الى انها قصة لا رواية	السابق ص ١٨
حاشية (٣) مستنفذ مستنفذ	٦ ٣١٩ (٧٥) (٥٧)
٦ ٣٣٠ المدينة المدينة	حاشية ٥٧ لا رواية طويلة لا رواية
٨ ٣٣١ وحدة في وحدة	١ ٣٢٠ تكتب تكتب
٨ ٣٣٢ السكان المكان	١٦ منها منا
١٨ انسات انسات	٩ تكشف نكتشف
	١٢ بجدر بجدر
	٥ ٣٢٣ صورة صورة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٥٤	١١	القصة	الرواية	٧٥	١٦	الجمهورية	الثورة
		قصة	رواية	١٩٦٥	١٩٦٧	عام	«
٣٥٧	١١	١٦٩٥	١٩٦٥	٢٣٤	١٦	يتميز	تتميز
٣٦٠	٢	السنة	السنة ١٩٣٩	٣٣٦	٣	ليخاطبها	يخاطبها
	٦	الدودي	الداودي	٨	٨	أكثر	أكثر
	١٢	الحسني	الحسين	١٠	١٠	وراء	وراءه
٣٦٨	٢٠	الاحتلالين	احتلالين	١٨	١٨	نقدا	نقد
٣٦٣	٦	الكتاب	الكاتب	٧٨	١٦	على	١٦٢ هـ
٣٢١	٥	الرواية	القصة	٣٣٨	٧	أي	أية
٣٢٤	٧	فافترا	فاترا	٣٣٩	٦	وتغير	وتغير
٣٣٥	١٧.٢	الرواية	القصة	٣٤٢	٧	وراح	وراحت
٣٣٦	١٤.١٣.١٢.٦	الرواية	القصة	٨ «	٨	الموقف	الموقف في
٣٣٧	١٤.١٠.٦.٣	الرواية	القصة	٣٤٥	٢	كل	كان
٣٣٩	١١.١	الرواية	القصة	٩	٩	القصة	الرواية









COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0036761842

PJ
8038
.T35
v. 1

JUN 26 1974

